المجلد الثاني عشر

من تفسير العلامي

الى آخر التوبة

110

MİLLET (ESKİ) KÜTÜPHANESİ
Kısım H. Alipaşa
ESKİ 115
YENİ K.
TASNİF No.

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت والله

يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان قد تقدم معنى الاحبار والرهبان
وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل من
الاحبار والرهبان لم ياكلوا اموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى ليأكلون اموال الناس
بالباطل لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمي الشي باسم ما هو اعظم مقاصده
واختلفوا في السبب الذي من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا
ياخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرايع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا
يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها
ثمنا قليلا وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه
وسلم وصفته من كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك
المآكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على ايات دالة على نعت النبي صلى الله عليه
وسلم فكان الاحبار والرهبان يذكرون في تاويلها وجوها فاسدة باطله ويحرفون معانيها
طلبا للرياسة واخذا للاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى ويصدون
عن سبيل الله يعني وممنوعون الناس عن الايمان بسبب محمد صلى الله عليه وسلم والدخول في
دين الاسلام والذين يكنزون الذهب والفضة اصل الكنز في اللغة جعل المال بعضه
على بعض وحفظه ويقال مال مكنوز اي مجموع وقال بعضهم ايضا الكنز اصله في اللغة
الضم والجمع ولا يختص ذلك بالذهب والفضة الا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم
الا انبيكم بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة والمعنى يضمه لنفسه ويجمعه وخص الله
الذهب والفضة بالذكر لانه مما لا يطلع عليه بخلاف سائر الاموال وقال الطبري
الكنز هو كل شي مجموع بعضه الى بعض سواء كان على ظهر الارض او في بطنها وسمي الذهب

ذهبا لانه يذهب والفضة لانها تنفض فتتفرق ومنه قوله تعالى لانفضوا من حولك
وانفضوا اليها واختلف الصحابة وغيرهم في المراد بهو لا الذين ذمهم الله بسبب
كنز الذهب والفضة فذهب معاوية بن ابي سفين رضي الله عنه الى ان المراد بها اهل الكتاب
والى هذا ذهب الاصم لان الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على اخذ اموال الناس
بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة
منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه تعالى
لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على اخذ الاموال بالباطل حذر
المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال ابو ذر
رضي الله عنه نزلت في اهل الكتاب وفي المسلمين وهو الله صحيح ووجه هذا القول ان الله
وصف اهل الكتاب بالحرص على اخذ المال بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال
ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من اهل الكتاب او من المسلمين وذكر بعضهم انه
تعالى لو اراد اهل الكتاب خاصة لقال ويكنزونه بغير واو الذين فلما قال والذين فقد
استانف معنى آخر تبين انه عطف جملة على جملة وقوله والذين يكنزون كلام مستانف
وهو رفع على الابتدا والله اعلم وروى البخاري في صحيحه عن زيد بن وهب قال مررت
بالربذة فاذا بابي ذر رضي الله عنه فقلت ما انزلك هذا المنزل قال كنت في الشام
فاختلفت انا ومعوية في هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فقال معوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه
في ذلك كلام وكتب الى عثمان يشكوني فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها
فكثر علي الناس حتى كانهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت
تنحيت وكنت قريبا فذاك الذي انزلني هذا المنزل ولو امروا علي حبشيا لسمعت
واطعت واختلف العلما في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه الزكوة فلم
تؤد زكاته وروى عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال له اعرابي اخبرني عن قول الله عز وجل
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم قال ابن

عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له هذا كان قبل ان تنزل الزكاة • فلما نزلت جعلها
الله طهرا للاموال • اخرجه البخاري • وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت
عبد الله بن عمر وهو يسال عن الكنز ما هو • فقال هو المال الذي لا تودى منه الزكاة • ورواه
الطبري بسنده عن ابن عمر • قال كل مال ادیت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا • وكل
مال لم تود زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القران • يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا •
وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال اربعة الاف فما فوقها نفقة • وما فوقها كنز •
وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه • وروى الطبري بسنده عن ابي
امامة رضي الله عنه قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في ميزره دينار • فقال النبي صلى الله
عليه وسلم كية • ثم توفي آخر • فوجد في ميزره دينار ان • فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كيتان • كان هذا في اول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة • وكان يجب على كل من فضل معه شي
من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه • فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين •
فقال عمر رضي الله عنه انا افرج عنكم • فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على اصحابك هذه الاية •
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لم يفرض الزكاة الا لتطيب ما بقي من اموالكم • وانما
فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم • قال فكبر عمر • ثم قال له الا اخبرك بخير ما
يكنز المرء المراة الصالحة • اذا نظر اليها سرته • واذا امرها اطاعته • واذا غاب عنها
حفظته • اخرجه ابو داود • وعن ثوبان رضي الله عنه قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره •
فقال بعض اصحابه انزلت في الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه • فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر • وقلب شاكر • وزوجة صالحة تعين المومن
على ايمانه • اخرجه الترمذي • وقال حديث حسن • والصحيح من هذه الاقوال القول
الاول • وهو ما ذكرنا عن ابن عمر ان كل مال ادیت زكاته فليس بكنز • ولا يحرم على صاحبه
اكتنازه وان كثر • وان كل مال لم تود زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل • اذا

كان مما تجب فيه الزكاة • وتستحق على منع الزكاة الوعيد من الله تعالى • الا ان يتفضل الله
عز وجل عليه بعفوه وغفرانه • ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودى منها حقها
الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفايح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم • فيكوى بها جبينه
وجنبه وظهره • كلما بردت اعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين الف حتى يقضى بين
العباد • فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار • قيل يا رسول الله فالابل • قال ولا
صاحب ابل لا يودى منها حقها • ومن حقها حلبها يوم وردها • الا اذا كان يوم القيامة
بطح لها بقاع قرقر اوفر ما كانت • لا يفقد منها فصيلا واحدا تطاه باخفافها • وتعضه
بافواهها • كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى
يقضى بين العباد • فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار • قيل يا رسول الله فالبقر
والغنم • قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يودى حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع
قرقر • لا يفقد منها شيا ليس فيها عقصا ولا جلحا ولا عضبا • تنطحه بقرونها وتطاوه
باظلافها • كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة
حتى يقضى بين العباد • فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار • اخرجه مسلم بزيادة فيه •
وقوله كلما رُدّت اعيدت له • هكذا هو فى بعض نسخ صحيح مسلم • رُدت بضم الراء • وفى بعضها
بردت بالباء • وهذا هو الصواب • والرواية الاولى هى رواية الجمهور • وقوله حلبها يوم وردها •
حَلَبها بفتح اللام على المشهور • وحكى اسكانها وهو ضعيف • وقوله بقاع قرقر • هو المستوى
من الارض الواسع الاملس • والعقصا هى الشاة الملتوية القرنين • وانما استثناها لانها
لا تولم بنطحها • وكذا الجلحا • وهى الشاة التى لا قرن لها • وكذا العضبا • وهى الشاة المكسور
القرن • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا
فلم يود زكاته مثل له ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ
بلهزمتيه يعنى شدقيه • ثم يقول انا مالك انا كنزك • ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله هو خيرا لهم الاية • والشجاع هو الحية الذكر • والاقرع صفة له بطول العمر •

لان من طال عمره تمرق شعره وذهب ۰ وفي صفة إخبث الحيات ۰ والزبيبتان هما الزبدتان
في الشدقين ۰ واللهزمتان عظمان ناتيان في اللحيين تحت الاذنين ۰ والله اعلم ۰ وعن
جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من صاحب ابل لا يفعل فيها
حقها الا جات يوم القيامة اكثر ما كانت ۰ وقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها واخفافها ۰
ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها الا جات يوم القيامة اكثر ما كانت ۰ وقعد لها بقاع قرقر ۰
تنطحه بقرونها وتطاوه باظلافها ۰ ليس فيها جمّا ولا منكسر قرنها ۰ ولا صاحب كنز لا يفعل
فيه حقه الا جا كنزه يوم القيامة شجاعا اقرع تبعه فاتحا فاه ۰ فاذا اتاه فرّ منه
فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فانا عنه غني ۰ فاذا راى انه لا بد له منه سلك يده في
فيه فيقضمها قضم الفحل ۰ رواه مسلم ۰ وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى فرض على الاغنيا المسلمين في اموالهم بقدر الذي يسع فقراهم ۰
ولن يجهد الفقرا اذا جاعوا وعروا الا بما يصنع اغنياوهم ۰ الا وان الله محاسبهم حسابا
شديدا ثم يعذبهم عذابا اليما ۰ رواه الطبراني ۰ وعن مسروق رضي الله عنه قال قال عبد الله
رضي الله عنه آكل الربا وموكله وشاهداه اذا علما ۰ والواشمة والمستوشمة ولاوي
الصدقة ۰ والمرتد اعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ۰
رواه ابن خزيمة وغيره ۰ وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بفرس
يجعل كل خطوة منه اقصى بصره ۰ فسار وسار معه جبريل عليه السلام ۰ فاتى على قوم يزرعون
في يوم ويحصدون في يوم ۰ كلما حصدوا عاد كما كان ۰ فقال ما جبريل من هولا ۰ قال هولا
المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة سبعمايه ضعف ۰ وما انفقوا من شي فهو يخلفه
ثم اتى على قوم ترضخ روسهم بالصخر ۰ كلما رضخت عادت كما كانت ۰ ولا يفتر عنهم من ذلك شي ۰
قال ما جبريل من هولا ۰ قال هولا الذين تثاقلت روسهم عن الصلاة ۰ ثم اتى على قوم على
ادبارهم رقاع وعلى اقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام الى الضريع والزقوم ورضف
جهنم ۰ قال ما هولا ما جبريل ۰ قال هولا الذين لا يودون صدقات اموالهم ۰ وما ظلمهم
الله وما ربك بظلام للعبيد ۰ رواه البزار وغيره ۰ وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مانع الزكوة تؤم القيامة في النار • رواه الطبراني
وعن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منع قوم الزكوة الا ابتلاهم
الله بالسنين • رواه الطبراني وغيره • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خمس بخمس • قيل يا رسول الله ما خمس بخمس • قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله
عليهم عدوهم • وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الموت • ولا منعوا الزكوة الا حبس الله
عنهم القطر • ولا طففوا المكيال الا حبس الله عنهم النبات واخذوا بالسنين • رواه الطبراني •
وعن الاحنف بن قيس قال جلست الى ملا من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة
حتى قام عليهم فسلم • ثم قال بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم • ثم يوضع على
حلمة ثدي احدهم فيتزلزل • ثم ولى فجلس الى سارية وتبعته وجلست اليه وانا لا ادري
من هو • فقلت لا ادري القوم الا قد كرهوا الذي قلت • قال انهم لا يعقلون شيا قال لي
خليلي • قلت من خليلك • قال النبي صلى الله عليه وسلم • قال لي ابصر احدا • فنظرت الى
الشمس ما بقي من النهار • وانا ارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني في حاجة له •
قلت نعم • قال ما احب ان يكون لي مثل احد ذهبا انفقه كله الا ثلاثة دنانير • وان هولا
لا يعقلون انما يجمعون الدنيا • لا والله لا اسالهم دنيا • ولا استفتيهم عن دين حتى القى الله •
وفي رواية لمسلم انه قال بشر الكانزين بكي في ظهورهم تخرج من بطونهم • وبكي من قبل
اقفائهم تخرج من جباههم • قال ثم تنحى حتى جلس فقعد • قال قلت من هذا • قال هذا
ابو ذر • قال فقمت اليه فقلت ما شي سمعتك تقول قبيل • قال ما قلت الا شا سمعته
من نبيهم صلى الله عليه وسلم • قال قلت ما تقول في هذا العطا • قال خذه فان اليوم قيه
معونة • فاذا كان ثمنا لدينك فدعه • وروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
رضي الله عنه ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها • وفي يد ابنة لها مسكتان
غليظتان من ذهب • فقال لها اتعطي زكاة هذا • قالت لا • قال ايسرك ان يسورك الله
بهما يوم القيامة سوارين من نار • قال فخذفتهما فالقتهما الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت
هما لله ولرسوله • رواه الامام احمد وغيره • والمسكة اسوره من ذهب او فضة او غيره •

وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فراى في يدي فتخات من ورق فقال ما هذا يا عائشة فقلت صنعتهن اتزين لك يا
رسول الله قال اتودين زكاتهن قالت لا او ما شاء الله قال هي حسبك من النار رواه ابو
داود الفتخات بالخا المعجمة جمع فتخة وهي حلقه لا فص لها تجعلها المراة في
اصابع رجليها وربما وضعته في يديها وقال بعضهم الفتخ خواتم كبار كان النسا يتختمن
بها وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكوه قنطره الاسلام
رواه الطبراني وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حصنوا اموالكم
بالزكوه وداوا مرضاكم بالصدقه واستقبلوا انواع البلا بالدعا والتضرع رواه ابو
داود في المراسيل وعن علقمة انهم اتو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال لنا النبي صلى
الله عليه وسلم ان تمام اسلامكم ان تودوا زكاة اموالكم رواه البزار وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقام الصلاة واتى الزكوه وحج البيت وصام
رمضان واقرى الضيف دخل الجنه رواه الطبراني وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليود زكاة ماله وذكر الحديث
وعن ابي ايوب رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بعمل يدخلني الجنة
قال تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتودي الزكاة وتصل الرحم رواه البخاري
ومسلم وعن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال جا رجل من قضاعة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اني شهدت ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت الصلوات الخمس
وصمت رمضان وقمته واتيت الزكاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على
هذا كان من الصديقين والشهدا والصالحين رواه البزار وغيره وعن عبد الله بن
معاوية العاصري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من فعلهن فقد
طعم طعم الايمان من عبد الله وحده وعلم ان لا اله الا الله واعطى زكاة ماله طيبه
بها نفسه رافدة عليه كل عام ولم يعط الهرمة ولا الدرفة ولا المريضة ولا
الشرط اللئيمة ولكن من وسط اموالكم فان الله لم يسالكم خيره ولم يامركم بشره رواه

ابو داود • قوله رافدة عليه من الرفد وهو الاعانة • ومعناه ان يعطى الزكاة ونفسه
تعينه على اداءها بطيبها وعدم حدبتها له بالمنع • والشرط بفتح الشين المعجمة والرا
هى الرذيلة من المال • كالمسنة والعجفا ونحوها • والدرفه الجربا • وعن جرير
ابن عبد الله رضى الله عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاه وايتا الزكوه
والنصح لكل مسلم • رواه البخارى وغيره • وعن عبيد الله بن عمير الليثى رضى الله عنه عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ان اوليا الله المصلون • ومن يقيم
الصلوات الخمس التى كتبهن الله عليه • ويصوم رمضان • ويحتسب صومه • ويوتى الزكاة
محتسبا طيبة بها نفسه • ويجتنب الكابر التى نهى الله عنها • فقال رجل من اصحابه
ما رسول الله وكم الكابر • قال تسع اعظمهن الاشراك بالله • وقتل المومن بغير حق • والفرار
من الزحف • وقذف المحصنات • وتعلم السحر • واكل مال اليتيم • واكل الربا • وعقوق
الوالدين المسلمين • واستحلال البيت العتيق الحرام قبلتكم احيا وامواتا • لا يموت رجل
لم يعمل هولا الكابر ويقيم الصلاه ويوتى الزكاة الا رافق محمدا صلى الله عليه وسلم فى
بحبوحة جنة ابوابها مصاريع الذهب • رواه الطبرانى • وعن ابى هريره رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اديت الزكوه فقد قضيت ما عليك • ومن جمع
مالا حراما ثم تصدق به لم يكن له فيه اجر • وكان اصره عليه • رواه ابن خزيمه والحاكم
وقال صحيح الاسناد **فصل ٤ المكاسين والعشارين** عن عقبه بن عامر رضى الله عنه
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل صاحب مكس الجنة • قال يزيد
ابن هرون يعنى العشار • رواه ابو داود وابن خزيمة والحاكم • قال البغوى يريد صلى
الله عليه وسلم صاحب المكس الذى ياخذ من التجار اذا مروا عليه مكسا باسم العشر •
قال المنذرى اما الان فانهم ياخذون مكسا باسم العشر • ومكوسا اخر ليس لها
اسم • بل شئ ياخذونه حراما وسحتا • ويا كلونه نارا فى بطونهم • حجتهم فيه داحضة
عند ربهم • وعليهم غضب ولهم عذاب شديد • وعن الحسن قال مر عثمان بن ابى العاص
على كلاب بن اميه وهو جالس على مجلس العاشر بالبصرة • فقال ما يجلسك ها هنا • قال

استعملنی علی هذا المکان یعنی زیادا فقال له عثمان الا احدثک حدیثا سمعته من رسول
الله صلی الله علیه وسلم فقال بلی فقال عثمان سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول
کان لداود نبی الله علیه السلام ساعة یوقظ فیها اهله یقول یا آل داود قوموا فصلوا
فان هذه ساعة یستجیب الله فیها الدعاء الا لساحر او عاشر فرکب کلاب بن امیه سفینته
فاتی زیادا فاستعفاه فاعفاه رواه الامام احمد والطبرانی فی الاوسط ولفظه
عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال تفتح ابواب السماء نصف اللیل فینادی منادٍ هل من داعٍ
فیستجاب له هل من سائل فیعطی هل من مکروب فیفرج عنه فلا یبقی مسلم یدعوا
بدعوة الا استجاب الله عز وجل له الا زانیة تسعی بفرجها او عشارا وفی لفظ آخر له
قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ان الله تعالی یبدو من خلقه فیغفر لمن
یستغفر الا لبغی بفرجها او عشار وعن ابی الخیر قال عرض مسلمة بن مخلد وکان
امیرا علی مصر علی رویفع بن ثابت ان یولیه العشور فقال انی سمعت رسول الله صلی الله
علیه وسلم یقول ان صاحب المکس فی النار رواه الامام احمد وروی عن ام سلمة رضی الله
عنها قالت کان رسول الله صلی الله علیه وسلم فی الصحرا فاذا منادٍ ینادیه یا رسول الله
والتفت فلم یر احدا ثم التفت فاذا ظبیة موثقة فقالت ادن منی یا رسول الله فدنا
منها فقال ما حاجتک فقالت ان لی خشفین فی هذا الجبل فخلنی حتی اذهب فارضعهما
ثم ارجع الیک قال وتفعلین قالت عذبنی الله عذاب العشار ان لم افعل فاطلقها
فذهبت فارضعت خشفیها ثم رجعت فاوثقها وانتبه الاعرابی فقال الک حاجة
یا رسول الله قال نعم تطلق هذه فاطلقها فخرجت تعدو فی الصحرا وهی تقول اشهد
ان لا اله الا الله وانک رسول الله رواه الطبرانی وعن عائشة رضی الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ویل للعرفا وویل للامنا لیتمنین اقوام یوم القیامة
ان ذوایبهم معلقة بالثریا تتدبدبون بین السما والارض ولم یکونوا عملوا علی شی
راه الامام احمد وعن ابی هریرة رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ویل
للامرا وویل للعرفا وویل للامنا لیتمنین اقوام یوم القیامة ان ذوایبهم معلقة

الثريا يدلون من السما والارض وانهم لم يلوا عملا ۝ رواه ابن حبان والحاكم ۝ وعن
سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى النار حجرا
تقال له ويل يصعد عليه العرفا وينزلون ۝ رواه البزار ۝ وعن انس رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقال طوبى له ان لم يكن عريفا ۝ رواه ابو يعلى ۝
وعن المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب على
منكبيه ۝ وقال افلحت ما قديم ان مت ولم يكن اميرا ولا كاتبا ولا عريفا ۝ رواه ابو داود ۝
والاحاديث فى هذا المعنى كثيره والله اعلم ۝ رجعنا الى التفسير قال الله تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله يعنى ولا يودون زكاتها ۝ وانما قال لم
ينفقونها ولم يقل ينفقونهما ۝ لانه رد الكناية الى المال المكنوز ۝ وهو اعيان الذهب والفضة ۝
وقيل رد الكناية الى الفضة ۝ لانها اغلب اموال الناس ۝ وقال صاحب الكشاف فان
قلت لم خص الذهب والفضة بالذكر من بين سائر الاموال ۝ قلت لانهما قانون
التمول ۝ واثمان الاشيا ۝ ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ۝ ومن كثرا عنده حتى يكنزهما
لم يعدم سائرا جناس المال ۝ فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما ۝ فان قيل
من لم يكنز ولم ينفق فى سبيل الله وانفق فى المعاصى هل يكون حكمه فى الوعيد حكم من كنز
ولم ينفق فى سبيل الله ۝ قيل له ان ذلك اشد ۝ فان من بذر ماله فى المعاصى عصى من
جهتين ۝ بالانفاق والتناول ۝ كشرا الخمر وشربها ۝ بل من جهات ۝ اذا كانت المعصية
مما يتعدى ۝ وهذا كمن اعان على ظلم مسلم من قتله او اخذ ماله الى غير ذلك ۝ والكانز
عصى من وجهين ۝ منع الزكاة ۝ وحبس المال لا غير ۝ وقد لا يراعى جنس المال ۝ والله اعلم ۝
فبشرهم بعذاب اليم يعنى للكافرين الذين لا يودون زكاة اموالهم ۝ وقد فسر النبى صلى
الله عليه وسلم هذا العذاب بقوله بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم ۝
وبكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم ۝ الحديث الذى تقدم ۝ وفى الحديث الاخر بشر
الكانزين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى احدهم حتى يخرج من نغض
كتفيه ۝ ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيتزلزل ۝ الحديث ۝ قال

بعض العلماء ان خروج الوقف عن جملة تدبيره الى شخص كفيه لتعذب قلبه وباطنه
حين امتلا بالفرح والسرور في الدنيا بكثره المال. فعوقب في الاخره بالهم والعذاب.
قال وظاهر الاية يعلق الوعيد على من كنز ولا ينفق في سبيل الله ويتعرض للواجب
وغيره. غير ان صفة الكنز لا ينبغي ان يكون معتبره. فان من لم يكنز ومنع الانفاق
سبيل الله فلا بد وان يكون كذلك. الا ان الذي يُخبا تحت الارض هو الذي يمنع منه انفاقه
في الواجبات عُرفًا. فلذلك خُصّ الوعيد به والله اعلم. وقال السنفي في تفسيره اختلف
علماء الصحابة رضي الله عنهم في المراد بهذا الكنز المذموم. فقال الاكثرون هو المال الذي
لم تود زكاته. وقال القاضي تخصيص هذا المعنى بمنع الزكاة لا سبيل اليه. بل الواجب
ان يقال ما يجب من الكفارات وضمان المتلفات وارش الجنايات ونفقة الاقارب
والزوجات. والقول الثاني ان المال الكثير اذا جُمع فهو الكنز المذموم. سواء ادت زكاته
او لم تود. واحتجوا بعموم هذه الاية. ولا شك ان ظاهره يدل على المنع من جمع المال.
والمصير الى الجمع يباح بعد اخراج الزكوة ترك الظاهر بهذه الاية. فلا بد لهذا ان
لدليل منفصل. وروى سالم بن ابي الجعد انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تبا للذهب. تبا للفضة. والها بلاما. فقالوا له اي مال نتخذ. فقال لسانا
ذاكرا. وقلبا خاشعا. وزوجة تعين احدكم على دينه. وروى عن الصحابة رضي الله عنهم في
هذا الباب ما يدل عليه. قال علي رضوان الله عليه كل ما زاد على اربعة الاف فهو كنز.
اُديت زكوته او لم تود. والحق في باب الاموال ان يقال الاولى ان لا يجمع الرجل
الطالب الدين المال الكثير. الا انه لا يُمنع عنه في ظاهر الشرع. فالاول محمول على
التقوى. والثاني محمول على ظاهر الفتوى. ولا يستراب في ان كسب المال شديد.
وحفظه بعد حصوله اشد. فسقي الانسان طول عمره تازة في تعب التحصيل. واخرى
في تعب الحفظ. ثم انه لا ينتفع منه الا بالقليل. ويتركه مع الحسرات والزفرات. وذلك
هو الخسران المبين. وقد قيل ان كنز المال والجاه مورث الطغيان. كما قال تعالى
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى. والطغيان منع وصول العبد الى مقام رضوان الرب

وبوقصه فى الخذلان • نعوذ بالله منه لك • ولان ايجاب الزكوة يفضى الى تنقيص المال •
فلو كان فى المال خير لما امر الشارع بتنقيصه • قال السنفى وجاءت الاخبار الكثيرة فى
وعيد مانعى الزكوة • اما فى النقود فقوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم • واما فى
المواشى فما روى فى الحديث ان الله تعالى يعذب اصحاب المواشى اذا لم يودوا زكاتها • قال
وقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم هذا على سبيل التهكم • اذ المقصود من الكنز هو الفرح
به عند الحاجة • فقيل هذا هو الفرح • وايضا البشارة من جملة ما يوثر فى القلب
ويحصل منه الانبساط فى الوجه • والعذاب الاليم من جملة ما يوثر ويحصل منه
الانقباض • فذكر فى مقابلة ذلك تهكما • والله اعلم • وقوله تعالى يوم يحمى عليها يعنى فى نار جهنم
على الكنوز • فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة • قال العلماء وانما
ذكر الفعل لانه مسند الى الجار والمجرور • واصله يوم تحمى النار عليها • فلما حذفت
النار قيل يحمى • لانتقال الاسناد عن النار اليها • كما تقول رفعت القصة الى الامير •
فان لم تذكر الامير قلت رفع الى الامير • قال السنفى والناصب لقوله يوم ما قوله
فبشرهم • وقوله فتكوى بها جباههم يعنى بالكنوز وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود
رضى الله عنه لا يوضع دينار على دينار • ولا درهم على درهم • ولكن يوسع جلده حتى يوضع
كل دينار ودرهم فى موضع على حدته • قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكى
من بين سائر الاعضاء لان الغنى صاحب المال اذا اتاه السائل فطلب منه شيا
فتبدو منه امارات الكراهة والمنع • فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح • ويجمع اسارير
وجهه فيتجعد جبينه • ثم ان كرر السائل الطلب نآء بجانبه عنه ومال عن جهته
وتركه جانبا • ثم ان كرر الطلب والحّ فى السوآل ولاه ظهره واعرض عنه واستقبل
جهة اخرى • وهى النهاية فى الردّ • والغاية فى المنع الدال على كراهة العطا والبذل •
وهذا داب مانعى البر والاحسان • وعادة البخلاء • فلذلك خص الله تعالى هذه الاعضاء
الثلاثة بالكى يوم القيامة • وهو قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اى يقال لهم ذلك يوم
القيامة • هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم • وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم •

وهذا توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون اى فذوقوا عذاب ما كنتم فى الدنيا من الاموال
ومنعتم حق الله منها. فان قيل ما وجه تخصيص الجباه والجنوب والظهر بالكى من
بين سائر الاعضاء. فالجواب عنه من وجوه. احدها ان هذه الاعضاء مجوفة وحصل
فى داخلها آلات ضعيفة يعظم تالمها سبب وصول ادنى اثر اليها. بخلاف سائر الاعضاء.
ما بينها ان صاحب المال اذا راى الفقير قبض وجهه. واذا جلس الفقير بجنبه تباعد
عنه وولى ظهره. ما لثها ان الكى غالبا لا يكون الا على الجهات الاربع. على الجبهة وعلى الظهر
وعلى الجنب. وهى القدام. والخلف. واليمين. والشمال. رابعها ان اللطف اعطاء الانسان
الظاهرة جهته. والعضو المتوسط فى اللطافة جنبه. والعضو الذى هو اصلب
الاعضاء ظهره. والغرض منه التنبيه على ان ذلك الكى فى جميع الاعضاء. خامسها ان كمال
الانسان فى جماله وفى قوته. ومحل الجمال الجبهة. فاذا وقع الكى فى الجبهة زال الجمال.
ومحل القوة الظهر والجنب يمينا وشمالا. فاذا وقع الكى فيها زالت القوة. فان قيل
الذى يجعل كيا على بدن الانسان هو كل ذلك المال. او المقدار الواجب من الزكوة
فالجواب الظاهر ان كل المال يجعل على البدن. اذ الجزء الواجب من المال غير معين ما
لم يخرج عنه الواجب. والله اعلم. والكى هو الصاق الحار من الحديد والنار بالعضو حتى
يحترق الجلد. والجباه جمع الجبهة. وهو مستوى ما بين الحاجب الى الناصيه. والجنوب
جمع الجنب. وقال بعض اهل التصوف لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم. ولما
طووا الكشحا على الفقير اذا جالسهم كويت جنوبهم. ولما اسندوا ظهورهم الى اموالهم ثقة
بها واعتمادا عليها كويت ظهورهم. واختلفت الامارى كيفية الكى بذلك. فذكرنا كسر امنه
ومنه ايضا ما روى فى الصحيحين عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينه فبينا انا فى حلقه
فيها ملا من قريش اذ جاء رجل خشن الشاب. خشن الجسد. خشن الوجه. فقام عليهم فقال
بشر الكانزين برضف يحمى عليه فى نار جهنم. فيوضع على حلمة ثدى احدهم حتى يخرج من
نغض كتفيه. ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل. قال فوضع
القوم رؤسهم. فما رات احدا منهم رجع اليه شيا. قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى

شارته فقلت ما رات هولا الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هولا لا يعقلون شيا هذا لفظ
مسلم وفيه زيادة تقدم ذكرها في اول الاية وزاد البخاري فقلت من هذا قالوا ابو ذر
قال فقمت اليه فقلت ما شي سمعتك تقول قبل فقال ما قلت الا شا سمعته من نبيهم
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريره الذي قدمناه في احاديث مانع الزكوه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضه لا يودي منها حقها الا
اذا كان يوم القيامة صفحت له صفاح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه
وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى
بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وفي صحيح البخاري انه يمثل له
كنزه شجاعا اقرع وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال من كان له مال فلم يود
زكاته طوقه يوم القيامة شجاعا اقرع ينقر راسه قال بعض العلما ولعل هذا يكون
في مواطن في موطن يمثل المال فيه ثعبانا وفي موطن يكون صفاح وفي موطن يكون
رضفا فتتغير الصفات والجسمية واحده فالشجاع جسم والمال جسم وهذا
تمثيل حقيقة بخلاف قوله صلى الله عليه وسلم موتى بالموت كانه كبش املح فان تلك
طريقة اخرى وله ان يفعل ما يشا وخص الشجاع بالذكر لانه العدو الثاني للخلق
يعني بعد ابليس والشجاع من الحيات هو الحية الذكر الذي يواثب الفارس والراجل ويقوم
على ذنبه وربما بلغ الفارس ويكون في الصحاري وقيل هو الثعبان والاقرع من
الحيات الذي تمعط راسه وابيض من السم وفي روايه الموطا له زبيبتان اي
نقطتان منتفختان في شدقه كالرغوتين ويكون ذلك انضا في شدق الانسان
اذا غضب واكثر من الكلام وقال ابن دريد الزبيبتان نقطتان سوداوتان فوق
عينيه وفي روايه مثل له شجاع يتبعه فيضطره فيعطيه يده فيقضمها كما
يقضم الفحل وروينا في الاحاديث السابقه ان رجلا من اهل الصفه مات فوجد له
دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيه ثم مات اخر فوجد له دينارا ن فقال صلى الله
عليه وسلم كيتان وهذا اما لانهما كانا يعيشان من الصدقه وعندهما الذهب واما

لان هذا الامر كان في صدر الاسلام • ثم قرر الشرع ضبط المال وادا حقه • ولو كان ضبط
المال ممنوعا لكان حقه ان يخرج كله • وليس في الامة من يلزم هذا • وحسبك حال الصحابه
واموالهم رضي الله عنهم • واما ما ذكر عن ابي ذر فهو مذهب له رضي الله عنه • وقد روى موسى
ابن عبيده عن عمران بن ابي انس عن مالك بن اوس بن الحدثان عن ابي ذر رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من جمع دينارا او درهما او تبرا او فضة لا يعده لغرم
ولا سفقه في سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة • قلنا وهذا هو الذي يليق بابي
ذر ان يقول به رضي الله عنه • وان ما فضل عن الحاجه ليس بكنز • اذا كان معدا لسبيل الله •
وقال ابو امامة رضي الله عنه من خلف بيضا او صفرا كوى بها • مغفورا له او غير
مغفور له • الا ان حلية السيف من ذلك • وروى ثوبان رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من رجل يموت وعنده احمرا وابيض الا جعل الله بكل قيراط صفيحة
يكوى بها من قرنه الى قدمه • مغفور له بعد ذلك او معذب • قلنا هذا محمول على
ما لم تود زكاته • بدليل ما ذكرنا في الايه • فيكون التقدير وعنده احمرا وابيض لم تود
زكاته • وكذلك ما روى عن ابي هريره رضي الله عنه • من ترك عشرة الاف حجلت صفائح
يعذب بها صاحبها يوم القيامة • ومعناه من ترك عشرة الاف لم يود زكاتها • ليلا
تتناقض الاحاديث • والله اعلم بمراده ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم • قوله عز وجل
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اعلم ان هذا شرح نوع ثالث من قبايح اعمال
اليهود والنصارى ومشركي العرب • وهو اقدامهم على النسيء • وتغييرهم احكام الله • وذلك لان
الله تعالى انما حكم في كل وقت بحكم خاص • فاذا غيروا تلك الاوقات كان ذلك تغيير الحكم الله
بحسب اهوائهم وآرائهم • فكان ذلك زيادة في كفرهم وجراتهم • وفي الاية مباحث • الاول
اعلم ان السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهرا من الشهور القمريه • وقد دلت الآية
عليه • وايضا قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضيآء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد
السنين والحساب • فجعل سبحانه تقدير القمر بالمنازل علة للسنين • وايضا قال تعالى
يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج • وعند سائر الطوايف ان السنة عبارة

عن المدة التي تدور الشمس فيها دورة تامة • والسنة القمرية اقل من السنة الشمسية
بمقدار معلوم • وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل •
فيكون الحج واقعا في الشتا مرة • وفي الصيف مرة • فكان في شق الامر عليهم بهذا السبب
فكان ذلك سببا للنسئ يقع في سائر الشهور وتغير حكم الله تعالى وتكليفه • والحاصل
انهم لرعاية مصالحهم في الدنيا سعوا في تغيير احكام الله وتكاليفه • فلهذا المعنى اشتد
الذم العظيم في هذه الاية • ثم السنة الشمسية لما كانت زايدة على السنة القمرية جمعوا
تلك الزيادات • فاذا بلغ مقدارها الى شهر جعلوا تلك السنة ثلاثة عشر شهرا • فانكر
الله تعالى ذلك عليهم • وقال ان حكم الله ان تكون السنة اثنا عشر شهرا فقط • والحكم بالزايد
هو على خلاف حكم الله تعالى • وذكر بعض المفسرين ان قول الله عز وجل ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا وهي المحرم • وصفر • وربيع الاول • وربيع الاخر • وجمادى الاولى •
وجمادى الاخر • ورجب • وشعبان • ورمضان • وشوال • وذو القعدة • وذو الحجة • قال
وهذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل • وهي شهور العرب
التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر امورهم واحكامهم •
قال وايام هذه الشهور ثلثمايه وخمسة وخمسون يوما • والسنة الشمسية عبارة
عن دور الشمس في الفلك دورة تامة • وهي ثلثمايه وخمسة وستون يوما وربع يوم •
فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام • فبسبب هذا النقصان تدور
السنة الهلالية • فيقع الصوم والحج تارة في الشتا وتارة في الصيف • وذكر بعض المفسرين
ايضا قال ان هذه الاية تدل على ان الواجب تعليق الاحكام من العبادات وغيرها
انما تكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب • دون الشهور التي تعتبرها العجم او
الروم او القبط • وان لم تكن على اثني عشر • لانها تختلفه الاعداد • منها ما يزيد على ثلاثين • تردد
ومنها ما ينقص • وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين • والذي ينقص ليس بتعيين له شهر •
وانما تفاوتهما في النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر في البروج • وقال
في معالم التنزيل والسنة الشمسية تكون ثلثمايه وخمسة وستين يوما • والهلالية

نقص عن ثلثمايه وستين يوما نقصان الاهله ۰ والغالب انها تكون ثلثمايه واربعه
وخمسين يوما ۰ وقوله فى كتاب الله يعنى فى اللوح المحفوظ الذى كتب فيه جميع احوال
الخلق وما يأتون وما يذرون ۰ وقيل اراد بكتاب الله القران ۰ لان فيه ايات تدل
على الحساب ومنازل القمر ۰ وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذى اوجبه وامر عباده بالاخذ
به يوم خلق السموات والارض يعنى ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض
ان السنة اثنا عشر شهرا ۰ والمقصود ان هذا الحكم حكم محكوم به من اول خلق العالم ۰
وذلك يدل على المبالغة والتاكيد ۰ وقال بعضهم قوله تعالى ان عده الشهور عند الله اى
فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض ابدل البعض من البعض ۰ والفايده فى ذكر
هذه الابدالات المتوالية تقرير ان ذلك العدد واجب متقرر فى علم الله تعالى وفى
كتابه ومن اول ما خلق الله العالم ۰ وقال بعضهم انما قال تعالى يوم خلق السموات والارض
ليبين ان قضاه وقدره كان قبل ذلك ۰ وانه سبحانه وضع هذه الشهور وسماها باسمايها
على ما رتبها عليه يوم خلق السموات والارض ۰ وانزل ذلك على انبيايه فى كتبه المنزلة ۰ وهى
معنى قوله تعالى ان عده الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض ۰
وحكمها باق على ما كانت عليه ۰ لم يُنزِل لها عن ترتيبها تغيير المشركين لاسمايها وتقدم
المقدم فى الاسم منها ۰ والمقصود من ذلك اتباع امر الله فيها ۰ ورفض ما كان عليه اهل
الجاهليه من التاخير ۰ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ۰ على ما ياتى بيانه ۰ وان الذى
فعله اهل الجاهليه من جعل المحرم صفر وصفر محرما ليس بتغيير به ما وصف الله عز وجل ۰
وقوله تعالى منها اى من الشهور اربعة حرم ثلاثة سرد ۰ ذو القعده للقعود عن
القتال ۰ وذو الحجة للحج ۰ والمحرم لتحريم القتال فيه ۰ وواحد فرد ۰ وهو رجب ۰ وانما
سمى رجبا لترجيب العرب اياه ۰ والترجيب التعظيم ۰ وانما سميت هذه الاربعه حرما
لان العرب فى الجاهليه كانت تعظمها وتحرم فيها القتال ۰ حتى لو ان احدهم لقى قاتل ابيه
واخيه فى هذه الاشهر لم يهجه ۰ ولما جاء الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ۰ ولان

الحسنات والطاعات فيها تتضاعف • وكذلك السيآت ايضا اشد من غيرها • فلا يجوز
انتهاك حرمة الاشهر الحرم • وقال النسفي رحمه الله والاربعة الاشهر الحرم هي هذه
الاربعة بالاجماع • وهي ذو القعده • وذو الحجة • والمحرم • ورجب الذي بين جمادى الاخره
وشعبان • وهو رجب مضر • وقيل له رجب مُضر لان ربيعة بن نزار كانوا يحرمون
شهر رمضان ويسمونه رجبا • وكانت مُضَر تحرم رجبا نفسه • ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم فيه الذي بين جمادى وشعبان • وكانت العرب ايضا تسميه منصل الاسنة •
وروى البخاري عن ابي رجآ العطاردي قال كنا نعبد الحجر • فاذا وجدنا حجرا هو خير
منه القيناه واخذنا الآخر • فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جينا بالشآة
فحلبنا عليه ثم طفنا به • فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل الاسنة • فلم ندع رُمحا
فيه حديدة الا نزعناه فالقيناه • قال ومعنى الحرم ان المعصية فيها اشد عقابا •
والطاعة فيها اكثر ثوابا • والعرب كانوا يعظمونها جدا • فان قيل اجزآء الزمان
متساوية • فما السبب في هذا التمييز • فنقول امثلته كثيرة في الشرع • الا ترى ان
الله تعالى ميز يوم الجمعة عن سآئر الايام • ويوم عرفة عن سآئر الايام بتلك العادة
المخصوصة • وميز شهر رمضان عن سآئر الشهور بمزية • وهو وجوب الصوم •
وميز بعض ساعات اليوم والليلة بوجوب الصلاة • وميز بعض الليالي وهو ليلة
القدر • وميز بعض الاماكن بمزيد الحرمة • نحو البلد الحرام عن سآئر البلاد •
وميز بعض الاشخاص باعطآء الرسالة والولاية • وهذه التمييزات غير مستبعدة
عند الحكماء • فان منهم من صنف كتابا في الاوقات التي يُرجى فيها اجابة الدعوات •
وذكروا ان تلك الاوقات المعينة مخصوصة باسباب توجب ذلك • وقال بعضهم
ولا بعد ان الطباع مجبولة على الظلم والفساد • وامتناعهم عن القبائح صعب عليهم •
فخص الله سبحانه البعض بمزيد التعظيم والاحترام • فيصير ذلك سببا لاجتنابهم عن
المعاصي • والله اعلم وقوله تعالى ذلك الدين القيم اي ذلك الحساب المستقيم • والعدد
الصحيح المستوي • لا ما يفعله اهل الجاهلية • يعني ان تحريم الاربعة الاشهر هو الدين

المستقيم دين ابرهيم واسمعيل • والدين بمعنى الحساب • ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت • وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذى لا
يغير ولا يبدل • والقيم هنا بمعنى الدايم الذى لا يزول • فالواجب على المسلمين الاخذ
بهذا الحساب والعدد فى صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجل ديونهم وغير
ذلك من سايراحكام المسلمين المرتبة على الشهور • وفى الصحيحين عن ابى بكره رضى الله
عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض • السنة اثنا عشر شهرا • منها اربعة حرم • ثلاث متواليات • ذو القعده وذوا
الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان • اى شهر هذا • قلنا الله ورسوله
اعلم • فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه • فقال اليس ذا الحجة • قلنا بلى • قال
اى بلد هذا • قلنا الله ورسوله اعلم • فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه • قال
اليس البلد الحرام • قلنا بلى • قال فاى يوم هذا • قلنا الله ورسوله اعلم • فسكت حتى ظننا
انه سيسميه بغير اسمه • فقال اليس يوم النحر • قلنا بلى • قال فان دماءكم واموالكم
واعراضكم عليكم حرام • كحرمة يومكم هذا • فى بلدكم هذا • فى شهركم هذا • وستلقون ربكم
فيسالكم عن اعمالكم • الا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض • الا ليبلغ
الشاهد الغايب • فلعل بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه • ثم قال
الا هل بلغت • الا هل بلغت • قلنا نعم • قال اللهم اشهد • وقوله فلا تظلموا فيهن
انفسكم قيل الكنايه فى قوله فيهن ترجع الى جميع الاشهر • اى لا تظلموا انفسكم فى جميع
اشهر السنة بفعل المعاصى وترك الطاعات • لان المقصود منع الانسان من الاقدام
على المعاصى والفساد مطلقا فى جميع الاوقات الى الممات • وقيل ان الكنايه ترجع
الى الاشهر الحرم • وهو قول اكثر المفسرين • وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا فى
الاشهر الحرم • والظلم فيهن اعظم فيما سواهن • وان كان الظلم على كل حال عظيما • وقال
ابن عباس رضى الله عنه لا تظلموا فيهن انفسكم يريد سبحانه استحلال الحرام والغارة فيهن
وقال محمد بن اسحق بن يسار معناه لا تجعلوا حلالها حراما • ولا حرامها حلالا • كفعل

اهل الشرك وهو النسئ ٥ وقيل ان الانفس يجوز ان يطيعها على الظلم والفساد ٥
فالامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم ان خص بعض الاوقات بمزيد
التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان فى تلك الاوقات من فعل الظلم والفضايح والمنكرات ٥
فلربما تركها فى باقى الاوقات ٥ فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمه المعظمه
سببا لترك الظلم وفعل المعاصى فى غيره من الاشهر ٥ فهذا وجه الحكمة فى تخصيص
بعض الاشهر على بعض بمزيد التشريف والتعظيم ٥ وكذلك الامكنه ايضا ٥ وتقدم نظير هذا
بزياده فيه ٥ وقال بعض المفسرين ايضا قوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم فى الظلم
هنا قولان ٥ احدهما لا تظلموا فيهن انفسكم بالقتال ٥ ثم نسخ ذلك باباحة القتال فى جميع
الشهور ٥ وهذا قول قتاده وعطا الخراسانى والزهرى ٥ وسفين الثورى ٥ وقال ابن
جريج ان عطاء بن ابى رباح حلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر
الحرم الا ان يقاتلوا فيها ٥ وما نسخت ٥ والصحيح هو الاول ٥ فان النبى صلى الله عليه وسلم
غزا هوازن بحنين ٥ وثقيفا بالطايف ٥ وحاصرهم فى شوال وبعض ذى القعده ٥ وقد
تقدم بعض هذا المعنى فى سوره البقره ٥ القول الثانى لا تظلموا فيهن انفسكم بارتكاب
الذنوب ٥ فان الله سبحانه اذا عظم شيا من جهة واحده صارت له حرمة واحده ٥ واذا
عظمه من جهتين او جهات صارت حرمته متعددة ٥ فيضاعف فيه العقاب بالعمل
السيى كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح ٥ فان من اطاع الله تعالى فى الشهر الحرام فى البلد
الحرام ليس ثوابه كثواب من اطاعه فى الشهر الحلال فى البلد الحرام ٥ ومن اطاعه فى الشهر
الحلال فى البلد الحرام ليس ثوابه كثواب من اطاعه فى شهر حلال فى بلد حلال ٥
وقد اشار الله تعالى الى هذا بقوله يا نسآء النبى من يات منكن بفاحشه مبينه يضاعف
لها العذاب ضعفين ٥ واختلف العلما فيمن قتل فى الشهر الحرام ٥ هل تغلظ عليه
الدية ام لا ٥ فقال الاوزاعى تغلظ عليه ٥ فتجعل دية وثلثا ٥ وتزاد فى شبه العمد
فى اسنان الابل ٥ وقال الامام الشافعى تغلظ الدية فى النفس وفى الجراح فى الشهر
الحرام والبلد الحرام ٥ وقال الامام ابو حنيفه والامام مالك واصحابهما وابن ابى ليلى

القتال في الحل والحرم سواء وفي الشهر الحرام وغيره سواء فالقياس ان تكون الدية
كذلك والله اعلم وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافه يعني قاتلوا
المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا
وتناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم
وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدايكم من المشركين وقال بعض العلما
كان فرض الجهاد بهذه الاية قد توجه على الاعيان ثم نسخ ذلك وجعل فرض كفايه
قال ابن عطية وهذا القول لم يعلم قط من شرع النبي صلى الله عليه وسلم انه الزم الامة
جميعا النفر وانما معنى الاية الحض على قتالهم والتحزب عليهم واعلموا ان الله مع المتقين
يعني بالنصر والمعونة على اعدايهم وفي هذا حث على التقوى بضمان النصر لاهلها والله اعلم
قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر النسيء في اللغة عبارة عن التاخير في الوقت
ومنه النسيئة في البيع وقال الكسائي النسيء مشتق من نسأه واسأه اذا اخره
وقال الجوهري النسي فعيل بمعنى مفعول من قولك نسأت الشيء فهو منسوء اذا
اخرته ثم تحول منسوء الى نسيء كما تحول مقتول الى قتيل ويقول العرب رجل
ناسيء وقوم نساءة مثل فاسق وفسقه وقال الطبري النسيء بالهمز معناه
الزيادة يقال نسأ ينسؤ اذا زاد قال ولا يكون بترك الهمز الا من النسيان كما
قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم ومعنى النسيء المذكور في هذه الاية هو تاخير شهر حرام
الى شهر اخر وذلك ان العرب في الجاهليه كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظمها
وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابرهيم عليه السلام وكانت عامة معايش العرب من
الصيد والغارات فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متواليه وربما وقعت
حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تاخير حربهم الى الاشهر الحلال فنسؤا
يعني اخروا تحريم شهر الى شهر اخر فكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون
المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول
فكانوا يصنعون هكذا يوخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها

وكانوا يحجون فى كل شهر عامين • فحجوا فى ذى الحجة عامين • ثم حجوا فى المحرم عامين •
ثم حجوا فى صفر عامين • وكذلك باقى شهور السنة • فوافقت حجة ابى بكر فى السنة
التاسعة قبل حجة الوداع فى السنة الثانية من ذى القعدة • ثم حج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى العام المقبل حجه الوداع • فوافق حجه فى شهر ذى الحجة • وهو شهر
الحج المشروع • فوقف بعرفة فى اليوم التاسع • وخطب الناس فى اليوم العاشر بمنى •
واعلمهم ان اشهر النسى قد تناسخت باستدارة الزمان • وعاد الامر الى ما وضع الله
عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض • وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم ان
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض • الحديث المتقدم • وامرهم
بالمحافظة على ذلك ليلا يتبدل فى مستانف الايام • وقوله اخر ذكره اياس بن
معوية قال كانوا المشركون يحسبون السنه اثنى عشر شهرا وخمسة عشر يوما •
وكانوا يحجون فى رمضان وفى ذى القعدة • وفى كل شهر من السنة بحكم استدارة
الشهر بزيادة الخمسة عشر يوما • فحج ابو بكر رضى الله عنه فى سنه تسع فى ذى القعدة
بحكم الاستدارة • ولم يحج النبى صلى الله عليه وسلم • فلما كان فى العام المقبل وافق الحج
ذا الحجة فى العشر • ووافق ذلك الاهله • قال بعض العلما وهذا القول اشبه
بقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار • اى زمان الحج عاد الى وقته
الاصلى الذى عينه الله يوم خلق السموات والارض باصل المسر وعيه التى سبق بها
علمه ونفذ فيها حكمه • وحكى الامام المازرى عن الخوارزمى انه قال اول
ما خلق الله الشمس اجراها فى برج الحمل • وكان الزمان الذى اشار به النبى صلى الله
عليه وسلم صادف حلول الشمس برج الحمل • وهذه فايده • وهذا القول يحتاج الى موقف
فانه لا يتوصل اليه الا بالنقل عن الانبيا • ثم ان العقل يجوز خلاف ما قال • وهو
ان خلق الله الشمس قبل البرج • ويجوز ان خلق ذلك كله دفعة واحده • ثم ان علما
التعديل قد اختبروا ذلك • فوجدوا الشمس فى برج الحوت وقت قول النبى صلى الله
عليه وسلم ان الزمان قد استدار • بينها وبين الحمل عشرون درجة • ومنهم من قال

عشر درجات والله اعلم ٥ واختلف اهل التاويل في اول من نسأ النسيء فقال ابن
عباس والضحاك وقتادة ومجاهد اول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة ٥ وكانوا ثلاثة ٥
وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف بن اُمية الكناني ٥ وقال الكلبي اول من فعل
ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة ٥ وكان يكون على الناس في الموسم ٥ واذا هم
الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت ٥ انا الذي لا اُعاب ولا اُجاب ٥
فيقول له المشركون لبيك ٥ ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغزون فيه ٥ فيقول ان صفرا
في هذا العام حرام ٥ فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح ٥
وان قال حلال عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح واغاروا ٥ ثم كان من
بعده رجل يقال له جنادة بن عوف ٥ وهو الذي ادركه النبي صلى الله عليه وسلم ٥ وقال
الزهري وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم اول من نسأ على العرب حيي من بني كنانة ثم من بني فقيم ٥
منهم رجل يقال له القلمس ٥ واسمه حذيفة بن عبيد ٥ وفي رواية اسمه مالك ابن كنانة ٥
وكان الذي يلي النسيء يتطير بالرياسة لتريس العرب اياه ٥ وفي ذلك يقول شاعرهم
وفينا ناسئ الشهر القلمس ٥ ومنا
وقال الكميت ٥
الناسئا الناسيين على معد ٥ شهور الحل نجعلها حراما ٥
وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم ٥ وروى جويبر عن الضحاك عن ابن
عباس رضي الله عنه ان اول من نسأ النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف ٥ والذي صح
من حديث ابي هريرة وعائشة رضي الله عنهم ان عمرو بن لحي هو اول من سيب السوايب ٥
وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ٥ فهذا ما
ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله تعالى في قوله انما النسيء زيادة في الكفر ٥ يعني زيادة
كفر على كفرهم ٥ وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع فعل في وقته من الاشهر الحرم ٥
ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب ذلك النسيء ٥ فاوقعوه
في غير وقته من الاشهر الحرم ٥ فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم ٥ وقال بعضهم قوله

انما النسي زيادة في الكفر • اى هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم قالوا وهذا بيان لما
فعلته العرب من جمعها من انواع الكفر • فانها انكرت وجود الباري تعالى • فقالت
وما الرحمن ٢ اصح الوجوه • وانكرت البعث • فقالت من يحيي العظام وهي رميم • وانكرت
بعثة الرسل • فقالوا ابشر امنا واحدا نتبعه • وزعمت ان التحليل والتحريم اليها •
فابتدعته من ذاتها • مقتفية لشهواتها • فاحلت ما حرم الله • ولا مبدل لكلماته
ولو كره المشركون • وقوله تعالى يضل به الذين كفروا وفي يضل ثلاث قرآآت • قرا اهل
الحرمين وابو عمرو يَضِلُّ بفتح الياء وكسر الضاد • ومعناه يضل بالنسي الذين كفروا اتباعهم
من الناس • وهم ايضا ضلال في انفسهم • وقرا الكسائي وابو رجا الكوفيون يُضَلُّ به الذين كفروا
بضم الياء وفتح الضاد • على الفعل المجهول • ومعناه ان كبارهم اضلوهم وحملوهم عليه •
وقرا الحسن وابو رجا يُضِلُّ به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد • ومعناه يُضِلُّ الله به الذين
كفروا • او يُضِلُّ به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم • وقيل معناه يُضِلُّ به
الذين كفروا تابعيهم والآخذين بافعالهم • وهذا الوجه اقوى الوجهين في تفسير
قراءة من قرا يُضِلُّ بضم الياء وكسر الضاد • والله اعلم • وقوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه
عاما يعني يحلون ذلك الانسآ عاما ويحرمونه عاما • والمعنى يحلون الشهر المحرم عامًا
فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه • ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيّروا فيه •
ليواطيوا يعني ليوافقوا عدة ما حرم الله يعني انهم ما احلوا شهرا من المحرم الا
حرموا مكانه شهرا من الحلال • ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من
الحرم • لاجل ان يكون عددا لاشهر الحرم اربعة كما حرم الله • فيكون ذلك موافقة في
العدد • لا في الحكم • فذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله • زين لهم سوء اعمالهم قال
ابن عباس رضي الله عنه اى زين لهم الشيطان هذا العمل • فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة •
والله لا يهدي القوم الكافرين يعني انه تعالى لا يرشد من هو كفار اثيم لما سبق له في الازل
انه من اهل النار • وقال بعضهم لا يهدي القوم الكافرين حال اختيارهم الثبات على الباطل
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض

قال العلما مالكم لفظ استفهام معناه التقرير والتوبيخ ٠ تقديره اى شى منعكم عن كذا ٠
كما تقول مالك عنى فلان معرضا ٠ ولا خلاف ان هذه الاية نزلت عتابا على تخلف
من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوه تبوك ٠ وكانت سنة تسع من الهجره
بعد فتح مكه بعام ٠ وسيأتى ذكرها فى اخر السوره ٠ وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما
رجع من الطايف امر بالجهاز لغزو الروم ٠ وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس وشده
من الحر حين طاب الظلال والثمار ٠ ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوه الا
وَرّى بغيرها حتى كانت غزوه تبوك ٠ فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد ٠
واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعددا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم
فشق عليهم الخروج وثاقلوا ٠ فانزل الله عز وجل هذه الايه ٠ يا ايها الذين امنوا مالكم اذا
قيل لكم ٠ اى اذا قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا فى سبيل الله ٠ اى اخرجوا الى الجهاد ٠
يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ٠ ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا ٠ والاسم النفير ٠ وقوله اثاقلتم ٠ اى
تثاقلتم وتباطاتم عن الخروج الى الغزو ٠ وقوله الى الارض ٠ ضمن معنى الميل والاخلاد ٠
فعدى بالى ٠ اى مِلتم الى الدنيا وشهواتها ٠ وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ٠ او مِلتم
الى الاقامة بارضكم وديارکم ٠ وفى هذه الاية مباحث الاول ان الله تعالى لما
شرح معايب هولا الكفار وفضايحهم عاد الى ذكر الترغيب فى مقاتلتهم ٠ وذلك انه تعالى
لما ذكر فى الايات السابقة اسبابا كثيره موجبة لقتالهم ٠ وذكر منافع كثيره تحصل
من مقاتلتهم كقوله يعذبهم الله بايديكم ٠ ويخزهم وينصركم عليهم ٠ وذكر اقوالهم المنكرة
واعمالهم القبيحه فى الدين والدنيا ٠ فعند هذا لا يبقى للانسان مانع من قتالهم الا
مجرد ان يخاف القتل ويحب الحياة ٠ فبين تعالى ان هذا المانع خسيس ٠ لان سعادة
الدنيا بالنسبة الى سعادة الاخرة كالقطره فى البحر ٠ وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل
جهل وسفه ٠ الثانى لا خلاف ان هذه الاية نزلت عتابا على من تخلف عن رسول تخلف ح
الله صلى الله عليه وسلم فى غزوه تبوك على ما سنذكره ان شا الله تعر ٠ واعلم ان الناس لما

استُنفِروا الى هذه الغزوة استنفروا في وقت عُسرة وقحط وقيظ مع بُعد الشقة
وكثرة العدو وشق ذلك عليهم فعاتبهم الله عز وجل بقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من
الآخرة يعني ارضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الاخرة فما متاع الحياة
الدنيا في الاخرة الا قليل يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زايل سنفد عن قليل ونعيم
الاخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الاخرة ٥
في الاية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان ثاقلهم
عن الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل وبوكد هذا
الوعيد المذكور في الاية الاتية وهي قوله تعالى الا تنفروا يعني ان لم تنفروا ايها
المومنون الى من استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذبكم عذابا اليما يعني في الاخرة
لان العذاب الاليم لا يكون الا في الاخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا ٥
قال نجدة بن نفيع سالت ابن عباس عن هذه الاية فقال استنفر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيا من احيا العرب فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم ٥
ويستبدل قوما غيركم يعني خيرا منكم واطوع وليس في النص دلالة على ان ذلك الغير
من هم ونظيره قوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه ثم اختلفوا فقال ابن عباس رضي الله عنه هم التابعون وقال
سعيد بن جبير هم ابنا فارس وقال ابو روق هم اهل اليمن وهذه الوجوه ليس في الاية
اشعار بها بل هو حمل المطلق على المعين قال الشافعي ولا يمتنع ان يظهر الله اقواما
يعينون نبيه صلى الله عليه وسلم على الغزو ولا يمتنع ان يعينه بقوم من الملايكة ايضا
وهو هناك وفي هذه الاية تنبيه على ان الله عز وجل قد يكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه
وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفروا حصلت النصرة
بهم ووقع اجرهم على الله عز وجل وان ثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم
وحصلت العُتبى لهم وليلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل
الا بهم وهو قوله تعالى ولا تضروه شيا قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعني ولا

ولا تضروا الله شيا لانه غنى عن العالمين وانما تضروا انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ولا تضروا
نبيا محمدا صلى الله عليه وسلم شيا فان الله ناصره على اعدايه ولا يخذله وهو معصوم
من جميع الناس وقال بعض العلما ان هذه الاية سخط عظيم على المتثاقلين حسا وعدهم
بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل قوما غيرهم خيرا منهم
واطوع وانه غنى عنهم فى نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيا والله على كل شى قدير يعنى
انه تعالى قادر على كل شى فهو ينصر نبيه ويعز دينه وقيل على كل شى من التبديل والتعذيب
قدير اى قادر وقال الحسن وعكرمة هذه الايه منسوخه بقوله تعالى وما كان المومنون
لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الاية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما ينقل عن ابن عباس رضى الله عنه وعلى هذا التقدير
فلا نسخ والله اعلم قوله عز وجل الا تنصروه فقد نصره الله قال النقاش ان هذه الايه
اول ايه نزلت من سوره برات واعلم ان هذا ذكر طرفا آخر فى ترغيبهم فى الجهاد وذلك
لان الله تعالى ذكر فى الاية الاولى انهم ان لم ينفروا لم يضروه شيا فبين فى هذه الاية ما
يجرى مجرى التفسير لذلك ثم فى الاية مباحث منها ان لقايل ان يقول كيف يكون
قوله فقد نصره الله جوابا للشرط وجوابه ان التقدير الا تنصروه فسينصره من نصره
حين لم يكن معه الا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره فى المستقبل
كما نصره فى ذلك الوقت وقال بعضهم ايضا هذه الاية خطاب لمن ثاقل عن الخروج مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله واعزاز
دينه واعلا كلمته اعانوه او لم يعينوه وانه تعالى قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة
الاعداء فكيف به اليوم وهو فى كثرة من العدد والعدد اذ اخرجه الذين كفروا
يعنى انه تعالى نصره فى الوقت الذى اخرجه كفار مكة من مكة حين مكروا به واراد وا
قتله ثانى اثنين يعنى احد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضى
الله عنه اذ هما فى الغار يعنى اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فى الغار والغار

نقب عظيم يكون فى الجبل • وهذا الغار هو فى جبل ثور • وهو قريب من مكه على ما ياتى
بيانه اذ تقول لصاحبه لا تحزن يعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر لا تحزن •
وذلك ان ابا بكر رضى الله عنه خاف من الطلب ان يعلموا مكانهم • فجزع من ذلك • فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعنى بالنصر والمعونة • قال الشعبى
عاتب الله عز وجل اهل الارض جميعا فى هذه الاية غير ابى بكر • وقال الحسن بن الفضل
من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر • وروى عن ابن
عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر انت صاحبى على الحوض وصاحبى
فى الغار • اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب • وفى الصحيحين عن ابى بكر الصديق
رضى الله عنه قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤسنا • فقلت يا رسول الله
لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه • فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله
ثالثهما • قال الشيخ محى الدين النواوى معناه بالثهما بالنصر والمعونه والحفظ والتسديد •
وهو داخل فى قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون • وفيه بيان عظيم توكل
النبى صلى الله عليه وسلم حتى فى هذا المقام • وفيه فضيلة لابى بكر • وهى من اجل مناقبه •
والفضيلة من اوجه • منها اللفظ الدال على ان الله بالثهما • ومنها بذله نفسه
ومفارقته اهله وماله ورياسته فى طاعة الله وطاعة رسوله • وملازمته النبى صلى
الله عليه وسلم • ومعاداة الناس فيه • ومنها جعله نفسه وقاية عنه • وغير ذلك •
وروى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده ابو بكر رضى الله عنه فقال وددت ان عملى كله
مثل عمله يوما واحدا من ايامه • وليلة واحدة من لياليه • اما ليلته فليلة سار
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار • فلما انتهينا اليه قال والله لا تدخله حتى ادخل
قبلك • فان كان فيه شى اصابنى دونك • فدخل فكنسه ووجد فى جانبه ثقبا فشق ازاره
وسدها به • وبقى منها ثقبتان • فالقمهما رجليه • ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل •
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه فى حجر ابى بكر • ونام فلدغ ابو بكر
فى رجله من الجحر • ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم • فسقطت

دمنوعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال له الك يا ابا بكر • قال لدغت فداك ابى
وامى • فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده • ثم انتقض عليه • وكان سبب
موته • وكان الذى لدغه حية • واما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت
العرب وقالوا لا نؤدى الزكوه • فقال والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقاتلتهم عليه • فقلت يا خليفه رسول الله تالف الناس وارفق بهم • فقال لى اجبار
فى الجاهليه وخوار فى الاسلام • قد انقطع الوحى وتم الدين اينقص وانا حى • وروى انه
حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشى ساعة بين يديه وساعة
خلفه • فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا بكر • فقال اذكر الطلب فامشى
خلفك • ثم اذكر الرصد فامشى بين يديك • فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله
حتى استبرى الغار • فدخل فاستبراه • ثم قال انزل يا رسول الله • فنزل • وقال له ان اقتل
فانا رجل واحد من المسلمين • وان قتلت هلكت الامه • وساسوق الكلام على نظاير هذا
فى اخر الايه • ونشرع الان فى سياق حديث الهجره من طريق البخارى
وغيره من اهل السير كابن اسحق وغيره • فاما حديث البخارى فرواه بسنده عن عائشه
رضى الله عنها وهو من افراده • قالت قالت عائشة رضوان الله عليها لم اعقل ابوى قط الا
وهما يدينان الدين • ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار
بكره وعشيه • فلما ابتلى المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا نحو ارض الحبشه حتى اذا بلغ برك
الغماد لقيه ابن الدغنه وهو سيد القاره • فقال اين تريد يا ابا بكر • فقال ابو بكر اخرجنى
قومى فاريد ان اسيح فى الارض فاعبد ربى • فقال ابن الدغنه فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج
ولا يخرج • انك تكسب المعدوم • وتصل الرحم • وتحمل الكل • وتقرى الضيف • وتعين على
نوائب الحق • فانا لك جار • فارجع واعبد ربك ببلدك • فرجع • وارتحل معه ابن الدغنه
فطاف ابن الدغنه فى اشراف كفار قريش • فقال لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله • اتخرجون رجلا
يكسب المعدوم • ويصل الرحم • ويحمل الكل • ويقرى الضيف • ويعين على نوائب الحق • فلم
تكذب قريش بجوار ابن الدغنه • وفى روايه فانفذت قريش جوار ابن الدغنه وامنوا

ابا بكر • وقالوا لابن الدغنة مُر ابا بكر يعبد ربه في داره وليصل فيها ويقرا ما شاء
ولا يوذينا بذلك ولا يستعلن فانا خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا • وسأل ذلك ابن
الدغنة لابي بكر • فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرا
في غير داره • ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره • وكان يصلي فيه فيتقصف عليه
نساء المشركين وابناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه • وكان ابو بكر رجلا بكاءً لا يملك
عينيه اذا قرا القران • فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين • فارسلوا الى ابن الدغنة
فقدم عليهم • فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز
ذلك • فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة • وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا
وابناءنا • فاته • فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فليفعل • وان ابى الا ان
يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك • فانا قد كرهنا ان نخفرك • ولسنا مقرين لابي
بكر الاستعلان • قالت عائشة فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر • فقال قد علمت الذي عاهدت
لك عليه • فاما ان تقتصر على ذلك • واما ان ترجع الى ذمتي • فاني لا احب ان تسمع العرب
اني خفرت في رجل عقدت له • فقال ابو بكر فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله ٥
والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة • فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني اُريتُ
دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين • وهما الحرتان • فهاجر من هاجر قبل المدينة •
ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة • وتجهز ابو بكر قبل المدينة • فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك • فاني ارجو ان يوذن لي • فقال ابو بكر وهل ترجو
ذلك بابي انت • قال نعم • فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعلف
راحلتين كانتا عنده من ورق السمر • وهو الخبط اربعة اشهر • قال ابن شهاب
قال عروة قالت عائشة فبينا نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة • قال قائل
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها • فقال ابو بكر
فِدًى له ابي وامي • والله ما جاء به في هذه الساعة الا امرٌ • قال فجاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل • فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اَخْرِجْ

من عندك فقال ابو بكر انما هما اهلك بابي انت وامي يا رسول الله ٥ قال فاني قد اذن لي
في الخروج ٥ قال ابو بكر الصحابة بابي انت يا رسول الله ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ٥
قال ابو بكر فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي هاتين ٥ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالثمن ٥ قالت فجهزناهما احث الجهاز ٥ ووضعنا لهما سفرة في جراب ٥
فقطعت اسما بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب ٥ فبذلك سميت ذات
النطاق ٥ قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور ٥ فمكثا فيه
ثلاث ليال ٥ يبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر ٥ وهو غلام شاب ثقف لقن ٥ ويدلج من
عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ٥ فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما
بخبر ذلك حين يختلط الظلام ٥ ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم ٥
فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشا فيبيتان في رسل حتى ينعق بها عامر
ابن فهيرة بغلس ٥ يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث ٥ واستاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل ٥ وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا ٥
والخريت الماهر بالهداية ٥ وقد غمس حلفا في آل العاص بن وايل السهمي ٥ وهو على دين
كفار قريش ٥ فامناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ٥
فاتاهما صبح ثلاث فارتحلا ٥ وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم
طريق السواحل ٥ وفي رواية طريق الساحل ٥ قال ابن شهاب فاخبرني عبد الرحمن
ابن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن جعشم ان اباه اخبره انه سمع سراقة بن جعشم
يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر دية كل
واحد منهما لمن قتله او اسره ٥ فبينا انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج
اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس ٥ فقال يا سراقة اني قد رايت آنفا اسودة
بالساحل ٥ ارى انها محمد واصحابه ٥ قال سراقة فعرفت انهم هم ٥ فقلت له انهم ليسوا
بهم ٥ ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا بمرأى اعيننا ٥ ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت ٥
فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي ٥ وهي من وراء اكمة فتحبسها علي ٥ واخذت

رمحي فخرجت به من ظهر البيت • فخططت برجه الارض وخفضت عاليه حتى اثبت
فرسي فركبتها • فرفعتها تقرب حتى دنوت منهم • فعثرت بي فرسي فخررت عنها •
فقمت فاهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم
ام لا • فخرج الذي اكره • فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي • حتى اذا سمعت قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وهو لا يلتفت • وابو بكر يكثر الالتفات • ساخت يدا فرسي
في الارض حتى بلغتا الركبتين • فخررت عنها • ثم زجرتها فنهضت • فلم تكد تخرج يديها •
فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السما مثل الدخان ٥
فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره • فناديتهم الامان • فوقفوا • فركبت فرسي
حتى جيتهم • ووقع في نفسي حين لقنت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم • فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية • واخبرتهم ما يريد الناس
بهم • وعرضت عليهم الزاد والمتاع • فلم يرزآني ولم يسالاني • الا ان قال اخف عنا ما
استطعت • فسالته ان يكتب لي كتاب امن • فامر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة
من ادم • ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال ابن شهاب قال عروة بن الزبير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من
الشام • فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثياب بياض • وسمع المسلمون
بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة • وكانوا يغدون كل غداة
الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة • فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم
فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على ظهر اطم من اطامهم لامر ينظر اليه
فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب • فلم
يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرونه ٥
قال فثار المسلمون الى السلاح فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة • فعدل
بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ٥ وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع
الاول • فقام ابو بكر للناس • وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ٥ فطفق

من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيّي ابا بكر حتى اصابت
الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردآيه. فعرف
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك. فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني
عمرو بن عوف بضع عشره ليله. واسس المسجد الذي اسس على التقوى. وصلى فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم. ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة. وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين. وكان
مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر اسعد بن زراره. فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين بركت راحلته هذا ان شا الله المنزل. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا. فقالا بل نهبه لك يا رسول الله. ثم بناه
مسجدا. وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنايه. وينقول وهو
ينقل اللبن ○ هذا الحمال لا حمال خيبر ○ هذا ابر ربنا واطهر ○
وينقول اللهم ان الاجر اجر الآخره ○ فارحم الانصار والمهاجره ○
فتمثل بشعر رجل من المهاجرين لم يسم لي. قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات. اخرجه البخاري
بطوله. شرح غريب الفاظ هذا الحديث. قول عايشه رضي الله عنها لم اعقل
ابوي الا وهما يدينان الدين. يعني انهما كانا ينقادان الى الطاعة. وبرك الغماد بفتح
الباء من برك. وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكه خمس ليال مما يلي
ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار. وقيل هو قليب لبني ثعلبة. وقوله
تكسب المعدوم. فيه قولان احدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر
عليه كسب كل شي حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره. والقول الثاني انه يملك
الشي المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه. ففيه وصفه بالاحسان والكرم. وقوله
وتحمل الكل. وهو ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر العيال
وقرى الضيف. وقوله وتعين على نوايب الحق. وهو ما ينوب الانسان من المغارم

وقضا الحقوق لمن تقصده ٥ وقوله انا لك جار ٥ اى حامٍ وناصر ومدافع عنك ٥ والاستعلان
والاعلان اظهار المخفى ٥ وقوله فسقصف عليه نسا المشركين ٥ يعنى نرد حملون عليه ٥
والذمة العهد والامان ٥ واخفارها نقضها ٥ واللابة الجبل ٥ والحرة الارض التى
تعلوها حجارة سود ٥ يقال افعل الشى على رسلك ٥ بكسر الرا على هينتك ٥ والراحلة البعير
القوى على الحمل والسير ٥ والظهيرة وقت شدة الحر ٥ والنطاق حبل اوخوه تشد به
المراة وسطها ٥ وترفع ثوبها من تحته ٥ فتعطف طرفا من اعلاه الى اسفله لئلا يصل
الى الارض ٥ وقولها تقف لقن ٥ يقال لقف الرجل ثقافة ٥ اذا صار حاذقا فطنا ٥
واللقن السريع الفهم ٥ والادلاج تخفيف الدال سيرا ول الليل ٥ وبتشديدها سير
آخره ٥ والمنحة الشاة ذات اللبن ٥ والرسل بكسر الرا وسكون السين هو اللبن ٥ يقال
نعق الراعى بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه ٥ والغلس ظلام آخر الليل ٥ والخرت تقدم
شرحه فى الحديث وهو الماهر بالهدايه ٥ واراد به هدايه الطريق فهو الدليل ٥ وقوله قد
غمس حلفا ٥ يقول العرب غمس فلان حلفا فى آل فلان ٥ اذا اخذ نصيب من عهدهم
وحلفهم ٥ والاسودة الاشخاص ٥ والاكمة التل المرتفع من الارض ٥ يقال قرب الفرس ٥
يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع ٥ والكنانة هى الجعبة التى يجعل فيها
السهام ٥ والازلام القداح التى كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال ٥
والعثان الغبار ٥ يقال ما رزات فلانا شاة ٥ اى ما اصبت منه شاة ٥ والمراد انهم
لم ياخذوا منه شيا ٥ وقوله او فى اى اشرف واطلع ٥ والاطم البنا المرتفع كالحصن ٥
وقوله مبيضين ٥ هو بكسر الياء ٥ اى هم ذو ثياب بيض ٥ والمربد الموضع الذى
يوضع فيه التمر كالبيدر ٥ وقوله هذا الحمال لاحمال خيبر ٥ هو بالحا المهملة ٥
يعنى هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واطهر وابقى ذخرا وادوم منفعة
فى الاخرة ٥ لا ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها ٥ والمعنى ان
ذلك الحمل الذى يحمله من اللبن لاجل عماره المسجد افضل عند الله مما يحمل من خيبر ٥
وقد روى هذا الحمال بالجيم من الجمال ٥ والرواية الاولى اشهر واكثر ٥ والله اعلم ٥

وذكر بعض اهل التاريخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه فى تلك
الليلة لما خرج الى الغار انه اتاك ابو بكر فخافة فاخبره انى قد توجهت الى غار ثور
فليلحق بى. وارسل الى بطعام. واسيا جر لى دليلا يدلنى على طريق المدينه. واشتر لى
راحله. ثم مضى صلى الله عليه وسلم. واعمى الله ابصار الذين كانوا يرصدونه حتى خرج
وقال ابن اسحق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الليله والمشركون مجتمعون على
بابه. فاخذ كفا من تراب وقال شاهت الوجوه. ثم مر عليهم. وهو يقرا سوره يس حتى بلغ
قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون. فلم
يبصره منهم احد. ومر رجل عليهم فقال ما يقعدكم هاهنا. قالوا ننتظر محمدا. فقال لقد
خبتم وخسرتم. قد مر عليكم وضرب بالتراب وجوهكم وحثاه على روسكم. فقالوا والله ما
ابصرناه. وقاموا ينفضون التراب عن روسهم. وعلى بن ابى طالب نايم على فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم. فلما راوه قالوا والله لقد صدقنا الرجل الذى حدثنا. والذين كانوا
ينتظرونه ابو جهل بن هشام. والحكم بن ابى العاص. وعقبة بن ابى معيط. والنضر بن الحارث.
وامية بن خلف. وزمعة بن الاسود. وابو لهب. وطعيمة بن عدى. وابى بن خلف. فى آخرين
من المشركين. وذكر الطبرى انهم ضربوا على بن ابى طالب وحبسوه ساعة ثم اطلقوه.
قال وكان ابو بكر قد اتى عليا رضى الله عنهما فساله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال
قد خرج نحو ثور وهو ينتظرك. فخرج ابو بكر مسرعا حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الطريق. فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت نفس ابى بكر. وهو يشتد. فحسبه من
الكفار. فاسرع صلى الله عليه وسلم المشى. فانقطع قبال نعله. فصكه حجر ففلق ابهامه.
فسال الدم. فخاف ابو بكر ان يشق عليه عدوه خلفه. فرفع صوته. فعرفه رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى اتاه فانطلقا. ورجل رسول الله صلى الله عليه وسلم تسيل دما. حتى انتهيا
الى الغار مع الصبح فدخلاه. وقال ابن اسحق جا ابو بكر رضى الله عنه الى بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصاح يا بنى الله يحسب انه على الفراش. وقال له على رضى الله عنه اى رسول
الله صلى الله قد نقد مكر نحو بير ميمون. فادركه فانطلق حتى لحقه. وبات الكفار يرمون

عليا رضى الله عنه بالحجارة وهو يتصوّر قد لف راسه فى الثوب الى الفجر وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خلّف عليا بمكة لقضاء ديونه ورَدّ الودايع التى كانت عنده للناس
وقال انس رضى الله عنه لما كان ليلة الغار قال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله دعنى
ادخل قبلك فان كان ثم حية او شى كان فى قبلك قال ادخل فدخل ابو بكر وجعل
ابو بكر يلتمس بثوبه فكلما راى جحرا قال بثوبه فشقه ثم القمه الحجر حتى فعل ذلك
بثوبه اجمع قال فبقى جحر واحد فوضع عقبه فيه ثم قال ادخل يا رسول فدخل
صلى الله عليه وسلم فلما اصبح قال اين ثوبك يا ابا بكر فاخبره بالذى صنع فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل ابا بكر معى فى درجتى يوم القيامة فاوحى
الله تعالى اليه ان الله قد استجاب لك وذكر وهب بن منبه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما هاجر من بيت ابى بكر رضى الله عنه وذلك ان قريشا احاطت بالبيت فخرج من
خوخة فى ظهر الدار والاول اصح وذكر بعضهم ان قريشا لما خرجوا فى طلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعهم القاح حتى وصلوا الى باب الغار فوجدوا العنكبوت قد نسجت
عليه بعشاش وامر الله شجرة فنبتت فى وجه الغار وجاءت حمامتان فعششتا على الباب
ومعهم القايف وهو الذى يقص الاثر فنظر الى الاقدام وقال هذا قدم ابن ابى قحافة
وهذا الاخر ما اعرفه الا انه يشبه القدم الذى فى المقام يعنى مقام ابرهيم عليه السلام
فقالت قريش ما رأوا هذا شيا فانصرفوا وقال ابن سعد جاءت قريش الى باب الغار
فرات العنكبوت قد نسج عليه فقال بعضهم لبعض لو كان ها هنا احد ما نسجت هذه
العنكبوت وقال بعضهم هذه العنكبوت هنا قبل ان يولد محمد وقال ابن اسحق ضرب
الله وجوه الكفار فحادوا وقال البلاذرى بعثت قريش قايفا يقص الاثر
احدهما كرز بن علقمة الخزاعى ومعهما ابى بن خلف فقال القايفان الى هنا انتهى الاثر
وقال امية بن خلف والله انى لارى هذا النسج هاهنا قبل ان يخلق محمد ثم بال امية حتى
جرى بوله بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ابى بكر رضى الله عنه ونادت قريش من جاء
بمحمد وبابن ابى قحافة فله مايتا بعير اودِيتهما وفى الغار يقول ابو بكر رضى الله عنه

قال المصنف فلم تجزع بنبتتي ۞ وكنت في سدف في ظلمة الغار ۞
لا تخش شيأ فان الله ثالثنا ۞ وقد تكفل لي منه باظهار ۞
وانما كيد من تخشى بوادره ۞ كيد الشياطين قد كادت لكفار ۞
والله مهلكهم طرا بما صنعوا ۞ وجاعل المنتهى منهم الى النار ۞

واختلفوا في مدة اقامتهما في الغار على اقوال. احدها ثلثة ايام. وخرجا ليلة الخميس غرة ربيع الاول. والثالث خرجا وقد بقي من صفر ثلاث ليال. وكان عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما يتردد اليهما. وعامر بن فهيرة يرعى غنمهما ويأتيهما باللبن. وقال البرّاء عازب اشترى ابو بكر من ابي رحلا بثلثة عشر درهما من منزله. وقال له ابعث معي ابنك يحمله الى منزلي. قال لا حتى تحدثني كيف صنعتما ليلة سريت مع النبي صلى الله عليه وسلم. فقال نعم اسرينا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يمر فيه احد. حتى وقعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعد. فنزلنا عندها. فسويت بيدي مكانا ينام عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها. وبسطت عليه فروة. ثم قلت نم يا رسول الله. وانا انفض لك ما حولك. فنام. وخرجت انفض ما حوله فلم أر احدا من الطلب. فاذا انا براع مقبل نحو الصخرة بغنمه يريد منها الذي اردنا. فقلت له يا غلام لمن انت. فقال لرجل من اهل المدينة من قريش. فقلت افي غنمك لبن. قال نعم. قلت افتحلب لي. قال نعم. فاعتقل شاة. فقلت انفض الضرع من القذى والشعر والتراب. ففعل. قال ومعي اداوة ارتوى فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منها ويتوضأ. فحلب لي كثبة من لبن في قعب. فصببت عليه من الماء حتى برد اسفله. ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكرهت ان اوقظه من نومه. فوقفت حتى استيقظ. فقلت اشرب يا رسول الله من هذا اللبن. فشرب حتى رضيت. وقال الم يأن للرحيل. قلت بلى. فارتحلنا بعد الزوال. والقوم يطلبوننا. فلم يدركنا منهم احد الا سراقة بن مالك بن جعشم. وخر في جلد من الارض. فقلت يا رسول الله اتينا. هذا الطلب قد لحقنا. فقال لا تحزن ان الله معنا. حتى اذا دنا منا. وكان بيننا وبينه قيد رمح او رمحين او نحوه. وهو

والثاني انما خرجا ليلة الاربعاء لاربع ليال خلون من ربيع الاول

على فرس فبكت فقال ما يبكيك فقلت ما ابكى على نفسى بل عليك يا رسول الله فقال اللهم
اكفناه فارتطمت قوائم فرسه الى ابطها ثم شبت فساخت فى الارض الى بطنها
فوثب عنها وقال يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله لى ان ينجينى مما انا فيه
ولك على لا عمين على من ورائى من الطلب وهذه كنانتى فخذ منها سهما فانك ستمر
بابلى وغنمى وغلمانى فى موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا حاجة لى فيها ودعا له فانطلق ورجع الى اصحابه فلا يلقى احدا الا ردّه
قال وقدمنا المدينة ليلا قال الحميدى فتنازعوا ايهم ينزل عليه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انزل على بنى النجار اخوال عبد المطلب اكرمهم بذلك وصعد
الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم فى الطريق وعلى الاجاجير ينادون
يا محمد يا رسول الله قال ابن عباس رضى الله عنه سلك بهم عبد الله بن اريقط الليثى الدليل
من الغار على السواحل وقت السحر ليلة الاثنين فقالوا يوم الثلاثا بقديد ثم اخذ
بهم اسفل من عسفان ثم سلك الخرار ثم مر على ثنية المرة ثم على المدلجة والروحاء
ثم على العرج ثم على بطن ريم ثم الى المدينة الشريفة وقد ذكرنا ان قريشا
جعلت لمن يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر مائتى بعير وبلغ بريدة بن الحصيب
الاسلمى ذلك فركب فى سبعين فارسا من قومه بنى اسلم فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الطريق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قال بريدة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب الفال فالتفت الى ابى بكر وقال برد امرنا ثم قال فمن انت
قال من اسلم قال سلمنا ثم من بنى من قال من بنى سهم قال خرج سهمنا فاوقع
الله تعالى فى قلب بريدة ومن معه الاسلام فاسلم واسلموا ثم قال يا رسول الله لا
تدخل المدينة الا ومعك لواء ثم حل بريدة عمامته وشدها فى رمح ومشى بها بين
يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله انزل على فقال صلى الله عليه
وسلم ناقتى مامورة فقال بريدة الحمد لله الذى اسلمت بنو اسلم طايعين غير مكرهين
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه الى المدينة بخيمة ام معبد الخزاعية

الاسلمى

وكانت امراة جلدة برزه تقعد بفنآ الخيمة ثم تسقى وتطعم • فسالوها تمرا ولحما
يشترون منها • فلم يصيبوا عندها شيا من ذلك • واذا القوم مُرملون مسنتون • فقالت
والله لو كان عندنا شي ما اعوزناكم القِري • فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى
كسر الخيمة • فقال ما هذه الشاة يا ام معبد • فقالت شاة خلفها الجهد عن الغنم ٥
فقال هل بها من لبن • قالت هى اجهد من ذلك • قال اتاذنين لى ان احلبها • قالت نعم بابى
انت وامى ان رايت بها حلبا فاحلبها • فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاه ومسح
على ضرعها • وذكر اسم الله عليها • وقال اللهم بارك لها فى شاتها ٥ قال فتفاجّت ودرّت
واجترت • ودعا باناء يربض الرهط • فحلبَ فيه ثجا حتى علاه البهآ • ثم سقاها حتى
رويت • وسقى اصحابه حتى رَوُوا ٥ وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم آخرهم • وقال
ساقى القوم آخرهم شربا • فشربوا عللا بعد نهل حتى ارّاضُوا ٥ ثم حلب فيه ثانيا
عودا على بَدْءِ فغادره عندها • ثم ارتحلوا ٥ فقلّ ما لبث زوجها ابو معبد ان جآ
يسُوق اعنزا حيلا عجافا هَزْلى • فلما راى اللبن عجب ٥ وقال من اين لكم هذا اللبن ٥
والشآ عازب • ولا حلوبة فى البيت • فقالت لا والله الا انه مَرّ بنا اليوم رجل مبارك ٥
كان من حديثه كيت وكيت ٥ فقال والله انى لاُراه صاحب قرش الذى يطلبونه • ثم قال
صفيه لي يا ام معبد • فوصفته • فقال هو والله صاحب قرش الذى ذكر لنا من امره
ما ذكر • ولو كنت وافيته لا التمست ان اصحبه • ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا ٥
قالوا واصبح صوت عال بمكة بين السما والارض يسمعون صوته ولا يرون شخصه يقول
جزى الله ربّ الناس خير جزايه ۞ رفيقين قالا خيمتى ام معبد ۞
هما نزلا بالبرّ وارتحلا به ۞ فقد افلح من امسى رفيق محمد ۞
فيالَ قُصَى ما زوى الله عنكمُ ۞ به من فعال لا يجازى وسودد ۞
سَلُوا اُختكم عن شاتها وانآيها ۞ فانكمُ ان تسالوا الشاة تشهد ۞
دعا بشاة حايل فتحلبت لهُ ۞ بصريح صَرّة الشاة مُزبدِ ۞
فغادره رهنا لديها لحالب ۞ يردّدها فى مَوْرِد لهُ ثمّ مَصْدَر ۞

فاجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ٭ وقد سن من يسرى اليهم ويهتدى

ترحل عن قوم فزالت عقولهم ٭ وحل على قوم بنور مجدد

وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا ٭ عمى وهداة يهتدون بمهتدى

نبى يرى ما لا يرى الناس حوله ٭ ويتلو كتاب الله فى كل مشهد

وان قال فى يوم مقالة غائب ٭ فتصديقها فى ضحوة اليوم او غد

ليهن ابا بكر سعادة جده ٭ بصحبته من يسعد الله يسعد

وليهن بنى كعب مكان فتاتهم ٭ ومقعدها للمسلمين بمرصد

وقالت اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنها مكثنا ثلاث ليال لا ندرى اين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اقبل رجل من الجن من اسفل مكة يتغنى بابيات من غنا العرب يسمع صوته ولا نرى شخصه حتى خرج من اعلا مكة. وهو يقول جزى الله رب الناس خير جزائه

الابيات المتقدمة. فلما سمعنا صوته علمنا اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الواقدى قالت ام معبد طلع علينا اربعة على راحلتين فنزلوا بى. فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة اريد ان اذبحها له فاذا هى ذات ذر. فاديتها منه فلمس ضرعها. وقال لا تذبحيها. واخذت اخرى فذبحتها وطبختها لهم. فاكل هو واصحابه منها وملات سفرتهم. وبقى عندى لحما او اكثره. وبقيت الشاة التى لمس ضرعها عندها حتى كان عام الرمادة فى عهد عمر رضى الله عنه. وكان حلبها صبوحا وغبوقا. وما فى الارض قليل ولا كثير. وعام الرمادة كان فى سنة ثمان عشرة من الهجرة.

وقالت اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة جانا فى بيتنا الليلة ابو جهل. ومعه نفر من قريش فوقفوا على الباب وصاحوا. فخرجت اليهم. فقال ابو جهل اين ابوك. قلت لا ادرى. فرفع يده فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى. وذكر كلاما فاحشا. وقالت ايضا لما خرج ابو بكر احتمل ماله كله. وكان ستة آلاف. فدخل على جدى ابو قحافة وقد ذهب بصره. فقال والله انى لاراه قد فجعكم بماله

مع نفسه فقلت كلا ترك لنا خيرا كثيرا واخذت احجارا فوضعتها في كوه البيت وقلت
ضع يدك على المال فوضعها وقال لا باس ان كان ترك لكم هذا فقد احسن قالت والله ما
ترك لنا شيا وانما اردت ان اسكن الشيخ ٥ وقال الطبري لما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مكه سمعت قريش قايلا في الليل على ابي قبيس يقول
ان يسلم السعدان يصبح محمد ٭ بمكة لا نخشى خلاف المخالف ٭
فلما اصبحوا قالوا من السعدان فقال ابو سفين سعد بن بكر وسعد تيم فلما كانت الليله
القابلة سمعوه يقول ٥
فيا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا ٭ ويا سعد سعد الخزرجي الغطارف ٭
اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا ٭ على الله في الفردوس منية عارف ٭
فان ثواب الله للطالب الهدى ٭ جنان من الفردوس ذات رفارف ٭
فقال ابو سفين هذان والله سعد بن عبادة وسعد بن معاذ ٥ وقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينه يوم الاثنين لاثنتي عشره ليله خلت من ربيع الاول وولد يوم
الاثنين ووضع الحجر في الكعبه يوم الاثنين ونبي يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة يوم
الاثنين وقبض يوم الاثنين ولما وصل الى المدينه عدل ذات اليمين فنزل في بني عمرو
ابن عوف بقبا قال الواقدي نزل على كلثوم بن الهدم اخي بني عمرو بن عوف وقال
الهيثم نزل على سعد بن خيثمة بن الحارث بن امرئ القيس بن مالك الاوسي لانه كان عزبا
ومنزله يسمى منزل العزاب وقيل انما نزل على كلثوم وكان يتحدث مع اصحابه في منزل
سعد بن خيثمه وروي انه نزل على اخوال عبد المطلب ليكرمهم بذلك فيحتمل انه نزل عليهم
ليلة ثم ارتحل الى بني عمرو بن عوف ونزل ابو بكر رضي الله على خبيب بن اساف ٥
وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه انجفل
الناس ينظرون الى وجهه فلما رايته عرفت انه ليس بكذاب وكان مما حفظت من
كلامه ايها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا الطعام وصلوا بالليل
والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبا ثلاثا وقيل

بضع عشرة ليله • وقال ابن اسحق ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف
يوم الجمعة • سادس عشر ربيع الاول • فمر على بني سالم فجمع بهم وخطب • وهي اول
جمعة صلاها بالمدينة • وذلك الموضع يعرف بوادي رانونا • وكان معه مائة من المهاجرين
كانوا قدموا قبله المدينة • ثم مرت ناقته فبركت به في بني النجار على باب دار ابي ايوب
الانصاري رضي الله عنه • فنزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم • واقام عنده سبعة اشهر • وقيل
شهرا • والاول اصح • واول قصعة اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في منزل ابي
ايوب قصعه من ثريد فيها خبز وسمن اهدتها له ام زيد بن ثابت • فدعا لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم • وجاءت قصعه سعد بن عباده فيها ثريد وعراق • ثم تناوبت الانصار
للقصاع كل ليله • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ركب من بني سالم الى المدينه
مر بجوار من الانصار نضر بن بدفوف • وتقلن بخن جوارٍ من بني النجارِ • يا حبذا
محمد من جارِ • فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يعلم اني احبكن • وكان
بالمدينة حبش يلعبون بالحراب • فلعبوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم • وما
فرح الانصار شيء فرحهم بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولما نزل ببني سالم يوم
الجمعة خطب فقال الحمد لله احمده واستعينه • واومن به • واعادي من يكفره •
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له • وان محمدا عبده ورسوله • ارسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون • من يطع الله فقد رشد • ومن عصاه
فقد غوى • واوصاهم بتقوى الله واصلاح ذات البين • ثم قال في آخر خطبته وحذركم
الله نفسه • والله بصير بالعباد • وجاهدوا في الله حق جهاده • الى آخر الآية • ولما
ركب ناقته من بني سالم بن عوف ارخى زمامها • فجعلت لا تمر بدار من دور الانصار
الا دعاه اهلها هلم يا رسول الله الى العدد والعدة والمنعه • فتقول خلوا سبيلها فانها
مامورة • حتى انتهى الى موضع المسجد اليوم • فبركت عنده • وهو مربد لغلامين يتيمين •
وهما سهل وسهيل ابنا عمرو بن عبادة • وهما في حجر معاذ بن عفرا • وقيل في حجر اسعد
ابن زرارة • ولما بركت به لم ينزل عنها • فقامت وسارت غير بعيد • ثم عادت الى

السجد بالمربد الملك اي
الفيء الكوم الذي عند
احد بني النجار الانصار

الى مبركها الاول فبركت فيه ووضعت جرانها على الارض • فنزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنها فخرج ابو ايوب فاحتمل رحله فنزل عليه • وقال صلى الله عليه وسلم المرء مع
رحله • وجا اسعد بن زرارة فاخذ بناقته فكانت عنده • وفى رواية فاسس رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقبا المسجد الذى اسس على التقوى • ثم سار الى المدينه • وقالت
عائشه رضى الله عنها فى تمام الحديث المتقدم فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو
ابن عوف بضع عشره ليله • واسس المسجد الذى اسس على التقوى وصلى فيه • ثم ركب راحلته
وسار يمشى الناس معه حتى بركت عند المسجد اليوم • وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين •
وكان مربدا للتمر لسهل وسهل غلامين يتيمين فى حجر اسعد بن زرارة • فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا ان شا الله المنزل • ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين
فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا • فقالا بل نهبه لك يا رسول الله • ثم بناه مسجدا •
وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن فى بنيانه • وهو يقول اللهم ان الاجر اجر
الاخره • فارحم الانصار والمهاجره •

قال البلاذرى وهذا انشدته امراه من الانصار • وتمامه
وعافهم من حر نار سعيره • فانها لكافر وكافره •

وقال هشام بن محمد كان المسجد جدارا مجردا من غير سقف • وله قبله الى بيت
المقدس • وكان فيه غرقد ونخل • فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطع • وكان
فيه قبور الجاهليه • فامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبشت • ثم اسس المسجد •
فجعل طوله مما يلى القبله الى موخره مايه ذراع • وفى الجانبين مثل ذلك • فهو مربع •
وجعل عرض اساسه ثلاثه اذرع من حجاره • وبنوا عليها باللبن • وجعل له ثلاثه ابواب •
ما ينقال له باب الرحمه • وهو الذى يدعا باب عاتكه • وبابا يدخل منه رسول الله صلى
الله عليه وسلم • وهو الذى يلى دار عثمان • وبابا فى موخره • وجعل ارتفاع الجدار قامه
وسطه • وسقفه بجذوع النخل والجريد • وبعضه من النخل الذى كان فيه • فعمل
له يا رسول الله الا نسقفه بخشب الساج • فقال عرش كعرش موسى • ثم بنى الى جانبه بيوتا

وسقفها بجذوع النخل • فلما فرغ من البنا جعل باب عائشة رضي الله عنها شارعا في المسجد •
وجعل سودة بنت زمعة في البيت الذي يليه • وفي الحديث المتفق عليه عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد •
المسجد الحرام • ومسجدي • والمسجد الاقصى • فصلاة في مسجدي افضل من الف صلاة فيما
سواه الا المسجد الحرام • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال حرم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بين لابتي المدينة • قال ابو هريرة فلو وجدت الظبا ما بين لابتيها ما ذعرتها •
وجعل حول المدينة اثني عشر ميلا حمى • وكانت مدة اقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة • وهو الاصح • وقيل عشر سنين • وقيل خمس عشرة سنة •
وهاجر في اول السنة الرابعة عشر • وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة
زيد بن حارثة وابا رافع مولياه ليحضرا اهله • ودفع اليهما بعيرين وخمسمائة درهم •
اقترضها من ابي بكر رضي الله عنه • فحملا الى المدينة فاطمة وام كلثوم ابنتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم • وكانت ابنته رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان الى ارض الحبشة •
وجلس ابو العاص بن الربيع بن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده بمكة • وحمل زيد
معه ايضا ابنة اسامة الى المدينة • وخرج عبد الله بن ابي بكر بام رومان واسمها عائشة
رضي الله عنها الى المدينة • وخرج معهم طلحة بن عبد الله • وبلغ ابا احمد بن جحش الاسدي
الاعمى ان ابا سفين بن حرب باع دورهم من عمر بن علقمة العامري باربعمائة دينار وقضى
بها دينا عليه • وقالت عائشة رضي الله عنها قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
وهي وبية فمرض ابو بكر رضي الله عنه • فكان اذا اخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح في اهله ٭ والموت ادنى من شراك نعله ٭

وكان بلال اذا اخذته الحمى يقول ٭

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ٭ بواد وحولي اذخر وجليل ٭
وهل اردن يوما مياه مجنة ٭ وهل يبدون لي شامة وطفيل ٭

اللهم العن عتبة وشيبة ابني ربيعة • واميه بن خلف كما اخرجونا من ارضنا • وفي رواية

كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوبا • فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقوا قال
اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد • اللهم صححها لنا • وبارك لنا في صاعها
ومدها • وانقل حماها الى الجحفه • قال وكان المولود يولد بالجحفة فما يبلغ الحلم
حتى تضرعه الحمى • وكانت اول امراة نابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
حين قدمها ليلى بنت الحطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر • تزوجها في الجاهليه
مسعود بن اوس • فولدت له عميره وعمرة • وتوفي عنها • ووهبت نفسها للنبي صلى الله عليه
وسلم • ثم استقالته فاقالها • ابو ظفر فاقالها وفارقها • وكانت عيورا • وكان يقال لها آكلة الاسد
وقد ذكرناها • اولا في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لم يدخل بهن • وفي هذه
السنة من الهجرة بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعايشة رضي الله عنها بالسنح في منزل
ابي بكر رضي الله عنه • وكانت بنت تسع سنين • وقيل سبع سنين • وقيل ست سنين • والاول
اصح • وكانت عايشة رضي الله عنها تستحب ان تدخل نساءها في شوال • فعلل لها في ذلك
فقالت وهل تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في شوال • وهل دخل بي الا في شوال •
واي نسايه كان احظى عنده مني • وقال ابو عاصم انما كره الناس ان يدخلوا النساء في شوال
لطاعون وقع فيه في الجاهليه • فخالفتهم عايشة في ذلك • وادخلت نساءها في شوال •
وقالت رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا بنت ست سنين • فقدمنا
المدينه • فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمرق شعري • فوفى جميمة • فاتتني
امي ام رومان وانى لفي ارجوحة ومعي صواحب لي • فصرخت بي • فاتيتها • ووالله ما ادري
ما تريد بي • فاخذت بيدي حتى اوقفتني على باب الدار وانى لانهج حتى سكن بعض نفسي •
ثم اخذت شيئا من ماء فمسحت به راسي ووجهي • ثم ادخلتني الدار • فاذا نسوة من الانصار
في البيت • فقلن على الخير والبركه • وعلى خير طايرٍ • فاسلمتني اليهن فاصلحن شاني • فلم يرعني
الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمتني اليه • وانا يومئذ بنت تسع سنين • ففلت هَهْ هَهْ •
وكنت العب بالبنات مع الجواري • فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكن صواحبي
ينقمعن منه • فيخرج فيسربهن الي • وقالت رضي الله عنها دخل علي رسول الله صلى الله عليه

لنته

وسلم وانا العب بالبنات • فقال ما هذه • قلت خيل سليمان عليه السلام • فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيها زيد في صلاة الحضر ركعتين فصارت اربعا • وذلك بعد
قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه بشهر في ربيع الاول وفيها ولد النعمان
ابن بشير • وهو اول مولود ولد للانصار بعد الهجرة وفيها نزل اهل الصفة المسجد
ومن جا مهاجرا • وكان اهل الصفة ناس فقرا لا منازل لهم • وكانوا ينزلون على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد يظلون فيه • وليس لهم ماوى غيره • وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوهم في اول الليل اذا تعشى فيضرقهم في اصحابه وتعشى طايفه
منهم معه حتى جا الله بالغنا • وفيهم انزل الله للفقرا الذين احصروا في سبيل الله الاية •
ولم يكن لهم بالمدينة عشاير • فحض الله الناس لتتصدقوا عليهم • ومن اهل الصفة
واثلة بن الاسقع • وابو فرصافه • ونبيط بن شريط الاشجعي • وطلحة بن عمرو الليثي •
قال واثلة كنت من اصحاب الصفة وما منا انسان نجد ثوبا ناما • قد جعل الغبار
والعرق في جلودنا طرقا وفيها اعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا نصلي فيه على
الجنايز • قال بعضهم فهم الى اليوم يصلون فيه على الجنايز وفيها اخى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين المهاجرين والانصار • وقال انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم حالف بين المهاجرين والانصار قبل وقعه بدر على الحق والمواساة •
وفيها اسلم عبد الله بن سلام • قال عبد الله رضي الله عنه علمت التوراة من اولى وعرفت
ما ويلها • فوقفني على صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاماته فيها • وقال ان كان
من ولد هرون اتبعه • ومات قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه • فلما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه كنت في راس عذق اجني رطبا • فسمعت صايحا
من بني النضير يقول قد قدم صاحب العرب اليوم • فكبرت كبيره عالية • وعمتي عجوز
تحت العذق • فقالت خيبت • والله لو كان القادم موسى بن عمران ما زدت على ما صنعت •
فقلت اي عمه هو والله اخو موسى وبني مثله • ثم نزلت عن النخلة واتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فعرفته بالصفه • وحدثته حديث ابي • واسلمت • ثم اسلمت عمتي • واسلم

واسلم بخيرتو اليهودي • وفيه نزل قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرآيل على مثله
الاية وفيها اسلم ابو قيس صرمة بن انس النجاري وفيها راى عبد الله بن زيد الانصاري
الاذان في منامه على ما تقدم في ابيه الاذان وفيها عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحمزه بن عبد المطلب رضي الله عنه لوآ ابيض سده • وهو اول لوآ عقده رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده • وكان يحمله ابو مرثد الغنوي • وذلك في شهر رمضان • على راس سبعة
اشهر من مهاجره • وبعث معه بلابين رجلا من المهاجرين • ولم يبعث معه احدا من الانصار •
لانهم شرطوا عليه حين بايعوه ليله العقبه ان يمنعوه في دارهم لانه خارجا عنها • وخرج
حمزه يعترض لعير قريش • فلقي ابا جهل • وهو في بلا ثمانة راكب • واصطفوا للقتال • فحال بينهم
مجدي بن عمرو الجهني • وكان حليفا في قريش للفريقين • ومشى بينهم • فلم يجر قتال • ورجع
حمزه الى المدينة • ومضى ابو جهل الى مكه وفيها عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبيده
ابن الحارث بن المطلب لوآ في شوال • وامره ان يسير الى بطن رابغ • على راس ثمانية اشهر
من مهاجره • في ستين رجلا من المهاجرين • وكان حامل اللوآ مسطح بن اثاثه • فالتقى مع ابي
سفين بن حرب على مآ ينقال له احيآ • وابو سفين في مايتي راكب من قريش • وكان مع عبيده
سعد بن ابي وقاص • فرمى بسهم سعد في الكفار • وهو اول من رمى بسهم في سبيل الله • وترامو
بالنبل • ثم انصرف الفريقان ولم ينفع بينهم مسايفة • وفر الى المسلمين المقداد وعتبه بن
غزوان • وكانا قد اسلمآ • وانما خرجا ليتوصلا الى المسلمين بالمشركين • قال ابن اسحق
كانت هذه السرية في السنة الثانية • وكان على المسلمين مكرز بن حفص • وعلى الكفار ابو جهل •
وفيها عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص لوآ ابيض • وارسله الى الخرار •
وكان حامله المقداد بن عمرو • وبعث معه عشرين رجلا من المهاجرين يعترض عير
قريش • وعهد اليه ان لا يجاوز الخرار • وهو واد بين الجحفه ومكه • ففاتتهم العير الى مكه
فعادوا الى المدينه وفيها فرض القتال • ونزل قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا
الاية وفيها كانت قصة فاطمة بنت النعمان مع تابعها من الجن • قال علي بن الحسين رضي
الله عنهما كانت امراة من بني النجار يقال لها فاطمة بنت النعمان لها تابع من الجن • وكان

ماتيها • فاتاها يوما حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم • فانقض على الحايط • فقالت له
ماكد لمرتات كما كنت ماتي • فقال لها قد جاءني بحرم الزنا والخمر • وهو في هذه
السنة جماعة من اعيان الصحابة • منهم اسعد بن زراره بن عدس بن عبيد بن ثعلبه
ابن غنم بن النجار • وامه سعاد بنت رافع خزرجيه • واسعد من الطبقه الاولى من
الانصار • وكنيته ابو امامة • وهو احد النقبا الاثنى عشر • حضر العقبتين مع الانصار •
وكانت وفاته بالذبحة قبل ان يفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنا مسجده • ودفن
بالبقيع • وله محبة ورؤية • وليس له رواية • ومنهم البرا بن عازب بن معرور بن
صخر بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة احد النقبا الاثنى عشر •
وامه الرباب بنت النعمان بن امرى القيس من الاوس • والبرا من الطبقه الاولى من
الخزرج • شهد العقبتين • وكانت وفاته في صفر • قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة • وهو اول من مات من النقبا • ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة صلى على قبره وترحم عليه • وقال اللهم ارض عنه • وهو اول من اوصى بثلث ماله •
واجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكان له من الولد بشر • ومبشر • وهند • وسلافة
والرباب • اسلموا كلهم وبايعوا • رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومنهم جندع بن ضمره
الجندعي • واختلفوا في اسمه • وكان قد مرض بمكه • فقال لبنيه اخرجوني منها •
فالوا الى اين • فاومى بيده نحو المدينه • وهو يريد الهجره • فلما بلغ اضاة بني غفار مات •
فانزل الله تعالى فيه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد
وقع اجره على الله • ومنهم كلثوم بن الهدم • من امرى القيس بن الحارث بن زيد بن مالك •
ابن عوف الانصاري الذي نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبا • وهو من الطبقة
الاولى من الاوس • وكان رجلا صالحا كبيرا شريفا • اسلم قبل قدوم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة وحسن اسلامه • ونزل عليه جماعة من الصحابه • وقيل انه توفي
في السنة الثانية والله اعلم • وفي هذه السنه الاولى من الهجره توفي ايضا جماعة من
روسا الكفار • منهم الاسود بن عبد يغوث الزهري • وكان من المستهزئين برسول الله صلى الله

علیه وسلم فخرج یوما الی البریة فعطش فاسود وجهه فاتی داره فلم یعرفوه واغلقوا
فی وجهه الباب فمات عطشانا وقیل اخذ جبریل فی عنقه فحنی ظهره حتی احقوقف
فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم حالی حالی فقال جبریل دعه عنک فهلک وفیه انزل
الله تعالی انا کفیناک المستهزئین ودفن بالحجون ومنهم العاص بن وایل السهمی ابو عمرو
ابن العاص وکان من المستهزئین برسول الله صلی الله علیه وسلم خرج من مکه یرید الطایف
علی حمار وکان له به مال فربض به الحمار علی شبرقه فاصابت رجله شوکه فانتفخت
وصارت مثل عنق البعیر فهلک منها وهو ابن خمس وسبعین سنة ومنهم الولید بن المغیره
ابو خالد بن الولید وکان من المستهزئین برسول الله صلی الله علیه وسلم وکان یسمی نفسه
الوحید والعدل ای انه وحید فی قومه ولا یعادله احد وفیه نزل قوله تعالی
ذرنی ومن خلقت وحیدا الی اخر الایات وقال الولید لسعید بن العاص یا با احیحه
هلا نزل هذا القران علی رجل من القریتین عظیم مثلک او مثل عروة بن مسعود الثقفی
فقال له سعید او علی مثلک یا با الولید عبد شمس فانزل الله تعالی وقالوا لولا نزل هذا
القران علی رجل من القریتین عظیم الایة وطعن الولید سهما فخدشه فتمته جبریل
فهلک وهو ابن خمس وتسعین سنة ودفن بالحجون ولما احتضر جلس عند راسه ابو جهل
فجزع جزعا شدیدا فقال له ابو جهل یا عم مم جزعک وانت سید قریش وقد عمرت
طویلا ولک المفاخر والمآثر وانت اول من خلع نعلیه عند دخول الکعبه وقطعت
السرقه وقضیت فی الخنثی من حیث یبول وعد مآثره فقال والله ما بی جزع من الموت
وانما اخاف ان یظهر دین ابن ابی کبشة بمکه یعنی النبی صلی الله علیه وسلم وکان ابو سفیان
ایضا جالسا عند راسه فقال یا عم لا تجزع فانا ضامن لک ان لا یظهر بمکه ابدا ومات
لعنه الله وفی هذه السنة ایضا صام رسول الله صلی الله علیه وسلم یوم عاشورا وامر
بصیامه کما روی عن سلمة بن الاکوع رضی الله عنه ان النبی صلی الله علیه وسلم امر رجلا من
اسلم ان یوذن فی الناس یوم عاشورا من کان صایما فلیتم صومه ومن کان اکل فلا
یاکل ولیتم صومه اخرجاه فی الصحیحین فهذا ما تیسر من الکلام علی قوله تعالی اذا اخرجه

الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله
سكينته عليه يعني فانزل الله الطمانينة والسكون على رسوله صلى الله عليه وسلم وهو ما
القى في قلبه من الامنة التي سكن عندها. وعلم انهم لا يصلون اليه. وقال ابن عباس رضي
الله عنه المراد به نزول السكينة على ابي بكر رضي الله عنه. لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت
عليه السكينة من قبل ذلك. وكان الخوف عند ابي بكر. والنبي صلى الله عليه وسلم ساكن القلب.
وقال النسفي رحمه الله من الناس من قال ان الضمير في قوله عليه عايد الى الرسول. وذلك
فاسد من وجوه. احدها ان الضمير يجب ان يعود الى الاقرب. والاقرب هو ابو بكر
رضي الله عنه. وثانيها ان الخوف والحزن كان حاصلا لابي بكر. لا للرسول. فانه صلى الله
عليه وسلم كان آمنا ساكن القلب بما وعده ربه ان ينصره على قريش. فلما قال لابي بكر لا تحزن
صار آمنا. وثالثها لو كان المراد انزال السكينة على الرسول لوجب ان يقال ان الرسول
صلى الله عليه وسلم كان قبل ذلك خايفا. ولو كان كذلك لما امكنه ان يقول لابي بكر لا
تحزن ان الله معنا. لان الخايف لا يزيل الخوف عن قلب غيره. ثم ان الله تعالى لما
ذكر اولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لصاحبه لا تحزن ثم ذكر بقا التعقيب نزول
السكينة وهو قوله فانزل الله سكينته عليه ان نزول السكينة كان بعد قوله
لا تحزن ان الله معنا. وذلك يدل على ان نزول السكينة كان على قلب ابي بكر رضي الله عنه.
فان قال قايل بل يجب ان يكون النزول على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم. لما
انه عطف عليه قوله وايده بجنود لم تروها. وهذا لا يليق الا بالرسول صلوات الله عليه.
قلنا هذا ضعيف. لاقوله تعالى وايده بجنود لم تروها اشارة الى قصة بدر.
وهو معطوف على قوله فقد نصره الله. وتقدير الاية الا تنصروه فقد نصره الله في واقعة
الغار. اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا. فانزل الله سكينته عليه وايده في
واقعة بدر بجنود لم تروها. هذا اخر كلام النسفي. وقال ابن العربي والاقوى ان يعود
الضمير الى ابي بكر. لانه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم من القوم. فانزل الله سكينته عليه
بتامين النبي صلى الله عليه وسلم فسكن جاشه. وذهب روعه. وحصل الامن. واثبت الله

ثمامة والعمد الوتد هنا كحمامه والهم العنكبوت فنسجت بيتا عليه فما اضعف هذه
الجنود فى ظاهر الحس وما اقواها فى باطن المعنى ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم
لعمر حين تغامر مع الصديق هل انتم تاركوا لى صاحبى هل انتم تاركوا لى صاحبى ان الناس
كلهم قالوا كذبت وابو بكر قال صدقت وفى روايه ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال ابو بكر
صدقت وواسانى بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لى صاحبى ٥ وقال الامام فخر الدين
الرازى فصل فى الوجوه المستنبطة من هذه الايه الدالة على فضل ابى بكر الصديق
رضى الله عنه منها ان النبى صلى الله عليه وسلم لما اختفى فى الغار من الكفار كان مطلعا
على باطن ابى بكر فى سره واعلانه وانه من المومنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار
صحبته فى ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ٥ ومنها ان هذه الهجره كانت باذن الله تعالى ٥
فخص الله صحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ابا بكر دون غيره من اهله وعشيرته وهذا
التخصيص يدل على شرف ابى بكر وفضله على غيره ٥ ومنها ان الله تعالى عاتب اهل الارض
بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابى بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها
ان ابا بكر لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر بل كان ملازما له ٥
وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ٥ ومنها مواساته للنبى صلى الله عليه
وسلم فى الغار وبذل نفسه له وفى هذا دليل على فضله ومنها ان الله تعالى جعله
ثانى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ثانى اثنين اذ هما فى الغار وفى هذا نهايه الفضيله
لابى بكر رضى الله عنه قال وقد ذكر بعض العلما ان ابا بكر كان ثانى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى اكثر الاحوال فمنها ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان
ابو بكر اول من آمن ثم دعا ابو بكر الناس الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان
وطلحة والزبير وغيرهم فامنوا على يد ابى بكر ثم حملهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ٥
ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقف فى موقف من غزواته الا وابو بكر معه فى
ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه فى الامامة فكان ثانيه ٥
ومنها انه ثانيه فى تربته وفى هذا دليل على فضل ابى بكر ومنها ان الله تعالى

نص على صحبة ابى بكر دون غيره بقوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها ان الله
تعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال
السكينه على ابى بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله اعلم هذا اخر كلام الرازى
وقال السنفى ايضا ومن الوجوه الدالة على فضيله ابى بكر رضى الله عنه انه اطبقت
الامة على ان ابا بكر اشترى الراحلة للرسول وعلى ان ابنه عبد الرحمن وابنته اسما
كانا ياتيانهما بالطعام فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد كنت انا وصاحبى فى الغار
بضعة عشر يوما ما لنا الا تمر وذكروا ان جبريل دخل على رسول الله صلى الله عليه طعام م
وسلم الغار وهو جايع فقال له هذه اسما قد اتتك بحيسة ففرح بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم واخبر به ابا بكر ولما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالخروج
الى المدينه اظهر ذلك لابى بكر فامر ابنه عبد الرحمن ان يشترى جملين ورحلين وكسوتين
ويفصل احدهما للرسول فلما قربا من المدينة وصل الخبر الى الانصار فخرجوا مسرعين
فخاف ابو بكر انهم لا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى ظلل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم برداييه ليعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنوا منه خروا
له سجدا فقال لهم صلى الله عليه وسلم اسجدوا لربكم واكرموا اخاكم ثم انا خذت ناقته
ساب الى ايوب الانصارى وقال ومن الوجوه الدالة على فضيله ابى بكر ان النبى صلى الله
عليه وسلم حين دخل المدينة ما كان معه الا ابو بكر والانصار ما راوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ابا بكر وذلك يدل على انه كان يصطفيه لنفسه من بين اصحابه
فى الحضر والسفر وزادوا عليه وقالوا لو قدرنا انه لو توفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى ذلك السفر لزمان لا يقوم بامره الا ابو بكر وان لا يكون وصيه على امته
الا ابو بكر وان لا يبلغ ما حدث من الوحى والتنزيل الى امته الا ابو بكر وكل ذلك
يدل على الفضايل العالية والدرجات الرفيعة لابى بكر رضى الله عنه وقال
السنفى ايضا ثم ان الروافض احتجوا بهذه الاية وبهذه الواقعة على الطعن فى
ابى بكر من وجوه ضعيفه اولها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر لا تحزن

وذلك الحزن لا يكون حقا والا لما نهى النبي صلى الله عليه وسلم • بل يكون خطأً • وحينئذ
يلزم ان يكون ابو بكر مذنبا في ذلك الحزن • وبانيها انه كما يحتمل ان يقال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم استخلصه لنفسه لانه كان في هذا السفر لعلمه بكونه في غاية
الشفقة • فكذلك يحتمل ان يقال انه استخلصه لنفسه لانه كان يخاف منه لو تركه
في مكة ان يدل الكفار على ما فيه من المفاسد في حقه صلى الله عليه وسلم • وبالثها
انه وان دلت هذه الحالة على فضيلة ابي بكر الا انه صلى الله عليه وسلم امر عليا رضي الله عنه
بان يضطجع على فراشه • ومعلوم ان الاضطجاع على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم في مثل
تلك الليلة الظلماء وفي مثل تلك الواقعة الصعبة التي فيها خوف القتل اعلا واعظم من كون
ابي بكر مصاحبا للرسول • والجواب عن الاول ان ذلك طعن في حق الانبياء عليهم
السلام • لما ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام لا تخف انك انت الاعلا • وقال للوط عليه السلام
لا تخف ولا تحزن انا منجوك • واهلك فلو كان مثل هذا النهي يدل على كونه عاصيا لكان
موسى وغيره من الانبياء عاصيا • فاذا قالوا ان ذلك الخوف انما حصل بمقتضى البشرية •
فنقول فيما نحن فيه كذلك • فان قالوا اليس انه تعالى قال والله يعصمك من الناس •
فكيف خاف مع سماع هذه الاية • فنقول هذه الاية انما نزلت بالمدينة • وهذه
الواقعة سابقة على نزولها • وايضا فهب انه كان آمنا من القتل • لكنه ما كان امنا
من الشتم والضرب • والجواب عن الثاني ان ابا بكر لو كان قاصدا له اي لا يذار الكفار
لصاح بهم عند وصولهم الى باب الغار • وقال ان الرسول هنا • ولنبه ولده عبد الرحمن
وابنته اسما الكفار على مكان النبي صلى الله عليه وسلم • والجواب عن الثالث ان
مصاحبة ابي بكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم اعلا من اضطجاع علي رضي الله عنه على الفراش
من وجوه • منها ان ابا بكر كان حاضرا في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم دون علي
رضي الله عنهما • والحاضر اعلا حالا من الغايب • ومنها ان عليا رضي الله عنه ما تحمل المحنة
الا في تلك الليلة • وابو بكر رضي الله عنه تحمل المحن في الليالي والايام • ومنها ان ابا بكر
كان مشهورا فيما بين الناس بانه مرغب الناس في دين النبي صلى الله عليه وسلم وداعيهم اليه •

وشاهدوا منه انه دعى جمعا من اكابر الصحابة الى ذلك الدين وانهم انما قبلوا ذلك الدين
بسبب دعوته • وكان يخاصم الكفار بقدر الامكان • وكان يذب عن الرسول بالنفس
والمال • واما علي رضي الله عنه فانه كان في اول الاسلام صغير السن • ولا ظهر منه
لا دعوة بالحجة والبرهان • ولا جهاد بالسيف والسنان • واذا كان كذلك كان غضب
الكفار على ابي بكر اشد من غضبهم على علي رضي الله عنهما • ولهذا لما عرفوا ان المضطجع
على ذلك الفراش علي رضي الله عنه لم يتعرضوا له • فعلمنا ان خوف ابي بكر على نفسه بسبب
خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم كان اشد • وكانت تلك الدرجة افضل واكمل •
فهذا ما نقوله في هذا الباب على سبيل الاختصار • وسنأخذ في ذكر فضائل ابي بكر في سورة
الفتح • مع فضائل العشرة وغيرهم • عند قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
الاية • وفي الاية ابحاث مباحث ذكرها الشفي ابحاث • الاول قال رحمه الله
قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله • لقائل ان يقول كيف يكون قوله فقد نصره
الله جوابا للشرط • فنقول ان التقدير ان لا تنصروه فسينصره من نصره حين لم
يكن معه الا رجل واحد • فدل بقوله فقد نصره الله على انه تعالى ينصره في المستقبل
كما نصره في ذلك الوقت • البحث الثاني قوله تعالى اذ اخرجه الذين كفروا • اسند
الاخراج الى الكفار • لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج • فكانهم اخرجوه •
وقوله ثاني اثنين • اي احد اثنين • وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر كما تقدم • البحث
الثالث ذكروا ان قريشا ومن معه من المشركين تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم • فنزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا • فامره الله تعالى ان يخرج هو
وابو بكر الى الغار • وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر اول النهار الى الغار •
وامر عليا ان يضطجع على فراشه ليمنعهم السواد من طلبه حتى يلغ هو وصاحبه
الى ما امر الله تعالى به • البحث الرابع قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن
ان الله معنا • دلت هذه الاية على فضل ابي بكر رضي الله عنه من وجوه احدها انه صلى
الله عليه وسلم انما ذهب الى الغار لاجل الخوف من الكفار • ولولا انه صلى الله عليه وسلم

كان قاطعا على صدق ابى بكر فى الايمان • والالما صحبه مع نفسه فى ذلك الموضع فى تلك الحالة ٥
وبانها هو ان الهجرة كانت باذن الله تعالى • وكان فى خدمة الرسول جماعة من المخلصين
وكانوا فى النسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب من ابى بكر • فلولا انه تعالى امره
بصحبته فى تلك الواقعة الصعبه والا لكان الظاهر ان لا يخصه بهذه الصحبه ٥
فتخصيص الله اياه بهذه الصحبة دليل على منصب علىّ فى الدين ٥ وبالثها ان غيره
من الصحابه قد فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ اما هو ما فارقه قط • ولا تخلف عنه
كغيره • بل صبر على موانسته وملازمته فى جميع الوقايع الصعبه الهايله ٥ ورابعها
انه تعالى سماه بانى اثنين • فجعله بانى نبيه صلى الله عليه وسلم فى اكبر المناصب الدينيه ٥
فانه صلى الله عليه وسلم لما ارسل الى الخلق وعرض الاسلام على ابى بكر وآمن به ذهب ابو
بكر وعرض الاسلام على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وغيرهم من اجلة الصحابه • فالكل
امنوا على يده • وكان بانى اثنين وقت كونهما فى الدعوة الى الحضره ٥ وايضا كلما وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزو كان ابو بكر يقف فى خدمته ولا يفارقه ٥ وكان
بانى اثنين فى المواقف كلها ٥ وكلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف خلفه ٥
ولما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قام مقامه فى امامة الناس فى الصلاه • فكان
بانى اثنين فى الصلاه • ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام مقامه فى المصالح الدينيه ٥
فكان بانى اثنين ٥ ولما توفى دفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم • فكان هناك ايضا ٥
وخامسها ما جاء فى الاخبار ان ابا بكر رضى الله عنه اشفق على رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما طلع المشركون فوق الغار • وقال ان تُصِبْ يا رسول الله اليوم ذهب دين الله ٥
فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله بالثهما ٥ ولا شك ان هذا منصب عظيم
ودرجة رفيعه فى الدين ٥ وسادسها ان الله تعالى وصف ابا بكر رضى الله عنه بكونه
صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم • وذلك يدل على كمال الفضل ٥ وقد قال الحسين
ابن الفضل البجلى رحمه الله من انكر ان يكون عمر او عثمان مثلا صاحبا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم كان مكابرا ٥ ومن انكر ان يكون ابو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان كافرا • لان هذا الانكار انكار القران • وهو قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ۝
والمراد منه ابو بكر باجماع الامة • وسابعها في دلالة هذه الاية على فضله ابي بكر
قوله تعالى لا تحزن ان الله معنا • اذ المراد منه المعية بالحفظ والنصرة والمعونة ۝
وبالجملة فالرسول صلوات الله عليه جمع بين نفسه وبين ابي بكر في هذه المعية ۝
وهذا هو المنصب العالي • وقد يقال بعبارة اخرى دلت الاية ان الله تعالى مع
ابي بكر • وكل من كان الله معه فانه يكون من المومنين والمتقين المحسنين • لقوله تعالى ان
الله مع الذين اتقوا • لا مع غيرهم • وذلك يدل على ان ابا بكر رضي الله عنه من المتقين المحسنين ۝
وثامنها قوله ان الله معنا يدل على كونه ثانيا اثنين في الشرف الحاصل من المعية •
كما كان ثانيا اثنين اذهما في الغار • وذلك منصب في غاية الشرف ۝ وتاسعها ان قوله
لا تحزن نهي له عن الحزن مطلقا • والنهي المطلق يوجب الدوام • وذلك يدل على انه لا حزن
من بعد اصلا • هذا اخر كلامه • وقال القرطبي من انكر عمر وعثمان او احدا من
الصحابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب مبتدع • ومن انكر ان يكون ابو بكر
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر • لانه رد نص القران ۝ وروى الترمذي
عن انس ان ابا بكر رضي الله عنه حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو
ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه • فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ۝
وقال ابن العربي قالت الامامية قبحها الله حزن ابي بكر في الغار دليل على جهله ونقصه
وضعف قلبه • واجاب علماء السنة عن ذلك بان اضافة الحزن اليه ليس بنقص • كما لم
ينقص ابراهيم حين اخبر تعالى عنه بقوله نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف ۝
ولم ينقص موسى قوله فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف • وكذلك في لوط قول
الملائكة لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك • فهولاء العظماء صلوات الله عليهم قد وجد
عندهم التقية نصا • ولم يكن ذلك طعنا عليهم ووصفا لهم بالنقص • فكذلك في ابي بكر
رضي الله عنه • ثم هي عند الصديق احتمال • فانه قال لو نظر احدهم الى قدميه لابصرنا ۝
وجواب ثان ان حزن الصديق رضي الله عنه انما كان خوفا على النبي صلى الله عليه

وسلم ان يصل اليه ضرر ۞ ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت معصوما ۞ وانما
نزل عليه والله يعصمك من الناس بالمدينه ۞ وقال ابن العربى قال لنا ابو الفضايل
العدل قال لنا كمال الاسلام ابو القاسم قال موسى عليه السلام كلا ان معى ربى سيهدين ۞
وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ۞ لاجرم لما كان الله مع موسى
وحده ارتد اصحابه بعده ۞ فرجع من عند ربه ووجدهم يعبدون العجل ۞ ولما قال فى
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله معنا بقى ابو بكر مهتديا موحدا عالما حازما بالامر
ولم يتطرق اليه اختلال ۞ وخرج الترمذى من حديث سالم بن عبيد الله وكان له صحبة
قال اغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ۞ وفيه واجتمع المهاجرون يتشاورون ۞
فقالوا انطلقوا بنا الى اخواننا من الانصار ندخلهم معنا فى هذا الامر ۞ فقالت الانصار
منا امير ومنكم امير ۞ فقال عمر رضى الله عنه من له مثل هذه الثلاث ۞ ثانى اثنين اذ هما
فى الغار ۞ اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ۞ من هما ۞ قال ثم بسط يده فبايعه
وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة ۞ ولهذا قال بعض العلماء فى قوله تعالى ثانى اثنين ما
يدل على ان الخليفة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق رضى الله عنه ۞ لان الخلافة لا
تكون ابدا الا ثانيا ۞ وقال القرطبى سمعت شيخنا الامام ابا العباس احمد بن عمر يقول انما
استحق الصديق ان يقال له ثانى اثنين لقيامه بعد النبى صلى الله عليه وسلم بالامر كقيام النبى
صلى الله عليه وسلم اولا ۞ وذلك انه لما مات النبى صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب كلها ۞
ولم يبق الاسلام الا بالمدينه ومكه وجواثى ۞ فقام ابو بكر يدعوا الناس الى الاسلام ۞
ويقاتلهم على الدخول فى الدين كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ فاستحق من هذه الجهه
ان يقال فى حقه ثانى اثنين ۞ وقد جا فى السنه احاديث صحيحه تدل على ان ابا بكر
هو الخليفه بعد النبى صلى الله عليه وسلم ۞ كالذى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
سمع صوت عمر فى صلاته بالناس عند ما امر فى مرضه ابا بكر ان يصلى فلم يوجد
حاضرا فقال قال صلى الله عليه وسلم يابى الله ذلك والمسلمون ۞ يابى الله ذلك والمسلمون ۞
وفى روايه يابى الله والمسلمون الا ابا بكر ۞ وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله

صلی الله علیه وسلم اقتدوا بالذین من بعدی ابی بکر وعمر • وقال علی بن ابی طالب رضی الله
عنه استُخلِف ابو بکر فاقام واستقام • وفی روایه غیره استخلف الله ابا بکر فاقام المصحف •
وروی الزهری عن شیوخه قالوا وذکروا استخلاف ابی بکر بعد رسول الله صلی الله علیه وسلم
ومن قبلُ ما وَصَف لهم صفه من یلی بعده حتی کاد یقول خلیفتی ابو بکر • وحدّث
جبیر بن مطعم رضی الله عنه ان امراه اتت النبی صلی الله علیه وسلم بکلمه فی شی • فامرها ان
ترجع الیه • فقالت یا رسول الله ان جیتُ ولم اجدک • کانها تعنی الموت • قال ان لم تجدینی
فائتی ابا بکر • وعن جابر بن عبد الله رضی الله عنهما ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال رأی
اللیلة رجُل صالح ان ابا بکر نیّط برسول الله • ونِیّط عمر بابی بکر • ونیط عثمان بعمر •
قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله صلی الله علیه وسلم قلنا اما الرجل الصالح فرسول الله
صلی الله علیه وسلم • واما ما ذکر من نَوّط بعضهم ببعض فهم وُلاة هذا الامر الذی بعث
الله به نبیه صلی الله علیه وسلم • وعن ابی هریره رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله
علیه وسلم بینا انا نائم رایتنی علی قلیب علیها دلو • فنزعت منها ما شاء الله • ثم اخذها
ابن ابی قحافة • فنزع منها ذنوبا او ذنوبین • وفی نزعه والله یغفر له ضعف • ثم
استحالت غربا • فاخذها ابن الخطاب • فلم ار عبقریا من الناس ینزع نزع عمر بن الخطاب •
حتی ضرب الناس بعطن • وفی روایه فاَرْوی الظمیئة وضرب الناس بعطن • والاحادیث
سوی هذا کثیره تدل علی خلافه الصدیق بعد النبی صلی الله علیه وسلم • وقال بعض العارفین
لم یکن احد من الصحابه بعد موت النبی صلی الله علیه وسلم فی مقام الصدیقیة سوی ابی بکر •
رضی الله عنه • ولهذا استحوا ان یکون خلیفه بعده • فان مقام الصدیقیه بعد مقام النبوه •
ولم یخلق الله تعالی بعد النبیین علیهم افضل الصلاه واللام من سائر الخلق افضل من ابی بکر رضی الله •
عنه • وقال النبی صلی الله علیه وسلم لو وزن ایمان ابی بکر بایمان اهل الارض لرجحهم • او کما قال
صلی الله علیه وسلم • وقد انعقد الاجماع من الصحابه علی صحة خلافته • ولم یوجد منهم
مخالف رضی الله عنهم • وهم قدوة الخلق الی یوم القیامة • والقادح فی خلافته مقطوع
بخطایه وفسقه • وهل یکفر ام لا فیه خلاف للعلما • والاظهر تکفیره • وسیاتی لهذا

المعنى مزيد بيان في سورة الفتح ان شاء الله ٥ والذي نقطع به من الكتاب والسنة
واقوال العلماء ويجب ان تومن به القلوب والافيده فضل ابي بكر الصديق على جميع
الصحابة ٥ ولا مبالاة باقوال اهل البدع ٥ ولا اهل البدع ٥ فانهم بين مكفر تضرب رقبته
وبين مبتدع مفسق لا تقبل كلمته ٥ ثم بعد الصديق عمر الفاروق ٥ ثم بعد عمر عثمان ٥
رضي الله عنهم ٥ وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نخير بين الناس في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان ٥ وروى عن الامام مالك انه توقف
في ذلك ٥ وروى عنه ايضا انه رجع الى ما عليه الجمهور ٥ وهو الاصح ان شاء الله تعالى ٥
قد لكم قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعني وايد نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم بانزال الملايكة ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رويته ٥ وقيل
القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا ٥ وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملايكة يوم بدر ٥
فاخبر تعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعدا وهو في الغار في حال القله والخوف ٥ ثم نصره
بالملايكة يوم بدر ٥ وفي لفظ اخر يوم بدر وحنين والاحزاب وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى يعني دعوتهم الى الكفر ٥ فهي سفلى الى يوم القيامة ٥ والكلمة جمعها كلم ٥ وبنو تميم
تقول هي كِلْمَة بكسر الكاف ٥ وحكى الفراء فيها ثلاث لغات ٥ كَلِمَة ٥ وكِلْمَة ٥ وكَلْمَة ٥
مثل كَبِدٍ وكِبْدٍ وكَبْد ٥ وَوَرِقٍ ووِرْق ٥ ووَرْق ٥ وتذكر الكلمة ويراد بها
القصيدة بطولها ٥ كذا قاله الجوهري وكلمة الله هي العليا قال ابن عباس رضي الله عنه
هي قول لا اله الا الله ٥ فهي باقية الى يوم القيامة عالية ٥ وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما
كانوا قد روها فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ٥ وكلمة الله هي ما
وعده بالنصر والظفر بهم ٥ فكان ما وعده الله تعالى حقا وصدقا والله عزيز يعز نصره اهل كلمته ٥
حكيم يذل اهل الشرك بحكمته ٥ قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا اعلم ان الله تعالى
لما توعد من لا ينفر مع الرسول صلى الله عليه وسلم اتبعه بهذا الامر الجزم ٥ فقال عز من
قايل انفروا خفافا وثقالا ٥ يعني انفروا على الصفة التي يخف عليكم الجهاد ٥ وعلى الصفة
التي يثقل عليكم ٥ وهذان الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة ٥ فلهذا اختلفت عبارات

المفسرين فيها. فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا.
وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط. وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة. وقال ابو
صالح خفافا يعني من المال يعني فقرا. وثقالا يعني اغنيا. وقال ابن زيد الخفيف الذي
لا ضيعة له. والثقيل الذي له الضيعة يكره ان يدع ضيعته. ويروى عن ابن عباس انه
قال خفافا اهل اليسرة من المال. وثقالا اهل العسره. وقيل خفافا يعني من السلاح
مقلين منه. وثقالا يعني مستكثرين منه. وقيل مشاغيل وغير مشاغيل. وقيل
اصحا ومرضى. وقيل عزابا ومتاهلين. وقيل خفافا من الحاشية والاتباع. وثقالا
مستكثرين منهم. وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير.
وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له. وقيل الخفاف الرجال. والثقال الفرسان.
وقيل الخفاف هم الذين يسبقون الى الحرب كالطليعة. وهو مقدم الجيش. والثقال
الجيش باسره. وقيل الخفيف الشجاع. والثقيل الجبان. والصحيح ان هذا عام. لان
هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا. يعني على اي حال كنتم فيها.
فان قيل فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد. حتى المرضى والزمنى والفقرا. وليس كذلك.
فما معنى هذا الامر. قيل له من العلما من حمله على الوجوب ثم انه نسخ. قال ابن
عباس رضي الله عنه نسخت هذه الاية بقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافه الاية.
وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفا ولا على المرضى الاية. ومنهم من حمل
هذا الامر على الندب. قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري رضي الله عنه شهد بدرا.
والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يتخلف عن غزوه غزاها المسلمون
بعده. فقيل له في ذلك. فقال سمعنا الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا. ولا اجدني
الا خفيفا او ثقيلا. وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه.
فقيل له انك عليل صاحب ضر. فقال استنفر الله الخفيف والثقيل. فان لم يمكني الحرب
كثرت السواد وحفظت المتاع. وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص. فلقيت شيخا
قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو. فقلت يا عم انت

انت معذور عند الله • فرفع حاجبه فقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا • الا
انه من نجبه يبتليه • وسبل المقداد بن الاسود رضي الله عنه وهو يريد الغزو انت معذور •
فقال اتت علينا سورة براءة انفروا خفافا وثقالا • وروى عن انس ان ابا طلحه رضي الله
عنه قرا سورة براءة فاتى على هذه الاية انفروا خفافا وثقالا • فقال اى بنيّ جهزوني •
فقال بنوه رحمك الله قد غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات • ومع ابي بكر حتى مات •
ومع عمر حتى مات • فنحن نغزو عنك • قال لا جهزوني • فغزا في البحر فمات في البحر •
فلم يجدوا له جزيره يدفنونه فيها الا بعد سبعة ايام • فدفنوه فيها ولم يتغير رحمه الله
ورضي عنه • وقال ابن ام مكتوم رضي الله عنه واسمه عمرو يوم احد انا رجل اعمى فسلموا
لي اللوا • فانه اذا انهزم حامل اللوا انهزم الجيش • وانا ما ادرى من يقصدني بسبب •
فما ابرح مكاني • فاخذ اللوا يومئذ مصعب بن عمير رضي الله عنه • والصحيح هو القول الاول
وان الاية منسوخة • ولان الجهاد من فروض الكفايات • يدل عليه ان هذه الاية نزلت
في غزوة تبوك • وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النسا وبعض
الرجال • فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان • وعلى هذا التقدير
فلا حاجه الى دعوى النسخ • وقال القرطبي ان النسخ لا يصح • وقد تكون حالة يجب فيها
نفير الكل • وذلك اذا تعيّن الجهاد لغلبة العدو على قطر من الاقطار • او لحلوله بالعقر •
اى بعقر دار قوم • فاذا كان كذلك وجب على جميع اهل ذلك الدار ان ينفروا ويخرجوا
اليه خفافا وثقالا شبابا وشيوخا على قدر طاقته • من له اب بغير اذنه • ومن لا اب
له • ولا يتخلف احد يقدر على الخروج من مقاتل او مكثر • فان عجز اهل ذلك البلده
عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم ان يخرجوا على حسب ما لزم اهل
ذلك البلده حتى يعلم العدو انه فيهم طاقه على القيام بهم ومدافعتهم • وكذلك كل من
علم بضعفهم عن عدوهم وعلم انه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه ايضا الخروج اليهم •
فالمسلمون كلهم يد على من سواهم • حتى اذا قام بدفع العدو اهل الناحيه التي نزل
العدو عليها او حل بها سقط الفرض عن الاخرين • ولو قارب العدو بلاد دار الاسلام

ولم يدخلوها لزمهم ايضا الخروج اليه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة ويحفظ الجوهر
ويخزى العدو ولاخلاف فى هذا ٥ وقسم بان من واجب الجهاد فرض ايضا على الامام
اغزاء طائفة الى العدو وكل سنة مرة ٥ يخرج معهم بنفسه او يخرج من ينوبه ليدعوهم
الى الاسلام ويرغبهم ويكف اذاهم ويظهر دين الله عليهم حتى يدخلوا فى الاسلام او يعطوا
الجزية ٥ ومن الجهاد ما هو نافله وهو اخراج الامام طائفة بعد طائفة وبعث
السرايا فى اوقات الغزو عند امكان الفرصة ٥ والارصاد لهم بالرباط فى موضع الخوف
واظهار القوة والله اعلم وقوله وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله وفى هذا
ايجاب للجهاد بالمال والنفس ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة ٥ وقال الشافعى
فيه قولان احدهما ان هذا يدل على ان الجهاد انما يجب على من له مال يقوى به على
تحصيل الات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد ٥ فيجب عليه فرض الجهاد ٥
وثانيهما ان من كان له مال وهو مريض او مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه
الجهاد بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فينفروا بماله ٥ فيكون مجاهدا بماله
دون نفسه ٥ وهذا قول الاكثر ٥ وروى ابو داود عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم ٥ وهذا وصف لاكمل ما
يكون من الجهاد وانفعه عند الله تعالى ٥ فحض صلى الله عليه وسلم على كمال الاوصاف ٥
وقدم الاموال فى الذكر ٥ اذ هى اول مصرف وقت التجهيز ٥ فرتب الامر كما هو فى نفسه
ذلكم يعنى ذلكم الجهاد خير لكم من تركه والقعود والتثاقل عنه ٥ وقيل معناه ان الجهاد
خير حاصل لكم ثوابه ان كنتم تعلمون يعنى كون الجهاد خيرا من القعود عنه ٥ فبادروا
اليه ٥ فان قيل كيف يصح ان يقال الجهاد خير من ترك الجهاد ٥ ولا خير فى الترك ٥
فنقول لفظ خير يستعمل بمعنى هذا خير من ذلك ٥ وبمعنى انه فى نفسه خير ٥ كقول
موسى عليه السلام رب انى لما انزلت الى من خير فقير ٥ وجواب اخر نقدر الاية
ان ما استفاد من الجهاد من نعيم الاخرة خير مما يستفيده القاعد عنه من الراحة
والدعة ٥ ولذلك قال تعالى ان كنتم تعلمون ٥ لان ما يحصل من الخيرات فى الاخرة على

الجهاد لا يدرك الا بالتامل والتفكر ولا يعرفه الا المعترف بحقيته القيامة والثواب
والعقاب • ثم ان الله تعالى انزل فى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى غزوه تبوك **لو كان عرضا قريبا** وفيه اضمار • تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا
يعنى غنيمة سهله قريبة التناول • والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها •
يقال الدنيا عرض حاضر • يا كل منه البر والفاجر **وسفرا قاصدا** يعنى سهلا قريبا
لاتبعوك وقيل معنى قاصدا اى وسطا مقاربا • والقاصد والقصد المعتدل • وقوله
لاتبعوك اى لخرجوا معك • وهذه الكناية للمنافقين • لانهم داخلون فى جملة من خوطب
بالنفير • وهذا موجود فى كلام العرب يذكرون الجملة ثم ياتون بالاضمار عايدا على بعضها •
كما فى قوله تعالى وان منكم الا واردها • اى القيامة • ثم قال عز وجل ثم ننجى الذين اتقوا
وندر الظالمين فيها جثيا • يعنى جهنم • ونظير هذه الاية من السنة فى المعنى قول النبى صلى
الله عليه وسلم لو يعلم احدهم انه يجد عظما سمينا او مرماتين حسنتين لشهد العشآء • معناه
لو علم احدهم انه يجد شيا حاضرا معجلا ياخذه لاتى المسجد من اجله **ولكن بعدت عليهم**
الشقة اى المسافة الشاطه الشاقه • والشقه السفر البعيد • لانه يشق على الانسان
سلوكها • ومعنى الاية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك
طمعا فى تلك المنافع التى تحصل لهم • ولكن لما كان السفر بعيدا • وكانوا يستعظمون غزو
الروم • لاجرم انهم تخلفوا لهذا السبب • ثم اخبر الله تعالى عنهم ان نبيه صلى الله عليه وسلم
اذا رجع من هذا الجهاد انهم ياتون اليه ويحلفون ويعتذرون بالكذب • وهو قوله تعالى **ويحلفون**
بالله يعنى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة **لو استطعنا**
لخرجنا معكم يعنى الى هذه الغزوه **يهلكون انفسهم** يعنى بسبب هذه الايمان الكاذبه والنفاق •
وفى هذا دليل على ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها **والله يعلم انهم لكاذبون** يعنى فى
ايمانهم وايمانهم • وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم • لانهم كانوا مستطيعين الخروج •
ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم **عفا الله عنك لم اذنت لهم** قال الطبرى
هذا عتاب من الله تعالى عاتب به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم • اى فى اذنه لمن اذن له فى

التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لضرر والرود والمعنى عفا الله عنك يا محمد
ما كان منك فى اذنك لهولا المنافقين الذين استاذنوك فى ترك الخروج معك الى تبوك ٥
قال عمرو بن ميمون الاودى اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يومر فيهما بشئ ٥
اذنه للمنافقين واخذه الفدا من اساري بدر فعاتبه الله كما تسمعون ٥ وقال سفين
ابن عيينة انظروا الى هذا اللطف بداه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب ٥ وقال الامام
فخر الدين الرازى رحمه الله فصل استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنوب
من الانبيا عليهم السلام وبيانه من وجهين احدهما ان الله تعالى قال عفا الله عنك
والعفو يستدعى سابقة الذنب الوجه الثانى انه تعالى قال لم اذنت لهم وهذا
استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة
فى التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت
فى امرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ فى ابتدا
الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به ٥ وانشد على بن الجهيم لمخاطب المتوكل ٥

عفا الله عنك ألا تجود بفضلك يا ابن العلا ٥
الم تر عبدا عداطوره ومولى عفا ورشيدا هدى ٥
اقلنى اقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى ٥

والجواب عن الثانى انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله تعالى لم اذنت لهم الانكار
عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب فى هذه الواقعة ام لا فان كان قد
صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول
العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر
عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان هذا الانكار ممتنع فى حقه صلى الله عليه
وسلم هذا آخر كلام الرازى ٥ وقال السنفى انفا فى الاية مباحث الاول احتج بعضهم
بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية على صدور الذنب من

الرسول صلوات الله عليه من وجهين • احدهما ان العفو يستدعي سابقه الذنب • وبانهما
قوله تعالى لم اذنت لهم • وهذا استفهام بمعنى الانكار • فيدل على ان ذلك الاذن كان
معصية وذنبا • والجواب عن الاول ان العفو لا يستدعي سابقة الذنب اذا كان المراد
منه المبالغة في التعظيم • كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت في
امرك • ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي • والجواب عن الثاني لا يجوز ان يكون المراد
من قوله تعالى لم اذنت لهم الانكار • لانه اذا صدر عنه ذنب فقوله عفا الله عنك يدل
يدل على حصول العفو عنه • وبعد حصول العفو عنه يستحيل ان يتوجه الانكار عليه •
واذا لم يصدر عنه ذنب فلا مجال للانكار • فيحمل قوله تعالى لم اذنت لهم على ترك الاولى •
الوجه الثاني ان من الناس من قال ان الرسول صلوات الله عليه كان يحكم بمقتضى
الاجتهاد في بعض الوقايع • واحتج عليه بقوله فاعتبروا يا اولي الابصار • امر سبحانه اولي
الابصار بالاعتبار والاجتهاد • والرسول صلوات الله عليه كان سيدا لهم • فكان داخلا
تحت هذا الامر • ثم اكد ذلك بهذه الاية • وقالوا اما ان يقال ان الله تعالى اذن له في ذلك
الاذن او منعه عنه • او ما اذن له وما منعه عنه • والاول باطل • والا لامتنع ان يقول
له لم اذنت لهم • والثاني ايضا باطل • لان على هذا التقدير يلزم انه حكم بغير ما انزل الله •
فيدخل تحت قوله ومن لم يحكم بما انزل الله • الى اخرها • وذلك محال • فلم يبق الا الثالث وهو
انه صلى الله عليه وسلم انما اذن في تلك الواقعة من تلقاء نفسه • فاما ان يكون ذلك مبنيا
على الاجتهاد او لا يكون • والثاني باطل • لانه حكم بمجرد التشهي • وهو باطل بقول الله
تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات • فلم يبق الا انه صلى الله
عليه وسلم اذن في تلك الواقعة بناء على الاجتهاد • فان قيل فهذا يدل على انه لا
يجوز الحكم بالاجتهاد • لان الله تعالى منع نبيه صلى الله عليه وسلم عن هذا الحكم بقوله
لم اذنت لهم • قلنا انه تعالى ما منعه من ذلك الاذن مطلقا • لانه قال حتى يتبين لك
الذين صدقوا وتعلم الكاذبين • والحكم المغيا الى غاية ينتهي عند حصول الغاية •
فان قالوا فلم لا يجوز ان يكون المراد من ذلك التبين بطريق الوحي • قلنا هذا جايز

الآن على هذا التقدير يكلف ان لا يحكم البتة الا اذا نزل الوحي • فلما ترك ذلك وقع
في العتاب • وعلى التقدير الذي ذكرناه كان ذلك خطأ في الاجتهاد • فدخل تحت قوله
ومن اجتهد فاخطأ فله اجر واحد • وكان حمل الكلام عليه اولى • الثالث دلت
هذه الاية على وجوب الاحتراز عن العجلة ووجوب التثبت والتأني في الامور • الرابع
قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون في هذه الاية • ثم رخص في سورة النور • فقال تعالى فاذا
استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم الاية • هذا اخر كلام الشفى • وقال
القاضي عياض رحمه الله قال مكي قبل هذا افتتاح كلام • معنى اعترك الله • واصلحك الله •
وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان تخبره بالذنب وحكى السمرقندي عن بعضهم
ان معناه عافاك الله ما سلم القلب • لم اذنت لهم • قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
لم اذنت لهم لخيف ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام • لكن الله تعالى برحمته اخبره
بالعفو حتى سكن قلبه • ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف • حتى تتبين لك الصادق
في عذره من الكاذب • وفي هذا من عظم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب •
ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفته غايته نياط القلب • قال
نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاتب بهذه الاية • وحاشاه من ذلك •
بل كان مخيرا • فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لتفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم • قال القاضي عياض يجب على المسلم المجاهد نفسه
الرابط بن مام الشريعة خلقه ان تتأدب بما ادب القران في قوله وفعله ومعاملاته
ومحاوراته • فهو عنصر المعارف الحقيقية • وروضة الاداب الدينية والدنيوية •
وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني
عن الجميع • ويستثير ما فيها من الفوايد • وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب • وأنس
بالعفو قبل ذكر الذنب • ان كان ثم ذنب • وقال بعضهم ايضا قوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم هذا امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد
معصيته • ولا عده الله تعالى عليه معصية • بل لم يعده اهل العلم معاتبة • وغلطوا من

ذهب الى ذلك. وقال اخرون قد حاشاه الله من ذلك. بل كان مخيرا في امرين. فالوا
وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فنه وحي. فكيف وقد قال الله تعالى
له فاذن لمن شئت منهم. فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو
لم ماذن لهم لقعدوا. وانه لا حرج عليه فيما فعل. وليس لفظ عفا هنا بمعنى غفر.
بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق. ولم تجب عليهم قط.
اى لم يلزمكم ذلك. ونحوه للقشيري. قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب. من لم
يعرف كلام العرب. قال ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا. وقال الداودي انها
تكرمة. وتقدم قول مكي انه استفتاح كلام. مثل اصلحك الله. واعزك. لم اذنت لهم.
بمعنى في التخلف عنك. وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل. لا سيما وهذه كانت من
جنس ما تعلق بالحروب ومصالح الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا بمعنى في اعتذارهم
وتعلم الكاذبين بمعنى فيما يعتذرون به. قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة. قوله تعالى لا يستاذنك
الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اى في ان يجاهدوا وانما
حسن هذا الحذف لظهوره. والمعنى ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا.
وكان الاكابر من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه
وسلم في الجهاد. فان ربنا سبحانه ندبنا اليه مرة بعد اخرى. وكان الاستيذان في
ذلك الوقت لغير عذر من علامات النفاق والله عليم بالمتقين بمعنى الذين يتقون مخالفته
ويسارعون الى طاعته. وهذه عدة لهم باجزل الثواب. ثم قال تعالى انما يستاذنك
بمعنى في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر الذين لا يومنون بالله واليوم الآخر
وهم المنافقون. لقوله تعالى وارتابت قلوبهم بمعنى شكت قلوبهم في الايمان. وقيل شكوا في
دينهم. واضطربوا في عقيدتهم. وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل
المعرفة والايمان ايضا. فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا فهم في ريبهم يترددون
بمعنى ان المنافقين متحيرون. لا مع الكفار ولا مع المومنين. وقد اختلف علماء الناسخ

والمنسوخ فی هذه الایات فقیل انها منسوخة بالآیة التی فی سورة النور وهی قوله تعالی
ان الذین یستاذنونک اولئک الذین یومنون بالله والیوم الآخر فاذا استاذنوک لبعض
شانهم فاذن لمن شئت منهم وقیل انها محکمات کلها ووجه الجمع بین هذه
الایات ان المومنین کانوا یسارعون الی طاعة الله تعالی والی جهاد عدوهم من غیر استیذان
فاذا عرض لاحدهم عذر استاذن فی التخلف فکان رسول الله صلی الله علیه وسلم مخیرا
فی الاذن لهم بقوله تعالی فاذن لمن شئت منهم واما المنافقون فکانوا یستاذنون
فی التخلف من غیر عذر فعیرهم الله تعالی بهذا الاستیذان لکونه بغیر عذر والله اعلم
وقال الله تعالی ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ای لتهیوا له
ما اعداد آلات السفر وآلات القتال من الکراع والسلاح فترکهم الاستعداد دلیل
علی ارادتهم التخلف ولکن کره الله انبعاثهم یعنی خروجهم الی الغزو معکم فثبطهم یعنی
منعهم وحبسهم عن الخروج معکم والمعنی ان الله تعالی کره خروج المنافقین مع نبیه
صلی الله علیه وسلم فصرفهم عنه وها هنا یتوجه سوال وهو ان خروج المنافقین
مع رسول الله صلی الله علیه وسلم اما ان یکون فیه مصلحة او مفسدة فان کان فیه
مصلحة فلم قال ولکن کره الله انبعاثهم فثبطهم وان کان فیه مفسدة فلم عاتب نبیه
صلی الله علیه وسلم فی اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السوال ان خروجهم مع
رسول الله صلی الله علیه وسلم کان فیه مفسدة عظیمة بدلیل انه تعالی اخبر تلک المفسدة
بقوله لو خرجوا فیکم ما زادوکم الا خبالا بقی فلم عاتب الله رسوله صلی الله علیه
وسلم بقوله لم اذنت لهم وسهو انه صلی الله علیه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص
واکمال التامل والتدبر فی حالهم فلهذا السبب قال تعالی لم اذنت لهم وقیل
انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان یوحی الیه فی امرهم بالقعود وقد مضی القول فی هذا
وقیل اقعدوا مع القاعدین معناه انهم لما استاذنوا فی القعود قیل لهم اقعدوا
مع القاعدین وهم النساء والصبیان او المرضی واهل الاعذار الذین شانهم القعود فی
البیوت واختلفوا فی من القائل لاقعدوا مع القاعدین فقیل هو من قول بعضهم لبعض

وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما
استاذنوه في القعود. فقال لهم اقعدوا مع القاعدين. فاغتنموا ذلك وقعدوا ٥
وقيل ان القايل ذلك هو الله تعالى. ما زال القى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع
المسلمين الى الجهاد. ثم بين تعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا يعني لو خرج هولا المنافقون معكم الى الغزو ما زادوكم الا
فسادا وشرا ٥ واصل الخبال اضطراب ومرض يوثر في العقل كالجنون. قال بعض
النحاة هذا من الاستثنا المنقطع. والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا ٥
وقال الشفي الاستثنا متصل ٥ لان المعنى ما زادوكم شيا الا خبالا ٥ والاستثنا المنقطع
ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه. كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا ٥ والمستثنى
منه في هذا الكلام غير مذكور ٥ واذا لم يذكر وقع الاستثنا من الشي. وكان استثنا
متصلا. لان الخبال بعضه. ومعنى الاية على هذا ظاهر ٥ والمراد بالخبال هنا الافساد
وانقاع الجبن والفشل بين المومنين وتهويل الامر وشده السفر وكثره العدو وقوتهم ٥
واعلم ان الله تعالى بين في هذه الاية انواع المفاسد الحاصلة من خروجهم وهي بلاثه ٥
الاول قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا. الثاني قوله ولا وضعوا خلالكم يعني
ولاسرعوا فيكم وساروا سكم بالتضريب والقا النميمة والاحاديث الكاذبة وافساد
ذات البين ٥ والايضاع الاسراع. يقال وضع البعير وضعا. اذا اسرع. واوضعته انا ٥
وقال دريد بن الصمه ٥

بالبتني فيها جذع. اخب فيها واضع.

قال الجوهري وتتمة الرجز ٥ اقود وطفا الزمع. كانها شاة صدع ٥
وقيل الايضاع سير مثل الخبب ٥ وقوله خلالكم هو ظرف لاوضعوا. والخلل
الفرجة بين الشيين. والجمع الخلال. اي الفرج الذي تكون بين الصفوف. والله اعلم ٥
واعلم انه خط في المصحف اي مصحف عثمان رضي الله عنه ولا اوضعوا بزيادة الالف.
وذلك لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط العربي. والخط العربي انما اخترع قريبا

من نزول القران وقد بقى من تلك الالف أثر فى الطباع • فكتبوا صورة الهمزة الفا •
وفتحتها الفا اخرى • ونحوه قوله اولا اذبحنه • والله اعلم وقوله يبغونكم
الفتنة يعنى يطلبون لكم ما يفتنون به • وذلك انهم يقولون للمومنين لقد جمع كذا ولذا
ولا طاقة لكم بهم • وانهم ستنهزمون منهم • وسيظهرون عليكم • ونحو ذلك من الاحاديث
الكاذبة التى تجبن اى تخوف • وقيل معناه يطلبون العيب والشر • النوع الثالث
قوله وفيكم سماعون لهم قال مجاهد معناه وفيكم عيون لهم اى جواسيس يؤدون
اليهم اخباركم • وما سمعون منكم • وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام
المنافقين ويطيعونهم • وذلك بانهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف
القلب • فيقبلوها منهم • فان قيل كيف يجوز ان يكون فى المومنين المخلصين من يسمع
ويطيع للمنافقين • قيل له يحتمل ان يكون بعض المومنين لهم اقارب من كبار المنافقين
ورؤسايهم • فاذا قالوا قولا ربما اثر ذلك القول فى قلوب ضعفة المومنين فى بعض الاحوال •
والله اعلم • ثم انه تعالى ختم الاية بقوله والله عليم بالظالمين اى بالمنافقين الذين
ظلموا انفسهم بسبب كفرهم ونفاقهم • وظلموا غيرهم بسبب انهم سعوا فى القاء غيرهم
فى وجوه الآفات والمخالفات • ثم قال تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعنى لقد
طلبوا صد اصحابك يا محمد عن الدين ورده الى الكفر وتخذيل الناس عنكم قبل هذا
اليوم كما فعل عبد الله بن ابى ابن سلول يوم احد حين انصرف باصحابه عنكم وقلبوا
لك الامور اى صرفوها واجالوا فيك وفى امرك وفى ابطال دينك الراى • وبالغوا
فى تخذيل الناس عنك • وقصدهم تشتيت امرك • وفى لفظ اخر ودبروا لك الحيل
والمكايد • ودوروا الآراء فى ابطال امرك حتى جاء الحق يعنى النصر والظفر وظهر امر الله
اى وغلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون اى على رغم منهم • قوله عز وجل
حاكيا عنهم ومنهم اى ومن المنافقين من يقول ايذن لى ولا تفتنى قال المفسرون
نزلت هذه الاية فى الجد بن قيس • وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى
غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا جد هل لك فى جلاد بنى الاصفر تتخذ منهم سرارى

صوابه وفيكم
ع ٤

ووصفها فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنسآء واني اخشى ان
رايت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن ايذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك
بمالي قال ابن عباس رضي الله عنه اعتل الجد بن قيس ولم يكن له علة الا النفاق ٥
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه
ومنهم اي ومن المنافقين من يقول ايذن لي يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا
تفتني يعني ببنات بني الاصفر وصل معناه ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا
تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت او معناه لا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت
معك هلك مالي وعيالي وفتنت بنسآء بني الاصفر قال المهدوي والاصفر رجل من
الحبشة كانت له بنات لم يكن في وقتهن اجمل منهن وكان نازلا بلاد الروم وقيل
انما سمي الروم بنو الاصفر لان الحبشة في قديم الدهر غلبت على بلاد الروم وسبوا
نساءهم فولدن لهم بنات فاخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا ٥
وروى الطبري بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تغنموا بنات بني الاصفر ٥
فقال الجد ايذن لي ولا تفتنا بالنسآء ولما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه
وسلم لبني سلمة وكان الجد بن قيس منهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس ٥
غير انه بخيل جبان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واي داء ادوا من البخل ٥
بل سيدكم الفتى بشر بن البرآء بن معرور رضي الله عنهما وانشد حسان بن ثابت فيه
وسود بشر بن البرآء لجوده ۞ وحق لبشر بن البرآء ان يسودا ۞
اذا ما اتاه الوفد اذهب ماله ۞ وقال خذوه انني عايد غدا ۞
قال الله تعالى الا في الفتنة سقطوا يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ٥
ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه قال اهل المعاني وفي هذا تنبيه
على ان من عصى الله لغرض فان الله تعالى يبطل عليه ذلك الغرض الا ترى ان القوم انما
اختاروا القعود ليلا يقعوا في الفتنة والله تعالى بين انهم في عين الفتنة واقعون
ساقطون وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها ٥

قال اهل المعانى وحكماء الاسلام ان المنافقين كانوا محرومين عن نور معرفة الله تعالى
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر • وما كانوا يعتقدون لانفسهم سعادة وكمالا
سوى الدنيا وما فيها من المال والجاه • ثم انهم اشتهروا فيما بين الناس بالنفاق والطعن
فى الدين وقصد الرسول بالسوء • وكانوا فى اشد الخوف على انفسهم واولادهم حيث
شاهدوا دولة الاسلام • والجهل الشديد مع الخوف الشديد اعظم انواع
العقوبات الروحانية • فعبر الله تعالى عن تلك الاحوال بقوله وان جهنم لمحيطة
بالكافرين • قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم يعنى ان تصبك يا محمد حسنة
من نصر وغنيمة تحزن المنافقين وان تصبك مصيبة يعنى من هزيمة اوشدة يقولوا
يعنى المنافقين قد اخذنا امرنا يعنى اخذنا امرنا بالجد والحزم فى القعود عن الغزو
من قبل يعنى من قبل هذه المصيبة ويتولوا يعنى عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم
وهم فرحون يعنى مسرورون بما نالك من المصيبة وسلامتهم منها • وهذا نوع اخر
من كيد المنافقين وخبث بواطنهم قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعنى قل يا محمد
لهؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصايب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا
وعلينا وكتبه فى اللوح المحفوظ • لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير
وشر • فلا تقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به • او يجلب لنفسه نفعا
ان اراده ما لم يقدر له • وقال الشافعى ايضا معناه لا يصيبنا خير ولا شر ولا خوف ولا
رجاء ولا شدة ولا رخاء الا وهو مقدر علينا ومكتوب عند الله ومعلوم عنده ومقضى
به من عنده • فان ما سواه ممكن • والممكن لا يترجح الا بترجيح الواجب • فالممكنات
باسرها منتهية الى قضايه وقدره • وهذا هو حجة اهل السنة فى ان قضاء الله
تعالى شامل لجميع المحدثات • وان تغيير الشى عما قضى الله به محال • ولانه تعالى لما
كتب جميع الاحوال فى اللوح المحفوظ فقد علمها وحكم بها • فلو وقع الامر بخلافه
لزم انقلاب العلم جهلا • فان قيل انه تعالى انما ذكر هذا الكلام تسلية للرسول
صلى الله عليه وسلم فى فرح المنافقين بحزنه ومكارهه • فاى تعلق لهذا المذهب بذلك •

قلنا السبب فی قوله صلی الله علیه وسلم من علم سر الله فی القدر هانت علیه
المصایب • فانه اذا علم الانسان ان الذی وقع امتنع ان لا یقع زالت المنازعة عن
النفس وحصل الریاضة **هو مولانا** یعنی نتولانا ونتولاه • وقل هو ناصرنا وحافظنا
وهو ولی نا من انفسنا فی الموت والحیاه **وعلی الله فلیتوکل المومنون** یعنی فی جمیع امورهم •
وحق للمومنین ان لا یتوکلوا علی غیر الله تعالی • وفی هذا تنبیه علی ان حال المنافقین بالضد
من ذلک • لانهم لا یتوکلون علیه **قل هل تربصون بنا** یعنی قل یا محمد لهولا المنافقین هل
تنتظرون بنا ایها المنافقون **الا احدی الحسنیین** یعنی اما النصر والغنیمة • واما الشهاده
والمغفره • وذلک ان المسلم اذا ذهب الی الغزو والجهاد فی سبیل الله اما ان یغلب عدوه
فیفوز بالنصر والغنیمة والاجر العظیم فی الاخره • واما ان یقتل فی سبیل الله فتحصل
له الشهادة • وهی الغایة القصوی • ویدل علی ذلک ما روی عن ابی هریره رضی الله عنه
عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال تکفل الله • وفی روایة تضمن الله لمن خرج فی سبیله
لا یخرجه الا جهاد فی سبیلی وایمان بی وتصدیق برسلی فهو علی ضامن ان ادخله الجنة •
او ارجعه الی مسکنه الذی خرج منه نایلا ما نال من اجر او غنیمه • اخرجه البخاری ومسلم
وقوله تعالی **ونحن نتربص بکم** یعنی ونحن ننتظر بکم احدی السوئتین **ان یصیبکم الله بعذاب**
من عنده یعنی فیهلککم کما اهلک من کان قبلکم من الامم الخالیة **او بایدینا** یعنی او
یصیبکم بایدی المومنین • ان یظفرنا بکم ویظهرنا علیکم **فتربصوا انا معکم متربصون**
قال الحسن معناه فتربصوا مواعید الشیطان • انا متربصون مواعید الله • من اظهار دینه
واستیصال من خالفه • وقیل تربصوا بنا ما ذکرنا • انا متربصون ما هو عاقبتکم ۞
قل انفقوا طوعا او کرها نزلت فی الجد بن قیس المنافق • وذلک انه لما استاذن رسول الله
صلی الله علیه وسلم فی القعود عنه وقال انا اعطیکم مالی • فانزل الله تعالی ردا علیه •
قل • ای قل یا محمد لهذا المنافق وامثاله فی النفاق انفقوا طوعا او کرها • یعنی انفقوا
طایعین من قبل انفسکم او مکرهین بالانفاق • بالزام الله ورسوله ایاکم بالانفاق **لن**
یتقبل منکم لان هذا الانفاق انما وقع لغیر الله تعالی • وهذه الایة وان کانت خاصة

فی انفاق المنافق فهی عامة فی حق کل من انفق ماله لغیر وجه الله بل لفقه ریاء وسمعة
فانه لا یقبل منه ۰ ثم علل سبحانه سبب منع القبول بقوله انکم ای لانکم کنتم
قوما فاسقین ای متمردین عاتین ۰ والمراد بالفسق هنا الکفر ۰ ویدل علیه قوله بعد
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم کفروا بالله وبرسوله ای المانع من قبول نفقاتهم
هو کفرهم بالله ورسوله ۰ وفی هذا دلیل علی ان افعال الکافر اذا کانت برا کصله القرابة
وجبر الکسیر واغاثة الملهوف لا یثاب علیها ولا ینتفع بها فی الاخرة ۰ بید انه یطعم
بها فی الدنیا ۰ ویدل علیه ما روی مسلم بسنده عن عائشة رضی الله عنها قالت قلت یا
رسول الله ابن جدعان کان فی الجاهلیة یصل الرحم ویطعم المسکین ۰ فهل ذاک
نافعه ۰ قال لا ینفعه ۰ انه لم یقل یوما رب اغفر لی خطیئتی یوم الدین ۰ وعن انس رضی
الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان الله لا یظلم مومنا حسنة یعطی بها
فی الدنیا ۰ ویجزی بها فی الاخرة ۰ واما الکافر فیطعم بحسنات ما عمل لله بها فی الدنیا ۰
حتی اذا افضی الی الاخرة لم تکن له حسنة یجزی بها ۰ وهذا نص ۰ ثم قل هل یحکم
هذا الوعد الصادق لابد ان یطعم الکافر ویعطی بحسناته فی الدنیا او ذلک مقید
بمشیة الله المذکورة فی قوله عجلنا له فیها ما نشآء لمن نرید ۰ الصحیح انه مقید
بمشیة الله تعالی المذکورة فی الایة ۰ والله اعلم ۰ وتسمیه ما یصدر عن الکافر حسنة
انما هو بحسب ظن الکافر ۰ والا فلا یصح منه قربة ۰ لعدم شرطها الصحیح لها وهو الایمان ۰
وقیل انما سمیت حسنة لانها تشبه صورة حسنة المومن ظاهرا ۰ فان قیل
فقد روی مسلم بسنده عن حکیم بن حزام رضی الله عنه انه قال لرسول الله صلی الله علیه
وسلم ای رسول الله ارایت امورا کنت اتحنث بها فی الجاهلیة من صدقة او عتاقة
او صله رحم افیها اجر ۰ فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم اسلمت علی ما اسلفت من
خیر ۰ قلنا قوله اسلمت علی ما اسلفت من خیر مخالف ظاهره للاصول ۰ لان
الکافر لا یصح منه التقرب الی الله تعالی فیکون مثابا علی طاعته ۰ لان من شرط المتقرب
ان یکون عارفا بالمتقرب الیه ۰ فاذا عدم الشرط انتفی صحة المشروط ۰ فیکون معنی

الحديث انك كسبت طباعا جميله في الجاهليه البستك عادة جميله في الاسلام ٥ وذلك
ان حكيما رضي الله عنه عاش ماية وعشرين سنة ٥ ستين في الجاهليه وستين في الاسلام ٥
فاعتق في الجاهليه ماية رقبة وحمل على مايه بعير ٥ وكذلك فعل في الاسلام ٥ وهذا
واضح ٥ وقد قيل لا يبعد في كرم الله تعالى ان يثيبه على فعله ذلك بالاسلام ٥ كما
يسقط عنه ما ارتكبه في حال كفره من الآثام ٥ وانما الايثاب من لم يسلم ولا تاب ومات
كافرا ٥ وهذا هو ظاهر الحديث ٥ وهو الصحيح ٥ وليس عدم شرط الايمان في عدم ثواب ما
يفعله من الخير ثم اسلم ومات مسلما بشرط عقلي لا تبدل ٥ والله تعالى اكرم من
ان يضيع عمله اذا اسلم وحسن اسلامه ٥ فان قيل فقد روى مسلم بسنده عن
العباس رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ٥ فهل نفعه
ذلك ٥ قال نعم ٥ وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح ٥ قلت له
لا يبعد ان يخفف عن الكافر بعض العذاب بما عمل من الخير ٥ لكن مع انضمام شفاعة
كما جاء في ابي طالب ٥ فاما غيره فقد اخبر التنزيل بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة
الشافعين ٥ وقوله تعالى مخبرا عن الكافرين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ٥
وروى مسلم ايضا بسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر عنده عمه ابو طالب ٥ فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ٥ فيجعل
في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه ٥ وفي روايه ولولا انا لكان في الدرك
الاسفل من النار ٥ والله اعلم بمراده ٥ وقوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى جمع
كسلان ٥ يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة ٥ وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا
يخافون على تركها عقابا ٥ ولذلك ذمهم مع فعلها ٥ وقال السنفي رحمه الله في الايه
مباحث ٥ الاول دل صريح الاية على انه لا تاثير للفسق من حيث هو فسق في هذا
الموضع الثاني ظاهر اللفظ يدل على ان منع القبول معلل بمجموع امور ثلاثة ٥ وهي
الكفر بالله ورسوله ٥ والاتيان بالصلاة على وجه الكسل ٥ والانفاق على سبيل الكراهة ٥
ولقائل ان يقول الكفر بالله سبب مستقل في المنع من القبول ٥ فلا حاجة الى غيره ٥

فلم ذكر غيره ۰ والجواب ان هذا الاشكال انما يتوجه على قول المعتزلة حيث
قالوا ان الكفر لكونه كفرا موثر فى هذا الحكم ۰ اما عند اهل السنة فان شيا من الافعال
لا يوجب ثوابا ولا عقابا البتة ۰ انما هى معرفات ۰ واجتماع المعرفات الكثيرة على
الشى الواحد غير محال ۰ ولا يمتنع ان يكون واحد منهما مطردا ومنعكسا مع الحكم ۰
لكن يمتنع ان يكون كل واحد منهما كذلك ۰ الثالث دلت هذه الاية على ان شيا من اعمال
البر لا يكون مقبولا عند الله تعالى مع الكفر بالله ۞ فان قيل فكيف الجمع
بينه وبين قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ۰ قلنا وجب ان يصرف ذلك
الى تاثيره فى تخفيف العقاب ۰ الرابع دلت الاية على ان الصلاة لازمة للكافر ۰
ولو لا ذلك لما ذمهم الله تعالى على فعلها بوجه الكسل ۰ لان بتقدير عدم الوجوب كان
الاتيان بهذا الوجه جاريا مجرى سائر تصرفاتهم من قيام وقعود وغير ذلك ۰ والله اعلم ۰
وقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم كانوا يعتقدون الانفاق فى سبيل الله
مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما ۰ قال العلما وصفهم الله تعالى بالطوع فى قوله قل انفقوا
طوعا او كرها ۰ وسلبه عنهم هاهنا ۰ لان المراد بطوعهم انهم يبذلون له من غير الزام
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ۰ او من رؤسايهم ۰ وما طوعهم ذلك الا عن كراهة
واضطرار ۰ لا عن رغبة واختيار ۰ والحاصل من معنى الاية ان الاقدام على الطاعات
اذا كان لغرض العبودية فذلك نفيد لا محالة ۰ والا فلا فايدة فيه ۰ بل ربما صار
وبالا على صاحبه ۰ ثم قال تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اى لا تستحسن ما
اعطيناهم ولا تميل اليه فانه استدراج ۰ وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبى صلى الله
عليه وسلم الا ان المراد جميع المومنين ۰ وقال بعضهم ايضا معناه فلا تعجبوا باموال
المنافقين واولادهم ۰ والاعجاب السرور بالشى مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد
انه ليس لغيره مثله ۰ وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشى ۰ ويكون سببا لانقطاعه
عن الله عز وجل ۰ فينبغى للانسان الا يعجب شى من امور الدنيا ولذاتها ۰ فان العبد
اذا كان من الله عز وجل فى استدراج كثر ماله وولده ۰ فيكثر اعجابه بماله وولده

فيبطر ويكفر نعمة الله ولهذا قال تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا
فان قيل كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في
الدنيا. قلنا روى عن مجاهد وقتادة ان في الاية تقديما وتاخيرا. تقديرها
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا. انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة
الدنيا الاخرة. وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من
المتاعب والمشاق في تحصيلهما. فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما.
ويزداد الحزن والغم بسبب المصايب الواقعة فيهما. فعلى هذا القول لا حاجة الى
التقديم والتاخير في نظم الاية. واورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل
لكل احد من بني ادم مومنهم وكافرهم. فما فايدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب
في الدنيا. والجواب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب
وهو ان المومن قد علم انه مخلوق للاخرة. وانه يثاب بالمصايب في الدنيا. فلم يكن المال
والولد في حقه عذابا في الدنيا. واما المنافق فانه لا يعتقد كون الاخرة. وانه ليس
له فيها ثواب. فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد
عذابا عليه في الدنيا. فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافقين في
الدنيا دون المومن. وقيل ان تعذيبهم بها في الدنيا اخذ الزكوة منهم والنفقة
في سبيل الله غير مشابين على ذلك. وربما قتل الولد في الغزو فلا شاب الوالد المنافق
على قتل ولده وذهاب ماله. وقيل انه تعالى يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكره
في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده. ثم يقدم في الاخرة على ملك يعذبه
ولا يعذره. وتكلم النسفي على معنى الاية فقال ان الله تعالى لما قطع في الاية الاولى
رجا المنافقين عن جميع منافع الاخرة بين في هذه الاية ان الاشياء التي يظنونها من
باب المنافع في الدنيا جعلها الله تعالى اسباب المحن والافات عليهم في الدنيا. ومن
تامل في هذه الاية عرف انها مرتبة على احسن الوجوه. فانه تعالى لما بين قبايح افعالهم
وفضايح اعمالهم بين ما لهم في الاخرة من العذاب الشديد وما لهم في الدنيا من وجوه

المحنة والبلية • ثم بين ان ما يفعلونه من اعمال البر لا ينتفعون به في القيامة •
ثم بين في هذه الاية ان الذي يظنون انه من منافع الدنيا فهو في الحقيقة سبب لعذابهم
وبلايهم • ثم قال رحمه الله وفيه مباحث الاول ان هذا الخطاب وان كان
مختصا بالرسول صلى الله عليه وسلم الا ان المراد منه جميع المومنين • اى لا ينبغي ان يعجبوا
باموال هولا المنافقين والكافرين ولا باولادهم ولا بساير نعم الله عليهم • ونظيره قوله
تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه •
الثاني ان الاعجاب هو السرور بالشي مع نوع من الافتخار به ومع اعتقاد انه
ليس لغيره ما يساويه • وهذه الحالة تدل على استغراق النفس بذلك الشي وانقطاعه
عن الله تعالى • فانه لا يجد في حكم الله تعالى انه يزيل ذلك الشيء عن ذلك الانسان ويجعله
لغيره • والانسان متى كان متذكرا لهذا المعنى زال اعجابه بالشي • ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات • شح مطاع • وهوى متبع • واعجاب المرء بنفسه •
والاخبار المناسبة لهذا الباب كثيرة • والمقصود منها الزجر عن الانصباب الى الدنيا •
والمنع من التهالك في حبها والافتخار بها • واهل التحقيق قالوا في تقسيم الموجودات
انها على اربعة اقسام • احدها ان يكون ازليا ابديا • وهو الله سبحانه • وثانيها ان يكون
ازليا لا ابديا • وهو الدنيا • وثالثها ان لا يكون ازليا ولا ابديا • وذلك محال • اذ
القدم مانع عن العدم • ورابعها ان يكون ابديا ولا يكون ازليا • وهو الاخرة
واهل التكليف • وبهذا يظهر ان المناسبة بين الانسان الانسان المكلف وبين الاخرة
اشد من المناسبة بينه وبين الدنيا • ويظهر ان الانسان انما خلق للاخرة لا للدنيا •
ثم قال فان قلت هذا المعنى حاصل للكل • فما الفايدة في تخصيص هولا المنافقين
فنقول المنافق مخصوص بزيادة في هذا الباب • لان من آمن بالله واليوم الاخر
علم انه انما خلق للاخرة لا للدنيا • وحينيذ يفتر حبه للدنيا • بخلاف المنافق •
فان عنده لا سعادة الا في الدنيا • وايضا ان المنافقين كانوا يبغضون رسول الله صلى
الله عليه وسلم • وكانوا محتاجين الى بذل اموالهم واولادهم ونفوسهم في خدمته • ولا

خفا في ان هذه الحالة اشق عليهم بالنسبة الى غيرهم ۰ والله اعلم وقوله تعالى وتزهق
انفسهم اى وتخرج ارواحهم وهم كافرون والمعنى انهم يموتون على الكفر ۰ فتكون عاقبتهم
بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة ۰ ودلت هذه الايه على بطلان قول المعتزلة
في مسالة الاصلح ۰ لانهم يقولون ان الله لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو اصلح في الدين ۰
وقد ابطل الله قولهم واخبر ان اعطاء الاموال والاولاد لهم انما هو للتعذيب والاماتة
على الكفر ۰ وفيها ايضا دليل على ارادة الله تعالى للمعاصي ۰ لان ارادة التعذيب ارادة
ما يعذب عليه ۰ وكذا ارادة الاماتة على الكفر ۰ خلافا للمعتزلة ۰ واعلم ان الله تعالى
لما بين كونهم مستجمعين لجميع مضار الاخرة والدنيا خاليين عن جميع منافع الاخرة
والدنيا عاد الى ذكر فضايحهم وقبايحهم ۰ فمنها اقدامهم على الايمان الكاذبة ۰
فقال تعالى ويحلفون بالله يعني المنافقين انهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم ايها المومنون
وما هم منكم يعني انهم كاذبون في ايمانهم ولكنهم قوم يفرقون يعني انهم يخافون ان تظهروا
على ما هم عليه من النفاق ۰ او يخافون القتل وما يفعل بالمشركين ۰ فيتظاهرون
بالاسلام تقية ۰ وهذا كقوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم ۰ ومنها انهم لو يجدون ملجا اى مهربا لهربوا اليه ۰
وقل لو يجدون قوما يامنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم ۰ وقل
لو يجدون مكانا يلتجئون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعه او جزيرة او
مغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي يغور فيه الانسان اي
يستتر ۰ وقال الاخفش يجوز ان يكون من اغار يغير ۰ كما قال الشاعر ۰
الحمد لله ممسانا ومصبحنا ۰
وقال ابن عباس رضي الله عنه المغارات الغيران والسراديب ۰ وهي المواضع التي يستتر فيها ۰
ومنه يقال غار الماء وغارت العين او مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه ۰ وهو
السرب في الارض كنفق اليربوع ۰ المعنى انهم لو وجدوا امكانا على احد هذه الوجوه
اللائقة مع انها شر الامكنة لولوا اليه اى لرجعوا اليه وتحرزوا فيه وهم يجمحون

واضيقها ۰

يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان لا يردهم شئ • والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لو قدروا ان يهربوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا
اليه لشدة بغضهم اياكم • ثم ان الله تعالى شرع في شرح نوع آخر من قبايحهم
وفضايحهم • وهو طعنهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب اخذ الصدقات من
الاغنيا • ويقولون انه يوثر بها من شاء من اقاربه واهل مودته • وينسبونه الى انه
لا يراعي العدل • فقال تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات اي يعيبك في قسمة
الصدقات ويطعن عليك • ونزلت في ذي الخويصرة التميمي • واسمه حرقوص بن زهير •
وهو اصل الخوارج • روى في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة • رجل من بني تميم •
فقال يا رسول الله اعدل • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم
اعدل • وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل • فقال عمر بن الخطاب ايذن لي
فيه فاضرب عنقه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه • فان له اصحابا يحقر
احدكم صلاته مع صلاتهم • وصيامه مع صيامهم • زاد في رواية يقرون القران لا يجاوز
تراقيهم • يمرقون من الاسلام • وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية • وقال
الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزعم
ان الله امرك ان تضع الصدقات في الفقرا والمساكين • فلم تضعها في رعاة الشاء •
فقال صلى الله عليه وسلم لا ابا لك • اما كان موسى عليه السلام راعيا • اما كان داود راعيا •
فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه • فانهم منافقون •
فانزل الله الايه • وقال ابو بكر الاصم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اصحابه ما
علمك بفلان • قال ما لي به علم • الا انك تدنيه في المجلس وتجري له العطا • فقال صلى الله
عليه وسلم انه منافق اداريه عن نفاقه • واخاف ان يفسد على غيره • فقال لو
اعطيت فلانا بعض ما تعطيه • فقال انه مومن اكله الى ايمانه • واما هذا فمنافق
اداريه عن نفاقه خوف فساده • وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها

محمدا لا من احب ولا يؤثرها الا هواه • فانزل الله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات •
يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وفي تفريقها • ويطعن عليك في امرها •
يقال همزه ولمزه بمعنى واحد • اي عابه • فان اعطوا منها رضوا يعني ان اعطوا من
الصدقات رضوا عنك في قسمتها وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يعني وان لم تعطهم
منها عابوا عليك وسخطوا • واذا للمفاجاة • ومعناه فان لم يعطوا منها فاجؤا السخط •
وصفهم الله تعالى بان رضاهم وسخطهم انما هو لانفسهم • لا للدين وما فيه صلاح اهله • لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكه يوم قسم الغنايم بحنين بتوفيرها
عليهم • فضجر المنافقون منه • وقالوا استاثر بها اقاربه وبني عمه • قال الله تعالى ولو
انهم رضوا يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا بما اتاهم
الله ورسوله وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله يعني ما
نحتاج اليه انا الى الله راغبون يعني في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقه وعن
غيرها من اموال الناس • وجواب لو محذوف • تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم
واعود عليهم • والمعنى ولو انهم رضوا مما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم
وان قل نصيبهم • وقالوا كفانا فضل الله وصنعه • وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا
غنيمة اخرى • فيوتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما آتانا اليوم • انا الى الله في
ان يغنمنا ويخول لنا فضله راغبون • قال السفي رحمه الله هذه الاية تدل على ان
من طلب من الدنيا بقدر ما اذن الله فيه وكان غرضه من الدنيا ان يتوسل بها الى معالي
الدين فهذا هو الطريق الحق • والاصل في هذا الباب ان يكون راضيا بقضاء الله تعالى •
الا ترى ان الله تعالى قال ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله الى اخرها • فذكر سبحانه
فيه مراتب اربعة • اولها الرضا بما اتاهم الله ورسوله لعلمه بانه تعالى حكيم • وثانيها
ان يظهر آثار ذلك الرضا على لسانهم • وهو قولهم حسبنا الله • وثالثها ان الانسان
اذا لم يبلغ الى تلك الدرجة العالية التي يقول عندها حسبنا الله نزل منها الى مرتبة
اخرى • وهي ان يقول سيوتينا الله من فضله ورسوله • ورابعها ان يقول انا

الى الله راغبون • فنحن لا نطلب من الايمان والطاعة اخذ الاموال والفوز بالمناصب
في الدنيا • وانما المراد اما اكتساب السعادة الابديه • واما الاستغراق في العبوديه •
على ما دل عليه لفظ الآية • وهو انا الى الله راغبون • ولم نقل انا الى ثواب الله راغبون •
والرغبه الخالصة الى الله ان يرغبوا اليه لا الى غيره • والله تعالى الموفق ٥

قوله عز وجل انما الصدقات للفقرا والمساكين الى اخرها • اعلم ان المنافقين
لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في هذه
الاية ان المستحقين للصدقات هذه الاصناف الثمانية • ومصرفها اليهم • ولا تعلق لرسول
الله صلى الله عليه وسلم منها بشيء • ولم ياخذ لنفسه منها شيا • فلم يلمزوه ويعيبوا عليه •
فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات • عن زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته • فاتاه رجل فقال اعطني من الصدقه •
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات •
حتى حكم فيها هو • فجزاها ثمانية اجزاء • فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك ٥
اخرجه ابو داود • وفي لفظ غيره ان الله لم يكل قسمها الى ملك مقرب • مقرب ولا نبي
مرسل حتى جزاها على ثمانية اجزاء • فان كنت جزءا منها اعطيتك • وان كنت غنيا عنها
فانما هو صداع في الراس ووجا في البطن فصل في بيان حكم الاية • وفيه
مقامين • الاول في بيان الحكمة في ايجاب الزكوه على الاغنيا وصرفها الى المحتاجين
من الناس • والثاني في بيان احوال المصارف • فنقول في الاول الحكمة في
الزكوة امور • بعضها عايدة الى معطي الزكوه • وبعضها عايدة الى آخذ الزكوه • اما
الاول فهو امور • احدها ان المال محبوب بالطبع • والسبب فيه ان القدره على
الشي من صفات الكمال • وصفة الكمال محبوبة لذاتها • والمال سبب لتحصيل تلك
القدرة • فكان المال محبوبا بالطبع • الا ان الاستغراق في حبه يذهل النفس عن حب
حضرة الله سبحانه وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى حضرة الله تعالى • والتاهب للاخره •
فاقتضت الحكمة الالهيه تكليف صاحب المال باخراج طائفة منه ليصير ذلك الاخراج

كسرا من شدة المال. ومنعا من انصباب النفس بالكلية اليها. وتنبيها على ان سعادة
المرء لا تحصل بتحصيل المال. وانما تحصل بانفاقه في طلب مرضاة الله تعالى ٥
فايجاب الزكوه علاج صالح في ازالة حب مرض الدنيا. قال الله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ٥ اى تطهرهم وتزكيهم عن الاستغراق في طلب الدنيا ٥
وثانيها ان كثره المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى شهواتها
ولذاتها. وتوجب القوة وازدياد القدرة. وازدياد القدرة توجب ازدياد اللذة
ولا مقطع لها. فالشرع اثبت لها مقطعا. فاوجب على صاحب المال صرف طايفه
من ماله بجهة التمليك الى الفقير ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلماني الذى لا
آخر له الى الطريق النوراني الذى هو من طرايق العبودية ٥ وبالثها سبب
وجوب الزكاة امتحان العبد المومن. لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد.
واخراج المال مشق على النفس. فاوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج
الزكاة على العباد اصحاب الاموال ليميز بذلك بين المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه
من العاصي المانع لها. وفيه معنى الذى قبله. وايضا ان كثره المال سبب للطغيان
وقساوة القلب. كما قال الله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى. فايجاب الزكوه
يصغر الطغيان. وترد القلب الى طلب رضى الرحمن ٥ ورابعها ان النفس
الناطقة لها قوتان. نظرية. وعمليه. فالنظرية كمالها في التعظم لامر الله. والعمليه
كمالها في الشفقة على خلق الله. فاوجب الله تعالى الزكوه على المكلف ليحصل له الكمال
بهاتين الصفتين. وخامسها ان الخلق اذا علموا ان فلانا يسعى في ايصال الخير
اليهم احبوه بالطبع. ومالت نفوسهم اليه لا محالة. على ما قال النبى صلى الله عليه وسلم ٥
جبلت القلوب على حب من احسن اليها. وبغض من اساء اليها. والمحبة تدعوا الى الدعوات
الصالحة. وللدعوات اثار كثيره في المصالح العاجلة والآجله. وسادسها
ان الاستغنا عن الشى اعظم من الاستغنا بالشى. لان الغنى عن الشى صفه الحق ٥
والغنى بالشى صفه الخلق. فالامر بالزكوة يبعده عن صفة الخلق الى صفة الحق ٥

وسابعها ان المال انما سمي مالا لكثره ميله الى كل احد • وهو غاد ورائح • وهو
سريع الزوال • مشرف على التفرق • فما دام في يده كان كالمشرف على الهلاك • فاذا
انفقه في وجوه البر بقي بقا لا يمكن زواله • فانه يوجب المدح الدايم في الدنيا • والثواب
الدايم في العقبى • وثامنها ان بذل المال تشبه بالانبيا والمرسلين • والاولياء
المقربين • وامساكه تشبه بالبخلا المذمومين المخذولين • فكان البذل اولى •
وتاسعها ان افاضة الخير والرحمة من صفات الحق سبحانه • فالسعي في تحصيل
هذه الصفة بقدر القدرة تخلق باخلاق الله تعالى • وذلك منتهى الكمالات الانسانيه •
وعاشرها ان الانسان ليس له الا ثلاثة اشيا • الروح • والبدن • والمال • فاذا
امر بالايمان صار الروح مستغرقا في العبودية بالذكر وغيره من الافعال • واذا
امر بالزكوة وجب صرف المال الى ادايها • فانه اذا لم يصرف اليه لزم ان يكون شح
الانسان بماله فوق شحه بروحه وبدنه • وذلك جهل فاحش • نعوذ بالله من ذلك •
الحادي عشر قال اهل التحقيق شكر النعمة عبارة عن صرفها الى رضى المنعم •
وادا الزكوة شكر النعمة الكامنة • فوجب القول بوجوبها • والله اعلم •
واما المصالح العايدة من ايجاب الزكوة الى المصارف فهي متعددة
غاية التعداد • الاول ان الله تعالى خلق الاموال لا لذواتها • بل للتوصل بها الى
تحصيل المصالح ودفع المفاسد • والانسان اذا حصل له مال فهو احق به من غيره •
لاحتياجه اليه • وكما انه يحتاج اليه فالفقير ايضا يحتاج اليه • فله حق في تلك الاموال
كذلك • والحكمة الالهية تقتضي رعاية كل واحد منهما • فيجب على المالك ان يودي
قدرا منها ليصل الى كل ذي حق حقه • قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى فرض
على الاغنيا قوت الفقرا وسماه زكوه • الثاني ان بقا المال بالكلية في يد الغني
مع انه غير محتاج اليه • واهمال جانب الفقير العاجز لا يليق بالحكمة • فيجب ان يجب
على الغني صرف قدر منه الى الفقير • الثالث ان الاغنيا اذا لم يقوموا باصلاح
مهمات الفقرا فربما حملهم شدة الحاجة ومضرة المسكنة على الافعال القبيحة • كالسرقة

وبخوها • فكان ايجاب الزكوة مانعا عن تلك الافعال ٥ الرابع قال النبي صلى الله عليه
وسلم الايمان نصفان • نصف صبر • ونصف شكر • والمال محبوب بالطبع • فوجدانه
يوجب الشكر • وفقدانه يوجب الصبر • فالله تعالى امر بصرف البعض الى الفقير ليصير
المالك بحصول الكل من الشاكرين • وبادا البعض من الصابرين ٥ الخامس ان
المال مال الله • والاغنيا خزان الله • والفقرا عيال الله • فامر الله تعالى خزانه الذين هم
اغنيا بدفع طايفه من ماله الى عياله • فيثيب العبد المومن المطيع المسارع الى امتثال
الامر المشفق على عياله • ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله ماله • وفي الصحيحين عن ابي
موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن الامين المسلم
الذي ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فنعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه
الى الذي امر له به احد المتصدقين ٥ السادس ان الفقير محتاج الى اعانة الغني له
بالمال • والغني يحتاج الى اعانة الفقير له بالنفس • فحكم بوجوب الزكوة على الغني وبحل
الاخذ للفقير تحصيلا لمصالح الكل • والله تعالى هو الموفق ٥ المقام الثاني في
تفسير الايه الاول قوله تعالى انما الصدقات للفقرا • قصر سبحانه
جنس الصدقات على الاصناف المعدودة • اي هي مختصه بهم • لا تتجاوز الى غيرهم ٥
كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم • كقولك ان الخلافة لقريش • تريد لا تتعداهم ولا تكون
لغيرهم ٥ وقيل يحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها • وان تصرف الى بعضها • كما هو مذهب
الامام ابي حنيفه وجماعة من العلما • بدليل ما روي عن حذيفه وابن عباس وغيرهما
من الصحابه رضي الله عنهم انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك ٥ وعند الامام
الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانيه • وهو المروي عن عكرمة ٥ الباقي
في تعريف هو لا الاصناف الثمانيه • فالصنف الاول الفقرا • والثاني المساكين • وهم
المحتاجون الذي لا يفي خرجهم بدخلهم عند الامام الشافعي • ثم اختلف العلما في
الفرق بين الفقير والمسكين • فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري
الفقير الذي لا يسال • والمسكين السايل • قال ابن عمر رضي الله عنه ليس بفقير من جمع الدراهم

بعد عيال

وفيه مباحث

الى الدرهم • والتمرة الى التمره • ولكن الفقير من اتقى بدنه وثيابه لا يقدر على شئ •
يحسبهم الجاهل اغنيآء من التعفف • وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن • والمسكين
الصحيح المحتاج • وقال الامام الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا •
زمنا كان او غير زمن • والمسكين من له مال او حرفة • ولكن لا تقع منه موقعا لكفايته
سآيلا كان او غير سآيل • فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير • وقال الامام ابو
حنيفه وجماعة الفقرا احسن حالا من المسكين • ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير
والمسكين • حجه الامام الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف الصدقات
الى هولا الاصناف الثمانيه • دفعا لحاجتهم • وتحصيلا لمصلحتهم • فبدا بالفقرا • وانما
يبدا بالاهم فالاهم • فلو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين لما بدا بهم • واصل
الفقر المكسور الفقار • وانشد لبيد •

لما رآى لبد النسور تطايرت • رفع القوادم كالفقير الاعزل •

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار • فثبت بهذا ان الفقير انما سمي
فقيرا لزمانته وحاجة شديده • وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب • ولان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر • وقال اللهم احيني مسكينا • وامتني مسكينا •
واحشرني في زمره المساكين يوم القيامة • رواه الترمذي من حديث انس رضي الله عنه •
فلو كان المسكين اسوا حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسال المسكنه • فثبت بهذا
ان المسكين احسن حالا من الفقير • ولان الله تعالى قال اما السفينه فكانت لمساكين
يعملون في البحر • فاثبت لهم ملكا مع اسم المسكنه • لان السفينة من سفن البحر تساوي
دنانير كثيره • ولان الغنى والفقر ضدان • والمسكنه قسم ثالث بينهما • فثبت بهذا ان
ان الفقير اشد حالا من المسكين • وحجة الامام ابي حنيفه ومن وافقه على ان المسكين
اسوا حالا من الفقير قول الله تعالى او مسكينا ذا متربه • وصف المسكين بكونه ذا متربه
وهو الذي لصق جلده بالتراب • وهذا يدل على غاية الضر والشده • ولان الله تعالى
جعل الكفارة للمساكين • فلو لم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له • وايضا

ان المسكين هو الذى يسكن حيث وجد لاجل انه ليس له بيت يسكن فيه • وذلك يدل على نهاية الضر والبؤس • وروى الاصمعى عن ابى عمرو بن العلا قال الفقير الذى له ما ياكل • والمسكين الذى لاشئ له • وكذا قال القتيبى الفقير الذى له البلغه من العيش • والمسكين الذى لاشئ له • وقيل الفقير الذى له المسكن والخادم • والمسكين الذى لا ملك له • وقال يونس قلت لاعرابى افقيران • قال لا والله بل مسكين • وروى عن الزهرى قال الفقراء هم المتعففون الذين لا يخرجون • والمساكين الذين يسالون • واحتج ايضا بقول الراعى ان الفقير الذى كانت حلوبته • وفق العيال فلم يترك له سبد •

وقيل ان كل محتاج الى شئ فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره • قال الله تعالى انتم الفقراء الى الله • فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال • والله اعلم • وبالجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال • فالفقير هو الذى كسرت الحاجه فقار ظهره • والمسكين هو الذى ضعفت نفسه وسكنت عن الحركه فى طلب القوت • عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقه لغنى • ولا لذى مرة قوى • وعن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال اخبرنى رجلان انهما اتيا النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى حجة الوداع وهو يقسم الصدقه • فسالاه منها • فرفع فيها النظر وخفضه فرانا جلدين • فقال ان شيتما اعطيتكما • ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب اخرجه ابو داود والنسائى • واخرجه الامام الشافعى • ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالانه من الصدقه • فقال ان شيتما اعطيتكما • ولا حظ فيها لغنى ولا لذى قوه مكتسب • واختلف العلماء فى حد الغنا الذى يمنع من اخذ الصدقه • فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة • وهو قول الامام مالك والامام الشافعى • وقال الامام ابو حنيفه من معه عشرون دينارا او مايا درهم فلا ياخذ من الزكاة • فاعتبر النصاب لقول النبى صلى الله عليه وسلم امرت ان آخذ الزكاة من اغنيائكم واردها على فقرائكم • واجمع اكثر العلماء ان من له دار او خادم لا يستغنى عنهما ان له ان ياخذ من الزكاة • وللمعطى ان يعطيه • وكان الامام مالك

نقول اذ لم يكن في ثمن الدار والخادم فضلة عما يحتاج اليه منهما جاز له الاخذ والا لم
يجز وقال الامام احمد بن حنبل لا ياخذ من له خمسون درهما او قدرها من الذهب
قال ولا يعطى من الزكاة اكثر من خمس درهما الا ان يكون غارما ودليل قول النبي صلى
الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لرجل له خمسون درهما وفي اسناده ضعف وعن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سال
الناس وهو غني جاء يوم القيامة وجهه كدوح او خدوش قيل يا رسول الله وما
غناه قال اربعون درهما وفي حديث آخر رواه الامام مالك قال النبي صلى الله عليه
وسلم من سال منكم وله اوقيه او عدلها فقد سال الحافا والاوقيه اربعون درهما
وقال الامام الشافعي من كان قويا على الاكتساب والتحرف مع قوة البدن وحسن
التصرف حتى يغنيه ذلك عن الناس والصدقة عليه حرام واصح بحديث النبي صلى الله عليه
وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي رواه ابو داود والترمذي والدارقطني
وقال بعضهم من كان عنده عشاء ليله فهو غني وهو مروي عن علي رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سال مساله عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم
قالوا يا رسول الله وما ظهر الغنا قال عشاء ليله اخرجه الدارقطني وفي سنده ضعف
ورواه ابو داود بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه ومن سال وعنده ما يغنيه
فانما يستكثر من النار وفي روايته من جمر جهنم فقالوا يا رسول الله وما يغنيه وفي
روايه وما الغنا الذي لا ينبغي معه المساله قال قدر ما يغديه ويعشيه واختلف
العلماء فيمن اعطى فقيرا مسلما فانكشف في ثاني الحال انه اعطى عبدا او كافرا او غنيا
فقيل يجزيه وهو الاصح وقيل لا يجزيه وجه الجواز ما رواه مسلم عن ابي هريره
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رجل لاتصدقن بصدقه فخرج
بصدقته فوضعها في يد زانيه فاصبحوا يتحدثون تصدق الليله على زانيه
قال اللهم لك الحمد على زانيه لاتصدقن بصدقه فخرج بصدقته فوضعها في يد غني
فاصبحوا يتحدثون تصدق الليله على غني فقال اللهم لك الحمد على غني لاتصدقن بصدقه

فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق • فاصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق •
فقال اللهم لك الحمد على زانيه وعلى غنى وعلى سارق • فاتى فقيل له اما صدقتك فقد
قبلت • اما الزانية فلعلها تستعف عن زناها • ولعل الغنى ان يعتبر فينفق مما اعطاه
الله • ولعل السارق يستعف بها عن سرقته • وروى ان رجلا اخرج زكاة ماله
فاعطاها اياه • فلما اصبح علم بذلك • فسال النبي صلى الله عليه وسلم • فقال له قد كتب لك اجر
زكاتك واجر صلة الرحم • فلك اجران • الصنف الثالث قوله تعالى
والعاملين عليها اى على الصدقات • وهم السعاة والجباه الذين بعثهم الامام لقبض الزكوات
من اهلها • ووضعها في حقها • فيعطون من مال الصدقات بقدر اجور اعمالهم • سواء كانوا
فقرا او اغنيا • وهذا قول ابن عمر • وبه قال الامام الشافعي • وقال مجاهد والضحاك
يعطون الثمن من الصدقات • وظاهر اللفظ مع مجاهد • الا ان الامام الشافعي يقول هو
اجرة عمل • فيقدر بقدر العمل • وقال الامام ابو حنيفه والامام مالك يعطون من
الصدقات بقدر اجور امثالهم • لانه عطل نفسه لاجل مصلحة الفقرا • وكانت كفايته
وكفاية اعوانه في مالهم • وهذا كالمراة لما عطلت نفسها لحق الزوج كانت نفقتها ونفقة
اتباعها من خادم اوخادمين على زوجها • ولا يقدر بالثمن • بل تعتبر الكفاية • سواء
كان ثمنا اواكثر • كرزق القاضي • ولا تعتبر كفاية الاعوان في زماننا • لانه اسراف ومحض •
القول الثالث انهم يعطون من بيت المال • وهذا القول مروى عن الامام مالك من رواية
ابن ابي اويس • وداود بن سعيد • وهو ضعيف مرجوح الدليل • فان الله سبحانه قد اخبر
بسهمهم فيها نصا • واختلفوا في العامل اذا كان هاشميا • فمنعه الامام ابو حنيفه
لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد • انما هي اوساخ الناس •
وهذه صدقة من وجه • لانها جزء من الصدقة • فتلحق بالصدقة من كل وجه كرامة
وتنزيها لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غسالة الناس • واجاز عمل الهاشمي
الامام مالك • والامام الشافعي • ويعطى اجر عمالته • لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه مصدقا وبعثه عاملا الى اليمن على الزكوات • وولى جماعة

من بنی هاشم • وَوَلّی الخلفاء بعده کذلک • ولانه اجیر علی عمل المجمع • فوجب ان یستوی
فیه الهاشمی وغیره اعتبارا بسائر الصناعات • وقالت الحنفیه حدیث علی رضی الله
عنه لیس فیه انه فرض له من الصدقه • فان فرض له من غیرها جاز • وروی ذلک عن
الامام مالک • والصحیح عند الامام الشافعی ان الهاشمی والمطلبی لا یجوز ان یکون عاملا
علی الصدقات • لما روی عن ابی رافع رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم استعمل
رجلا من بنی مخزوم علی الصدقه • فاراد ابو رافع ان یتبعه • فقال رسول الله صلی الله
علیه وسلم لا تحل لنا الصدقه • وان مولی القوم منهم • اخرجه الترمذی والنسائی •
ودلّ قول الله تعالی والعاملین علیها علی ان کل ما کان من فروض الکفایات کالساعی
والکاتب والقسّام والعاشر وغیرهم فالقایم به یجوز له اخذ الاجرة علیه • ومن
ذلک الامامة • فان الصلاة وان کانت متوجهة علی جمیع الخلق • فان تقدّم بعضهم
بهم من فروض الکفایات • فلاجرم یجوز اخذ الاجره علیها • وهذا اصل الباب •
والیه اشار النبی صلی الله علیه وسلم بقوله ما ترکت بعد نفقه نسائی ومؤنة عاملی
فهو صدقه • والله اعلم الصنف الرابع قوله تعالی والمولفة
قلوبهم یعنی علی الاسلام • وهم قسمان قسم مسلمون • وقسم کفار • فاما قسم المسلمین
فقسمان • القسم الاول هم قوم من اشراف العرب • کان رسول الله صلی الله علیه وسلم
یعطیهم من الصدقات یتالفهم بذلک • کما اعطی عیینه بن بدر بن حصن • والاقرع بن
حابس • والعباس بن مرداس السلمی واشباههم • فهولا اسلموا • وکانت نیتهم ضعیفه •
فکان رسول الله صلی الله علیه وسلم یعطیهم لتقوی رغبتهم فی الاسلام • وقوم اسلموا
وکانت نیتهم قویة فی الاسلام • وهم اشراف قومهم • مثل عدی بن حاتم • والزبرقان بن
بدر • فکان رسول الله صلی الله علیه وسلم یعطیهم تالفا لقومهم • وترغیبا لامثالهم فی
الاسلام • فیجوز للامام ان یعطی امثال هولا من خمس خمس الغنیمة والفی من سهم رسول الله
صلی الله علیه وسلم • لان رسول الله صلی الله علیه وسلم کان یعطیهم من ذلک ومن الصدقات
ایضا • القسم الثانی من مولفة المسلمین • وهم قوم من المسلمین یکونوا باز

قوم كفار فى موضع لا تبلغهم خبر من المسلمين الا كلفه كبيره ومونه عظيمه. وهولا
الذين يازايهم من المسلمين لا يجاهدونهم. اما لضعف نيتهم اولضعف حالهم. فيجوز
للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقه. وقيل من سهم المولفه قلوبهم ٥
ومن هولا قوم يازا جماعة من مانعى الزكوه. فياخذون منهم الزكاة ويحملونها
الى الامام. فيعطيهم الامام من سهم المولفه من الصدقات. وقيل من سهم سبيل الله ٥
وروى ان عدى بن حاتم جا ابا بكر الصديق رضى الله عنه بلاثمايه بعير من صدقات
قومه. فاعطاه ابو بكر منها بلاثين بعيرا ٥ واما مولفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم
او يرجى اسلامهم. فيجوز للامام ان يعطى من يخاف شره. او يعطيه رجا اسلامه ٥
فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس. كما اعطى صفوان بن امية
لما كان يرى من ميله الى الاسلام. اما اليوم فقد اعز الله الاسلام واغنى عنهم. وله
الحمد على ذلك. وفى روايه واغنى الاسلام ان سالف عليه احدا من المشركين. فلا يعطى
مشرك تالفا بحال ٥ وقد قال بهذا كثير من اهل العلم. ورا وا ان المولفه منقطعه ٥
وسهمهم ساقط. يروى ذلك عن عكرمة. وهو قول ابن عمر رضى الله عنه. وبه قال
الشعبى. والامام مالك. وسفين الثورى. والامام ابو حنيفه. واصحابه. واسحق بن راهويه ٥
وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط. يروى ذلك عن الحسن. وهو قول الزهرى. وابى جعفر
محمد بن على. وابى ثور. وقال الامام احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك. والله اعلم
وقال صاحب الكشاف المولفة قلوبهم من اسلم من يهودي او نصرانى. وان كان غنيا ٥
وقال بعض المتاخرين اختلف فى صفه المولفة قلوبهم. فقيل هم صنف من الكفار.
يعطون ليتالفوا على الاسلام. وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف. لكن يسلمون بالعطا
والاحسان. وقيل هم قوم اسلموا فى الظاهر. ولم تستيقن قلوبهم. فيعطون ليتمكن الاسلام
فى صدورهم. وقيل هم قوم من عظما المشركين لهم اتباع يعطون ليولفوا اتباعهم
على الاسلام. قال وهذه الاقوال متقاربة. والقصد بجميعها الاعطا لمن لا تتمكن اسلامه
حقيقه الا بالعطا. فاعطاه ضرب من الجهاد ٥ والمشركون بلاثه اصناف. صنف يرجع

با قامة البرهان • وصنف بالقهر وصنف بالاحسان • والاسلام الناظر للمسلمين
ستعمل مع كل صنف ما يراه سببا لنجاته وتخليصه من الكفر • وفي صحيح مسلم
من حديث انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار انى اعطي
رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم الحديث • قال ابن اسحق اعطاهم يتالفهم وسالف
بهم قومهم • وكانوا اشرافا • فاعطى ابا سفين بن حرب مائة بعير • واعطى الحارث بن
هشام مائة بعير • واعطى سهيل بن عمرو مائة بعير • واعطى حويطب بن عبد العزى
مائة بعير • واعطى صفوان بن اميه مائة بعير • وكذلك اعطى مالك بن عوف والعلا
ابن حارثه • قال فهولا اصحاب المئين • واعطى رجالا من قريش دون المايه • منهم مخرمة
ابن نوفل الزهرى • وعمير بن وهب الجمحى • وهشام بن عمرو العامرى • قال ابن اسحق
فهولا لا اعرف ما اعطاهم • واعطى سعيد بن يربوع خمسين بعيرا • واعطى عباس بن
مرداس السلمى اباعر قليله فسخطها • وانشد النبى صلى الله عليه وسلم ابيانا تقدمت
فى غزوه حنين • وقال ابن عبد البر وقد ذكر فى المولفه قلوبهم النضر بن الحارث
ابن علقمة بن كلدة اخو النضر بن الحارث المقتول ببدر صبرا • وذكر آخرون ان
فيمن هاجر الى ارض الحبشه • فهو من المهاجرين الاولين ممن رسخ الايمان فى قلبه •
وقاتل دونه • وليس ممن يولف عليه • قال ابن عبد البر واستعمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مالك بن عوف النصرى على من اسلم من قومه من قبايل قريش • وامره
معاونة ثقيف • ففعل • وضيق عليهم • وحسن اسلامه واسلام المولفة قلوبهم • حاشى
عيينة بن حصن • فلم يزل مغمورا عليه • وساير المولفة متفاضلون • منهم الخير
الفاضل المجتمع على فضيلته • كالحارث بن هشام • وحكيم بن حزام • وعكرمة بن ابى جهل •
وسهيل بن عمرو • ومنهم دون هولا • وقد فضل الله النبيين • وسايرعباده المومنين
بعضهم على بعض • وهو اعلم بهم • قال الامام مالك بلغنى ان حكيم بن حزام اخرج ما
كان اعطاه النبى صلى الله عليه وسلم فى المولفه قلوبهم فتصدق به بعد ذلك •
وحكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزى عاش كل واحد منهما مائة وعشرين سنة •

ستين في الجاهلية وستين في الاسلام • ومات حكيم بالمدينة سنة اربع وخمسين • وكان
مولد حكيم في جوف الكعبة قبل عام الفيل بثلاثة عشر سنة • وكذلك حسان بن ثابت
عاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام • وكذلك حمنن بن عوف
اخو عبد الرحمن بن عوف عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الاسلام • وقد عد
في المولفة قلوبهم معويه • وابوه ابو سفين بن حرب • اما معويه فبعيد ان يكون منهم
وكيف يكون منهم وقد اتمنه النبي صلى الله عليه وسلم على وحي الله وقرانه • واما حاله
في ايام ابي بكر فاشهر من هذا واظهر • واما ابوه فلا كلام فيه انه منهم • وفي
عدهم اختلاف للعلما • وبالجمله فكل المولفة مومن • ولم يكن منهم كافر على ما تقدم
واختلف العلما في بقايهم • فقيل انقطع هذا الصنف بعد الاسلام وظهوره • وهو قول
الامام ابي حنيفه والامام مالك • قال بعض علمآ الحنفيه لما اعز الله الاسلام واهله
وقطع دابر الكافرين اجتمعت الصحابة رضي الله عنهم على سقوط سهمهم • وقيل هم
باقون • لان الامام ربما احتاج ان يستالف على الاسلام • وانما قطعهم عمر لما راى من
اعزاز الدين • والله اعلم الصنف الخامس قوله تعالى وفي الرقاب •
قال الزجاج في الكلام حذف تقديره وفي فك الرقاب • وفي فك الرقاب اقوال
الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين • فيدفع اليهم ليعتقوا به • وهو مذهب
الامام الشافعي • وهو قول جماعة من الفقها • منهم سعيد بن جبير • والنخعي • والزهري
والليث بن سعد • ويدل عليه قول الله تعالى واتوهم من مال الله الذي اتاكم • القول
الثاني وهو مذهب الامام مالك والامام احمد واسحق • ان سهم الرقاب موضوع
لعتق الرقاب • فيشترى به عبيد ويعتقون • ويدل عليه ما روى عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال لا باس ان يعتق الرجل من الزكوه • القول الثالث وهو مذهب ابي
حنيفه واصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبه كامله • ولكن يعطى منها في عتق رقبة
ويعان بها مكاتب • لان قوله تعالى وفي الرقاب يقتضي التبعيض • القول الرابع
وهو قول الزهري • ان سهم الرقاب نصفان • نصف للمكاتبين • ونصف يشترى به عبيدا

ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فتعتقون من الزكاة • قال اصحاب الامام الشافعي
الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب • ويدل عليه ان الله تعالى
اثبت الصدقات للاصناف الاربعه المتقدمة بلام التمليك • فقال انما الصدقات
للفقرا • وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب • فلا بد لهذا الفرق من فايده • وهي ان
الاصناف الاربعة المقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفوا ذلك فيما
شاؤوا • واما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق • ولا يدفع اليهم ولا
يمكنون من التصرف فيه • وكذا القول في الغارمين • فيصرف نصيبهم في قضا ديونهم •
وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو • وكذا في ابن السبيل • فيصرف
اليه ما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه • الصنف السادس قوله تعالى
والغارمين قال الزجاج اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق • والغرام العذاب
اللازم • وسمي العشق غراما لكونه امرا شاقا لازما • ومنه يقال فلان مغرم بالنسا •
اذا كان مولعا بهن • وسمي الدين غراما لكونه شاقا على الانسان • والمراد بالغارمين
هنا المديونون • وهم قسمان • قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية • فيعطون من مال
الصدقات بقدر ديونهم اذا لم يكن لهم مال يفي بديونهم • فان كان عندهم وفا
فلا يعطون • وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين • فيعطون من مال الصدقات
ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنيا • لما روى عن عطا بن يسار ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة • لغاز في سبيل الله • او لعامل عليها •
او لغارم • او لرجل اشتراها بماله • او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين
فاهدى المسكين للغني • اخرجه ابو داود مرسلا • لان عطا لم يدرك النبي صلى الله عليه
وسلم • ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن ابي سعد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه • اما من كان دينه في معصيه فلا يعطى من
الصدقات شيا • ولا من غيرها الا ان يتوب • قال الشفي وكم يقول الدين اذا
حصل بسبب معصية لم يدخل في الاية • لان المقصود من صرف المال المذكور في

الآية الاعانة ٥ واما سبب الحصية فالوجب الاعانة ٥ وان حصل لاسبب معصيه فهو
ضمان ٥ دين حصل بسبب نفقات ضروريه ٥ او حصول مصلحة مهمة ٥ ودين حصل
سبب اصلاح ذات بين ٥ والكلام داخل في الاية ٥ وقال القرطبي ويعطى من الزكاة من
له مال وعليه دين يحيط به ما يقضي به دينه ٥ فان لم يكن له مال وعليه دين فهو فقير
وغارم ٥ فيعطى بالوصفين ٥ وروى مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال اصيب رجل
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لغرمائه خذوا ما وجدتم ٥ وليس لكم الا ذلك ٥ قال ويجوز للمتحمل في صلاح وبر
ان يعطى من الصدقة ما يودي ما تحمل به اذا وجب عليه وان كان غنيا اذا كان ذلك يجحف
بماله كالغريم ٥ وهو قول الامام الشافعي والامام احمد ٥ لحديث قبيصة بن مخارق رضي الله عنه ٥
قال تحملت حمالة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم اسالة فيها ٥ فقال اقم حتى تاتينا الصدقة
فنامر لك بها ٥ ثم قال يا قبيصة ان المسالة لا تحل الا لاحد ثلاثة ٥ رجل تحمل حمالة فحلت
له المسالة حتى يصيبها ثم يمسك ٥ ورجل اصابته جايحة اجتاحت ماله فحلت له
المسالة حتى يصيب قواما من عيش ٥ او قال سدادا من عيش ٥ ورجل اصابته فاقة حتى
يقوم ثلاثة من ذوي الحجى من قومه فيشهدوا له لقد اصابت فلانا فاقة فحلت له المسالة
حتى يصيب قواما من عيش او قال سدادا من عيش ٥ فما سواهن من المسالة يا قبيصة سحتا
ياكلها صاحبها سحتا ٥ فقوله صلى الله عليه وسلم ثم يمسك دليل على انه غني ٥ لان الفقير
ليس عليه ان يمسك ٥ وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسالة لا تحل الا
لاحد ثلاثة ٥ ذي فقر مدقع ٥ او لذي غرم مفظع ٥ او لذي دم موجع ٥ قال
واختلفوا هل يقضى منها دين الميت ام لا ٥ فقال الامام ابو حنيفه لا يودى من الصدقة
دين ميت ٥ ولا يعطى منها من عليه كفارة ٥ ونحو ذلك من حقوق الله تعالى ٥ وانما الغارم
من عليه دين يحبس فيه ٥ وقالت المالكيه يقضى منها دين الميت ٥ لانه من الغارمين ٥
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اولى بكل مومن من نفسه ٥ من ترك مالا فلاهله ٥ ومن ترك
دينا او ضياعا فالي وعلي ٥ الصنف السابع قوله تعالى وفي سبيل الله يعني

نعني وفي النفقة في سبيل الله • واراد به الغزاة فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون
اذا ارادوا الخروج الى الغزو ما يستعينون به على امر الجهاد من النفقه والكسوة
والسلاح والحمولة • فيعطون ذلك وان كانوا اغنيآء لما تقدم من حديث عطا والى
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه • ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند بعض
العلمآء • وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج • يروى ذلك عن ابن عباس •
وهو قول الحسن • واليه ذهب الامام احمد بن حنبل • واسحق بن راهويه • وقال بعضهم ان
اللفظ عام • فلا يجوز قصره على الغزاه فقط • ولهذا اجاز بعض الفقهآء صرف سهم
سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى • وبنآء الجسور • والحصون • وعمارة المساجد •
وغير ذلك • قال لان قوله تعالى وفي سبيل الله عام في الكل • فلا تختص بصنف دون صنف •
والقول الاول هو الصحيح • لاجماع الجمهور عليه • وقال بعض العلمآء قوله وفي سبل الله
هم فقرآء الغزاة والحجيج المنقطع بهم • وقال الامام ابو حنيفه واصحابه لا يعطى الغزاة
من الزكاة الا اذا كانوا محتاجين • وقال الامام مالك والامام الشافعي يعطون من
الزكوة وان كانوا اغنيآء • وفي صحيح البخاري ويذكر عن ابي لاسٍ قال حملنا النبي صلى
الله عليه وسلم على ابل الصدقه للحج • وهذا دليل لمن اجاز من الفقهآء صرف سهم سبل الله
الى جميع وجوه الخير • وخرج الحافظ ابو محمد عبد الغني بسنده عن عبد الرحمن بن
ابي نعيم ويكنى ابا الحكم • قال كنت جالسا مع عبد الله بن عمر فاتته امراة فقالت له
يا ابا عبد الرحمن ان زوجي اوصى بماله في سبيل الله • قال ابن عمر فهو كما قال • في سبيل الله •
فقلت له ما زدتها فيما سالت عنه الا غما • قال فما تامرني يا ابن ابي نعيم • آمرها
ان تدفعه الى هولا الجيوش الذين يخرجون فيفسدون في الارض ويقطعون السبيل •
قال قلت فما تامرها • قال آمرها ان تدفعه الى قوم صالحين • الى حجاج بيت الله الحرام •
اولئك وفد الرحمن • اولئك وفد الرحمن • اولئك وفد الرحمن • امسوا كوفد الشيطان •
بلا ما يقولها • قلت يا ابا عبد الرحمن ما وفد الشيطان • قال قوم يدخلون على هولآ
الامرا فيتمنون اليهم الحديث • ويسعون في المسلمين بالكذب فيجازون الجوايز •

ويعطون العطايا ٥ وقال ابن عبد الحكم ويعطى من الصدقة فى الكراع والسلاح وما
يحتاج اليه من آلات الحرب وكف العدو وغزو الحوزه ٥ لانه كله من سبيل الله ومنفعته ٥
وقد اعطى النبى صلى الله عليه وسلم ماية ناقة فى نازله سهل بن ابى حثمة ٥ اطفأ للنايرة ٥
اخرج هذا الحديث ابو داود عن بشير بن يسار ٥ ان رجلا من الانصار يقال له سهل بن
ابى حثمه اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وداه ماية من ابل الصدقة ٥ يعنى
دية الانصارى الذي قتل بخيبر ٥ الصنف الثامن قوله تعالى وابن السبيل
يعنى المسافر من بلد الى بلد ٥ والسبيل الطريق ٥ ونسب المسافر اليها لملازمته اياها
ومروره عليها ٥ كما قال الشاعر .

ان تسالون عن الهوى فانا الهوى ٥ وابن الهوى واخو الهوى وابوه ٥

وقال آخر

انا ابن الحرب ربتنى ولبدا ٥ الى ان شبت واكتهلت لذاتى ٥

فهل مريد سفرا مباحا ولم يكن له ما ينقطع به مسافه سفره فيعطى من الصدقات ما
يكفيه لموونه سفره ٥ سوا كان له مال فى البلد الذى يقصده اولم يكن له ٥ وقال قتاده
ابن السبيل هو الضيف ٥ وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع ٥ قال
الشفعى وعدل سبحانه عن اللام الى لفظة فى ٥ فى قوله وفى سبيل الاربعة الاخيره ٥
للايذان بانهم ارسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره ٥ لان لفظة فى ٥ للوعاء ٥
فنبه سبحانه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ٥ وقال
ايضا وتكرير لفظة فى ٥ فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين
على الرقاب والغارمين ٥ وقال ايضا لما ذكر تعالى الرقاب ابدل حرف اللام بحرف فى ٥
والفايده فيه هى ان الاصناف الاربعة المتقدمة يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات
حتى يتصرفوا فيها كما شاوا ٥ واما فى الرقاب فيوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم عن الرق
ولا يدفع اليهم ٥ قال وكذا نقول فى الغارمين ٥ يصرف المال الى قضاء ديونهم ٥ وفى الغزاة ٥
يصرف المال الى اعداد ما يحتاجون اليه فى الغزو ٥ وفى ابن السبيل كذلك ٥ والحاصل

ان فی الاصناف الاربعة الاول یصرف المال الیهم حتی یتصرفوا فیه کیف شاءوا. وفی
الاربعة الاخیره لا یصرف المال الیهم. بل یصرف الی جهات الحاجات. وقال بعض
العلما وقعت هذه الآیة یعنی قوله تعالی انما الصدقات للفقرا الی اخرها فی
تضاعیف ذکر المنافقین لیدل بکون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة
دون غیرهم علی انهم لیسوا منهم. حسما لاطماعهم. واشعارا بانهم بعداء عنها
وعن مصارفها. فما لهم ولها. وما سلطهم علی التکلم ولمز قاسمها. وقال
القرطبی اذا جا ابن السبیل وادعی وصفا من الاوصاف هل یقبل قوله ام لا. ویقال
له اثبت ما تقول. فاما الدین فلابد ان یشبته. واما سایر الصفات فظاهر الحال
یشهد له. وتکتفی به فیها. والدلیل علی ذلک حدیثان صحیحان. وهو ظاهر القران.
روی مسلم فی صحیحه بسنده عن جریر رضی الله عنه. قال کنا عند النبی صلی الله علیه
وسلم فی صدر النهار. قال فجاه قوم حفاة عراة مجتابی النمار. او العبا. متقلدی
السیوف. عامتهم من مضر. بل کلهم من مضر. فتمعر وجه رسول الله صلی الله علیه
وسلم لما رای بهم من الفاقه. فدخل ثم خرج. فامر بلالا فاذن واقام فصلی ثم
خطب. فقال یایها الناس اتقوا ربکم الذی خلقکم. الایة الی قوله ان الله کان علیکم رقیبا.
والآیة التی فی الحشر. اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد. تصدق رجل من
دیناره. من درهمه. من ثوبه. من صاع بره. حتی قال ولو بشق تمره. قال فجا
رجل من الانصار بصرة کادت کفه تعجز عنها. بل قد عجزت. قال ثم تتابع الناس.
حتی رایت کومین من طعام وثیاب. حتی رایت وجه رسول الله صلی الله علیه وسلم یتهلل
کانه مذهبة. فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم من سن فی الاسلام سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غیر ان ینقص من اجره شی. ومن سن فی الاسلام
سنة سیئة کان علیه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غیر ان ینقص من اوزارهم
شی. فاکتفی رسول الله صلی الله علیه وسلم بظاهر حالهم. وحث علی الصدقة. ولم یطلب
منهم بینة. ولا استفصل هل عندکم مال ام لا. ومثله ایضا حدیث ابرص

واقرعَ واعمى اخرجه مسلم ايضا مسندة عن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انه فى بنى اسرايل ابرص واقرع واعمى ٥ فاراد الله تعالى ان يبتليهم ٥
فبعث اليهم ملكا فاتى الابرص ٥ فقال اى شئ احب اليك ٥ فقال لون حسن وجلد حسن ٥
ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناسُ ٥ قال فمسحهُ فذهب عنه قذرهُ ٥ واُعطى
لونا حسنا وجلدا حسنا ٥ قال فاى المال احب اليك ٥ قال الابل ٥ او قال البقر شك
اسحقُ ٥ ان الابرص او الاقرع قال احدهما الابلُ ٥ وقال الآخر البقر ٥ قال فاُعطى ناقةً
عُشَرَاءَ ٥ قال فبارك الله لك فيها ٥ قال فاتى الاقرع ٥ فقال اى شئ احب اليك ٥ قال شعر
حسن ٥ ويذهب عنى هذا الذى قد قذرنى الناسُ ٥ قال فمسحه فذهب عنه ٥ قال
فاُعطى شعرا حسنا ٥ قال فاى المال احب اليك ٥ قال البقر ٥ فاُعطى بقرة حاملا ٥ قال
بارك الله لك فيها ٥ قال فاتى الاعمى ٥ فقال اى شئ احب اليك ٥ قال ان يرُد الله الىّ بصرى ٥
فابصر به الناس ٥ قال فمسحه فرد الله عليه بصرهُ ٥ قال فاى المال احب اليك ٥ قال الغنم ٥
قال فاُعطى شاة والدا ٥ فانتج هذان ٥ وولّد هذا ٥ قال فكان لهذا واد من الابل ٥
ولهذا واد من البقر ٥ ولهذا واد من الغنم ٥ قال ثم انه اتى الابرص فى صورته وهيئته ٥
فقال رجل مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى ٥ فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك ٥
اسالك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمالَ ٥ بعيرا اتبلغ به فى سفرى ٥
فقال الحقوق كثيرة ٥ فقال كانى اعرفك ٥ الم تكن ابرص يقذرك الناس ٥ وفقيرا فاعطاك
الله ٥ فقال انما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ٥ قال ان كنت كاذبا فصيّرك الله الى ما
كنتَ ٥ قال واتى الاقرع فى صورته ٥ فقال له مثل ما قال لهذا ٥ ورد عليه مثل ما رد عليه
هذا ٥ قال ان كنتَ كاذبا فصيّرك الله الى ما كنت ٥ قال واتى الاعمى فى صورته
وهيئته ٥ فقال رجل مسكين وابن سبيل ٥ وقد انقطعت بى الحبال فى سفرى ٥ فلا بلاغ لى اليوم
الا بالله ثم بك ٥ اسالك بالذى رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها فى سفرى ٥ فقال قد كنتُ
اعمى فرد الله علىّ بصرى ٥ فخُذ ما شئت ودَع ما شئت ٥ فوالله لا اَجهَدُكَ اليوم شيا
اخذتَه لله ٥ فقال اَمسِك عليك مالَك ٥ فانما ابتُليتم ٥ فقد رُضِىَ عنك ٥ وسُخِطَ على

هاجبيك ٥ قال وفي هذا الحديث اكد دليل على ان من ادعى زيادة على فقره من
عيال او غيره لا يكشف عنه ٠ خلافا لمن قال يكشف عنه ان قدر ٠ فان في الحديث قال
رجل مسكين وابن سبيل اسالك شاة ٠ ولم يكلفه اثبات السفر ٥ فاما المكاتب فانه
يكلف اثبات الكتابة ٠ لان الرق هو الاصل حتى يثبت الحرية ٠ ولا يجوز ان يعطى من
الزكاة من يلزمه نفقته ٠ وهم الوالدين ٠ والولد ٠ والزوجة ٠ فان اعطى الامام صدقة
الرجل لولده ووالده وزوجته جاز ٠ واما اذا اعطاهم ذلك نفسه فلا ٥ لانه يسقط
بها عن نفسه فرضا ٥ وقال الامام ابو حنيفه ولا يعطى منها ولد ابنه ٠ ولا ولد بنته ٠
ولا يعطى مكاتبه ٠ ولا مدبره ٠ ولا ام ولده ٠ ولا عبدا اعتق بعضه ٠ لانه مامور بالايتا
والاخراج الى الله تعالى بواسطة كف الفقير ٥ ومنافع الاملاك مشتركه بينه وبين هولا ٥
ولهذا لا تقبل شهادة بعضهم لبعض ٥ ومعتق البعض عند الامام ابى حنيفه بمنزلة
المكاتب ٥ وعند ابى يوسف ومحمد بن الحسن بمنزله حر مديون ٠ فيجوز ادا اوها اليه ٥
وقال بعض اصحاب الامام مالك اذا دفع الزكاة الى من لا تلزمه نفقتهم ففيه
خلاف عند علمايتنا ٠ منهم من جوزه ٠ ومنهم من كرهه ٥ قال الامام مالك افضل من
وضعت فيه زكاتك قرابتك الذين لا تعول ٥ وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لزوجة
عبد الله بن مسعود لك اجران اجر الصدقة واجر القرابة ٥ واختلفوا فى اعطا
المراة زكاتها لزوجها ٥ فقال الامام ابو حنيفه لا يجوز ٥ وقال صاحباه يجوز ٥
لحديث زينب امراة ابن مسعود ٠ وقول النبى صلى الله عليه وسلم لها لك اجران اجر الصلة
واجر القرابه ٠ قال الامام ابو حنيفه حديث زينب محمول على صدقه التطوع ٥
قال القدورى واختلفوا ايضا فى قدر المعطى ٥ فالغارم يعطى قدر دينه ٠ والفقير
والمسكين يعطيان كفايتهما وكفاية عيالهما ٠ وفى جواز اعطا النصاب واقل منه
خلاف يبتنى على الخلاف المتقدم فى حد الفقر الذى يجوز معه الاخذ ٠ ففى قول
الامام ابى حنيفه كراهة اعطا النصاب مع الجواز ٠ وفى قول ابى يوسف يجوز من غير
كراهة ٠ لان بعضه مشغول بحاجته ٠ وكان الفاضل عن حاجته دون المايتين ٥ واذا

اعطاه اكثر من مايتي درهم جمله كان الفاضل عن حاجته للحال قدر المايتين ۰ فلا يجوز ۰
ومن متاخري الحنفية من قال هذا اذا لم يكن له عيال ولم يكن عليه دين ۰ فان كان عليه
دين لا باس ان يعطيه مايتي درهم او اكثر ۰ مقدار ما لو قضى به دينه يبقى له دون المايتين ۰
وان كان معيلا لا باس ان يعطيه مقدار ما لو وزع على عياله اصاب كلّ واحد
منهم دون المايتين ۰ لان التصدق عليه في المعنى تصدق عليه وعلى عياله ۰ وهذا
قول حسن ۰ واعلم ان قول الله تعالى للفقرا مطلق ۰ ليس فيه شرط وتقييد ۰ بل
فيه دلالة جواز الصرف الى جملة الفقرا ۰ سواء كانوا من بني هاشم او غيرهم ۰ الا ان
السنة وردت باعتبار شروط ۰ منها ان لا يكونوا من بني هاشم ۰ وان لا يكونوا ممن
يلزم المتصدق نفقتهم ۰ وهذا لا خلاف فيه ۰ ولا خلاف من العلما ان الصدقة
المفروضة لا تحل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لبني هاشم ۰ ولا لموالي بهم ۰ وروي عن ابي
يوسف جواز صرف صدقة الهاشمي للهاشمي ۰ وشذ جماعة بعض اهل العلم فقال
ان موالي بني هاشم لا يحرم عليهم شي من الصدقات ۰ وهذا خلاف الثابت عن النبي صلى
الله عليه وسلم ۰ فانه قال لابي رافع مولاه وان مولى القوم منهم ۰ واختلفوا في
جواز صدقة التطوع لبني هاشم ۰ فالذي عليه الجمهور وهو الصحيح ان صدقة التطوع
لا باس بها لبني هاشم ومواليهم ۰ لان عليا والعباس وفاطمة رضوان الله عليهم تصدقوا
واوقفوا اوقافا على جماعة من بني هاشم ۰ وصدقاتهم الموقوفة معروفة مشهورة ۰
واختار هذا القول ابو يوسف ومحمد بن الحسن ۰ وقيل لا يعطون من المفروضة ولا
من التطوع ۰ والحديث الذي جا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد
انما ذلك في الزكوة ۰ لا في التطوع ۰ والله اعلم وقوله تعالى فريضة من الله يعني
ان هذه الاحكام التي ذكرها الله تعالى في هذه الاية فريضة واجبة من الله ۰ وقيل
فرض الله هذه الاشيا فريضة ۰ فتكون في معنى المصدر المؤكد ۰ ويكون منصوبا به عند
سيبويه ۰ ويجوز الرفع على القطع في قول الكسائي ۰ اي هن فريضة ۰ قال الزجاج ولا
اعلم قرئ به ۰ وروي انها قراة بن ابي عبلة ۰ جعلها خبرا ۰ كما تقول انما زيد خارج ۰

والله اعلم مراده هذا ما ذكره المفسرون في اية الزكوة ٥ وبسط الشيخ ابو
حامد الغزالي رحمه الله في احكام الزكاه وشروطها الظاهرة والباطنة • فقال اعلم
ان الله تعالى جعل الزكاة احدي مباني الاسلام • فما ردفها بذكر الصلاة التي هي اعلا الاعلام ٥
فقال تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكوة • وقال النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على
خمس شهادة ان لا اله الا الله • وان محمدا رسول الله • واقام الصلاة • واتا الزكوه • الحديث ٥
وشدد سبحانه الوعيد على المقصرين فيه • فقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضه
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم • ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق
الزكوة • وقال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر رضي الله عنه • وقال
بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم • وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم •
وفي رواية انه يوضع على حلمة ثدي احدهم فيخرج من كتفيه • ويوضع على نغض
كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل ٥ وقال رضي الله عنه انتهيت الى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبه • فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبه •
فعلت من هم • قال الاكثرون اموالا • الا من قال هكذا • وهكذا من بين يديه • ومن خلفه
وعن يمينه • وعن شماله • وقليل ما هم • ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يودي زكاتها
الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها • وتطاوه باظلافها •
كلما نفدت اخراها عادت اولاها حتى يقضي بين الناس • فاذا كان هذا التشديد
مخرجا في الصحيحين فصار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها
الجليه والخفية • ومعانيها الظاهرة والباطنة • مع الاقتصار على ما لا يستغني عن
معرفته مؤدي الزكاة وقابضها • ونكشف ذلك في اربعة فصول • الاول في انواع
الزكوات واسباب وجوبها • الثاني في اداتها وشروطها الباطنه والظاهره • الثالث
في القابض وشروط استحقاقه واداب قبضه ٥ الرابع في صدقة التطوع وفضلها ٥
الفصل الاول في انواع الزكوات ٥ اعلم رحمك الله ان اسباب الوجوب والزكوات
باعتبار متعلقاتها ستة انواع ٥ زكوة الغنم ٥ وزكاة النقدين ٥ وزكاة التجارة ٥ وزكوه

الزكاز • وزكاة المعادن وزكاة المعشرات • وزكوه الفطر • ولا تشترط البلوغ • بل تجب
في مال الصبي والمجنون • هذا شرط من عليه الزكوه • واما المال فشروطه خمسه •
ان تكون نعما سايمة باقيه حولا كاملا مملوكا على الكمال • الشرط الاول كونه نعما •
فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم • اما الخيل والحمير والمتولد من الظبآ والغنم فلا
زكاة فيها • الثاني السوم • فلا زكاة في معلوفة • واذا اسيم في وقت واعلف في وقت
فظهر مؤونته فلا زكوه فيه • الثالث الحول • قال النبي صلى الله عليه وسلم لا زكاة في
مال حتى يحول عليه الحول • ويستثنى عن هذا نتاج المال • فانه ينسحب عليها حكم المال •
وتجب الزكوه فيها بحول الاصول • ومهما باع المال في اثنآ الحول او وهبه انقطع الحول •
الرابع كمال الملك والتصرف • فتجب الزكوه في الماشية المرهونه • لانه هو الذي حجر
على نفسه فيه • ولا تجب الزكوة في الضال والمغصوب • الا اذا عاد بجميع نمايه • فتجب
زكاة ما مضى عند عوده • ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكوه عليه • فانه
ليس غنيا به • اذ الغنا انما هو بما يفضل عن الحاجة • الخامس كمال النصاب • اما
الابل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا • فاذا بلغت خمسا ففيها جذعة من الضان •
وهي يكون في السنة الثانيه • او شيه من المعز • وهي التي دخلت في السنه الثالثة • وفي
عشر شاتان • وفي خمس عشره ثلاث شياه • وفي عشرين اربع شاه • وفي خمس وعشرين
بنت مخاض • وهي التي يكون في السنه الثانيه • فان لم يكن في المال بنت مخاض فابن
لبون ذكر • وهو الذي دخل في السنة الثالثه • يوخذ • وان كان قادرا على شرايها •
وفي ست وثلاثين بنت لبون • ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقه • وهي الذي
في السنه الرابعه • فاذا صارت احدي وستين ففيها جذعة • وهي التي في السنة
الخامسة • فاذا صارت ستا وتسعين ففيها بنتا لبون • فاذا صارت احدى وتسعين
ففيها حقتان • فاذا صارت احدى وعشرين ومايه ففيها ثلاث بنات لبون • فاذا
صارت مايه وثلاثين فقد استقر الحساب • ففي كل خمسين حقة • وفي كل اربعين بنت لبون •
واما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين • فاذا بلغت ثلاثين ففيها تبيع • وهو الذي

الى ح

فى السنة الثانية ٥ ثم فى اربعين مسنه ٥ وهى التى فى السنة الثالثة ٥ ثم فى ستين تبعان ٥
واستقر الحساب بعد ذلك ٥ ففى كل اربعين مسنه ٥ وفى كل ثلاثين تبع ٥ واما الغنم
فلا زكوه فيها حتى تبلغ اربعين ٥ فاذا بلغت اربعين ففيها شاة جذعة من الضان ٥ او
ثنيه من المعز ٥ ثم لا شى فيها حتى تبلغ مايه وعشرين ٥ وواحدة ٥ فيكون فيها شاتان
الى مايتين وواحدة ٥ فيكون فيها ثلاث شاه الى اربع مايه ٥ فيكون فيها اربع شاه ٥ ثم
استقر الحساب ٥ ففى كل مائة شاةٍ شاة ٥ وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد
فى النصب ٥ فاذا كان بين اثنين اربعون شاة من الغنم ففيها شاة ٥ وان كان بين ثلاثة
نفر مائة وعشرون شاة ففيها شاة على جميعهم ٥ وخلطة الجوار كخلطه
الشيوع ٥ وكلى شرط ان يريحا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ٥ وليس جامعا ٥ ويكون المرعى
معا ٥ ويكون انزاء الفحل معا ٥ وان يكونا جميعا من اهل الزكوه ٥ ولا حكم للخلطة
مع الذمى والمكاتب ٥ ومتى نزل فى واجب الابل عن سن الى سن فهو جايز ٥ مالم يجاوز
بنت المخاض فى النزول ٥ ولكن يضم اليه جبران السن لسنةٍ واحده شاتين ٥ او عشرين
درهما ٥ ولستين اربع شياه ٥ او اربعون درهما ٥ وله ان يصعد فى السن مالم يجاوز
الجذعة فى الصعود ٥ ويا خذ الجبران من الساعى من ست المال ٥ ولا يوخذ فى
الزكاة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ٥ ولو واحدة ٥ ويوخذ من الكرام كريمة ٥
ومن اللئام لئيمة ٥ ولا يوخذ من المال الاكولة ٥ ولا الماخض ٥ ولا الربا ٥ ولا الفحل ٥
ولا غذا الماك ٥ النوع الثانى زكوة المعشرات ٥ يجب العشر فى كل مستنبت
مقتات بلغ ثمان مايه مَنٍّ ٥ ولا شى فيما دونها ٥ ولا شى فى الفواكه والقطن ٥ ويجب
فى الحبوب التى تقتات ٥ وفى التمر والزبيب ٥ ويعتبر ان يكون ثمان مايه منا من تمر
او زبيب ٥ لا رطبا وعنبا ٥ ويخرج ذلك بعد التجفيف ٥ ويكمل مال احد الخليطين عاد الآخر
فى خلطة الشيوع ٥ كالبستان المشترك بين ورثه لجميعهم ثمان مايه مَنٍّ من زبيب ٥
فيجب على جميعهم ما نون منا من زبيب بقدر حصصهم ٥ ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ٥
ولا يكمل نصاب الحنطه بالشعير ٥ ويكمل نصاب الشعير بالسلت ٥ فانه نوع منه ٥

هذا هو قدر الواجب ان كان يسقى بفتح او قناه • فان كان يسقى بنضح او دالية
فيجب نصف العشر • فان اجتمعا فالاغلب يعتبر • واما صفه الواجب
فالتمر • والزبيب اليابس • والحب اليابس بعد التنقيه • ولا يوخذ عنب ولا رطب •
الا اذا حلت بالاشجار عاهة • وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الادراك • فيوخذ آف
الرطب • فيكال تسعة للمالك • وواحد للفقير • ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان
القسمة بيع • بل يرخص فى مثل هذه للحاجة • ووقت الوجوب حين يبدو
الصلاح فى الثمار وان تشتد الحب • ووقت الادا بعد الجفاف • النوع
الثالث زكوة النقدين • فاذا تم الحول على وزن مايتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة
ففيها خمسه دراهم • وهو ربع العشر • وما زاد فبحسابه • ونصاب الذهب عشرون ولو درهم
دينارا خالصا بوزن مكه • ففيها ربع العشر • وما زاد فبحسابه • وان نقص من النصاب
حبة فلا زكاة • وتجب على من معه دراهم مغشوشة • اذا كان فيها هذا المقدار من
النقرة الخالصة • وتجب الزكاة فى التبر • وفى الحلى المحظور • كاوانى الذهب والفضه
ومراكب الذهب للرجال • ولا تجب فى الحلى المباح • وتجب فى الدين الذى هو على
ملى • ولكنها تجب عند الاستيفا • وان كان الدين موجلا فلا تجب الا بعد حلول الاجل •
النوع الرابع زكوه التجارة • وهى كزكاة النقدين • وانما تنعقد الحول
من وقت ملك النقد الذى اشترى به البضاعة ان كان النقد نصابا • او اشترى
بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشرا • وتودى الزكاة من نقد البلد •
وبه يقوم • فان كان ماله الشرا نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى
من نقد البلد • ومن نوى التجارة فى مال قنية فلا تنعقد الحول بمجرد نيته
حتى يشترى به شيا • ومتى قطع نيه التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة •
والاولى ان تودى زكوة تلك السنة • وما كان من نتج فى السلعة فى آخر الحول
وجب الزكوة فيه بحول راس المال • ولم يستانف له حول • كما فى النتاج • واموال
الصيارفة لا تنقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كساير التجارات • وزكوه نتج

مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة • هذا هو الاقيس • النوع الخامس
الركاز والمعدن • والركاز ما دفن في الجاهليه ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام
ملك • فعلى واجدها في الذهب والفضة منه الخمس • والحول غير معتبر • والاولى
ان لا يعتبر النصاب ايضا • لان ايجاب الخمس يوكد شبهه بالغنيمه • واعتباره ايضا
ليس ببعيد • لان مصرفه مصرف الزكوات • ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين •
واما المعادن فلا زكوه فيما استخرج منها سوى الذهب والفضه • ففيهما
بعد التخليص ربع العشر على اصح القولين • وعلى هذا يعتبر النصاب • وفي الحول قولان •
وفي قول يجب الخمس • فعلى هذا لا يعتبر الحول • وفي النصاب قولان • والاشبه والعلم
عند الله ان يلحق في قدر الواجب بزكوه التجاره • فانه نوع اكتساب • وفي الحول
بالمعشرات • فلا يعتبر • لانه عين الرفق • ويعتبر النصاب كالمعشرات • والاحتياط ان
يخرج الخمس من القليل والكثير • ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة هذه الاحتمالات •
فانها ظنون قريبة من التعارض • وجزم الفتوى فيها يخطر لتعارض الاشباه • والله اعلم •

٢ خ
الطحن والتحصيل

النوع السادس صدقه الفطر • وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه
وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت عياله يوم الفطر وليلته • صاع مما يقتات
بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم • وهو منّان وثلثا منٍّ يخرجه من جنس قوته • او
من افضل منه • وان اقتات الحنطة لم يجز الشعير • وان اقتات حبوبا مختلفه
اختار خيرها • ومن ايها اخرج اجزأه • وقسمتها كقسمة زكوه الاموال فيجب
فيها استيعاب الاصناف • ولا يجوز اخراج الدقيق والمسوس • ويجب على الرجل

٢ ر خ
من يقوته

المسلم فطرة زوجته المسلمة • ومماليكه • واولاده • وكل قريب هو في نفقته • اعني
من تجب عليه نفقته من الاباء والامهات والاولاد • قال النبي صلى الله عليه وسلم ادوا
صدقه الفطر عن من تمونون • وتجب صدقه العبد المشترك على الشريكين • ولا
تجب صدقه العبد الكافر • وان تبرعت الزوجة عن نفسها بالاخراج اجزاته •
وللزوج الاخراج عنها دون اذنها • وان فضل عنهم ما يؤدي عن بعضهم دون بعض

ادى عن بعضهم ٥ واولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد ٥ وقد قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم نفقة الولد على نفقة الزوجة ٥ ونفقة الزوجة على نفقة الخادم ٥
فهذه احكام ففقهيه لابد للغنى من معرفتها ٥ وقد يعرض له وقايع نادرة خارجه
عن هذا ٥ فله ان يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعه بعد احاطته بهذا المقدار ٥
والله تعالى اعلم **الفصل الثانى** فى الادا وشروطه الباطنه والظاهره ٥ اما بيان
الشروط الظاهرة ٥ فاعلم انه يجب على مودى الزكوه مراعاة خمسة امور ٥ الاول النيه ٥
وهو ان ينوى بقلبه زكوه الفرض ٥ وليس عليه تعيين الاموال ٥ فان كان له مال غايب
فقال هذا عن مالى الغايب ان كان سالما ٥ والا فهو نافلة جاز ٥ لانه لو لم يصرح به فكذلك
يكون عند اطلاقه ٥ ونية الولى تقوم مقام نيه المجنون والصبى ٥ ونية السلطان
تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكوه ٥ ولكن فى ظاهر حكم الدنيا ٥ اعنى فى قطع المطالبه
عنه ٥ اما فى الاخرة فلا ٥ بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستانف الزكوه ٥ واذا وكل
بادا الزكوة ونوى عند التوكيل التوكل ٥ او وكل الوكيل بالنيه كفاه ٥ لان توكيله
بالنية نية ٥ الثانى البراءة عقب الحول ٥ وفى زكوه الحول الفطر لا يوخرها عن
يوم الفطر ٥ ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان ٥ ووقت تعجيلها
شهر رمضان كله ٥ ومن اخر زكاة ماله مع التمكن عصا ٥ ولم تسقط عنه تلف ماله ٥
وتمكنه مصارفه المستحق ٥ وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه ٥
وتعجيل الزكوة جايز بعد بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ٥ ويجوز
تعجيل زكوه حولين ٥ ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا
بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع اليه ليس بزكوة ٥ واسترجاعه
ليس ممكنا الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع ٥ فليكن المعجل آخر الامر وسلامة العاقبه ٥
الثالث ان لا يخرج بدلا ما عتبار القيمة ٥ بل يخرج المنصوص عليه ٥ فلا يجزى ورق
عن ذهب ٥ ولا ذهب عن ورق ٥ وان زاد عليه فى القيمه ٥ ولعل بعض من لا يدرك غرض
الامام الشافعى رحمه الله يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخله ٥ وما

مراقبام

ابعده عن التحصيل. فان سد الخله مقصود. وليس هو كل المقصود. بل واجبات
الشرع ثلاثة اقسام. قسم هو تعبد محض. لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه. وذلك
كرمي الجمرات مثلا. اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصا اليها. فمقصود الشرع في ذلك
الابتلاء بالعمل. ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى. لان ما
يعقل معناه قد يساعده الطبع عليه ويدعوا اليه. فلا يظهر به خلوص الرق
والعبودية. اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لمحض امر المعبود فقط. لا لمعنى
آخر. واكثر اعمال الحج كذلك. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في آخر احرامه لبيك
حجة حقا. تعبدا ورقا. تنبيها على ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد المجرد للامر
وامتثاله كما امر من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه وبحث عليه. القسم
الثاني من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول. وليس يقصد منه التعبد.
كقضاء دين الادميين. ورد الغصوب. فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته. ومهما وصل
الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط
خطاب الشرع. فهذان قسمان لا تركيب فيهما. يشترك في دركهما جميع الناس.
القسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الامران معا. وهو حظ العباد.
وامتحان المكلف بالاستعباد. فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار. وحظ رد الحقوق.
فهذا قسم في نفسه معقول. فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين. ولا
ينبغي ان ينسى ادق المعنيين. وهو التعبد والاسترقاق سبب احدهما. ولعل
الادق هو الاهم. والزكوة من هذا القبيل. ولم ينبه له غير الامام الشافعي رحمه الله.
فحظ الفقير مقصود في سد الخله. وهو جلي سابق الى الافهام. وحق التعبد
في اتباع التفاصيل مقصود الشرع. وباعتباره صارت الزكوة قربة من الصلاة
والحج في كونها من مباني الاسلام. ولا شك ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس ماله
واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته. ثم توزيعه على الاصناف الثمانية
كما سياتي. والتساهل منه غير قادح في حق الفقير. ولكنه قادح في التعبد. ويدل

على ان التعدد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها فى كتاب الخلاف من الفقهات ٥
ومنّ اوضحها ان الشرع اوجب فى خمس من الابل شاة. فعدل عن الابل الى شاة ٥
ولم يعدل الى النقدين والتقويم. وان قدّر ان ذلك لقلة النقود فى ايدى العرب بطل
بذكره عشرين درهما فى الجبران مع الشاتين. فلمّ لم يذكر فى الجبر ان قدر النقصان
من القيمه. ولمّ قدّر بعشرين درهما وشاتين. ان كانت الثياب والامتعة كلها فى
معناها. فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكوه لم تترك خالية عن
التعبدات كما فى الحج. ولكن جمع بين المعنيين. والاذهان الضعيفة تقصر عن درك
المركبات. فهذا مثار الغلط فيه. القسم الرابع ان لا ننقل الزكاة الى بلد
آخر. فان اعيُن المساكين فى كل بلد تمتد الى اموالها. وفى النقل تخييب الظنون. فان
فعل ذلك اجزاه فى قول. ولكن الخروج عن شبهه الخلاف اولى. فليخرج زكاة كل
مال فى تلك البلدة التى المال فيها. ثم لا باس ان يصرف الى الغربا فى تلك البلده ٥
القسم الخامس ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين فى بلده. فان الاستيعاب
للاصناف واجب. وعليه يدل ظاهر قول الله تعالى انما الصدقات للفقرا والمساكين ٥
فانه شبيهٌ بقول المريض انما ثلث مالى للفقرا والمساكين. وذلك يقتضى التشريك فى
التمليك. والعبادات ينبغى ان تُتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر. وقد عدم من
الثمانية صنفان فى اكثر البلاد. وهم المولفة قلوبهم. والعاملون على الزكوه. ويوجد
فى جميع البلاد اربعة اصناف. الفقرا والمساكين. والغارمون. والمسافرون. اعنى
ابنآ السبيل. وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون بعض. وهم الغزاة والمكاتبون.
فان وُجد خمسة اصناف مثلا قسّم زكوه ماله بخمسة اقسام متساويه. وعيّن لكل
صنف قسما. ثم قسّم كل قسم بسلاتهِ اسهم فما فوقه. اما متساوية او متفاوته. وليس
عليه التسوية بين آحاد الصنف. فان له ان يقسمه على عشره وعشرين. فينقص
نصيب كل واحد. واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان. ولا ينبغى ان ينقص
كل صنف من ثلثه ان وجدوا. ولو لم يجب الاصناف فى الفطرة ووجد خمسه اصناف

فعليه ان يوصله الى خمسه عشر نفرا • فلو نقص منهم واحدا من الامكان غرم نصيب
ذلك الواحد • فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك الجماعة ممن عليهم الزكوه •
وليخلط مال نفسه بمالهم • او ليجمع المستحقين ولسلمه اليهم حتى يتساهموا فيه • فان
ذلك لابد منه • واما بيان دقايق الاداب الباطنه في الزكوه • فاعلم
رحمك الله ان على مريد طريق الاخرة لزكاته وظايف • الاولى فهم وجوب الزكوه •
ومعناها • ووجه الامتحان فيها • ولم جعلت من مباني الاسلام • مع انها تصرف مالي •
وليست من عبادات الابدان • وفي ذلك ثلاثة معان • الاول ان التلفظ بكلمتي الشهاده
التزام للتوحيد • وشهاده بافراد المعبود • وشرط تمام الوفا بذلك ان لا يبقى للموحد
محبود سوى الواحد الفرد • فان المحبة لا تقبل الشركه • والتوحيد باللسان قليل
الجدوى • وانما تتحقق درجه الحب بمفاوقه المحبوبات • والاموال محبوبه عند
الخلق • لانها آلة تمتعهم في الدنيا • وبسببها يأنسون بهذا العالم • وينفرون عن الموت •
مع ان فيه لقا المحبوب • فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب • واستنزلوا عن المال
الذي هو مركوبهم ومعشوقهم • ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة • وذلك بالجهاد • وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقا
الله تعالى • والمسامحة بالمال اهون • ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم
الناس الى ثلاثة اقسام • فقسم صدقوا في التوحيد • ووفوا بعهده • ونزلوا عن جميع
اموالهم • فلم يدخروا دينارا ولا درهما • وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم •
حتى قيل لبعضهم كم يجب في مايتي درهم زكوه • فقال اما على العوام بحكم الشرع
فخمسة دراهم • واما نحن فيجب علينا بذل الجميع • ولهذا جا ابو بكر الصديق
رضي الله عنه بجميع ماله • وعمر بشطر ماله • فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ماذا
ابقيت لاهلك • فقال مثله • وقال لابي بكر ماذا ابقيت لاهلك • فقال الله ورسوله •
فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما • فالصديق وفى بتمام الصدق • فلم
يمسك سوى المحبوب عنده • وهو الله ورسوله • القسم الثاني درجتهم دون

درجة هولا • وهم المسكون اموالهم • المراقبون لمواقيت الحاجات • ومواسم الخيرات ٥
فيكون مقصودهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة • دون التنعم • وصرف الفاضل
عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجهها • فهولا لا يقتصرون على مقدار الزكوه ٥
وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكاة • كالنخعي والشعبي
وعطا ومجاهد • قال الشعبي رحمه الله لما قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال
نعم • اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى • واليامى • والمساكين وابن
السبيل • والسائلين • وفي الرقاب ٥ واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ٥
وبقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم • وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكوه • بل
هو داخل في حق المسلم على المسلم • ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا
ان ينزيل حاجته • فضلا عن مال الزكوه • والذي يصح من هذا في الفقه انه مهما ارهقت
حاجة كان ازالتها فرض كفاية • اذ لا يجوز تضييع مسلم • ولكن يحتمل ان يقال ليس على
الموسر الا تسليم ما تزيل الحاجة قرضا • ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكوه
عن نفسه • ويحتمل ان نقال يلزمه بذله في الحال • ولا يجوز له الاقراض • اي لا يجوز
تكليف الفقير قبول القرض • وهذا مختلف فيه • والاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة
من درجات العوام • القسم الثالث الذين يقتصرون على ادا الواجب • فلا يزيدون وهي درجة م
عليه • ولا ينقصون منه • وهي اقل الرتب • وقد اقتصر مع العوام على ذلك لجهلهم •
ولبخلهم بالمال • وميلهم اليه • وضعف حبهم للاخرة • قال الله تعالى ان يسالكموها
فيحفكم يبخلوا • اي يستقصي عليكم • فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له يحفكم ح
الجنة • وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله • فهذا احد معاني امر الله تعالى عباده
ببذل الاموال ٥ المعنى الثاني التطهر عن صفات البخل • فانه من المهلكات • قال
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات • شح مطاع • وهوى متبع • واعجاب المرء بنفسه ٥
وقال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ٥ وانما تزول صفة البخل
بان تعود بذل المال • فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس عن مفارقته حتى يصير

ذلك اعتيادا • فالزكوه بهذا المعنى طهرة • اى تطهرصاحبها عن حبث البخل المهلك •
واما طهارته بقدر بذله • وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله •
المعنى الثالث شكر النعمة • فان لله تعالى على عبده نعمة فى نفسه وفى ماله •
فالعبادات البدنيه شكر لنعمة البدن • والمالية شكر لنعمة المال • وما احسن
من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه فى الرزق واحوج اليه ثم لا يسمح نفسه بان
يودى شكر الله تعالى على اغنائه عن السوال واحواج غيره اليه بربع العشر او
العشر من ماله ٥ الوظيفه الثانية فى وقت الادا ٥ ومن آداب
ذوى الدين التعجيل على وقت الوجوب • اظهارا للرغبه فى الامتثال • وايضا للسرور
الى قلوب الفقرا • ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات • وعلما بان فى
التاخير افات • مع ما تعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ٥
ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فسغى ان تغتنم • فان ملك لمة الملك • وقلب
المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن • فما اسرع تقلبه • والشيطان يعد الفقر
ويامر بالفحشا • وله لمة عقيب لمة الملك • فليغتنم الفرصة فيه • وليعين لزكاته
ان كان يودیها شهرا معلوما • وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات • ليكون ذلك
سببا لنما قربته • وتضاعف زكوته • وذلك كشهر المحرم • فانه اول السنة • وهو
من الاشهر الحرم • او شهر رمضان • فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اجود الخلق
فيه • وكان صلى الله عليه وسلم فى رمضان كالريح المرسلة • لا يمسك فيه شيا •
ولرمضان ليلة القدر • وانه انزل فيه القران • وكان مجاهد يقول لا تقولوا فضله
رمضان فانه اسم من اسما الله تعالى • ولكن قولوا شهر رمضان ٥ وذوا الحجه ايضا
من الشهور الكثيره الفضل • فانه شهر حرام • وفيه الحج الاكبر • وفيه الايام المعلومات •
وهى العشر الاول • والايام المعدودات • وهى ايام التشريق • وافضل ايام شهر رمضان
العشر الاواخر • وافضل ايام ذى الحجة العشر الاول ٥ الوظيفه الثالثه
الاسرار • فان ذلك ابعد عن الريا والسمعة • قال النبى صلى الله عليه وسلم افضل

الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال لبعض العلماء ثلاث من كنوز الجنة البر
منها اخفا الصدقة وقد روي مسندا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل
عملا في السر فيكتبه الله له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان
حدث به نقل من السر وكتب ريا والحديث المشهور سبعة يظلهم الله في ظله
يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطته يمينه
وفي الخبر صدقة السر تطفي غضب الرب وقال الله تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقرا
فهو خير لكم وفايدة الاخفا الخلاص من آفة الريا والسمعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تقبل الله من مسمع ولا مرائي ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي
في ملا من الناس يبتغي الريا والاخفا والسكوت هو المخلص من ذلك وقد بالغ
في قصد الاخفا جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي وكان بعضهم
يلقي صدقته في يد اعمى وبعضهم يلقيها في طريق الفقير وهو نايم وبعضهم كان يصر
صدقته في ثوب الفقير وهو نايم وبعضهم كان يوصل صدقته الى الفقير على يد غيره
بحيث لا يعرف المعطي وكان بعضهم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك
توصلا الى اطفا غضب الرب عز وجل واحترازا من الريا والسمعة ومهما
لم يتمكن من الاعطا الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمها الى وكيل ليسلمها الى المسكين
والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الريا والمنة جميعا وليس في معرفة
المتوسط الا الريا فقط ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله
لان الزكاة ازاله للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلا على النفس
من المال وكل واحد منهما مهلك في الاخره ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم
المثال عقربا لداغا وصفة الريا في القبر في حكم المثال تنقلب افعى من الافاعي
وهوامور تضعفهما او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما
قصد الريا والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب قوتا للحيه فبقدر ما ضعف
من العقرب زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه

وقوت هذه الصفات التى به قوتها العمل بمقتضاها • وضعف هذه الصفات بمجاهدتها
ومخالفتها • والعمل بخلاف مقتضاها • فاى فايده فى ان يخالف داعى البخل ويجيب داعى
الريآ فيضعف الادنى ويقوى الاقوى ٥ الوظيفه الرابعه ان يظهر حيث
يعلم ان فى الاظهار ترغيبا للناس فى الاقتدا • ويحرس سره عن داعية الريآ ٥ وقد
قال الله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى • وذلك حين يقتضى الحال الابدا • اما للاقتدا
واما لان السايل انما سال على ملا من الناس • فلا ينبغى ان يترك التصدق خيفه من
الريآ فى الاظهار • بل ينبغى ان يتصدق ويحفظ سره عن الريآ بقدر الامكان • وهذا
لان فى الاظهار محذورا بالثا سوى المن والريآ • وهو هتك ستر الفقير • فانه ربما
يتاذى بان يرى فى صوره المحتاج • فمن اظهر السوال فهو الذى هتك ستر نفسه ٥
فلا يجوز هذا المعنى فى اظهاره • وهو كاظهار الفسق على من يستتر به • وذلك محظور •
والتحسر فيه والاغتياب بذكره منهى عنه • فاما من اظهره فاقامة الحد عليه
اشاعة • ولكنه هو السبب فيها • ومثل هذا المعنى قال النبى صلى الله عليه وسلم من القى
جلباب الحيا فلا غيبة له • وقد قال الله تعالى انفقوا مما رزقناكم سرا وعلانيه ٥
ففيه ندب الى العلانيه ايضا • لما فيها من فايده الترغيب • فليكن العبد دقيق الناظر
فى وزن هذه الفايده بالمحذور الذى فيها • فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص ٥
فقد يكون الاعلان فى بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل • ومن عرف الفوايد
والغوايل ولم ينظر بعين الشهوه اتضح له الاولى والاليق بكل حال • ٥
الوظيفه الخامسة ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى ٥
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ٥ واختلفوا فى
حقيقه المن والاذى • فقيل المن ان يذكرها • والاذى ان يظهرها • وقال سفين
من من فسدت صدقته • فقيل له كيف المن • قال ان يذكره ويتحدث به ٥
وقيل المن ان يستخدمه بالعطا • والاذى ان يعيره بالفقر • وقيل المن ان يتكبر
عليه لاجل عطايه • والاذى ان ينهره او يوبخه بالمساله • وقد قال النبى صلى الله عليه

وسلم لا تقبل الله صدقة منان • وعندي ان المن له اصل ومغرس • وهو من احوال
القلب وصفاته • ثم يتفرع عليه افعال ظاهرة على اللسان والجوارح • واصله
ان يرى نفسه محسنا اليه بقبول حقوا منه الذي هو طهرته ونجاته من النار • وانه
لو لم يقبله لبقي مرتهنا به • فحقه ان يثقل منة الفقير • اذ جعل كفه نائبا عن الله
تعالى في قبض حقوا • وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله تعالى
قبل ان تقع بيد السائل • فلتحقق انه مسلم الى الله تعالى حقه • فالفقير آخذ من الله لا
رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله • ولو كان عليه دين لانسان فاحال صاحب
الدين به عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مودي الدين كون القابض
تحت منته سفها وجهلا • فان المنة للمحسن اليه المتكفل برزقه • فما هو فعايم تقضا
الدين الذي لزمه بشرا ما احبه • فهو ساع في حق نفسه • فلم يمن به على غيره • ومهما
عرفت المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكوة واخذها لم ير نفسه محسنا
الا الى نفسه • اما بدله ماله اظهارا لحب الله تعالى او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل •
او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد • وكيف ما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير •
حتى يرى نفسه محسنا اليه • ومهما جهل هذا الجهل ما ان راى نفسه محسنا اليه
تفرع عنه الى ظاهره ما ذكر في معنى المن • وهو التحدث به واظهاره • وطلب المكافاة
منه بالشكر والدعا والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقدم
في المجالس والمتابعة في الامور • فهذه كلها ثمرات المنة • ومعنى المنة في
الباطن ما ذكرناه • واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام
وتقطيب الوجه • وهتك الستر بالاظهار • وفنون الاستخفاف • وباطنه وهو
منبعه امران احدهما كراهته لدفع اليد عن المال • وشدة ذلك على نفسه • فان
ذلك لضيق الخلق لا محالة • الثاني رويته انه خير من الفقير • وان الفقر سبب
حاجته اخس رتبة منه • وكلاهما منشأ الجهل • اما كراهته تسليم المال فهو حمق
لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يسوى الفا فهو شديد الحماقة • ومعلوم انه

ويشعر عليه وجه ان يرى الفقير محسنا الى نفسه

يبذل المال لطلب رضى الله عز وجل والثواب فى الدار الآخرة وذلك اشرف مما يبذله
او يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل او شكرا لطلب المزيد • وكيف ما فرض
والكراهية لا وجه لها • واما الثانى فهو ايضا جهل • لانه عرف الفقر على الغنا • وعرف فضله
خطر الاغنيا لما استحقر الفقر • بل يتبرك به وتمنى درجته • فصلحا الاغنيا يدخلون
الجنة بعد الفقرا بخمسمائة عام • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب
الكعبة • فقال ابو ذر من هم يا رسول الله • قال صلى الله عليه وسلم هم الاكثرون اموالا ٥
ثم كيف يستحقر الفقر • وقد جعله الله تعالى سخرة له • اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر
منه ويجتهد فى حفظه لمقدار الحاجة • وقد الزم ان يسلم الى الفقر قدر حاجته
ويكف عنه الفاضل الذى يضره لو سلم اليه • فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ٥
وتميز عنه بتقلد المظالم • والتزام المشاق • وحراسة الفضلات • الى ان يموت فياكله
اعداه • فاذن مما انتفت عنه الكراهة وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى
له فى ادا الواجبات وتقبيضه للفقر حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى
الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه • وتبدل بالاستبشار والثنا وقبول المنة ٥
فهذا منشا المن والاذى ٥ فان قلت فرويته نفسه فى درجة المحسن امر غامض •
فهل من علامة يتحقق بها قلبه فيعرف بها انه لم ير نفسه محسنا ٥ فاعلم ان له
علامة دقيقة واضحة • وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او مال الأعدوا
له عليه مثلا هل يزيد استنكاره واستبعاده له على استكاره قبل التصدق • فان زاد
فلم تخل صدقته عن شايبة المنه • لانه توقع بسبب صدقته ما لم يتوقعه قبل ذلك •
فان قلت فهذا امر غامض • ولا تنفك قلب احد عنه • فما دواوه • فاعلم ان له
دوا باطنا ودوا ظاهرا • اما الباطن فالمعرفه بالحقايق التى ذكرناها فى فهم الوجوب •
وان الفقر هو المحسن اليه فى تطهره بالقبول • واما الظاهر فالاعمال التى يتعاطاها
متقلد المنه • فان الافعال التى تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق ٥ ولذلك
كان بعضهم يضع الصدقه بين يدى الفقير • ويقف قايما بين يديه يساله قبولها حتى

حتى يكون هو فى صورة السائلين ٥ وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده ٥ وقد كان
بعضهم كان يبسط كفه ليأخذ الفقير عن كفه ٥ لتكون يد الفقير هى العليا ٥ وكانت
عائشة رضى الله عنها وام سلمة ايضا اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ
ما يدعو به ٥ ثم كانتا تردان عليه مثل قوله ٥ وتقولان هذا بدلك حتى تخلص لنا صدقتنا ٥
وكانوا لا يتوقعون الدعاء ٥ لانه شبه المكافاة ٥ وكانوا يقابلون الدعاء بمثله ٥ وهكذا
فعل عمر وابنه عبد الله رضى الله عنهما ٥ فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ٥ ولا
ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن
حيث الباطن المعارف التى ذكرناها ٥ هذا من حيث العمل ٥ وذلك من حيث العلم ٥
ولا يعالج القلب الا معجون العلم والعمل ٥ وهذه الشريطة من الزكوات تجرى مجرى
الخشوع من الصلوة ٥ وشبه ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم ليس للمرء من صلاته
الا ما عقل منها ٥ وشبه هذا بقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة منان ٥ وبقول
الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ٥ وما افتوى الفقيه بوقوعها موقعها
وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط ٥ والله اعلم ٥ الوظيفة السادسة
ان يستصغر العطية ٥ فانه ان استعظمها اعجب بها ٥ والعجب من المهلكات ٥ وهو
محبط للاعمال ٥ قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ٥ وقال ان الطاعة كلما
استصغرت كبرت عند الله ٥ والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله ٥ وقد
المعروف لا يتم الا بثلاث ٥ تصغيره ٥ وتعجيله ٥ وستره ٥ وليس الاستعظام هو المن والاذى ٥
بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات ٥ ودواؤه علم وعمل ٥ اما العلم فهو ان
يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير ٥ وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل
كما ذكرناه فى فهم الوجوب ٥ فهو جدير بان يستحى من ذلك ٥ فكيف يستعظمه ٥ وان
ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتامل انه من اين له المال والى من
ذا يصرفه ٥ والمال لله تعالى ٥ وله المنة عليه اذ اعطاه اياه ٥ ثم وفقه لبذله له ٥ فلم
يستعظم فى حق الله ما هو عين حق الله عز وجل ٥ وان كان مقامه يقتضى ان ينظر

وقد اشرنا الى معناه فى فضل الصلاة ٥

الى الاخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما شق عليه اصطحافه واما
العمل فهو ان يعطيه عطا البخيل من بخله يمسك بقية ماله عن الله عز وجل
فكون هيئة الانكسار والحيا كهيئة من يطالب برد وديعة فيرد بعضها ويمسك
البعض لان المال كله لله تعالى وبذل جميعه هو الاحب عند الله تعالى وانما المر
بامر بذلك عبده لانه لا يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى ان يسالكموها فيحفكم
تبخلوا ٥ الوظيفة السابعة ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه
واجله عنده واطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ٥ واذا كان المخرج من شهة
فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع ٥ وفي حديث انس بن مالك طوبى
لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية ٥ واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو
من سوء الادب اذ يمسك الجيد لنفسه او لعبده او لاهله ويكون قد آثر على الله عز وجل
غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام مي سته لاوغر به صدره ٥
هذا اذا كان نظره الى الله عز وجل ٥ وان كان نظره الى نفسه وثوابه والاخرة
فليس بعاقل من يوثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى واكل
فافنى والذي ما كله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة
وترك الادخار وقد قال الله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم
من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه ٥
اي ما لا تاخذونه الا مع كراهية وحيا وهو معنى الاغماض فلا توثروا به ربكم ٥
وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من اجل ماله
واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما
سما يكره من ماله فيدل ذلك الفعل منه على انه لا يوثر الله تعالى بشي مما يحبه ٥
ولذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى ويجعلون لله ما يكرهون
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا ٥ وقف بعض القرا على قول لا النافية
تكذيبا لهم ثم ابتدا جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار ٥

الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكوا به الصدقه • ولا
يكتفى بان يكون من عموم الاصناف الثمانيه • فان فى عمومهم خصوصا • فليراع خصوص
تلك الصفات • وهى ستة • الصفة الاولى ان يطلب الاتقيآ المعرضين عن الدنيا •
المتجردين لتجارة الاخره • قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقى • ولا
ياكل طعامك الا تقى • وهذا لان التقى يستعين به على التقوى • فتكون شريكا له فى
طاعته ما عانتك اياه • وقال صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقيآ • واولوا
معروفكم المومنين • وفى لفظ اخر اضف بطعامك من تحبه فى الله • وكان بعض
العلمآ يوثر بالعطا فقرآ الصوفيه دون غيرهم • فقيل له لو عممت بمعروفك جميع
الفقرآ كان افضل • فقال لا • هولا قوم همهم الله سبحانه • فاذا طرقتهم فاقه تشتت
همّ احدهم • فلان اردّ همة احدهم الى الله احب الى ممن اعطى الفا من همته الدنيا •
قد ذكر ذلك للجنيد فاستحسنه • وقال هذا ولىّ من اولياء الله تعالى • وقال ما سمعت
منذ زمان كلاما احسن من هذا • وحكى ان هذا الرجل اختل حاله وهمّ بترك الحانوت •
فبعث اليه الجنيد مالا • وقال اجعله بضاعتك • ولا تترك الحانوت • فان التجارة لا
تضر مثلك • وكان هذا الرجل يقال • لا ياخذ من الفقرآ ثمن ما يبتاعون منه ۞
الصفة الثانيه ان يكون من اهل العلم خاصة • فان ذلك اعانة له على العلم •
والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النيه • وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه
اهل العلم • فقيل له فى ذلك • فقال له لو عممت • فقال انى لا اعرف بعد مقام النبوه افضل
من مقام العلمآ • فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم
فتفريغهم للعلم افضل • الصفة الثالثه ان يكون صادقا فى تقواه وعلمه
بالتوحيد • وتوحيده انه اذا اخذ العطا حمد الله تعالى وشكره • ورا النعمة منه
ولم ينظر الى واسطة • فهذا هو شكر العباد لله تعالى • وهو ان يرى النعم كلها من الله تعالى
وفى وصية لقمان لابنه يا بنى لا تجعل بينك وبين الله منعما • واعدد نعمة غيره
عليك مغرما • ومن شكر غير الله تعالى فكانه لم يعرف المنعم • ولم يتيقن ان الواسطة

مقهور مسخر تسخير الله تعالى اذ سلط عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعلى
وهو مقهور • ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القي الله في قلبه ان صلاح دينه ودنياه
في فعله • فمهما قوى الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم
يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه • والله تعالى خالق البواعث
ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث •
فمن يتقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب • ويقين مثل هذا العبد انفع للمعطي
من ثنآ غيره وشكره • فان الثنآ والشكر حركه في اللسان • وذلك يقل في الاكثر جدا واه •
واعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع • فاما الذي يمدح بالعطا ويدعوا بالخير
فسيندم بالمنع ويدعوا بالشر عند الايذآ • واحواله متفاوتة • وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقرآ • وقال للرسول احفظ ما يقول • فلما
اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره • ولا يضيع من شكره • وقال اللهم انك لم تنس فلانا •
يعني نفسه • فاجعل فلانا لا ينساك • فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر • وقال
علمت انه يقول ذلك • فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده • وقال صلى الله عليه
وسلم لرجل تب • فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد • فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق
لاهله • ولما نزلت برآة عايشة رضي الله عنها في قصة الافك قال لها ابو بكر رضي الله
عنه قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقالت لا والله لا افعل • ولا احمد
الا الله تعالى • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر • وفي لفظ اخر انها
قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك • فلم ينكر ذلك عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم • مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم • ورؤية الاشيآ
من غير الله تعالى وصف الكافرين • قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب
الذين لا يومنون بالاخرة • واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون • ومن لم يصف
باطنه عن رويه الوسايط الا من حيث انهم وسايط فكانه لم يتفكر عن الشرك الخفي سره •
فليتق الله سبحانه وتعالى في تصفيه توحيده عن كدورة الشرك وشوايبه • ن •

الصفة الرابعة ان يكون مستترا مخفيا حاجته • لا يكثر البث والشكوى • او يكون
من اهل المروه • او ممن ذهبت نعمته ونقصت عادته • فهو يتحيش في جلباب التجمل •
قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف • تعرفهم بسيماهم • لا يسالون الناس
الحافا • اى لا يلحون في السوال • لانهم اغنيا بيقينهم • اعزة بصبرهم • وهكذا ينبغي ان
يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة • ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير
والتجمل • فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسوال • ن
الصفة الخامسة ان يكون معيلا • او محبوسا بمرض • او سبب من الاسباب •
فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقرا الذين احصروا في سبيل الله • اى حبسوا في طريق الاخرة •
لعيلة • او ضيق معيشة • او صلاح قلب • لا يستطيعون ضربا في الارض • لانهم مقصوصو جناح
الجناح • مقيدوا الاطراف بهذه الاسباب • وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي
اهل البيت القطيع من الغنم • وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي العطا على قدر العيلة •
وسيل عمر رضي الله عنه عن جهد البلا • فقال كثرة العيال وقلة المال • ن
الصفة السادسة ان يكون من الاقارب وذوي الارحام • فتكون صدقة
وصلة • وفي صلة الرحم من الثواب ما الا يخفى • قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لان
اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما • ولان اصله بعشرين
احب الي من ان اتصدق بمائة درهم • ولان اصله بمائة درهم احب الي من اعتق رقبة •
والاصدقا واخوان الخير ايضا تتقدمون على المعارف • كما سيقدم الاقارب على الاجانب •
فليراع هذه الدقايق • فهي الصفات المطلوبة • وفي كل صفة درجات • فينبغي ان يطلب
اعلاها • فان وجد من جمع جمله من هذه الصفات • فهي الذخيرة الكبرى • والغنيمة
العظمى • ومهما اجتهد في ذلك فاصاب فله اجران • وان اخطا فله اجر • فان
احد اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل • وتاكيد حب الله تعالى في قلبه •
واجتهاده في طاعته • وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه الى لقا حب
الله تعالى واليوم الاخر • الثاني ما يعود اليه من فايدة دعوة الآخذ وهمته • فان

قلوب الابرار لها آثار فی الحال والمآل. فان اصاب حصل الاجران. واذا اخطا حصل
الاول دون الثانی. فهذا معنی تضاعف اجر المصیب فی الاجتهاد ها هنا. وفی
سایر المواضع. والله الموفق ن

الفصل الثالث فی القابض واسباب استحقاقه ووظایف قبضه

اعلم رحمک الله انه لا یستحق الزکوة الا حر مسلم. لیس بهاشمی ولا مطلبی اتصف بصفة
من صفات الاصناف الثمانیه المذکورة فی کتاب الله تعالی. فلا تصرف زکاة الی کافر.
ولا الی عبد. ولا هاشمی ولا مطلبی. اما الصبی والمجنون فیجوز الصرف الیهما اذا قبض
عنهما ولیهما. فلنذکر صفات الاصناف الثمانیه ن الصنف الاول الفقرا.
والفقیر هو الذی لیس له مال. ولا قدرة علی الکسب. فان کان معه قوت یومه وکسوة
حاله فلیس بفقیر. ولکنه مسکین. وان کان معه نصف قوت یومه فهو فقیر. وان
کان معه قمیص ولیس معه منديل ولا خف ولا سراویل ولم تکن قیمة القمص بحیث
تفی بجمیع ذلک کما یلیق بالفقرا فهو فقیر. لانه فی الحال قد عدم ما هو محتاج الیه
وما هو عاجز عنه. فلا ینبغی ان تشترط فی الفقیر ان لا یکون له کسوة سوی ساتر
العورة. فان هذا غلو. والغالب انه لا یوجد مثله. ولا نخرجه عن الفقر کونه معتاد
السوال. فلا نجعل السوال کسبا. بخلاف ما لو قدر علی کسب. فان ذلک نخرجه عن
الفقر. فان قدر علی الکسب بآلة فهو فقیر. ولا نعتبر قدرته. ویجوز ان تشتری
له الآلة. فان قدر علی کسب لا یلیق بمروته وحاله مثله فهو فقیر. وان کان متفقها
ویمنعه الاشتغال بالکسب عن النفقة فهو فقیر. ولا نعتبر قدرته. وان کان
متعبدا یمنعه الکسب عن وظایف العبادات واوراد الاوقات فلیکتسب. لان الکسب
اولی من ذلک. قال النبی صلی الله علیه وسلم طلب الحلال فریضة بعد الفریضة.
واراد به السعی والاکتساب. وقال عمر رضی الله عنه کسب فی شبهة خیر من المسالة.
فان کان مکفیا نفقه ابیه او من تجب علیه نفقته فهو اهون من الکسب. فلیس
بفقیر. الصنف الثانی المساکین والمسکین هو الذی لا یفی دخله بخرجه.

فقد يملك الف درهم وهو مسكين • وقد لا يملك الا حبلا وفاسا وهو غني • والدّوَرة
التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكنة • وكذا اثاث
البيت • اعني ما يحتاج اليه • وذلك ما يليق به • وكذا كتب الفقه • لا تخرجه عن المسكنة •
واذا لم يملك سوى الكتب لا يلزمه صدقة الفطر • وحكم الكتاب حكم الثوب • واثاث
البيت • فانه محتاج اليه • ولكن ينبغي ان يحتاط في مهم الحاجة الى الكتاب • فالكتاب
محتاج اليه لثلاثة اغراض • التعلم • والاستفادة • والتفرج بالمطالعة • اما
حاجة التفرج فلا تعتبر • كاقتناء كتب الشعر • وتواريخ الاخبار • وامثال ذلك مما لا
ينفع في الاخرة ولا يجدي في الدنيا • الا مجرد التفرج والاستيناس • فهذا يباع في
الكفارة وزكوة الفطر • ويمنع اسم المسكنة • واما حاجة التعليم • ان كان لاجل الكسب
كالمودب والمعلم والمدرس باجرة فهذا آلته • فلا يباع في الفطرة • كادوات الخياط
وسائر المحترفين • وان كان الذي يدرس للقيام بفروض الكفايات فلا يباع ايضا •
ولا يسلبه ذلك اسم المسكنة • لانها حاجة مهمة • واما حاجة الاستفادة والتعلم
من الكتاب كادّخار كتاب طب ليعالج به نفسه • او كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به •
فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه • فان لم يكن فهو محتاج اليه • ثم
ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة • فينبغي ان يضبط مدة الحاجة • والاقرب
ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنٍ عنه • فان من فضل عن قوت يومه شيء
لزمه الفطرة • واذا قدّر حاجة القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن
ينبغي ان تقدر بالسنة • فلا يباع ثياب الصيف في الشتاء • ولا ثياب الشتاء في الصيف •
والكتب بالاثاث والثياب اشبه • وقد يكون عنده من كتاب نسختان • فلا حاجة له
الا الى احدهما • فان قال احدهما اصح والاخر احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف
بالاصح • وبع الاحسن • ودع التفرج والترفه • وان كانت نسختان من علم واحد
احدهما بسيط والاخر وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط •
وان كان قصده التدريس فهو محتاج اليهما • اذ في كل واحد فايدة ليست في الاخرى •

وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم نتعرض لها في الفقه وانما اوردناها لعموم البلوى والتنبيه لحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ تصدك مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقداره وعدده ونوعه في ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيه رأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم في ذلك خطر الشبهات والتورع ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط والله تعالى الموفق ○

الصنف الثالث العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيهم المحرف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجر المثل فان فضل شيء من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية الاصناف فان نقص كمل من مال المصالح ○ الصنف الرابع المولفة قلوبهم ○ وهم اشراف قد اسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي اعطائهم تقرير لهم على الاسلام وترغيب نظرائهم واتباعهم ○ الصنف الخامس المكاتبون ويدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه يعد عبدا له ○ الصنف السادس الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة او لطائفة ○ الصنف السابع الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف لهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على الغزو ○ الصنف الثامن ابن السبيل وهو الذي شخص من بلد مسافرا في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر اعطى قدر بلغته ○ فان قلت فبم نعرف هذه الصفات ○ قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا نطالب ببينة ولا تحليف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غارم فان لم

يف به استرد • واما نقه الاصناف فلابد فيها من البينه • فهذه شروط الاستحقاق •
واما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسانى بانه ان شاء الله • واما بيان صفه
القابض فهى خمسة • الاولى ان نفهم ان الله تعالى اوجب صرف الزكوة اليه ليتكفى
مهمه • ويجعل همومهما واحدا • فقد تعبد الله الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله
سبحانه وتعالى واليوم الآخر • وهو المعنى بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون •
ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه اقتضى
الكرم افاضة نعمة تكفى الحاجات • فاكثر الاموال وضعها فى ايدى عباده لتكون آلة
لهم فى دفع حاجاتهم • ووسيله لتفرغهم الى طاعاته • فمنهم من اكثر ماله فجعله عليه
فتنة وبليه • فاقحمه متن الخطر • ومنهم من احبه فحماه عن الدنيا كما يحمى المشفق
مريضه • فزوى عنه فضولها • وساق اليه قدر حاجته على ايدى الاغنياء • ليكون شغل
شغل الكسب والتعب عليهم فى الجمع والحفظ • وفايدته نصب الى الفقراء المتجردين
لعبادة الله تعالى والاستعداد لما بعد الموت • فلا يصرفهم عن ذلك فضول الدنيا • ولا
يشغلهم عن التاهب للقاء • فهذا منتهى قدر النعمة • فحق الفقير ان يعرف قدر
نعمة الفقر • ويتحقق ان فضل نعمة الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه •
فليأخذ ما ياخذه من الله تعالى زرقا وعونا على الطاعة • ولتكن نيته فيه ان يقوى
به على طاعة الله تعالى • فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى • فان استعان
به على معصيه الله تعالى كان كافرا لانعم الله تعالى مستحقا للبعد والمقت من الله تعالى •
الثانيه ان يشكر المعطى ويدعو له ويثنى عليه • ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا
يخرجه عن كونه واسطة • ولكنه طريق وصول نعمة الله تعالى اليه • وللطريق حق من
حيث جعله الله طريقا وواسطة • وذلك لانا فى رؤية النعمة من الله تعالى • قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله • وقد اثنى الله سبحانه على عباده
فى مواضع وعلى اعمالهم • وهو خالقها وخالق القدرة عليها • نحو قوله تعالى نعم العبد
انه اواب • الى غير ذلك • وليكن من دعا القابض طهر الله قلبك فى قلوب الابرار • وزكى

عملك فى عمل الاخيار • وصلى على روحك فى ارواح الشهداء • وقال صلى الله عليه وسلم من
اسدى اليكم معروفا فكافيوه • فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا انكم كافيتموه •
ومن تمام الشكر ان تستر عيوب العطا ان كان فيه عيب • ولا تحقره • ولا يذمه •
ولا يعيره بالمنع اذا منع • ويتفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه • فوظيفة المعطى
الاستصغار • ووظيفة القابض تعليل المنة والاستعظام • وعلى كل عبد القيام بحقه •
وذلك لا تناقض فيه • اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض • والنافع للمعطى
ملاحظة اسباب التصغير • ويضره خلاف ذلك • والآخذ بالعكس منه • وكل ذلك
لا ينافض رؤية النعمة من الله تعالى • فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل •
وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا • الثالثة ان ينظر فيما ياخذه • فان لم يكن
من حله تورع عنه • فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب • ولن
يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال • فلا ياخذ من اموال الاتراك والجند وعمال
السلاطين • ومن اكثر كسبه من الحرام • الا اذا ضاق عليه الامر • وكان ما يسلم اليه لا
يعرف له مالك معين • فله ان ياخذ بقدر الحاجة • فان فتوى الشرع فى مثل هذا
ان تتصدق به • وهذا اذا عجز عن الحلال • فاذا اخذ لم يكن اخذه زكوه • ولا تقع
الزكوه عن مودية • وهو حرام • الرابعة ان تتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى
مقدار ما ياخذه • ولا ياخذ الا القدر المباح • ولا ياخذ الا اذا تحقق انه موصوف
بصفة الاستحقاق • فان كان ياخذ بالكتابة او الغرامة فلا يزيد على مقدار الدين •
وان كان ياخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل • وان اعطى زيادة ابى وامتنع •
اذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به • وان كان مسافرا لم يزد على الزاد • وكذا الدابة
الى مقصده • وان كان غازيا لم ياخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة • من فرس
وسلاح ونفقة • وتقدير ذلك بالاجتهاد • وليس له حد • وكذا زاد السفره • والورع
ترك ما يريبه الى ما لا يريبه • وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه
وكتبه • وهل فيها ما يستغنى عنه لعينه • او يستغنى عن نفاسته وجودته • فيمكن

وكذا

ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته. وكل ذلك باجتهاده. وفيه طرف ظاهر
يتحقق معه انه مستحق. وطرف آخر مقابله يتحقق معه انه غير مستحق. وبينهما
اوساط مشتبهة. ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه. والاعتماد في هذا على
قول الآخذ ظاهرا. وللمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق والتوسيع.
ولا تنحصر مراتبه. وميل الورع الى التضييق. وميل الشاهد الى التوسع. حتى يرى
نفسه محتاجا الى فنون من التوسع هي ممقوتة في الشرع. ثم اذا تحققت حاجته
فلا ياخذ ما لا كثيرا. بل ما يتم كفايته من وقت اخذه الى سنة. فهذا اقصى ما
يرخص فيه. من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل. ومن حيث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة. وهذا اقرب ما يحد به حق
الفقير والمسكين. ولو اقتصر على حاجة شهره او حاجة يومه فهو اقرب للتقوى.
ومذاهب العلماء في حكم قدر الماخوذ بحكم الزكوة والصدقة مختلفة. فمن مالغ
في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته. وتمسك بما روى سهل
ابن الحنظلية رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن السوال مع الغنى. فسئل
عن غناه. فقال صلى الله عليه وسلم غداوه او عشاوه. وقال اخرون ياخذ الى حد
الغنى. وحد الغنى نصاب الزكوة. اذ لم يوجب الله عز وجل الزكاة الا على الاغنياء.
وقال قايلون حد الغنى خمسون درهما. لما روى ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من سال وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش. قيل
وما غناه. قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب. وقيل راويه ليس بالقوي. وقال
قوم اربعون درهما. لما روى عطاء بن يسار منقطعا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سال
وله اوقية فقد الحف في السوال. وبالغ اخرون في التوسع. فقالوا له ان ياخذ
مقدار ما اشترى به ضيعة فستغني بها طول عمره. او تهيى به قدر بضاعة ليتجر
فيها. ويستغني به طول عمره. هذا هو الغنى. وقد قال عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم
فاغنوا. حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان ياخذ بقدر ما يعود به الى مثل

حاله ولو عشرة آلاف ٥ الا اذا خرج عن حد الاعتدال ٥ ولما شغل ابا طلحة رضي الله
عنه بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة ٥ فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعله في
قرابتك فهو خير لك ٥ فاعطاه حسان وابا قتادة ٥ فخايط من نخل لرجلين كثير مغنى ٥
واعطى عمر رضي الله عنه اعرابيا ناقة معها ظئرها ٥ فهذا ما حكي فيه ٥ واما
القليل الى قوت اليوم والاوقية ٥ فذلك انما هو في كراهية السوال والتردد فيه على
الابواب ٥ وذلك مستنكر ٥ وله حكم اخر ٥ بل التجويز ان يشترى ضيعة فيستغني بها
اقرب الى الاحتمال ٥ وهو ايضا مايل الى الاسراف ٥ والاقرب الى الاعتدال الكفاية
لسنة ٥ فما وراء ذلك ففيه خطر ٥ وفيما دونه تضييق ٥ وهذه الامور اذا لم يكن
فيها تقدير جزم بالتوقف ٥ فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ٥ ثم يقال للورع
استفت قلبك ٥ واذا افتوك ٥ وافتوك ٥ كما قاله صلى الله عليه وسلم ٥ اذ الاثم حواز
القلوب ٥ فاذا وجد القابض في نفسه شيا مما اخذه فليتواه فيه ٥ ولا يترخص
تعللا بالفتوى من علمنا الظاهر ٥ فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات ٥
وفيها تخمينات ٥ واقتحام شبهات ٥ والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين ٥
وعادات السالكين لطريق الاخرة ٥ الخامسة ان يسال صاحب المال عن قدر
الواجب عليه ٥ فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا ياخذه منه ٥ لانه لا يستحق مع
شريكيه الا الثمن ٥ فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى انسي من صنفه ٥ وهذا
السوال واجب على اكثر الخلق ٥ فانهم لا يراعون هذه القسمة ٥ اما الجهل واما التساهل ٥
وانما يجوز ترك السوال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم ٥

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وادب اخذها واعطايها ٥

اعلم ان فضيلة الصدقة من الاخبار قول النبي صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بتمرة ٥
فانها تسد من الجايع وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار ٥ وقال صلى الله عليه وسلم
اتقوا النار ولو بشق تمرة ٥ فان لم تجدوا فبكلمة طيبة ٥ وقال صلى الله عليه وسلم ما
من عبد مسلم تصدق بصدقة من كسب طيب ٥ ولا يقبل الله الا طيبا ٥ الا كان الله تعالى

ياخذها بيمينه فيربيه كما يربي احدكم وصيله حتى تبلغ التمره مثل احد وقال
صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء اذا طبخت مرقه فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك
فاصبهم منها بمعروف وقال صلى الله عليه وسلم ما احسن عبد الصدقة الا احسن
الله الخلافة على تركته وقال صلى الله عليه وسلم كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة
حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر
وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب تعالى وقال صلى الله عليه
وسلم ما المعطى من سعة بافضل اجرا من الذي يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي
يقصد من دفع حاجته التفرغ للعباده فيكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه
عمارة دينه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل فقال صلى الله
عليه وسلم ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقا وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا
بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان وقال صلى الله
عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا فقال صلى الله عليه
وسلم انفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم انفقه على زوجتك
قال ان عندي اخر قال صلى الله عليه وسلم انفقه على ولدك قال ان عندي اخر قال
صلى الله عليه وسلم انفقه على خادمك قال ان عندي اخر قال صلى الله عليه وسلم انت
ابصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد انما هي اوساخ الناس
وقال صلى الله عليه وسلم ردوا مذلة السايل ولو بمثل راس الطاير من الطعام
وقال صلى الله عليه وسلم لو صدق السايل ما افلح من رده وقال عيسى عليه اللام
من رد سايلا خايبا لم تغشى الملايكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله
عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره ما لليل ويخمره وكان يناول
المسكين بيده وقال صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده التمره والتمرتان
واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقراوا ان شيتم لا يسالون الناس الحافا
وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله عز وجل ما

دامت علیه منه رقعة ٥ واما الآثار فکثیرة ن
قال عروه بن الزبیر رضی الله عنهما لقد تصدقت عائشة رضی الله عنها بخمسین الفا وان
درعها المرقع ٥ وقال مجاهد فی قول الله عز وجل ویطعمون الطعام علی حبه ٥ قال وهم
یشتهونه ٥ وکان عمر بن الخطاب رضی الله عنه یقول اللهم اجعل الفضل عند
خیارنا لعلهم یعودون علی اهل الحاجة منا ٥ وقال عبد العزیز بن عمیر الصلوة
تبلغک نصف الطریق ٥ والصوم یبلغک باب الملک ٥ والصدقة تدخلک علیه ٥ ن
وقال ابن ابی الجعد ان الصدقة لتدفع سبعین بابا من السوء ٥ وفضل سرها علی
علانیتها سبعین ضعفا ٥ وانها لتفک لحیی سبعین شیطانا ٥ وقال ابن مسعود رضی الله
عنه ان رجلا عبد الله تعالی سبعین سنة ٥ ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ٥ ثم مر
بمسکین فتصدق علیه برغیف فغفر الله ذنبه ورد علیه عمل السبعین سنة ٥
وقال لقمان لابنه یا بنی اذا اخطات خطیئة فاعط صدقة ٥ وقال یحیی بن
معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنیا الا الحبة من الصدقة ٥ وقال عبد العزیز
ابن ابی رواد کان یقال بلالة من کنوز الجنة ٥ کتمان المرض ٥ وکتمان الصدقة ٥
وکتمان المصایب ٥ وقال عمر بن الخطاب رضی الله عنه ان الاعمال تباهت ٥ فقالت
الصدقة انا افضلکن ٥ وکان عبد الله بن عمر رضی الله عنه یتصدق بالسکر ٥ ویقول
سمعت الله عز وجل یقول لن تنالوا البر حتی تنفقوا مما تحبون ٥ والله تعالی یعلم انی احب
السکر ٥ وقال النخعی اذا کان الشیء لله تعالی لا یسرنی ان یکون فیه عیب ٥ وقال
عبید بن عمیر یحشر الناس یوم القیامة اجوع ما کانوا قط ٥ واعطش ما کانوا قط ٥
واعرا ما کانوا قط ٥ فمن اطعم لله اشبعه الله ٥ ومن سقی لله سقاه الله ٥ ومن کسی لله
کساه الله عز وجل ٥ وقال الحسن لو شاء الله لجعلکم اغنیاء لا فقیر فیکم ٥ ولکنه
ابتلی بعضکم ببعض ٥ وقال الشعبی من لم یر نفسه احوج الی ثواب الصدقة من
الفقیر فقد ابطل صدقته ٥ وضرب بها وجهه ٥ وقال مالک بن دینار لا نری شربة
الموسر من الماء الذی یتصدق به ویسقی فی المسجد باسا ٥ لانه انما جعل للعطشان ٥

یعنی یقول ٥

كاينا من كان ٠ ولم يُرِد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ٥ ويقال ان الحسن
مَرّ به نحاس ومعه جارية ٠ فقال للنحاس ارتضى في ثمنها الدرهم والدرهمين ٥ قال لا ٥
قال فاذهب ٠ فان الله تعالى رضي في اكور العيش بالفلس واللقمة ٥ ن
وأما بيان اخفا الصدقة واظهارها فقد اختلف طرق طلاب الاخلاص
في ذلك ن فمال قوم الى ان الاخفا افضل ٥ ومال قوم الى الاظهار ٥ ونحن نشير الى ما
في كل واحد من المعاني والآفات ٠ ثم نكشف الغطا عن الحق في ذلك ٥ اما الاخفا ففيه
خمسة معان ٥ الاول انه ابقا للستر على الآخذ ٥ فان اخذه ظاهرا هتك ستر
المروة ٠ وكشف عن الحاجة ٠ وخروج عن هيئة التعفف والتصوّن المحبوب ٠ وفي
مثل هذه الصفات قال الله عز وجل يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف ٥ والثاني
انه اسلم لقلوب الناس والسنتهم ٠ فانهم ربما يحسدون ٠ او ينكرون عليه اخذه ٠ ويظنون
انه اخذ مع الاستغنا ٠ او ينسبونه الى اخذ زيادة ٠ والحسد وسو الظن والغيبة
من الذنوب الكبار ٠ وصيانتهم عن الجرايم اولى ٥ قال ايوب السختياني اني لاترك لبس
الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسد ٥ وقال بعض الزهاد ربما تركت
استعمال الشي من اجل اخواني ٠ يقولون من اين له هذا ٠ وعن ابرهيم التيمي انه رُؤي
عليه قميص جديد ٠ فقال بعض اخوانه من اين لك هذا ٠ فقال كسانيه اخي خيثمة ٥
ولو علمت ان اهله علموا به ما قبلته ٥ الثالث اعانه المعطي على اسرار العمل ٥
فان فضل السر على الجهر في الاعطا كثير ٠ والاعانة على اتمام المعروف معروف ٥
والكتمان لا يتم الا باثنين ٠ فمنهما ظهر هذا انكشف امر المعطي ٥ دفع رجل
الى بعض العلما شا ظاهرا فردّه عليه ٠ ودفع اليه آخر شيا في السر فقبله ٠ فقيل
له في ذلك ٠ فقال ان هذا عمل بالادب في اخفا معروفه فقبلته ٠ وذاك اساء ادبه
في عمله فرددت عليه ٥ واعطى رجل بعض الصوفيه شا في الملا فرده ٠ فقال
له لم ترد على الله ما اعطاك ٠ فقال انك اشركت غير الله فيما سه ٠ ولم تقنع بعين الله
عز وجل ٠ فرددت عليك شركك ٥ وقبل بعض العارفين شا في السر كان رَدّه

في العلانيه ٥ فقيل له في ذلك ٥ فقال عصمت الله في الجهر فلم اكن عونا لك على المعصيه ٥
واطعنه ما لا خفا فاعنك على برك ٥ وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر
صلته ولا تحدث بها لقبلت صلته ٥ الرابع ان في اظهاره الاخذ ذلا وامتهانا
وليس للمومن ان يذل نفسه ٥ وكان بعض العلما ياخذ في السر ٥ ولا ياخذ في العلانيه ٥
وتقول ان في اظهاره اذلالا للعلم ٥ وامتهانا لاهله ٥ فما كنت بالذي ارفع شانا من الدنيا
بوضع العلم واذلاله لاهله ٥ الخامس الاحتراز عن شبهه الشركة ٥ قال النبي صلى الله
عليه وسلم من اهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاوه فيها ٥ وان كانت ورقا
اوذها لاخرجها ذلك عن كونها هدية ٥ قال صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى الرجل
الى اخيه ورقا ٥ او يطعمه خبزا ٥ فجعل الورق هدية ٥ فانفراده بما يعطى في الملا
مكروه الا برضى جميعهم ٥ ولا يخلوا عن شبهه ٥ فاذا انفرد سلم عن هذه الشبهه ٥
واما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة ٥ الاول الاخلاص ٥ والصدق
والسلامة عن تلبيس الحال والمراياة ٥ الثاني اسقاط الجاه ٥ والمنزلة ٥ واظهار العبودية
والمسكنة ٥ والتبري عن الكبريا ٥ ودعوى الاستغنا ٥ واسقاط النفس عن اعين الخلق ٥
قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا ٥ فانك لا تخلوا
من احد رجلين ٥ رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك ٥ فذلك هو المراد ٥ لانه اسلم
لدينك ٥ واقل لآفات نفسك ٥ ورجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق ٥ فذلك
الذي تريده اخوك ٥ لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك ٥ وتعظيمه اياك ٥ فتوجر
انت اذ كنت انت سبب مزيد ثوابه ٥ الثالث هو ان العارف لا ينظر له الا
الى الله ٥ والسر والعلانيه في حقه واحد ٥ واختلاف الحال شرك في التوحيد ٥
قال بعضهم كنا لا نعبا ببدعة من ياخذ في السر ويرد في العلانيه ٥ والالتفات
الى الخلق حضروا ام غابوا نقصان في الحال ٥ بل ينبغي ان يكون النظر مقصورا على
الواحد الفرد ٥ حكي ان بعض المشايخ كان كثير الميل الى واحد من المريدين ٥
فشق ذلك على الآخرين ٥ فاراد الشيخ ان يظهر لهم فضيله ذلك المريد ٥ فاعطى كل واحد

منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بدجاجته وليذبحها حيث لا يراه احد
فانفرد كل واحد وذبح دجاجته الا ذلك المريد فانه رد دجاجته فسالهم
فقالوا فعلنا ما امرنا الشيخ وقال ذلك المريد انى لم اقدر على ذلك فان الله كان
يرانى فى كل موضع فقال الشيخ لهذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله تعالى ن
الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال الله تعالى واما بنعمة ربك
فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله سبحانه من كتم ما اتاه الله وقرنه
بالبخل فقال عز وجل الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله
من فضله وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله عز وجل على عبده نعمة احب
ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين شيا فى السر فرفع يده وقال هذا من الدنيا
والعلانية فيها افضل والسر فى امور الاخرة افضل وقال بعضهم اذا اعطيت
فى الملا فخذ ثم اردد فى السر والشكر محبوب قال النبى صلى الله عليه وسلم من لم
يشكر الناس لم يشكر الله والشكر قايم مقام المكافاة حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم
من اسدى اليكم معروفا فكافيوه فان لم تستطيعوا فاثنوا عليه خيرا وادعوا له
حتى تعلموا انكم قد كافيتموه ولما قال المهاجرون فى الشكر يا رسول الله ما رايينا
خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان قد ذهبوا بالاجر كله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم اى هو مكافاة
فالان اذا عرفت هذه المعانى فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس هو
اختلافا فى المسالة بل هو اختلاف حال فكشف الغطا فى هذا هو انا لا نحكم
حكما باتا بان الاخفا افضل فى كل حال او الاظهار افضل بل نختلف ذلك باختلاف
النيات وتختلف النيات باختلاف الاشخاص والاحوال فينبغى ان يكون المخلص
مراقبا لنفسه حتى لا تتدلى بحبل الغرور ولا تنخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان
والمكر والخداع اغلب فى معانى الاخفا منه فى الاظهار مع ان له دخلا فى كل واحد
منهما فاما مدخل الخداع فى الاسرار من ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه

والمنزله وسقوط القدر من اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطى
بعين المنعم المحسن فهذا هو الداء الدفين والعدو الشرس والشيطان
بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتطل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها ومعيار
ذلك ومحكمه امر واحد وهو ان يكون تالمه بانكشاف اخذه للصدقة كتالمه
بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغى صيانه الناس
عن الغيبه والحسد وسوء الظن او يتقى انهتاك الستر او اعانه المعطى على الاسرار
او صيانه العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقه اخيه فان
كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى
اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور من حيث
انه علم زيد او علم عمرو والغيبه محذور من حيث انها تعرض لعرض زيد على
الخصوص ومن احسن ملاحظة هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا ينزال كثير العمل
قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطيب لقلب المعطى
واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا
فى اكرامه وتفقده وهذا داء دفين فى الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين
الا بان يروج عليه هذا الخبث فى معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء
من الرياء ويورد عليه المعانى التى ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطل
ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حتى لا
ينتهى الخبر الى المعطى ولا الى من يرغب فى عطاياه ومن تراءى جماعة يكرهون
اظهار العطيه ويرغبون فى اخفايها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفى ولا يشكر
فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة فى الشكر والتحدث
بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه السنه فلا ينبغى ان يغفل عن قضا
حق المعطى فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغى ان يخفى ولا يشكر
لان قضا حقه ان لا ينصر على الظلم وطلبه للشكر ظلم فاذا علم من حاله انه لا يحب

مثلم

الشكر ولا تقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته • ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه • لو سمعها ما افلح • مع انه صلى الله عليه
وسلم كان يثني على قوم في وجوههم • لثقته بيقينهم • وعلمه بان ذلك لا يضرهم • بل يزيد
في رغبتهم في الخير • وقال صلى الله عليه وسلم لواحد انه سيد اهل الوبر • وقال صلى الله
عليه وسلم في اخر اذا جاكم كريم قوم فاكرموه • وسمع صلى الله عليه وسلم كلام رجل فاعجبه
فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا • وقال صلى الله عليه وسلم اذا علم احدكم من
اخيه خيرا فليخبره • فانه يزداد رغبة في الخير • وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدح
الرجل ربا الايمان في قلبه • وقال سفين الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس •
وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك وراءت ذلك
نعمة من الله عز وجل علي فاشكر • والا فلا تشكر • فقد فاق هذه المعاني ينبغي ان
يلاحظها من يراعي قلبه • فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان •
وشماتة له • لكثرة التعب وقلة النفع • ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه تعلم مسالة
واحدة منه افضل من عبادة سنة • اذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر • وبالجهل به
تموت عباده العمر وتعطل • وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر احسن
المسالك واسلمها • فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات • الا ان تكمل المعرفة • بحيث يستوي
السر والعلانية • وذلك هو الكبريت الاحمر • يتحدث به الناس ولا يرى •

واما بيان الافضل من اخذ الصدقة والزكوة • فكان ابرهيم الخواص
والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل • فان في اخذ الزكاة مزاحمة
للمساكين • وتضييقا عليهم • ولانه ربما لا يكمل في اخذها صفة الاستحقاق كما وصف
في كتاب الله تعالى • واما الصدقة فالامر فيها اوسع • وقال قايلون باخذ
الزكوة دون الصدقة • لانه اعانة على واجب • ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكوة
لاثموا • ولانه لا منة فيها • وانما هو حق واجب لله تعالى • رزقا لعباده المحتاجين •
ولانه اخذ بالحاجة • والانسان يعرف حاجة نفسه قطعا • واخذ الصدقة اخذ

بالدين • فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا • ولان موافقه المساكين
ادخل في الذل والمسكنه • وابعد عن التكبر • اذ قد ياخذ الانسان الصدقه في معرض
الهدية • ولا تتميز عنها • وهذا دليل على ذل الآخذ وحاجته • والقول الحق في هذا
ان هذا تختلف باحوال الشخص • وما يغلب عليه وحضره من النيه • فان كان في
شبهة من اتصافه بصفه الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكوه • واذا علم انه مستحق
قطعا كما اذا كان عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في قضايه فهو مستحق قطعا •
فاذا خير هذا بين الزكوة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقه لا تتصدق
بذلك المال لو لم ياخذه هو فليا خذ الصدقة • فان الزكوه الواجبة يصرفها صاحبها
الى مستحقها • ففي ذلك تكثير للخير • وتوسيع على المساكين • وان كان المال معرضا
للصدقة ولم يكن في اخذ الزكوه تضييق على المساكين فهو مخير • والامر فيهما متقارب •
واخذ الزكوة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال • والله تعالى هو الموفق
للخيرات • قوله عز وجل ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن اعلم
ان هذا نوع آخر من جهالات المنافقين • وهو انهم كانوا يقولون في رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه اذن على وجه الطعن • وفي الاية مباحث الاول قال ابن عباس
رضي الله عنه ان جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه
ويقولون ما لا ينبغي • فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا
فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين • بل نقول ما شئنا ثم نا تيه وننكر ما قلنا
ونحلف فيصدقنا فيما نقول • فانما محمد اذن • اي اذن سامعة كل ما يقال له ويقبله
فانزل الله هذه الاية • وقال الحسن كان المنافقون يقولون ما هذا الرجل الا اذن •
من شا صرفه حيث شا • وقال الاصم ان الله تعالى اظهر عن المنافقين وجوه كفرهم
التي كانوا يستترون بها لتكون حجة للرسول صلى الله عليه وسلم وليتزجروا • فقال تعالى
ومنهم من يلمزك في الصدقات • ثم قال ومنهم الذين يؤذون النبي • ثم قال ومنهم من
عاهد الله • الى غير ذلك من الاخبار عن الغيوب • وكل ذلك يدل على كونه نبيا حقا من عند الله •

وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان سآبين
الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقه وقد قال فيه النبي صلى الله عليه
وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ينم حديث النبي
صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن من حدثه
شا صدقه فنقول ما شينا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله تعالى هذه
الاية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع
الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله تعالى عنه بقوله قل اذن خير لكم يعني هب
انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع
خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقال بعض المفسرين ايضا الاذن الرجل الذي
يصدق كلما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كانت جملته
اذن سامعة وايذاؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم بقولهم هو اذن انما قصدوا به المذمة
وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقال بعضهم ايضا بين الله تعالى ان في المنافقين
من كان يبسط لسانه بالوقيعة في اذاية النبي صلى الله عليه وسلم ويقول ان عاتبني
حلفت له اني ما قلت هذا فيقبله فانه اذن سامعه وهذا فيه معنى البحث الثاني ٥
وقرئ قل هو اذن خير لكم مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير
لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم وهذه قراءة الحسن وعاصم في رواية ابي بكر وقرأ
الباقون بالاضافة وتقدم معناها ومنه ايضا رجل صدق تريد الجودة والصلاح
كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما
يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ثم فسر تعالى كونه اذن خير
بانه يومن بالله اي يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويومن للمومنين يعني انه
يقبل من المومنين الخلص من المهاجرين والانصار ولا يقبل قول المنافقين وانما
عدي الايمان بالله بالباء والايمان للمومنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر
فلا يتعدى الا بالباء فيقال امنت بالله والايمان للمومنين معناه تصديق المومنين

فما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله انومن لك وقوله امنت له وذكره
بعضهم بلفظ اخر فقال عدى فعل الايمان بالبا الى الله تعالى لانه قصد به التصديق
بالله الذى هو ضد الكفر وبالام الى المومنين لانه قصد السماع من المومنين وان
يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده الا ترى الى قوله وما انت بمومن
لنا كيف يتبو عن البا وبخوه فما امن لموسى الا ذرية من قومه انومن لك واتبعك
الارذلون ا امنتم له قبل ان اذن لكم ورحمة للذين امنوا منكم وقرا حمزه ورحمةٍ
بالخفض عطف على خيرٍ اى هو اذن خيرٍ واذن رحمةٍ لا يسمع غيرهما ولا يقبله
وقرا الباقون ورحمة بالرفع بالعطف على اذن والتقدير قل هو اذن خيرٍ وهو
رحمة اى هو مستمع خير لا مستمع شر اى هو مستمع ما يجب استماعه وهو رحمة
وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مومنون فبين الله تعالى انه رحمة
للمومنين المخلصين لا للمنافقين وقيل فى كونه صلى الله عليه وسلم رحمة للمومنين
لانه يجرى احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن احوالهم ولا يهتك اسرارهم وقيل
هو رحمة للمومنين حيث استنقذهم من الكفر الى الايمان ويشفع لهم فى الاخرة بايمانهم
فى الدنيا وقال بعضهم بين سبحانه كون نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اذن خير بقوله
يومن بالله ويومن للمومنين ورحمة للذين امنوا منكم فان هذه اللاية من جملة ما
يوجب الخيرية اما الاول وهو قوله يومن بالله فلان من امن بالله كان خايفا من
الله والخايف من الله لا يقدم على الايذا الباطل واما الثانى وهو قوله تعالى
ويومن للمومنين معناه انهم اذا توافقوا على قول واحد يسلم لهم ذلك وهذا نا فى
كونه سليم القلب سريع الاغترار واما الثالث وهو قوله ورحمة للذين امنوا
منكم فهذا ايضا يوجب الخيرية لانه يجرى امركم على الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش
عن بواطنكم ولا يسعى فى هتك اسراركم ولما بين تعالى كونه سببا للخير والرحمة
بين ان كل من اذاه فله عذاب اليم بقوله والذين يوذون رسول الله لهم عذاب
اليم يعنى فى الدارين قوله عز وجل يحلفون بالله لكم ليرضوكم وهذا نوع اخر

من قبايح افعال المنافقين وهو اقدامهم على الايمان الكاذبة • وقال بعضهم هذا بنآ
على ما تقدم • يعني ومنهم الذين يؤذون النبي ويسترون القول فيه • ثم يحلفون لكم • يعني
يا معشر المومنين • وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال قتادة والسدي اجتمع
ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد • ووديعة بن ثابت • فوقعوا في النبي صلى الله
عليه وسلم • ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير • وكان عندهم غلام
من الانصار • واسمه عامر بن قيس • فحقروه • وقالوا هذه المقالة • فغضب الغلام من
قولهم • وقال والله ان ما يقول محمد حق • وانتم شر من الحمير • ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم واخبره بمقالتهم • فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم فسالهم فانكروا • وحلفوا ان
عامرا كذاب • وحلف عامر انهم كذبة • فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم • فجعل عامر
يدعوا • ويقول اللهم صدق الصادق • وكذب الكاذب • فانزل الله عز وجل هذه الاية ٥
وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك • فلما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون • فانزل الله تعالى هذه الاية ٥
والمعنى يحلفون لكم ايها المومنون هولآ المنافقون ليرضوكم • يعني فيما بلغكم عنهم من
اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم **والله ورسوله احق ان يرضوه** اختلفوا في معنى هذا
الضمير الى ماذا يعود • فقيل الضمير عايد على الله تعالى • لان في رضى الله رضى رسوله صلى
الله عليه وسلم • والمعنى والله احق ان يرضوه بالتوبة والاخلاص ٥ وقيل يجوز ان
يكون المراد يرضوهما • فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر • وقيل معناه والله احق ان
يرضوه • وكذلك رسوله **ان كانوا مومنين** يعني ان كان هولا المنافقون مصدقين بوعد
الله ووعيده في الاخرة • وقيل معناه ان كانوا مومنين كما يزعمون • فاحق من ارضوا
الله ورسوله بالطاعة والوفاق ٥ قوله تعالى **الم يعلموا** يعني المنافقين ٥ وقرا
ابن هرمز والحسن الم تعلموا بالتآ على الخطاب ٥ قال اهل المعاني الم تعلم خطاب لمن
علم شيا ثم نسيه او انكره • فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا ٥ ولما طال مكث رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المومنين والمنافقين وعلمهم من احكام الدين ما

يحتاجون اليه فخاطب المنافقين بقوله الم يعلموا يعني من شرايع الدين التي
علمهم رسولنا انه ان الامر والشان من يحادد الله ورسوله يعني انه من يخالف
الله ورسوله واصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه
من الحد. تقال حادّ فلان فلانا. اذا صار في غير حدّه وخالفه في امره. وقال
بعضهم ايضا المحادة مفاعلة من الحدّ. كالمشاقة من الشق. ومعنى يحادد الله ورسوله
اي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله فان له نار جهنم اي فحق ان له نار جهنم
وجهنم اسم من اسمآ النار. قال ابو مسلم واهل اللغة يكون عن العرب ان البئر
البعيدة القعر سمّي الجهنّام فجايز في جهنم ان تكون ماخوذة من هذا اللفظ
والمعنى بعيدة قعرها لا آخر لعذابها خالدا فيها يعني على الدوام ابدا الآباد ٥
ذلك الخزى العظيم يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة والخزى
قد يكون معنى الندم. ومعنى الاستحيآ. وهو هنا معنى الندم اولى. لقوله تعالى واسروا
الندامة لما راوا العذاب. قوله عز وجل يحذر المنافقون وهذا خبر معنى
الامر. اي ليحذر المنافقون. اي ليخش المنافقون ان تنزل عليهم سورة يعني على
المومنين تنبيهم يعني تخبر المومنين بما في قلوبهم يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد
والعداوة للمومنين. وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المومنين بسوء
ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القران في شانهم. قال قتادة وهذه السورة
كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة. يعني انها فضحت المنافقين. وبعثرت عن
اخبارهم واثارتها وحفرت عن مخازيهم ومثالبهم. وقال ابن عباس رضي الله عنه
انزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمايهم. ثم نسخ ذكر الاسمآ رحمة منه
على المومنين. ليلا يعير بعضهم بعضا. لان اولادهم كانوا مومنين ٥ وقال الحسن
اجتمع اثنا عشر رجلا من المنافقين على كتمان النفاق. فاخبر جبرئيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم باسمايهم. فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا اجتمعوا على كيت وكيت.
فليقوموا وليعترفوا. ولستغفروا ربهم حتى اشفع لهم. فلم يقوموا. فقال صلى الله عليه

وسلم قم بنا فلان وما قلان حتى اتى عليهم ثم قالوا نعترف ونستغفر فعال الآن
انا كنت فى اول الامر اطيب نفسا بالشفاعة والله تعالى اسرع اجابة اخرجوا عنى
اخرجوا عنى حتى خرجوا بالكلية قال الله تعالى قل استهزيوا وهذا امر تهديد
كقوله اعملوا ما شيتم ان الله مخرج اى مظهر ما تحذرون والمعنى ان الله يظهر
الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المومنين قال ابن كيسان
نزلت هذه الاية فى اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له فى ليلة
مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا وامره ان يرسل
اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقته رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فعال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها
حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال
لم اعرف منهم احدا يا رسول الله فعال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان
حتى عدهم كلهم فعال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فعال اكره ان يقول العرب
لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفينا هم الله بالدبيلة روى مسلم عن قيس بن عباد
قال قلت لعمار ارايتكم قتالكم ارايا رايتموه فان الراى يخطى ويصيب ام عهدا عهده
اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا
لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى امتى
شعبة واحسبه قال حدثنى حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى امتى
اثنى عشر منافقا لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط يمانيه منهم تكفيهم
الدبيلة خراج من نار يظهر فى اكتافهم حتى ينجم من صدورهم وقال بعض العلما
كان المنافقون يحذرون ان يفضحهم الله بالوحى فيهم وفى استهزائهم بالاسلام واهله
حتى قال بعضهم وددت انى قذفت مائة ولا ينزل فينا شى يفضحنا
فان قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم

قيل له ذكر العلماء فيه وجوها الاول ان هذا حذر اظهره المنافقون على
وجه الاستهزاء حين راوا الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر كل شئ ويدعى انه عن الوحى
فكان المنافقون يكذبونه بذلك فاعلمه الله تعالى انه يظهر سرهم الذى حذروا
ظهوره وامره ان يعلمهم بذلك وفى قوله قل استهزيوا دليل على صحة هذا القول
الثانى ان القوم وان كانوا كافرين بدين رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انهم كانوا
يشاهدون الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يضمرونه ويكتمونه فلاجل هذه
التجربة وقع الحذر والخوف فى قلوبهم الثالث قال الاصم انهم كانوا معترفين
بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا صادقا من عند الله تعالى الا انهم كفروا به
حسدا وعنادا الرابع انهم كانوا مترددين فى صحة نبوته وما كانوا قاطعين
بفسادها والشاك خائف فلهذا خافوا ان ينزل عليهم فى امرهم ما يفضحهم والله اعلم
وقال بعضهم انما كان فيهم من يتردد ولا نقطع بتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم
ولا يصدقه وكان فيهم من يعرف صدقه ويجاحد قال الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم **ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب** الاية وسبب نزولها
على ما قال زيد بن اسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك فى غزوة تبوك ما
نرى قرآءنا ارغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبننا عند اللقاء فقال له عوف كذبت
ولكنك منافق ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القران قد سبقه قال زيد قال عبد الله بن عمر
فنظرت اليه يعنى الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اباالله وايا ته ورسوله كنتم تستهزون ما يلتفت اليه وقال محمد بن اسحق الذى قال
هذه المقالة فيما بلغنى هو وديعة بن ثابت اخو بنى امية بن زيد بن عمرو بن عوف
وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوة تبوك وبين يديه
ناس من المنافقين فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها

هيهات هيهات ۰ فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك ۰ فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم
احبسوا على الركب ۰ فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا ۰ فقالوا انما كنا نخوض
ونلعب ۰ فانزل الله فيهم ما تسمعون ۰ وقال الكلبى ومقاتل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسير فى غزوه تبوك وبين يديه نفاة من المنافقين ۰ اثنان يستهزيان
بالقران والرسول ۰ والثالث يضحك ۰ فقال كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب
الروم ويفتح مدائنهم ۰ ما ابعده من ذلك ۰ وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم
انه نزل فى اصحابنا قران ۰ انما هو قوله وكلامه ۰ فاطلع الله نبيه صلى الله عليه
وسلم على ذلك ۰ فقال احبسوا على الركب ۰ فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا ۰ فقالوا انما
كنا نخوض ونلعب ۰ قال الواحدى واصل الخوض الدخول فى الماء ۰ ثم كثر حتى
صار اسما لكل دخول فيه تلويث واذى ۰ والمعنى انا كنا نخوض فى الباطل من الكلام
كما نخوض الركب لقطع الطريق ۰ ومعنى الاية انك يا محمد لو سالت هولاء المنافقين عما
كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ۰ وقال بعضهم المعنى ولئن سالتهم
وقلت لهم لم قلتم ذلك ۰ فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ۰ قال ابن العربى لا تحلوا
ما قالوه من ذلك اما جدا او هزلا ۰ وكيف ما كان فهو كفر ۰ فان الهزل بالكفر كفر ۰
بلا خلاف بين الامة ۰ واما الهزل فى الاحكام ففيه خلاف بين العلماء ۰ وروى
ابو داود والترمذى والدارقطنى بسندهم عن ابى هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد ۰ وهزلهن جد ۰ النكاح والطلاق والرجعة ۰
قال الترمذى حديث حسن صحيح ۰ والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم وغيرهم ۰ وروى الامام مالك فى الموطا عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب
قال ثلاث ليس فيهن لعب ۰ النكاح والطلاق والعتق ۰ وكذا روى عن على بن ابى طالب
وعبد الله بن مسعود وابى الدرداء رضى الله عنهم ۰ كلهم قال ثلاث لا لعب فيهن ۰ ولا رجوع
فيهن ۰ واللاعب فيهن جاد ۰ النكاح ۰ والطلاق ۰ والعتق ۰ وعن سعيد بن المسيب
عن عمر رضى الله عنه قال اربع جائزات على كل احد ۰ العتق والطلاق ۰ والنذور

والنكاح • وعن الضحاك مالك ثلاث لاتلعب فيهن النكاح والطلاق والنذور •
وقوله تعالى قل اى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون
وفى هذا توبيخ وتقريع للمنافقين • وانكار عليهم • وانه لم يُعبأ باعتذارهم • لانهم
كانوا كاذبين فيه • فجُعلوا كانهم معترفون باستهزائهم • وبانه موجود فيهم حتى
وُبّخوا بإخطاء يهم موقعَ الاستهزا حيث جُعِل المُستَهزَءُ به يَلِى حرفَ
التقرير • وذلك انما يستقيم بعد ثبوت الاستهزا • وقال بعضهم المعنى كيف تُقدِمون
على انقاع الاستهزا بالله • يعنى بفرايض الله وحُدوده واحكامه • والمراد بايآته
كتابُه • وبرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم • فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف
نقدر محمد على اخذ حصون الشام • قال بعض المسلمين الله يعينه على ذلك • فذكر
بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح فى قدرة الله تعالى • وانما ذكروا ذلك على طريق
الاستهزا • والله اعلم قوله عزوجل لاتعتذروا اى لاتشتغلوا باعتذاراتكم
الكاذبة • فانها لاتنفعكم بعد ظهور سركم • ومعنى الاعتذار مَحْوُ اثر الموجدة
من قلب المعتَذَر اليه • وقيل معنى العذر قطع الاثمة عن الجانى • واعتذر
بمعنى اعذر اى صار ذا عذر • وقال لبيد

ومن بيكِ حولا كاملا فقد اعتذر •

وتقال اعتذرت المنازل • اذا درست • والاعتذار الدروس • اى انه يمحوا اثر الموجدة
اى يدرسها • وقال الشاعر

امّ كنتَ تعرف آيات فقد جَعَلت • اَطلالَ اِلفك مالوَركا تعتذر •

وقال ابن الاعرابى اصل الاعتذار القطع • واعتذرت اليه • اى قطعت ما فى قلبه
من الموجدة • ومنه عُذرة الغلام • وهو ما يُقطع منه • وعُذرة الجارية • لانه
يقطع خاتم عذرتها • وقوله قد كفرتم بعد ايمانكم يعنى ان الاستهزا بالله كفر •
والاقدام عليه يوجب الكفر • ولهذا قال تعالى لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم •
يعنى بعد اظهاركم الايمان • فان قيل ان المنافقين لم يكونوا مومنين فى الحقيقة •

فكيف قال تعالى كفرتم بعد ايمانكم • قيل له معناه اظهرتم الكفر بعد ما كنتم قد
اظهرتم الايمان • وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر • ويظهرون الايمان • فلما
حصل ذلك الاستهزا منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم • وقيل معناه
قد كفرتم عند المومنين بعد ان كنتم عندهم مومنين • وقال بعضهم قوله
قد كفرتم بعد ايمانكم يدل على احكام • الاول ان الاستهزا بالدين كفر بالله كيف
كان • لان العمدة في الدين تعظيم حضرة الله تعالى باقصى الامكان • والاستهزا هو
الاستخفاف فلا يمكن الجمع بينهما • الثاني فيه دليل على بطلان من يقول الكفر لا
يدخل الا في افعال القلوب • الثالث فيه دليل على ان قولهم الذي صدر عنهم كفر في
الحقيقة • وان كانوا منافقين من قبل • الرابع فيه دليل على ان هذا الكفر انما حدث
بعد ان كانوا مومنين • ولقايل ان يقول القوم لما كانوا منافقين فكيف يصح
وصفهم بذلك • فنقول قال الحسن المراد كفرتم بعد الايمان الذي اظهرتموه •
وقيل ظهر كفرهم للمومنين بعد ان كانوا مسلمين • وعدم هذا القول • وقوله
ان نعف عن طائفة منكم يعني بتوبتهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين اي مصرين على النفاق غير تايبين منه • وقرا الكوفيون
غير عاصم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة • وذكر المفسرون ان
الطائفتين كانوا ثلاثة • فالواحد طايفة • والاثنان طائفة • والعرب توقع لفظ الجمع
على الواحد • ولهذا اطلق لفظ الطايفة على الواحد • قال محمد بن اسحق الذي عفي
عنه رجل واحد • وهو مخشي بن حمير الاشجعي • يقال انه هو الذي كان يضحك ولا
يخوض • وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم • وينكر بعض ما يسمع • فكان ذنبه اخف •
فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام • وقال اللهم اني لا ازال اسمع
اية تقرا اعفى بها تقشعر منها الجلود • وتجب منها القلوب • اللهم اجعل وفاتي قتلا
في سبيلك • لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت • فاصيب يوم اليمامة ولم
يعرف احد من المسلمين مصرعه • قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم

من بعض وهذا نوع اخر من انواع فضايحهم وقبايحهم والمقصود اذا انا ثهم
كذكورهم فى تلك الاعمال المنكره والاعمال الخبيثة وقال بعضهم معناه ان المنافقين
على امر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثه كما يقول الانسان
لغيره انا منك وانت منى اى امرنا واحد لامباينه فيه وكان الرجال المنافقون
ثلثمايه رجل والنسا المنافقات مايه وسبعين امراه ثم وصفهم تعالى بما يدل
على مضادة حالهم كحال المومنين فقال تعالى يامرون بالمنكر اى بالكفر والعصيان
وقيل يامر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم
وينهون عن المعروف يعنى عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم
ويقبضون ايديهم يعنى عن الانفاق فى سبيل الله وفى كل خير نسوا الله فنسيهم
قال اهل العلم هذا الكلام لايمكن اجراوه على ظاهره لانا لو حملناه على النسيان الحقيقى
لم نستحق منا عليه لان النسيان ليس فى وسع البشر دفعه وايضا فان النسيان فى
حق الله تعالى محال فلا بد من التاويل وفيه وجهان الاول معناه انهم تركوا
امره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه
ورحمته فخرج على مخرج المزاوجة الكلام فهو كقوله وجزا سيئة سيية مثلها الوجه
الثانى ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فيمن
ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيا
لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته فى
الدنيا ومن رحمته فى العقبى ان المنافقين هم الفاسقون اى هم الكاملون فى الفسق
الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى بالمسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه
هذا الاسم الفاحش الذى وصف به المنافقون حيث بالغ تعالى فى ذمهم ولهذا
كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول الرجل كسلت لان المنافقين وصفوا
بالكسل فى قوله تعالى ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالا فما ظنك بالفسق وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها تقال وعده بالخير وعدا

ووعده بالشر وعيدا • فالوعد يكون فى الخير والشر • وقوله نار جهنم فيه حذف •
تقديره بان يصلونها • فقوله خالدين فيها تحنى مقيمين فيها هى حسبهم يعنى هى كافيتهم
جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة • وفى قوله هى حسبهم دلالة على
عظيم عذابها • وانه بحيث لايزاد عليه ولعنهم الله يعنى وابعدهم من رحمته •
وطردهم عن بابه • وقد اهانهم مع التعذيب • وجعلهم مذمومين • ملحقين بالشياطين
الملاعين ولهم عذاب مقيم اى دايم معهم فى العاجل لاسفكون عنه • وهو ما
يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين • وما يحذرونه
ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم • فان قيل قوله خالدين
فيها معنى ولهم عذاب مقيم • وهذا تكرار • فما معناه • قيل له ليس ذلك تكرار •
وبان الفرق من وجهين • الاول ان معناه لهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى
الصلى بالنار • ولقايل ان يقول هذا التاويل مشكل • لانه تعالى قال فى النار هى حسبهم •
وذلك يمنع من ضم شى اخر الى عذاب النار • واجيب عن هذا الاشكال بان قوله هى
حسبهم فى الايلام • ولا يمتنع ان يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير
ونحوه • ويكون ذلك زيادة فى عذابهم • الوجه الثانى ان العذاب المقيم هو العذاب
المعجل لهم فى الدنيا • وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من
النفاق وكشف فضايحهم وهذا هو العذاب المقيم • وقوله تعالى كالذين من قبلكم
هذا رجوع من الغيبة الى خطاب الحضور • والكاف فى كالذين للتشبيه • والمعنى فعلتم
كافعال الذين من قبلكم • شبه سبحانه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من
قبلهم فى الامر بالمنكر والنهى عن المعروف • وقبض الايدى عن فعل الخير والطاعة •
وقيل انه تعالى شبه المنافقين فى عدولهم عن طاعة الله واتباع امره لاجل طلب
الدنيا بمن قبلهم من الكفار • ثم وصف الكفار بانهم كانوا اشد من هولا المنافقين قوة
واكثر اموالا واولادا • فقال تعالى كانوا اشد منكم قوة يعنى بطشا ومنعة واكثر
اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم يعنى فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع

الشهوات ورضوا بها عوضا من الاخرة ٥ والخلاق النصيب ٥ وهو ما خلق للانسان وقدر
له من خير كما تقال قسم له ٥ والخلو مشتق من الخلق ٥ وهو التقدير واستمتعتم بخلاقكم
وهذا خطاب للحاضرين ٥ يعنى فتمتعتم ايها المنافقون والكافرون بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم فان قيل ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الاولين
بالثانى قيل له فايدته ان يذم الاولين باستمتاع ما اوتوا من حظوظ الدنيا
وشهواتها ورضاهم بها ٥ وتركوا النظر فيما يصلحهم فى الدار الاخره ٥ ثم شبه حال
المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ٥ ثم رجع الى ذكر حال الاولين
بالثانى وهذا كما تريد ان تبكت بعض الظلمة على قبح فعله ٥ فتقول له انت مثل
فرعون ٥ كان يقتل بغير حق ٥ ويعذب بغير جرم ٥ وانت تفعل مثل ما كان يفعل ٥
فالتكرير هنا للتاكيد ٥ وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم فى فعلهم ٥ وفى لفظ
اخر لبعضهم انما قُدِّم فاستمتعوا بخلاقهم مع ان قوله كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم مُغنٍ عنه ليلزم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا
والتهائهم بشهواتها الفانيه عن النظر فى العاقبه وطلب الفلاح فى الاخرة
ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم ٥ والله اعلم ٥ وقوله وخضتم كالذى
خاضوا معطوف على ما قبله ومستند اليه ٥ يعنى وسلكتم فى فعلكم مثل ما سلكوا
فى اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمومنين ٥ والخوض
الدخول فى الباطل واللهو ٥ ماخوذ من الخوض فى الماء ٥ يقال خضت الماء اخوضه
خوضا ٥ وخياضا ٥ والموضع مخاضة ٥ وهو ما جاز الناس فيه مشاة وركبانا ٥
وتقول خضت الغمرات ٥ اى اقتحمتها ٥ وتقول العرب خاضه بالسيف ٥ اى جرّب
سيفه فى المضروب ٥ وخاض القوم فى الحديث ٥ وتخاوضوا ٥ اى تفاوضوا فيه ٥
ومعنى الايه خضتم فى اسباب الدنيا باللهو واللعب ٥ وقيل خضتم فى امر نبيا محمد
صلى الله عليه وسلم بالتكذيب اولئك حبطت اعمالهم يعنى بطلت اعمالهم فى الدنيا
والاخره يعنى ان اعمالهم لا تنفعهم فى الدنيا ولا فى الاخرة ٥ بل يعاقبون عليها

واولئك هم الخاسرون والمعنى انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا انبطل
اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون ۝ روى في الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم ۝ قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ۝ قال
فمن ۝ وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تاخذون كما
اخذت الامم قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو ان احدا من اولئك
دخل جحر ضب لدخلتموه ۝ قال ابو هريرة وان شئتم فاقرؤا القران كذلك من قبلكم
كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم ۝ قال ابو هريرة الخلاق
الدين ۝ ثم قرا الاية الى اخرها ۝ وقال ابن عباس رضى الله عنه ما اشبه الليلة بالبارحة ۝
هؤلاء بنو اسرائيل شبههنا بهم ۝ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال انتم اشبه شئ ببنى
اسرائيل سمتا وهديا حذو القذة بالقذة ۝ غير انى لا ادرى اتعبدون العجل
ام لا ۝ والقذة النعل ۝ قوله تعالى الم يأتهم رجع من الخطاب الى الغيبة ۝
يعنى المرتابين هؤلاء المنافقين والكفار ۝ وهو استفهام بمعنى التقرير ۝ اى قد اتاهم
نبأ يعنى خبر الذين من قبلهم يعنى الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم
حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا كيف عذبناهم فاهلكناهم ۝ ثم ذكرهم فقال تعالى
قوم نوح يعنى انهم اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح العقيم وثمود اهلكوا
بالرجفة وقوم ابرهيم اهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة واصحاب
مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات يعنى المنقلبات التى
جعل الله عاليها سافلها ۝ وهى مدائن قوم لوط ۝ وايتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير
الى الشر ۝ وانما ذكر الله تعالى هذه الطوائف الستة ۝ لان اثارهم باقية وبلادهم
بالشام والعراق واليمن ۝ وكل ذلك قريب من ارض العرب ۝ فكانوا يمرون عليهم ويعرفون
اخبارهم اتتهم رسلهم بالبينات يعنى بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات ۝
الدالة على صدقهم فكذبوهم ۝ وخالفوا امرنا كما فعلتم ايها الكفار والمنافقون ۝

فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم فما كان الله ليظلمهم
يعنى تعجيل العقوبة لهم • لانه تعالى حكيم لا يعاقب بغير جرم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون اى ما كان سبحانه ليظلمهم بتعجيل العقوبة لهم • ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالكفر وتكذيب الرسل • قوله عروجل والمومنون والمومنات بعضهم اولياء
بعض اعلم ان الله تعالى لما بالغ فى وصف المنافقين بالاعمال الخبيثه والاحوال الفاسده
ثم ذكر بعده ما اعد لهم من انواع الوعيد فى الدنيا والاخرة عقبه بذكر اوصاف
المومنين واعمالهم الحسنة • وما اعد لهم من انواع الكرامات والخيرات فى الدنيا والاخره •
فقال تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض • فان قيل انه تعالى قال
فى وصف المنافقين بعضهم من بعض • وقال فى وصف المومنين بعضهم اولياء بعض • فما
الفايدة فى ذلك • قيل له لما كان الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين
وهم الروسا والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض •
ولما كانت الموافقه الحاصلة بين المومنين تسدد بداية الله تعالى وتوفيقه وهدايته
لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم اولياء بعض • فظهر الفرق بين
الفريقين • وظهرت الفايده • ثم ذكر بعد هذه الاية انواع ما اعده لهم من الثواب
الدايم • والنعيم المقيم • وقال بعض المفسرين ان الله تعالى لما وصف المومنين بهذا
الوصف ذكر بعده ما يجرى مجرى التفسير له • فقال عز من قايل يامرون بالمعروف
يعنى بالايمان بالله ورسوله واتباع امره • والمعروف كل ما عرف فى الشرع من خير وبر
وطاعة وينهون عن المنكر يعنى عن الشرك والعصيان • وروى عن ابى العالية انه قال
كل ما ذكر الله تعالى فى القران من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو النهى عن عبادة
الاوثان والشياطين • والمنكر كل ما ينكره الشرع • وتنفر منه الطبع • وهذا فى مقابله
ما وصف به المنافقون وضده ويقيمون الصلاه يعنى الصلاه المفروضة ويتمون اركانها
وحدودها ويوتون الزكاة يعنى الواجبة عليهم • وهو فى مقابلة قوله ويقبضون
ايديهم ويطيعون الله ورسوله يعنى فيما امرهم به وهو فى مقابله ويقبضون ايديهم •

نفاقهم

نسوا الله فنسيهم اولئك يعني المومنين والمومنات الموصوفين بهذه الصفات سيرحمهم
الله لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المومنين
من الرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنان ه والسين في سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد ه
وهي مفيدة وجوب الرحمة لا محاله ه فهي توكد الوعيد في سأنتقم منكم يوما ان الله
عزيز اي غالب على كل شي قادر عليه ه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا
موضعه ه وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب ه لان العزيز هو الذي لا يمتنع
عليه شي اراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن اراد ه وايصال العقوبة لمن اراد ه والحكيم
هو الذي يدبر عباده على ما تقتضيه العذاب والانصاف وعد الله المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها لما ذكر الله تعالى في الايات المتقدمه وعيد
المنافقين وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه الاية ما وعد به المومنين من
الخير والثواب ه والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يجاري في
حسنها الناظر ه لانه قال ومساكن طيبة في جنات عدن ه والمعطوف يجب ان يكون مغايرا
للمعطوف عليه ه فيكون مساكنهم في جنات عدن ه ومناظرهم الجنات التي هي البساتين ه
فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها ه والجنات الاخر هي البساتين التي يتنزهون
فيها ه فهي فايدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما ومساكن طيبة
يعني ومنازل يسكنونها طيبة يطيب فيها العيش ه وقال الحسن المساكن الطيبة قصور
من اللولو والياقوت والزبرجد ه يفوح طيبها من مسيرة خمسمائة عام في جنات عدن
يعني في بساتين خلد واقامة ه يقال عدن بالمكان اذا اقام به ه روى الطبري بسنده
عن عمران بن حصين وابي هريرة رضي الله عنهما قالا سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
هذه الاية ومساكن طيبة في جنات عدن ه قال قصر من لولوة ه في ذلك القصر سبعون
دارا من ياقوتة حمراء ه في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء ه في كل بيت سبعون
سريرا ه على كل سرير سبعون فراشا من كل لون ه على كل فراش زوجة من الحور العين ه
في كل بيت سبعون مايدة ه على كل مايدة سبعون لونا من طعام ه في كل بيت سبعون وصيفة ه

ويعطى المومن من القوة فى غداة ما ياتى على ذلك كله اجمع ٠ وروى ايضا بسنده عن
ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دارة ٠ يعنى
دار الله التى لم ترعين ولم تسمع اذن ولم تخطر على قلب بشر ٠ وهى مسكنه ٠ ولا يسكنها
معه من بنى ادم غير ثلاثة ٠ النبيين ٠ والصديقين ٠ والشهدا ٠ والصالحين يقول الله
عز وجل طوبى لمن دخلك ٠ هكذا رواه الطبرى ٠ فان صحت هذه الرواية فلابد من تاويلها ٠
فقوله عدن دارة ٠ يعنى دار الله ٠ هو من باب حذف المضاف ٠ تقديره عدن دار الله
التى اعدها لاوليائه واهل طاعته والمقربين من عباده ٠ وعن ابى هريرة رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما ٠ وجنتان من
ذهب آنيتهما وما فيهما ٠ وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه
تعالى فى جنة عدن ٠ اخرجه البخارى ومسلم ٠ وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
عدن بطنان الجنة ٠ يعنى وسطها ٠ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان فى
الجنة قصرا يقال له عدن ٠ حوله البروج والمروج ٠ له خمسة الاف باب ٠ لا يدخله
الا نبى او صديق او شهيد ٠ وقال عطاء بن السايب عدن نهر فى الجنة جنانه على
حافتيه ٠ وقال مقاتل والكلبى عدن اعلا درجة فى الجنة فيها عين التسنيم
والجنان حولها محدقة بها ٠ وهى مغطاة من حين خلقها الله ٠ حتى ينزلها اهلها الانبيا
والصديقون والشهدا والصالحون ومن شا الله ٠ وفيها قصور الدر والياقوت
والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل كثبان المسك الابيض ٠ وروى
عطا عن ابن عباس رضى الله عنه قال حنات عدن هى قصبة الجنة ٠ وسقفها عرش
الرحمن ٠ وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله حدثنى عن الجنة ما بناوها ٠
فقال لبنة من ذهب ٠ ولبنة من فضة ٠ وملاطها المسك ٠ وترابها الزعفران ٠
وحصباوها الدر والياقوت ٠ فيها نعيم بلا بوس ٠ وخلود بلا فنا ٠ وعن سهل بن
سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراؤن
الغرفة فى الجنة كما تتراؤن الكوكب فى السما ٠ رواه مسلم وفى رواية اخرى له

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنه
ليتراؤن اهل الغرف من فوقهم كما تتراؤن الكوكب الدري الغابر من الافق من
المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم • قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيآ لا يبلغها
غيرهم • قال بلى والذى نفسى بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين • وعن ابى بكر
ابن عبد الله بن قيس عن ابيه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان
للمومن فى الجنة لخيمه من لولوة واحده مجوفة طولها ستون ميلا • للمومن فيها
اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى بعضهم بعضا • وقوله تعالى ورضوان من الله اكبر
يعنى ان رضوان الله الذى ينزله عليهم اكبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة • لان
رضاه سبب كل فوز وسعادة • قال بعضهم وهذا هو الدليل القاطع فى ان السعادات
الروحانية اكمل واشرف من السعادات البدنيه الجسمانيه ذلك هو الفوز العظيم •
اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان • روى البخارى ومسلم عن ابى سعيد
الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول
لاهل الجنة يا اهل الجنة • فيقولون لبيك ربنا وسعديك • والخير فى يديك • فيقول هل
رضيتم • فيقولون ومالنا لا نرضى يا ربنا وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك • فيقول
الا اعطيكم افضل من ذلك • فيقولون يا ربنا واى شى افضل من ذلك • فيقول احل عليكم رضوانى
فلا اسخط عليكم بعده ابدا • وعن ابى هريره رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال من يدخل الجنة ينعم لا يبتأس • لا تبلى ثيابه • ولا يفنى شبابه • رواه مسلم •
وعن ابى سعيد الخدرى وابى هريره رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
ينادى مناد يا اهل الجنه ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا • وان لكم ان تحيوا فلا
تموتوا ابدا • وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا • وان لكم ان تنعموا فلا تبتئسوا
ابدا • قال بعض العلما لما ذكر الله تعالى جنات عدن والمساكن الطيبه ورضوان الله
قال ذلك هو الفوز العظيم • وذلك ان الانسان مخلوق من جوهر لطيف علوى روحانى
ومن جوهر كثيف سفلى جسمانى • ولكل واحد منهما سعادة وشقاوة • فاذا حصلت

الخيرات الجسمانية وانضم اليها حصول السعادات الروحانية كان الروح فايزا
بالسعادات اللائقة بها. والجسد واصلا الى السعادات اللائقة به. ولاشك ان ذلك
هو الفوز العظيم. والله اعلم بمراد كلامه العظيم قوله عز وجل يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين اعلم ان الله تعالى لما وصف المنافقين بالصفات القبيحة وتوعدهم
بانواع العقاب وكانت سنة الله تعالى في هذا الكتاب جارية بذكر الوعد مع الوعيد
لاجرم ذكر عقيبه وصف المومنين بالصفات الجميلة. ووعدهم بالدرجات العالية.
ثم عاد مرة اخرى الى شرح احوال الكفار والمنافقين في هذه الاية. فقال يا ايها النبي
جاهد الكفار اي بالسيف والمحاربة والقتال. والمنافقين بالحجة. واختلفوا في
صفة جهاد المنافقين. وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن الكفر
ويظهر الاسلام. ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره
الاسلام. فقال ابن عباس رضي الله عنه امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد
الكفار بالسيف. والمنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم. وهذا قول الضحاك ايضا.
وقال ابن مسعود بيده. فان لم يستطع فبلسانه. فان لم يستطع فبقلبه. فان لم
يستطع فليكفهر في وجهه. وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم. يعني اذا
تعاطوا اسبابها. وهذا القول فيه بعد. لان اقامة الحدود واجبة على من ليس
بمنافق. فلا تتعلق لاقامة الحدود على المنافق. وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان
غالب من كان يتعاطى اسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
المنافقون. قال الطبري واولى الاقوال قول ابن مسعود رضي الله عنه لان الجهاد عباره
عن بذل الجهد. وقد دلت الاية على وجوب جهاد المنافقين. وليس في الاية ذكر
كيفية ذلك الجهاد. فلا بد من دليل منفصل. وقد دلت الدلايل المنفصلة ان
الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف. ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة.
وبترك الرفق بهم تارة. وبالانتهار تاره. وهذا هو قول ابن مسعود. وهذه
الاية نسخت كل شئ من العفو والصلح والصفح. يعني مع الكفار والمنافقين. واغلظ عليهم

يعني اشدد عليهم بالجهاد والارهاب ۞ ولا تحابهم ۞ والغلظ نقيض الرافة ۞ وهي شدة
القلب على احلال الامر بصاحبه ۞ وليس ذلك في اللسان ۞ فان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ۞ ومنه قوله تعالى ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ۞ ومنه قول السنوة لعمر انت افظ واغلظ من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ ومعنى الغلظ خشونة الجانب ۞ وهو ضد قوله تعالى واخفض
جناحك لمن اتبعك من المومنين ۞ وقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ۞
وماواهم جهنم وبيس المصير يعني ان جهنم مسكنهم وبيس المصير مصيرهم اليها ۞
فان قيل كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين من اظهر اصحابه مع علمه
بهم وبحالهم ۞ قيل له انما امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال من اظهر
كلمة الكفر ۞ واقام على اظهارها ۞ فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه انكره
ورجع عنه وقال اني مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده
وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن ۞ لان الله تعالى امر بما جرا الاحكام على الظواهر ۞
فلذلك اجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ۞ ووكل سرايرهم الى الله عز ۞
لانه العالم بما حوالهم ۞ وهو مجازيهم في الاخرة بما يستحقونه ۞ قوله عز وجل
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهذه
الاية تدل على ان اقواما من المنافقين قالوا كلمات فاسدة ثم لما قيل لهم انكم
ذكرتم هذه الكلمات خافوا وحلفوا انهم ما قالوها ۞ فاكذبهم الله عز وجل ۞ واختلف
المفسرون فيمن نزلت هذه الاية ۞ فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد ۞
اقبل هو وابن امراته مصعب من قباء ۞ فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا
لنحن شر من حمرنا هذه التي نحن عليها ۞ فقال مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت ۞ وخفت ان ينزل في القران او ان تصيبني
قارعة ۞ او ان اخلط بخطيئة ۞ فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ فقلت يا رسول الله
اقبلت انا والجلاس من قبا فقال كذا وكذا ۞ ولولا مخافة ان اخلط بخطيه او

تصيبني قارعة ما اخبرتك ۰ قال فدعا الجلاس ۰ فقال له يا جلاس اقلت ما قال مصعب
فحلف ما قال ۰ فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ۰ الى آخر الاية ۰ وروى عن مجاهد
نحوه ۰ وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل
حجرة ۰ فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعين الشيطان ۰ فاذا جاء فلا تكلموه ۰
فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق ۰ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ۰ فقال علام تشتمني
انت واصحابك ۰ فانطلق الرجل فجاء باصحابه ۰ فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز
عنهم ۰ فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ۰ ثم نعتهم جميعا الى اخر الاية ۰ ۵
وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا ۰ احدهما من جهينة ۰ والاخر من غفار ۰
وكانت جهينة حلفا الانصار ۰ فظهر الغفاري على الجهني ۰ فقال عبد الله بن ابي ابن
سلول للاوس انصروا اخاكم ۰ فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك
يأكلك ۰ وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ۰ فسعى بها رجل
من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فساله ۰ فحلف بالله ما قاله ۰
فانزل الله تعالى هذه الاية ۰ هذه روايات الطبري ۵ وذكر البغوي عن الكلبي قال
نزلت في الجلاس بن سويد ۰ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم
بتبوك فذكر المنافقين ۰ وسماهم رجسا وعابهم ۰ فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا
لنحن شر من الحمير ۰ فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر
ابن قيس فاخبره بما قال الجلاس ۰ فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي ۰ فامرهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر ۰ فقام الجلاس عند المنبر بعد
العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ۰ ولقد كذب علي عامر ۰ ثم قام عامر
فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ۰ ثم رفع عامر يده الى
السما ۰ فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا ۰ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمومنون آمين ۰ فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الآية ۵
حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم ۰ فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد

عرض علي التوبة ٥ صدق عامر بن قيس فيما قاله ٥ لقد قلته ٥ وانا استغفر الله
واتوب اليه ٥ فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ٥ ثم تاب وحسنت
توبته ٥ فذلك قوله يحلفون بالله ما قالوا ٥ ولقد قالوا كلمة الكفر ٥ بعد الاسلام ٥
وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم ٥ قال هي كلمة الجلاس بن سويد لين
كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير ٥ وقال هي كلمة عبد الله بن ابي لين رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ٥ وستاتي القصة في موضعها في سورة
المنافقين ان شاء الله تعر ٥ وقال بعض المفسرين الاولى ان تحمل هذه الاية على ما
روى ان المنافقين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من تبوك ٥ وكانوا
اثني عشر منافقا ٥ تعاهدوا ان يدفعوه عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل ٥
وكان عمار بن ياسر اخذا بخطام الناقة ٥ وحذيفة خلفها يسوقها ٥ فسمع حذيفة
وقع اخفاف الابل ٥ وقعقعة السلاح ٥ فالتفت فاذا قوم متلثمون ٥ فقال اليكم اليكم
يا اعداء الله ٥ فهربوا ٥ فذلك قوله تعالى وهموا بما لم ينالوا يعني المنافقين حين هموا
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حتى جاء جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى
الله عليه وسلم وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم ٥ فارسل حذيفة لذلك ٥
وقال خذ نفه رضي الله عنه سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عدهم كلهم ٥ فقلت
الا تبعث اليهم يا رسول الله من يقتلهم ٥ فقال صلى الله عليه وسلم اكره ان تقول العرب لما
ظفر باصحابه اقبل بقتلهم ٥ بل يكفيهم الله بالدبيلة ٥ قيل يا رسول الله وما
الدبيلة ٥ قال شهاب من نار يضعه على فواد احدهم حتى تزهق نفسه ٥ وفي لفظ
اخر سراج من نار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم ٥ فكان كما قال الصادق
المصدوق صلى الله عليه وسلم ٥ وقيل هموا بقتل عامر لرده على عبد الله بن ابي
او على الجلاس ٥ وقيل هموا بعقد التاج على راس عبد الله بن ابي فلم يصلوا
اليه ٥ قال الله تعالى وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله يعني وما انكروا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله ٥ والمعنى

ان المنافقين عملوا بضد الواجب ۝ فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقولوا
عليه ۝ وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا اشرا وبطرا ۝ وقال ابن قتيبة معناه
ليس ينقمون شيا ۝ ولا تنعرفون من اسمه الا الصنع ۝ وهذا كقول الشاعر ۝
ما نقم الناس من امية الا ۝ انهم يحلمون ان غضبوا ۝
وقال بعضهم ايضا في هذا المعنى ليس هذا تنبيه على انه ليس هناك شي ينقمون منه ۝
وهذا كقول النابغة ۝
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۝ بهن فلول من قراع الكتايب ۝
اي ليس فيهم عيب ۝ وقال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
في ضنك من العيش ۝ فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنايم ۝ فعلى
هذا القول يكون الكلام عاما ۝ وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى ۝ فامر له
النبي صلى الله عليه وسلم بديته ۝ وفي لفظ آخر كانوا حين قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش ۝ لا يركبون الخيل ۝ ولا يحوزون الغنيمة ۝ فاثروا
بالغنايم ۝ وقتل للجلاس مولى ۝ فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى ۝
وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية ۝ فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له ۝
وقال عكرمة ان مولى لبني عدي قتل رجلا من الانصار ۝ فقضى له النبي صلى الله
عليه وسلم بالدية اثني عشر الفا ۝ وفيه نزلت وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم يعني فان تتوبوا من كفرهم ونفاقهم يكن ذلك خيرا
لهم في العاجل والآجل ۝ والمراد من هذا استعطاف قلوبهم بعد ما صدرت
الجناية العظيمة عنهم ۝ وقال بعضهم ليس في الاية الا انهم ان تابوا فازوا بالخير ۝
واما انهم تابوا فليس في الاية ذلك ۝ وتقدم لنا ان الجلاس قام حين نزلت هذه
الاية فاستغفر وتاب ۝ فدل هذا على قبول توبة الكافر الذي يسر الكفر ويظهر
الايمان ۝ وهو الذي يسميه الفقها الزنديق ۝ وقد اختلف العلما فيه ۝ فقال الامام
الشافعي تقبل توبته ۝ وقال الامام مالك توبة الزنديق لا تعرف ۝ لانه كان يظهر

الايمان ويسر الكفر ولا يعلم ايمانه الا بقوله وكذلك يفعل الان وفي كل حين يقول
انا مومن وهو يضمر خلاف ما يظهر فاذا عثر عليه وقال تبت لم تعتبر حاله
عما كان عليه واذا جاء تائبا من قبل نفسه قبل ان نعثر عليه قبلت توبته
وهو المراد بالاية والله اعلم وقوله تعالى وان يتولوا يعني وان يعرضوا عن الايمان
والتوبة ويصروا على النفاق والكفر يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا يعني بالحزن
والاذلال والآخرة اي ويعذبهم في الاخرة بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير
يعني وليس لهم احد يمنعهم من عذاب الله او ينصرهم في الدنيا والآخرة قوله
تعالى ومنهم من عاهد الله لين آتانا من فضله لنصدقن الآية اعلم ان هذه
السورة اكثرها في شرح احوال المنافقين ولا شك انهم اصناف فلهذا ذكرهم الله تعالى
على وجه التفصيل فقال ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من يلمزك في الصدقات
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الى غير ذلك من اخبارهم وقال تعالى هنا ومنهم من
عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى اخرها روى البغوي
بسنده عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك
فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في
رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة
لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك
بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه
المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها وهي تنمى كما ينمو الدود فكان
يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات
ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت

حتى تباعد عن المدينة ايضا. حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة. فكان اذا كان
يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار. فذكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم. فقال ما فعل ثعلبة. فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبه غنما ما
يسعها واد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة. يا ويح ثعلبة.
يا ويح ثعلبه. فانزل الله عز وجل اية الصدقه. فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجلا من بنى سليم ورجلا من جهينة. وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف ياخذان
وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب. وبرجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما. فخرجا
حتى اتيا ثعلبه. فسالاه الصدقة. واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال
ما هذه الا اخت الجزيه. انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى. فانطلقا. وسمع بهما السلمى. فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة. ثم
استقبلهما بها. فلما راياها قالا ما هذا عليك. قال خذاه. فان نفسى بذلك
طيبة. فمرا على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة. فقال ارونى كتابكما.
فقراه. ثم قال ما هذه الا اخت الجزيه. اذهبا حتى ارى رايى.
قال فاقبلا. فلما راهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان تتكلما يا ويح ثعلبه.
يا ويح ثعلبة. يا ويح ثعلبه. ثم دعا للسلمى بخير. فاخبراه بالذى صنع ثعلبة.
فانزل الله عز وجل فيه. ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن. الآية الى
قوله وبما كانوا يكذبون. وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب
ثعلبة. فسمع ذلك. فخرج حتى اتاه. فقال ويحك يا ثعلبة لقد انزل الله فيك كذا وكذا.
فخرج ثعلبه حتى اتا النبى صلى الله عليه وسلم. فساله ان يقبل منه صدقته. فقال
صلى الله عليه وسلم ان الله منعنى ان اقبل منك صدقتك. فجعل يحثو على راسه التراب.
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك. قد امرتك فلم تطعنى. فلما ابى
ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله. وقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم. فاتى ابا بكر رضى الله عنه. فقال اقبل صدقتى. فقال ابو بكر لم يقبلها

منك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانا لا اقبلها. فقبض ابو بكر ولم يقبلها. فلما ولي
عمر رضي الله عنه اتاه. فقال اقبل صدقتي. فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا ابو بكر. انا لا اقبلها منك. فلم يقبلها. ثم ولي عثمان رضي الله عنه فاتاه فلم
يقبلها منه. وهلك في خلافه عثمان ٥ وقال بعض العلما انما لم يقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدقه ثعلبه لان الله تعالى منعه من قبولها منه مجازاه له
على اخلافه ما عاهد الله عليه. واهانة له على قوله انما هي جزية او اخت الجزيه ٥
فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له. وليعتبر غيره به فلا
يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها. ويرى انها واجبة عليه. وانه يثاب
على اخراجها. ويعاقب على منعها. وقال ابن عباس رضي الله عنه ان ثعلبه اتى مجلسا
من مجالس الانصار فاشهدهم ليئن اتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه.
وتصدقت منه. ووصلت القرابة. فمات ابن عم له فورث منه مالا. فلم يف بما
عاهد الله عليه. فانزل سبحانه فيه هذه الاية. وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبه
ومعتب بن قشير. وهما من بني عمرو بن عوف. خرجا على ملاء فقعود. فقالا ليئن رزقنا
الله من فضله لنصدقن. فلما رزقهما الله بخلا به. وقال ابن السايب ان حاطب بن
ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطا عليه. فجهد لذلك جهدا شديدا. فحلف بالله
ليئن اتاني الله من فضله. يعني ذلك المال لاصدقن منه. ولاصلن. فلما آتاه ذلك
المال لم يف بما عاهد الله عليه. فنزلت هذه الاية. وهذه الرواية في حق حاطب ضعيفة.
فان حاطبا كان من اهل بدر. وممن شهد الله له ورسوله بالايمان. فلا يليق نسبة
ذلك اليه ٥ وهنا سوالات. السوال الاول المنافق كافر. والكافر كيف يمكنه
ان يعاهد الله. والجواب ان المنافق قد يكون عارفا بالله تعالى. الا انه كان منكرا
لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وايضا فلعله حين عاهد الله بهذا العهد
كان مسلما. ثم لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا. ولفظ الاية مشعر بما
ذكرناه. حيث قال تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم. السوال الثاني هل من شروط هذه

المعاهدة التصريح باللسان ام لا ٥ والجواب ان من العلماء من قال ليس التصريح بشرط ٥
حتى اذا نواه بقلبه فانه يكون داخلا تحت هذا العهد ٥ وقال المحققون ان هذه
المعاهدة مشروطة بشرط التلفظ بها ٥ لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عفا عن امتي
ما حدثت به انفسها ٥ وايضا فقوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله
لنصدقن اخبار عن تكلمه بهذا القول ٥ والله اعلم وقوله ولنكونن من الصالحين
يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمله اهل الصلاح من اموالهم من صلة الارحام والانفاق
في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير ٥ واخراج الزكاة وايصالها الى اهلها ٥ والصالح
ضد المفسد ٥ والمفسد هو الذي يخل بما يلزمه في حكم الشرع ٥ وقيل ان المراد بقوله
لنصدقن اخراج الزكوة الواجبة ٥ وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما
يفعله اهل الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة ٥ فان قيل المراد
من قوله لنصدقن اخراج مال ٥ وذلك على قسمين ٥ قسم قد يكون واجبا ٥ وقسم قد
يكون غير واجب ٥ والواجب قسمان ٥ قسم وجب بالزام الشارع ابتداء كاخراج
الزكوات والنفقات الواجبة ٥ وقسم وجب بالزام الشارع بناء على الالتزام بالنذور والكفارات ٥
اذا عرفت هذه الاقسام الثلاثة فهل التصدق يتناول الاقسام الثلاثة ام لا ٥
والجواب الصدقات التي لا تكون واجبة غير داخلة تحت هذه الاية لان
الله تعالى وصفهم بقوله بخلوا به ٥ والبخل في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ٥
وايضا انه تعالى ذمهم بهذا الترك ٥ وترك المندوب لا يوجب الذم ٥ بقي القسمان ٥
وهما الداخلان تحت الاية لا محالة ٥ والله اعلم ٥ وفي قوله تعالى لئن اتانا من فضله
لنصدقن دليل على ان من قال ان ملكت كذا وكذا فهو صدقة فانه يلزمه عند
الامام ابي حنيفه والامام مالك ٥ وقال الامام الشافعي لا يلزمه ٥ والخلاف في الطلاق
والعتق مثله والله اعلم ٥ وقوله فلما اتاهم من فضله يعني لما اعطاهم الله المال ونالوا
مناهم بخلوا به اي منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد ٥ ولم يفعلوا من اعمال البر شيا ٥
وتولوا عن طاعة الله وعما عاهدوا الله عليه وهم معرضون اي مصرون على الاعراض ٥

وصفهم تعالى بثلاث صفات بالبخل وهو عبارة عن منع الحق والتولى عن العهد
والاعراض عن تكلف الله تعالى فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الضمير فى فاعقبهم للبخل
اى فاورثهم البخل نفاقا مستمكنا فى قلوبهم لانه كان سببا فيه والظاهر ان الضمير
لله تعالى والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا سفك عنها الى ان
يموتوا وقال بعضهم ايضا ان الله تعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم الى يوم يلقونه يعنى
ان الله تعالى حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيموتوا فونه على النفاق فيجازيهم عليه بما
اخلفوا الله ما وعدوه اى بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح
وبما كانوا يكذبون اى وبسبب كونهم كاذبين فى قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين
عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا
خالصا ومن كانت فيه خلة فيه خلة من نفاق
حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر
قال الشيخ محيى الدين النواوى فى شرح مسلم هذا الحديث مما عده جماعة من العلما
مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد فى المسلم المصدق الذى ليس فيه شك
وقد اجمع العلما على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا
يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد فى النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا
هذه الخصال وكذا قد توجد لبعض السلف ولبعض العلما بعض هذا او كله قال
الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكال ولكن اختلف العلما فى معناه فالذى قاله المحققون
والاكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها يشبه
بالمنافقين فى هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه
وهذا موجود فى صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه فى حق من حدثه ووعده وايتمنه
وخاصمه وعاهده من الناس لا انه منافق فى الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر

ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكافر المخلد في الدرك الاسفل
من النار ۝ وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا ۝ معناه كان شديد
الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال ۝ قال بعض العلما وهذا فيمن كانت هذه
الخصال غالبة عليه ۝ فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلا فيه ۝ هذا هو المختار
في معنى الحديث ۝ وقالت جماعة من العلما المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم ۝ فانهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا ۝ وايتمنوا على دينهم فخانوا ۝
ووعدوا في امر الدين ونصره فاخلفوا ۝ وفجروا في خصوماتهم ۝ وهذا قول
سعيد بن جبير ۝ وعطا بن ابي رباح ۝ ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه ۝
وهو مروي عن ابن عباس ۝ وابن عمر ۝ ورويناه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ۝ قال
القاضي عياض واليه مال اكثر ايمتنا ۝ وحكى الخطابي قولا اخر ان معناه التحذير
للمسلم ان يعتاد هذه الخصال ۝ وحكى ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه
منافق ۝ وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق ۝
وانما يشير اشارة ۝ كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا ۝ والله اعلم ۝
وقال الامام فخر الدين الرازي ظاهر هذه الاية يدل على ان نقض العهد وخلف
الوعد يورث النفاق ۝ فيجب على المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه ۝ فاذا عاهد امرا
فليجتهد في الوفا به ۝ وقال القرطبي والنفاق اذا كان في القلب فهو الكفر ۝
واما اذا كان في الاعمال فهو معصية ۝ قال النبي صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه
كان منافقا خالصا ۝ وذكر تمام الحديث ۝ وقال عقبه قد اختلف بعض الناس
في تاويل هذا الحديث ۝ فقيل انما ذلك لمن تحدث بحديث يعلم انه كذب ۝ ويعاهد
عهدا لا يعتقد الوفا به ۝ وينتظر الامانة لاجل الخيانة فيها ۝ قال واحتجوا
بتاويل الحديث بحديث اسناده ضعيف ۝ وهو ان عليا رضي الله عنه لقي ابا بكر وعمر
رضي الله عنهما خارجين من عند النبي صلى الله عليه وسلم وهما تقيلان ۝ فقال علي ما لي
اراكما ثقيلين ۝ فالاحاديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال المنافقين ۝

اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا ايتمن خان فقال علي رضي الله عنه
افلا سالتماه فقالا هبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكني سا ساله فدخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله خرج ابو بكر وعمر وهما ثقيلان ثم
ذكر ما قالا فقال قد حدثتهما ولم اضعه على الموضع الذي وضعاه ولكن المنافق
اذا حدث وهو يحدث نفسه انه يكذب واذا وعد وهو يحدث نفسه انه يخلف
واذا ايتمن وهو يحدث نفسه انه يخون قال ابن العربي وقد قام الدليل الواضح
على ان متعمد هذه الخصال لا يكون كافرا وانما يكون كافرا ما عتقاد يعود الى الجهل
بالله تعالى وصفاته او التكذيب له وقيل ان ذلك مخصوص بالمنافقين الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا بما روي عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم قالا
اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه فقلنا يا رسول الله انك قلت ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا ايتمن خان ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه ثلث النفاق فظننا
انا لم نسلم منهن او من بعضهن ولن يسلم منهن كثير من الناس قال فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم ولهن انما خصصت بهن المنافقين كما خصكم الله في
كتابه اما قولي اذا حدث كذب فذلك قول الله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
افانتم كذلك قلنا لا يا رسول الله قال لا عليكم انتم من ذلك برآء واما قولي واذا
وعد اخلف فذلك فيما انزل الله علي ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين الآيات الثلاث افانتم كذلك قلنا لا والله يا رسول الله لو عاهدنا
الله على شيء اوفينا به قال لا عليكم انتم من ذلك برآء واما قولي واذا ايتمن خان
فذلك فيما انزل الله علي انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان
يحملنها الآية فكل انسان مؤتمن على دينه فالمؤمن يغتسل من الجنابة في السر والعلانية
افانتم كذلك قلنا لا يا رسول الله قال لا عليكم انتم من ذلك برآء والى هذا

صار كثير من التابعين والايمة ٥ وقيل هذا فيمن كان الغالب عليه هذه الخصال ٥
ويظهر من مذهب البخاري وغيره من اهل العلم ان من اتصف بهذه الخصال الذميمة
فهو منافق الى يوم القيامة ٥ قال ابن العربي والذي عندي انه لو غلبت عليه المعاصي
ما كان بها كافرا ٥ ما لم تؤثر في الاعتقاد ٥ لان اخوة يوسف عليهم السلام عاهدوا اباهم
فاخلفوه ٥ وحدثوه فكذبوه ٥ وايتمنهم على يوسف فخانوه ٥ وما كانوا منافقين ٥ بل
كانوا انبيآء ٥ وقال الحسن البصري النفاق نفاقان ٥ نفاق الكذب ٥ ونفاق العمل ٥
فاما نفاق الكذب فكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ واما نفاق العمل فلا
نقطع الى يوم القيامة ٥ وروى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه ان النفاق كان على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ٥ فاما اليوم فانما هو الكفر بعد الايمان ٥ وقوله تعالى
الم يعلموا يعني هولا المنافقين ان الله يعلم سرهم يعني ما تنطوي عليه صدورهم من
النفاق بالعزم على اخلاف ما وعدوه ونجواهم يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا
فيما بينهم ٥ والنجوى هو الخفي يكون بين القوم ٥ والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع
احوالهم لا تخفى عليه شي منها ٥ وفي لفظ اخر يعلم ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن
في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها ٥ وفي هذا توبيخ لهم وان الله علام
الغيوب وهذا مبالغة في العلم ٥ يعني ان الله عالم بجميع الاشيا ٥ فكيف تخفى عليه احوالهم ٥
قوله عزوجل الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات الاية ٥ وهذا
نوع آخر من افعال المنافقين القبيحة ٥ وهو لمزهم من ياتي بالصدقات طوعا وطبعا ٥
روى في الصحيحين عن ابي سعيد البدري رضي الله عنه قال لما نزلت اية الصدقة
كنا نحامل على ظهورنا ٥ فجا رجل فتصدق بشي كثير ٥ فقالوا مرآءٍ ٥ وجا رجل فتصدق
بصاع ٥ فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا ٥ فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المومنين
في الصدقات ٥ والذين لا يجدون الا جهدهم ٥ الاية ٥ قال ابن عباس وغيره من
المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة ٥ فجا عبد الرحمن بن
عوف باربعة الاف درهم ٥ وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف ٥ جيتك باربعة الاف ٥

فاجعلها فی سبیل الله وامسکت اربعة الاف لعیالی فقال رسول الله صلی الله علیه
وسلم بارک الله لک فیما اعطیت وفیما امسکت فبارک الله فی مال عبد الرحمن حتی انه
خلف امراتین یوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مایة وستین الف درهم وتصدق یومیذ
عاصم بن عدی العجلانی بمایة وسق من تمر وجاء ابو عقیل الانصاری واسمه الحجحاج
بصاع من تمر وقال یا رسول الله بتّ لیلتی اجرّ بالجریر الماء حتی نلت صاعین من تمر
فامسکت احدهما لعیالی واتیتک بالآخر فامره رسول الله صلی الله علیه وسلم ان ینثره
فی الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطی عبد الرحمن وعاصم الا ریاء وان الله
ورسوله لغنیان عن صاع ابی عقیل ولکنه احب ان یذکر نفسه لیعطی من الصدقة
فانزل الله تعالی الذین یلمزون ای یعیبون المطوّعین یعنی المتبرعین من المومنین
یعنی عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدی فی الصدقات والتطوع التنفل بما لیس
بواجب علیکم والذین لا یجدون الا جهدهم یعنی ابا عقیل الانصاری والجُهد بالضم
الطاقة وبالفتح المشقة وقد یکون القلیل من المال الذی یاتی به فیتصدق به
لان الغنی اخرج ذلک المال الکثیر عن قدرة وهذا الفقیر الذی اخرج القلیل انما
اخرجه عن ضعف وجهد وقد یوثر المحتاج الی المال لغیره رجاء ما عند الله تعالی
کما قال تعالی ویوثرون علی انفسهم ولو کان بهم خصاصة واعلم ان اخراج المال لطلب
مرضاة الله تعالی قد یکون واجبا کما فی الزکوات مثلا وقد لا یکون واجبا وهو المراد
من هذه الایة ثم الآتی به قد یکون غنیا فیاتی بالکثیر وقد یکون فقیرا فیاتی
بالقلیل وهو جهد المقِل ولا تفاوت بینهما فی استحقاق الثواب اذ المقصود من
الاعمال الظاهرة کیفیة النیة واعتبار حال الدواعی والصوارف فیسخرون منهم
یعنی ان المنافقین کانوا یستهزئون بالمومنین فی انفاقهم المال فی طاعة الله وطاعة
رسوله صلی الله علیه وسلم وهو قولهم لقد کان الله عن صدقة هولا غنیا وکانوا
یعیّرون الفقیر الذی تصدق بالقلیل ویقولون انه لفقره محتاج الیه فکیف
تصدق به وجوابهم ان کل من یرجو ما عند الله من الخیر والثواب یبذل الموجود

لينال ذلك الثواب الموعود به ۝ وقوله تعالى سخر الله منهم يعني انه تعالى جازاهم على
سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله ولهم عذاب اليم يعني في الآخرة وقوله تعالى
استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ۝
قال المفسرون لما نزلت الايات المتقدمة في المنافقين وبيان نفاقهم وظهر
للمومنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون استغفر
لنا. فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم. وهذا كلام خرج مخرج الامر. ومعناه
الخبر. تقديره استغفر لهم يا محمد. او لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم. وانما خص
سبحانه السبعين من العدد في الذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين. ولهذا كبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة رضي الله عنه سبعين تكبيرة. ولان آحاد السبعة
سبعة. وهو عدد شريف. فان السموات سبع. والارضين سبع. والايام سبع. والاقاليم
سبع. والبحار سبع. والنجوم السيارة سبع. فلهذا خص السبعين بالذكر للمبالغة في
اليأس من طمع المغفرة لهم ۝ وقال بعض المفسرين ايضا وجه تخصيص السبعين
من بين سائر الاعداد ان العدد قليل وكثير. فالقليل ما دون الثلاث. والكثير
الثلاث فما فوقها. وادنى الكثير الثلاثة. وليس لاقصاه غاية ۝ والعدد ايضا نوعان
شفع. ووتر. فاول الاشفاع اثنان. واول الاوتار ثلاثة ۝ والواحد ليس بعدد ۝
والسبعة اول الجمع الكثير من النوعين. لان فيها اوتارا ثلاثة. واشفاعا ثلاثة.
والعشرة كمال الحساب. لان ما جاوز العشرة فهو اضافة الآحاد الى العشرة. كقولك
اثنا عشر. وثلاثة عشر الى عشرين ۝ والعشرون تكرير العشرة مرتين ۝ والثلاثون
تكريرها ثلاث مرات. وكذلك الى مائة ۝ فالسبعون تجمع الكثرة والنوع والكثرة
منه. وكمال الحساب والكثرة منه. فصار السبعون ادنى الكثير من العدد من كل
وجه. ولا غاية لاقصاه. فجاز ان يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى ۝ وقال
ايضا المتاخرون من اهل التفسير السبعون عند العرب غاية مستقصاة. لانها
عبارة عن جمع السبعة عشر مرات. والسبعة عدد كامل. لاشتماله على اصل

العدد التام • ولـه من الشرف باعتبار عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم
والنجوم • وقال بعضهم انما خص بالذكر هنا لانه يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كبر
على حمزة سبعين تكبيرة • فكانه قيل ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيرانك
على حمزة لن يغفر الله لهم • روى فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنه قال لما
توفى عبد الله يعنى ابن ابى ابن سلول جآ ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه • ثم سأله ان يصلى عليه • فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليصلى عليه • فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال يا
رسول الله اتصلى عليه • وقد نهاك ربك ان تصلى عليه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما خيرنى الله عز وجل • فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم • ان تستغفر لهم سبعين
مرة • وسازيده على السبعين • قال انه منافق • فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم •
فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره • انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون • زاد فى رواية فترك الصلاة عليهم • وقوله تعالى ذلك بانهم
كفروا بالله ورسوله يعنى ان هذا الفعل من الله تعالى وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة
لهم من اجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله • ولا غفران للكافرين والله
لا يهدى القوم الفاسقين يعنى والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من اختار الكفر والخروج
عن طاعة الله وطاعة رسوله • قوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول
الله وهذا نوع آخر من قبائح افعال المنافقين • وهو فرحهم بالقعود وكراهتهم للجهاد •
والمخلفون هم المنافقون الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم
بالمدينة فى غزوة تبوك • او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان • فان قيل
انهم احتالوا حتى تخلفوا فكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون • والجواب من وجوه •
احدها ان النبى صلى الله عليه وسلم منع اقواما من الخروج معه لعلمه بانهم مفسدون
ويشوشون • فهؤلآ كانوا مخلفين لا متخلفين • وبانيها ان اولئك المتخلفين صاروا
مخلفين فى الاية التى تاتى بعد هذه الاية • وهو قوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم

الآية ٥ فلما منعهم الله تعالى من الخروج معه صاروا قعدا السبب مُخَلَّفين ٥ وتالتها
انه من تخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خروجه الى الجهاد مع المومنين يوصف
بانه مُخَلَّف من حيث انه لم يخرج فبقي واقام ٥ وقوله مقعدهم يعني بقعودهم في
المدينة خلاف رسول الله يعني بعده مخالفة له قال بعضهم وعلى هذا المعنى خلاف
بمعنى خَلْف ٥ فهو اسم للجهة المعينة ٥ لان الانسان اذا توجه الى قدامه فمن تركه
خلفه فقد تركه بعده ٥ وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار
الى تبوك ٥ واقاموا بالمدينة ٥ لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد امرهم بالخروج
الى الجهاد ٥ فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وهو قوله تعالى
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف
وكرهوا الخروج الى الجهاد ٥ وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود
مع الاهل والولد ٥ ويكره اتلاف النفس والمال ٥ وهو قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر
اي قال بعضهم لبعض ٥ او قالوا للمومنين لا تنفروا في الحر ٥ وكانت غزوة تبوك في شدة
الحر ٥ فاجابه الله عز وجل عن هذا بقوله قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون
يعني قل يا محمد لهولا الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر فان
نار جهنم التي هي موعدهم في الاخرة هي اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون ٥ قال
ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه ٥
وذلك في الصيف ٥ فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ٥ ولا نستطيع الخروج ٥ فلا تنفر
في الحر ٥ فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا
يفقهون ٥ وهذا استجهال لهم ٥ لان من تصور من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك
التصور في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ٥ وانشد بعضهم ٥

مَسَرَّةُ اَحْقابٍ تَلَقَّيْتَ بَعْدَها ٥ مَسَآءَةَ يَوْمٍ اِنَّهَا شَبَهُ الضِّبَابِ ٥
فكيف بان تلقى مسرة ساعة ٥ ورآء تقضيها مساءة احقاب ٥

فليضحكوا قليلا يعني فليضحك هولا الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين

قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه وليبكوا كثيرا يعني مكان ضحكهم في الدنيا
وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا
طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكايهم في الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة
باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدايم الباقي قليل وقال بعضهم هذا امر معناه
التهديد وليس امرا بالضحك وفي لفظ اخر فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم في
الدنيا ويبكون كثيرا جزاء في العقبى الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم
لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع
ولا يكتحلون بنوم ومن الناس من كان لا يضحك اهتماما بنفسه وفساد حاله في
اعتقاده من شدة الخوف وان كان عبدا صالحا قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجارون الى الله وددت اني كنت شجرة تعضد اي تقطع وكان الحسن البصري رضي الله عنه
ممن غلب عليه الحزن فكان لا يضحك وروى انه ما ضحك اربعين سنة وكنت اذا
رايته قاعدا كانه اسير قدم لتضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الاخرة فيخبر عن
مشاهدتها واذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما
يومنني ان يكون الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك
فانا اعمل في غير معمل وقال له رجل كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم
وقال تسالني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم
فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن
حالي اشد من حالهم وقال الحجاج لسعيد بن جبير رضي الله عنه بلغني انك لم تضحك
قط قال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لطير ليتني مثلك ما طير ولم اخلق بشرا وقال عمان
رضي الله عنه وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عايشة رضي الله عنها وددت اني كنت نسيا
منسيا وكان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان اسودان من كثرة الدموع

باب الصبر والبكاء

وكان تقول من خاف الله لم يشف غيظه • ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد • ولولا يوم القيامه
لكان غير ما ترون • وقرا يوما اذا الشمس كورت • فلما انتهى الى قوله تعالى واذا الصحف
نشرت خر مغشيا عليه • ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرا سوره الطور فوقف
يستمع • فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع • نزل عن حماره واستند
الى حايط ومكث زمانا • ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس • ولا يدرون ما مرضه •
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو خليفه وقد سلم عن صلاة الفجر وقد علاه
كآبة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيا
يشبههم • لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا • بين اعينهم امثال ركب المعزى • قد
باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله تعالى يراوحون بين جباههم واقدامهم • فاذا اصبحوا
وذكروا الله تعالى مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح • وهملت اعينهم الدموع حتى تبل
ثيابهم • والله كاني بالقوم كانوا غافلين • ثم قام رضي الله عنه • فما روى بعد ذلك ضاحكا
حتى ضربه ابن ملجم • وقال عمران بن حصين رضي الله عنه لوددت اني رماد سفيني
الرياح في يوم عاصف • وقال ابو عبيده بن الجراح رضي الله عنه لوددت اني كبش فيذبحني
اهلي فياكلون لحمي ويحسون مرقي • وكان علي بن الحسين اذا توضا اصفر لونه • فيقول
له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضو • فيقول اتدرون بين يدي من اريد
ان اقوم • وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى سفين الثوري كان النار قد
احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه • وكان المسور بن مخرمة رضي الله عنه لا
يستطيع ان يسمع القران من شده خوفه • ولقد كان يقرا عنده الحرف او الاية
فيصيح الصيحة فما يعقل ثلاثا • حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرا عليه يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا • ونسوق المجرمين الى جهنم وردا • فقال انا من المجرمين
ولست من المتقين • اعد علي القول ايها القاري • فاعاد عليه فشهق شهقه فلحق
بالآخره • وقرى عند يحيى البكا قول الله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار • فصاح
صيحة ومكث اربعة اشهر مريضا منها • وكان يعوده الناس من اطراف البصرة •

وقال مالك بن دينار بينما انا اطوف بالبيت اذا انا بحوريةَ المتعبدةَ معلقه باستار
الكعبة وهي تقول يارب اما كان ذلك ادب وعقوبة الا النار • يارب كم من شهوه
ذهبت لذاتها • وبقيت تبعاتها • يارب اما كان ذلك ادب وعقوبة الا النار • وتبكي •
فما زال مقامها حتى طلع الفجر • قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على راسي صارخا
اقول ثكلتك مالكا أُمه • وسيل ابن عباس رضي الله عنه عن الخائفين • فقال هم الذين
قلوبهم بالخوف فرحة • واعينهم باكية • يقولون كيف نفرح والموت ورآنا • والقبر
امامنا • والقيامة موعدنا • وعلى جهنم طريقنا • وبين يدي ربنا موقفنا • ومرَّ
الحسن رضي الله عنه بشاب وهو مستغرق في ضحكه • وهو جالس مع قوم • فقال له الحسن
يافتى هل مررت على الصراط • قال لا والله • قال وهل تدري الى الجنة تصير ام الى النار •
قال لا والله • قال فما هذا الضحك • قال فما رُؤي الشاب بعد ذلك ضاحكا • وكان
حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه • فيقال له لو اطمأننت • فيقول
تلك جلسة الآمن • وانا غير آمن • اذ عصيت الله عز وجل • وقال مالك بن دينار
لقد هممت اذا امات آمرهم ان يقيدوني ويخلوني ويطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد
الآبق الى سيده • وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح • فلا مكان اصلح من الجنة •
وقد لقي ادم عليه السلام فيها ما لقي • ولا تغتر بكثرة العباده • فان ابليس بعد طول
تعبُّده لقي ما لقي • ولا تغتر بكثرة العلم • فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم • فانظر
ماذا لقي • ولا تغتر برويه الصالحين • فلا شخص اكبر منزلة من المصطفى صلى الله
عليه وسلم • ولم ينتفع بلقايه اقاربه واعداوه • وقال سري السقطي اني لانظر
الى اتقى كل يوم مرات مخافة ان تكون قد اسود وجهي • وخرج عبد الله
ابن المبارك يوما على اصحابه • فقال لهم اني اجترات المبارحة على الله عز وجل وسالته
الجنة • وكان الفضيل بن عياض يقول اني لا اغبط نبيا مرسلا • ولا ملكا مقربا •
ولا عبدا صالحا • اليس هو لا يعاينون يوم القيامة • انما اغبط من لم يخلق • وروي
ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان يبكي بكاء شديدا حتى حبسه ذلك

فی البیت فجاء النبی صلی الله علیه وسلم فدخل علیه واعتنقه فخر الفتی میتا ۰ فقال
النبی صلی الله علیه وسلم جهزوا صاحبکم فان الخوف من النار فتت کبده ۰ وقیل
لفرقد السبخی اخبرنا باعجب شی بلغک عن بنی اسرائیل ۰ فقال بلغنی انه دخلت
المقدس خمسمائة عذرا لباسهن الصوف والمسوح ۰ فذکرن ثواب الله وعقابه
فمتن جمیعا فی یوم واحد ۰ وکان عطا السلمی من الخایفین ۰ ولم یسال الله الجنة
قط ۰ انما کان یساله العافیه ۰ وقیل له فی مرضه الا تشتهی شیا ۰ فقال ان خوف
النار لم یدع فی قلبی موضعا للشهوه ۰ وقیل انه ما رفع راسه الی السما ولا
ضحک اربعین سنة ۰ وانه رفع راسه یوما فسقط فانفتق فی بطنه فتق ۰ وکان یضع
یده علی جسده فی بعض اللیل مخافة ان یکون قد مسخ ۰ وکان اذا اصاب الناس
ریح او برق او غلا فی السعر قال هذا من اجلی ۰ لو مات عطا لاستراح الناس منه ۰
وقال عطا خرجنا مع عتبة الغلام ۰ وفینا کهول وشباب یصلون صلاة الفجر
بوضوء العشا ۰ وقد تورمت اقدامهم من طول القیام ۰ وغارت اعینهم فی رؤسهم ۰
ولصقت جلودهم علی عظامهم ۰ وبقیت العروق کانها الاوتار ۰ ویصبحون کان
جلودهم قشور البطیخ ۰ وکانهم قد خرجوا من القبور ۰ ویخبرون کیف اکرم الله
المطیعین ۰ وکیف اهلک العاصین ۰ فبینما هم یمشون اذ مر عتبه بمکان فخر
مغشیا علیه ۰ فجلس اصحابه حوله یبکون فی یوم شدید البرد ۰ وجبینه یرشح عرقا ۰
فجاءوا بما فمسحوا به وجهه فافاق ۰ وسالوه عن امره ۰ فقال انی ذکرت انی کنت
عصیت الله فی ذلک المکان ۰ وقال صالح المری قرات علی رجل من الخایفین قول الله
عزوجل یوم تقلب وجوههم فی النار یقولون یالیتنا اطعنا الله واطعنا الرسول ۰
فصعق ثم افاق ۰ وقال زدنی یا صالح ۰ فانی اجد غما ۰ فقرات قول الله تعالی کلما
ارادوا ان یخرجوا منها اعیدوا فیها ۰ فخر میتا رحمه الله ۰ وروی ان زرارة بن اوفی
صلی بالناس صلاة الغداة ۰ فلما بلغ قول الله تعالی فاذا نقر فی الناقور فذلک یومئذ
یوم عسیر خر مغشیا علیه فحمل میتا رحمه الله ۰ وقال میمون بن مهران لما

نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي رضي الله عنه ووضع يده على راسه ثم خرج هاربا ثلاثة ايام لا يقدر عليه ٥ وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف ٥ فقال عليكم بالقران عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حدث هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ٥ وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين تتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت انت سمعت البكا من كل جانب فقال يا بني ليست الناحة الثكلى كالناحة المستاجرة وحكي ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا له ما الذي يبكيك يرحمك الله قال روعة يجدها الخايفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة الندا بالعرض على الله وكان ابرهيم الخواص يبكي ويقول في مناجاته الهي قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني ٥ وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال لي يا صالح ارني شيا من بعض عجايب عبادكم ٥ فذهبت به الى رجل في بعض الاحيا في حصن له فاستاذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرات قول الله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة خر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى اخر فدخلنا عليه فقرات الاية ايضا فشهق شهقة خر مغشيا عليه ثم ذهبنا الى ثالث فاستاذنا عليه فقال ادخلوا اذ لم تشغلونا عن ربنا فدخلنا عليه فقرات قول الله تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدر الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا حتى درت به على ستة انفس كل يخرج من عنده ويتركه مغشيا عليه ثم اتيت به السابع فاستاذنا عليه فاذا امراة من وراء الحصن تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فاني جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فتخافاه شاخصا بصره يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امراته اخرجوا

فانكم لاتنتفعون به الساعة • فلما كان بعد ذلك سألت من القوم • فاذا ثلاثة قد
افاقوا • وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى • واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حالته مبهوتا
متحيرا لاسودى فرضا • فلما كان بعد ثلاث عقل • وكان يزيد بن الاسود يرى انه
من الابدال • وكان قد حلف لا يضحك ابدا • ولا ينام مضطجعا • ولا ما كل سمينا ابدا •
فما روى بعدها ضاحكا ولا مضطجعا ولا آكلا سمينا حتى مات رحمه الله • ودخلت
مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر فسلمت عليه • ثم قامت الى المسجد فى سته فصلت
فيه ركعتين • وغلبتها عيناها فرقدت فاستكت فى منامها • فقالت يا امير المومنين
انى والله رايت عجبا • قال وما ذلك • قالت رايت النار وهى تزفر على اهلها • ثم جئ
بالصراط فوضع على متنها • فقال هيه • قالت فجئ بعبد الملك بن مروان فحمل عليه
فما مضى الا يسير حتى انكفا به الصراط فهوى الى جهنم • فقال هيه • قالت ثم جئ
بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه • فما مضى الا يسير حتى انكفا به الصراط فهوى الى
جهنم • فقال هيه • قالت ثم جئ بسليمان بن عبد الملك • فما مضى الا يسير حتى انكفا
به الصراط فهوى به • فقال عمر هيه • قالت ثم جئ بك والله يا امير المومنين •
فصاح عمر رضى الله عنه صيحة خر مغشيا عليه • فقامت اليه فجعلت تنادى فى اذنه
يا امير المومنين انى رايتك والله حتى بخوت • انى رايتك والله حتى بخوت • قال وهى
تنادى وهو يصيح • وينفحص برجليه • وحكى اذاويسا القرنى كان يحضر عند الواعظ
فيبكى من كلامه • فاذا ذكر الواعظ النار صرخ اويس • ثم يقوم منطلقا فيتبعه
الناس • فيقولون مجنون مجنون • وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المومن لا
تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه • وكان طاوس يفرش له الفراش ثم
يضطجع فيتقلى كما يتقلى الحبة فى المقلا • ثم يثب فيطويه • ويستقبل القبله حتى
الصباح • ويقول ذكر جهنم نوم الخايفين • فهذه مخاوف الاولياء والعلماء •
ونحن اجدر بالخوف منهم • لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب • بل يصفا القلوب • وكمال
المعرفة • والا فليس امننا لقلة ذنوبنا • وكثره طاعتنا • بل قادتنا شهوتنا • وغلبت

علينا شقوتنا ٥ وصل بنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا ٥ فلا قرب الرحيل
ينبهنا ٥ ولا كثرة الذنوب تحركنا ٥ ولا مشاهدة احوال الخايفين تخوفنا ٥ ولا خطر
الخاتمة ينزعجنا ٥ فنسال الله تعالى ان يتدارکنا واياکم بفضله وجوده ويصلح احوالنا
ان کان تحريک اللسان بمجرد السوال دون الاستعداد ينفعنا ٥ ومن العجايب انا
اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا ٥
وان اردنا فوق المال رتبة بالعلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا ٥
ونجتهد في طلب اقواتنا ولا نثق بضمان الله تعالى ٥ ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ٥
ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملک الدايم قنعنا بان نقول بلساننا اللهم اغفر لنا وارحمنا ٥
والذي اليه رجاونا وبه اعتزازنا ينادينا ونقول وان ليس للانسان الا ما سعى ٥
ولا يغرنكم بالله الغرور ٥ ويا ايها الانسان ما غرک بربک الكريم ٥ ثم کل ذلک لا ينبهنا
ولا يخرجنا عن اودية غرورنا واما ينا ٥ فما هذه الامنة هايلة ان لم يتفضل
المولى علينا بتوبة نصوح يتدارکنا بها ويجبرنا ٥ فنسال الله تعالى ان يتوب علينا ٥
بل نساله سبحانه ان يسوق الينا التوبة بسراير قلوبنا ٥ ولا يجعل حرکة اللسان بسوال
التوبة غاية حظنا ٥ فنکون ممن يقول ولا يعمل ٥ ويسمع ولا يقبل ٥ اذا سمعنا الوعظ
بکينا ٥ واذا جاوقت العمل سمعنا وعصينا ٥ فلا علامة للخذلان اعظم من هذا ٥
فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد علينا بمنه وفضله ٥ ولنقتصر من
حکايات احوال الخايفين على ما اوردنا ٥ فان القليل من هذا يصادف القلب الغافل
فيكفي ٥ والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ٥ ولقد صدق
الراهب الذي حکي عنه عيسى بن مالک الخولاني ٥ وکان من خيار العباد ٥ انه راه على
باب ست المقدس واقفا کهيئة المحزون من شدة الوله ٥ ما لکا دير قي دمعه من
کثرة البکاء ٥ قال عيسى فلما رايته هالني منظره ٥ فقلت ايها الراهب اوصني بوصية
احفظها عنک ٥ فقال ما اخي بما ذا اوصيک ٥ ان استطعت ان تکون بمنزلة رجل قد
احتوشته السباع والهوام فهو خايف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع ٥

او يسهو فتهمشه الهوام ٥ فهو مذعور القلب وجل ٥ فهو في المخافة في ليله ونهاره
وان امن المغترون ٥ وفي الحزن في نهاره وان فرح البطالون ٥ ثم ولى وتركني ٥
فقلت لو زدتني شاعسى ان تنفعني ٥ فقال الطمأن بجزيه من الما ايسره ٥ وقل
صدق ٥ فان القلب الصافي يحركه ادنى مخافة ٥ والقلب الجامد تنبو عنه كل
المواعظ ٥ ٥ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي
ان تظن يا اخي انه تقدير ٥ بل هو تحقيق ٥ فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك
لرايته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام ٥ مثل الغضب ٥ والشهوة ٥ والحقد ٥
والحسد ٥ والكبر ٥ والعجب ٥ والريا ٥ وغيرها ٥ وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان
سهوت منها لحظة ٥ الا انك محجوب العين عن مشاهدتها ٥ فاذا انكشف الغطا
ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها ٥
فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك ٥ وانما هي صفاتك الحاضرة
الان قد انكشف لك صورتها ٥ فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قادر عليها
قبل الموت فافعل ٥ والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم فوادك ٥ فضلا
عن ظاهر شرتك وجسمك ٥ واللام ٥ رجعنا الى التفسير قال الله تعالى
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون يعني ان ذلك البكا في الاخرة جزاء
لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا ٥ روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا ٥ وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا ايها الناس ابكوا ٥ فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا ٥ فان اهل النار يبكون في النار
حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى ينقطع الدموع فتسيل الدما فتقرح
العيون ٥ فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت قوله تعالى فان رجعك الله يعني فان
ردك الله يا محمد من غزاتك هذه الى طائفة منهم يعني الى المتخلفين عنك ٥ وانما قال منهم لانه
ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا ٥ مثل اصحاب الاعذار ٥

فاستاذنوك للخروج يعنى صناديد المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم
فى الخروج معك الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معى ابدا يعنى فقل يا محمد لهولا الذين
طلبوا الخروج وهم مقصورون على نفاقهم لن تخرجوا معى ابدا • لا الى غزاة ولا الى سفر •
ولن تقاتلوا معى عدوا ثم علل هذا المنع بقوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة يعنى
انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك اول ما دعيتم اليها فاقعدوا مع الخالفين يعنى ان
الحاجة فى المرة الاولى الى موافقتكم كانت اشد • وبعد ذلك زالت تلك الحاجة • فلما
تخلفتم عند مسيس الحاجة الى حضوركم فبعد ذلك لا نلتفت اليكم • فاقعدوا مع
الخالفين اى مع من تخلف لعذر • وقيل مع المتخلفين النسا والصبيان • وقيل مع
المرضى والزمنى • وهو داخل فى معنى الاول • وقال ابن عباس رضى الله عنه مع الذين تخلفوا
بغير عذر • وقيل مع المخالفين • يقال صاحب "خالف" • اذا كان مخالفا كثير الخلاف •
وفى الاية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه منكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه
وترك مصاحبته • لان الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم
الى الجهاد مشعرا باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم
اذا خرجوا الى الغزوات • قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الآية
امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسعى فى تخذيلهم واهانتهم واذلالهم • لان
منعهم من الخروج معه الى الغزوات كما مر سبب قوى فى اذلالهم • ومنع الرسول من
ان يصلى على من مات منهم كما مر سبب قوى آخر • قال قتادة بعث عبد الله
ابن ابى ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه • فقال فتهاه عن
عن ذلك • فاتاه نبى الله صلى الله عليه وسلم • فلما دخل عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم قال
اهلكك حب اليهود • فقال يا نبى الله انى لم ابعث اليك لتوبخنى • ولكن بعثت اليك
لتستغفر لى • وسأله قميصه ان يكفن فيه • فاعطاه اياه • واستغفر له رسول الله
صلى الله عليه وسلم • فمات • فكفن فى قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم • ونفث فى جلده •
ودلاه فى قبره • فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية

وروى البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما مات عبد الله بن
ابى دُعى له رسول الله صلى الله عليه ليصلى عليه • فلما قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وثبتُ اليه • فقلت يا رسول الله اتصلى على ابن اُبَىّ ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا
كذا وكذا • اعدد عليه قوله • فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال اخّر عنى يا عمر •
فلما اكثرت عليه قال انما انى خُيّرت • فاخترت لو انى اعلم انى ان زدت على السبعين
يغفر له لزدت عليها • قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف • فلم مكث
الا يسيرا حتى انزلت الآيتان من برآءة • ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على
قبره • الى قوله وهم فاسقون • قال فعجبت بعدُ من جُراتى على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ • والله ورسوله اعلم • واخرجه الترمذى • وزاد فيه فما صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعده على منافق • ولا قام على قبره حتى قبضه الله • وفى الصحيحين
عن جابر رضى الله عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى بعد ما
اُدخل حفرته • فامر به فاخرج • فوضعه على ركبتيه • ونفث فيه من ريقه • والبسه
قميصه • فالله اعلم • قال وكان كسا عباسا قميصا • قال سفين وقال ابو هرون
وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان • فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبسَ
عبد الله قميصك الذى يلى جلدك • قال سفين فيرون ان النبى صلى الله عليه وسلم
البس عبدَ الله قميصه مكافاة لما صنع • وفى رواية عن جابر رضى الله عنه قال لما
كان يوم بدر اُتى بالاسارى • واُتى بالعباس • ولم يكن عليه ثوب • فنظر النبى صلى الله عليه
وسلم له قميصا • فوجدوا قميص عبد الله بن ابى يقدر عليه • فكساه النبى صلى الله عليه
وسلم اياه • فلذلك نزع النبى صلى الله عليه وسلم قميصه الذى البسه • فصل
قد وقع فى هذه الاحاديث التى تضمن قصة موت عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق صورة
اختلاف فى الروايات • ففى حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفى عبد الله بن ابى اتى ابنه
عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه • وان
يصلى عليه • فاعطاه قميصه وصلى عليه • وفى حديث عمر بن الخطاب من افراد

البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه ٥ وفي حديث جابر ان النبي
صلى الله عليه وسلم اتاه بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه
ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه ٥ ووجه الجمع بين هذه الروايات انه
صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى عليه ٥ وليس في حديث جابر ذكر
الصلاة عليه ٥ فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه اولا كما في حديث عمر وابن عمر ٥ ثم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا بعد ما ادخل حفرته فاخرجه منها ونزع عنه
القميص الذي اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ٥ ثم انه صلى الله عليه وسلم
البسه قميصه بيده الكريمة ٥ فعل هذا كله بعبد الله تطييبا لقلب ابنه عبد الله
رضي الله عنه فانه كان صحابيا صالحا مسلما مخلصا ٥ واما قول قتادة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يعطيه قميصه
وان يصلي عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ودلاه في حفرته
فهذه جمل من القول ظاهرها الترتيب ٥ وما المراد بهذا الترتيب توفيقا بين
الاحاديث ٥ فكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها ٥
يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما اعطاه القميص ٥ وبعد ان صلى عليه ٥ والله اعلم ٥
وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم له ٥ ان عبد الله بن ابي ابن سلول كان سيد
الخزرج في آخر جاهليتهم ٥ فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج
وغيرهم حسده ٥ وناصبه العداوة ٥ غير ان الاسلام غلب عليه فنافق ٥ فكان
راسا في المنافقين ٥ واعظمهم نفاقا ٥ واشدهم كفرا ٥ وكان المنافقون كثيرا ٥ حتى لقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا بلمامة رجل ٥ ومائة وسبعين امراة ٥ وكان
ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن ابي من فضلاء الصحابة ٥ واصدقهم اسلاما ٥ واكثرهم
عبادة ٥ واشرحهم صدرا ٥ وكان ابر الناس بابيه ٥ ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم اني من ابر الناس لابي ٥ وان امرتني ان اتيك
براسه فعلت ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه ٥ وفي رواية بل نترفق به

وحسن صحبته ما اقام • وكان عبد الله من احرص الناس على اسلام ابيه • وعلى ان ينتفع
من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشيء • ولذلك لما مات ابوه سال النبي صلى الله عليه
وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه • وسأله ان يصلي عليه
فصلى عليه • كل ذلك اكراما لابنه عبد الله • واسعافا لهُ ولطلبته • وقول عمر
رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه يحتمل
ان يكون قبل نزول قوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا • ن ويظهر من
هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه • فيكون هذا من قبيل
الالهام والتحدث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم • ويحتمل ان يكون فهمه
من سياق قوله تعالى استغفر لهم - او لا تستغفر لهم • وهذا ان التا ويلان فيهما
بعد • قال القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من
رواية ابن عباس • وساقهُ سياقة هي ابين من هذه • وليس فيها هذا اللفظ • فقال
عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن ابي ابن سلول دُعي له رسول الله صلى الله عليه •
فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبتُ اليه • الحديث الى قوله فصلى
عليه ثم انصرف • فلم نلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الايتان من براءة • قال القرطبي
وهذا مساق حسن • وتنزيل مُتقن • ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم • فهو الاولى •
وقوله صلى الله سازيدُ على السبعين وعدا بالزيادة • وهو مخالف لما في حديث
ابن عباس عن عمر • فان فيه لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت • وهذا
تقييد لذلك الوعد المطلق • فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا • ويقيد بعضها
بعضا • فلذلك قال صلى الله عليه وسلم لو اعلم اني اذا زدت على السبعين غفر له لزدت •
فقد علم صلى الله عليه وسلم انه لا يغفر له • وقوله صلى الله عليه وسلم اني خُيّرت
مشكل • مع قول الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية •
وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا • وهو متقدم على الاية التي
فيها التخيير • والجواب عن هذا الاشكال ان المنهي عنه استغفار لمن تحقق موته

على الكفر والشرك ۝ واما الاستغفار فلا ولكن المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى
الله عليه وسلم انه لا يقع ولا ينفع ۝ وغايته ان وقع كان تطييبا لقلوب الاحياء من
قراباتهم ۝ فانفصل الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه ۝ وارتفع الاشكال بحمد الله
والله اعلم ۝ وقال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم انما اعطاه قميصه ليكفنه
فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله ۝ فانه كان صحابيا صالحا ۝ وقد سال ذلك واجابه اليه ۝
وقيل بل اعطاه مكافاة لعبد الله من ابي المنافق الميت ۝ لانه البس العباس حين اسر
يوم بدر قميصا ۝ وفي هذا الحديث سان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد
علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى ۝ والبسه قميصه كفنا وصلى
عليه واستغفر له ۝ قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ۝ وقال البغوي قال سفين
ابن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ فاحب ان يكافيه بها ۝
ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله من ابي ۝ فقال صلى الله عليه
وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله ۝ والله اني كنت ارجوا ان يسلم به الف من
قومه ۝ فيروى انه اسلم الف من قومه لما راوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم ۝
وفي لفظ اخر ان قميصي لا يغني عنه من الله شيا ۝ ولعل الله ان يدخل به في الاسلام
الفا ۝ وكان المنافقون لا نفار قون عبد الله ۝ فلما راوه يطلب هذا القميص يرجوا
ان ينفعه اسلم منهم الف رجل ۝ فلما مات جا صلى الله عليه وسلم الى ابنه يعزيه ۝
وقال له صل على ابيك وادفنه ۝ فقال ان لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم ۝
فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه قام عمر بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين القبلة ليلا يصلي عليه ۝ فنزل جبريل عليه السلام ۝ واخذ بثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ۝ واخبره بقول الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ۝ الى اخره ۝
وتظاهرت الروايات بان النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه ۝ وان الاية نزلت بعد ذلك ۝
وفي رواية اخرى عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تقدم ليصلي عليه
جاه جبريل عليه السلام فجبذ ثوبه وتلى عليه الاية ۝ فانصرف رسول الله صلى الله عليه

وسلم ٥ والروايات الثابتة على خلاف هذا ٥ ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ ثم انصرف ٥ فلم يمكث يسيرا حتى نزلت
الايتان من براءة ٥ ولا تصل على احد منهم مات ابدا ٥ ونحوه عن ابن عمر ٥ اخرجه مسلم
في صحيحه ٥ وقد تقدم الكلام في هذا المعنى مفصلا ٥ والله اعلم وعبد الله بن ابي كان
من الخزرج ٥ احد قبيلتي الانصار ٥ وسلول هي امه ٥ وكانت خزاعية ٥ وكان موته
بعد انصرافهم من غزوة تبوك ٥ وذلك في ذي القعدة سنة تسع ٥ وكان مدة مرضه
عشرين يوما ٥ ابتداوها من ليال بقين من شوال ٥ وكان قد تخلف هو ومن معه
عن تبوك ٥ وفيهم نزلت لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ٥ ووقع ايضا في رواية
الطبري من طريق الشعبي لما احتضر عبد الله بن ابي جاء ابنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ٥
فقال يا نبي الله ان ابي احتضر ٥ فاحب ان تشهده وتصلي عليه ٥ قال ما اسمك ٥ قال
الحباب ٥ قال بل انت عبد الله ٥ والحباب اسم شيطان ٥ وكان عبد الله بن عبد الله
ابن ابي هذا من فضلا الصحابة ٥ وشهد بدرا وما بعدها ٥ واستشهد يوم اليمامة
في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ٥ ومن مناقبه انه بلغه بعض مقالات ابيه ٥
فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذنه في قتله ٥ فقال بل احسن صحبته ٥ اخرجه
ابن مندة من حديث ابي هريرة باسناد حسن ٥ وكانه كان يحمل امر ابيه
على ظاهر الاسلام ٥ فلذلك طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحضر عنده ويصلي
عليه ٥ ولا سيما وقد ورد ما يدل على انه فعل ذلك بعهد من ابيه ٥ ويؤيد ذلك
ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر ٥ والطبري من طريق سعيد ٥ كلاهما عن قتادة ٥
قال ارسل عبد الله بن ابي الى النبي صلى الله عليه وسلم ٥ لما دخل عليه قال اهلكك
حب اليهود ٥ فقال يا رسول الله انما ارسلت اليك لتستغفر لي ٥ ولم ارسل اليك لتوبخني ٥
ثم سأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه ٥ فاجابه ٥ وقد منا هذا الحديث ولا سيما مه ٥
وهو مرسل ٥ مع ثقة رجاله ٥ ويعضده ما اخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لما مرض عبد الله بن ابي جاءه النبي صلى الله عليه وسلم ٥ فكلمه ٥ فقال قد

تعول

فهمت ما قلت. فامنن علي وكفني في قميصك وصل علي. ففعل صلى الله عليه وسلم.
وكأن عبد الله من أبي اراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته فاظهر
الرغبة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم. واجابه الى سؤاله على حسب ما ظهر من حاله
الى ان كشف الله الغطا عن ذلك. وهذا من احسن الاجوبة فيما تعلق بالقصة.
والله اعلم. فان قيل قد قال الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الاية. وهي نزلت بمكة عند موت ابي طالب على ما مر في سانه. وهذا يفهم منه
النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على هذه الاية التي فهم منها التخيير
بقوله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله. وهذا مشكل. قيل له ان استغفاره
صلى الله عليه وسلم لعمه انما كان مقصوده به استغفارا مرجوّ الاجابة حتى تحصل
له المغفرة. واما الاستغفار للمنافق الذي خُيّر فيه فهو استغفار لسانيّ لا
ينفع. وغايته تطييب قلوب بعض الاحيا من قرابات المستغفر له. والله اعلم ۝
فان قيل كيف يجوز ان نقال ان الرسول صلوات الله عليه رغب في ان يصلي على
ابن ابي بعد ان علم كونه كافرا وقد مات على كفره. ولانه اذا صلى عليه دعا له بالمغفرة
والرحمة وغيره. وذلك محظور. اي ممنوع. لان الله تعالى اعلمه بانه لا يغفر للكافر البتة.
وايضا دفع القميص اليه يوجب اعزازه. وذلك لا يجوز. والجواب لعل السبب
انه لما طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم قميصه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان.
لان ذلك الوقت وقت يتوب فيه الفاجر. ويومن فيه الكافر. فلما اخبره جبريل
عليه السلام بانه مات على الكفر امتنع من الصلاة عليه. واما دفع القميص اليه
فقد ذكروا فيه وجوها. احدها ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم لما اسر
يوم بدر وسلب ثوبه لم يجدوا له قميصا يقدره الا قميص عبد الله بن ابي لتقاربهما
في طول القامة. فاراد النبي صلى الله عليه وسلم باعطا القميص ان يرفع اليد عنه في
الدنيا حتى لا يلقاه في الاخرة وله عليه يد يكافيه بها. وثانيها ان مشركي
مكة قالوا لابن ابي يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد. ولكنا ننقاد لك. فقال لهم ان

لم يوذن له فيه ص

لى فى رسول الله اسوة حسنة • فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم • وما انتهما الله عنه
امره ان لا يرد سايلا بقوله واما السائل فلا تنهر • ورابعها ان منع القميص
لا يليق باهل الكرم • وخامسها ان ابنى عبد الله كان من الصالحين • فالرسول اكرمه
لكان ابنه • وسادسها لعل الله اوحى اليه انه اذا دفع اليه قميصه صار ذلك سببا
لالف نفر من المنافقين ان يدخلوا فى الاسلام • وسابعها ان الرحمة والرافة
كانت غالبة على الرسول صلوات الله عليه • قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين • فذلك قوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
يعنى لا تقف عليه • ولا تتولى دفنه • من قولهم قام فلان بامر فلان • اذا كفاه امره
وناب عنه فيه • قال اهل العلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف
على قبره وسال الله له التثبيت • وكان يقول ما يستقبل المومن من هول الاخرة
شيا الا والقبر افظع منه • وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا دفن ميتا او اذا
فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم واسالوا له التثبيت • فانه
الآن يسال • وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو فى سياقه الموت اذا دفنتمونى
فسنوا على التراب سنا • ثم اقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها
حتى استانس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربى عز وجل • خرجه مسلم فى حديث
طويل • وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على
قبر رجل من اصحابه حين فرغ منه • فقال انا لله وانا اليه راجعون • اللهم نزل بكل وانت
خير منزول به • جاف الارض عن جنبيه • وافتح ابواب السما لروحه • واقبله منك
بقبول حسن • وثبت عند المسايل منطقه • اخرجه الحافظ ابو نعيم • قال ابو بكر
الآجرى فى كتاب النصيحة يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا • والدعا للميت مستقبل
وجهه بالثبات • فيقال اللهم هذا عبدك • وانت اعلم به منا • لا نعلم منه الا خيرا •
وقد اجلسته لنسالك • اللهم فثبته بالقول الثابت فى الاخرة كما ثبته فى الحياة
الدنيا • اللهم ارحمه • والحقه بنبيه صلى الله عليه وسلم • ولا تضلنا بعده • ولا تحرمنا

ولا تحرمنا اجره ٥ وقال ابو عبد الله الترمذي الوقوف على القبور وسوآل التثبيت
وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة ٥ لان الصلوة بجماعة المسلمين كالعسكر له
وقد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له ٥ والوقوف على القبر لسوآل التثبيت مدد
للعسكر ٥ وتلك ساعة غسل الميت ٥ لانه يستقبله هول المطلع ٥ وسوآل وفتنة في
القبر ٥ وروى انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من
مسلم يموت فيشهد له اربعة اهل ابيات من جيرانه الادنين انهم لا يعلمون الا خيرا
الا قال الله تعالى قد قبلت علمكم فيه ٥ وغفرت له ما لا تعلمون ٥ رواه ابو يعلى وغيره ٥
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل ما من
عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاثة ابيات من جيرانه الادنين بخير الا قال الله عز وجل
قد قبلت شهادة عبادي على عبدي ما علموا ٥ وغفرت له ما لا علم ٥ وروى عن عامر
ابن ربيعة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد والله يعلم
منه شرا ويقول الناس خيرا قال الله عز وجل للملائكته قد قبلت شهادة عبادي على
عبدي ٥ وغفرت له علمي فيه ٥ رواه البزار ٥ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذكروا محاسن موتاكم ٥ وكفوا عن مساويهم ٥ رواه ابو داود وغيره ٥
وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار
قوم مومنين ٥ وآتاكم ما توعدون ٥ غدا مؤجلون ٥ وانا ان شآ الله بكم لاحقون ٥
اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد ٥ رواه مسلم ٥ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابن تعالى او من اخيه ٥
او صديق له ٥ فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها ٥ وان هدايا الاموات
الدعا والاستغفار ٥ وقال بعضهم مات اخ لي ٥ فرايته في المنام ٥ فقلت له ما
كان حالك حين وضعت في قبرك ٥ قال اتاني آت بشهاب من نار ٥ فلولا ان داعيا دعا
لي لرايت انه سيضربني به ٥ ولهذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعا له ٥ ٥

وقال سعيد بن عبد الله الازدي شهدت ابا امامة الباهلي رضي الله عنه وحضر في النزع
وقال ياسعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا
مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة
فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل الثانية فانه يستوى جالسا ثم يقول الثالثة فانه
يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تشعرون فيقول اذكر العهد ما خرجت عليه
من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقران
اماما فان منكرا ونكيرا ينتاخر كل واحد منهما فيقول لصاحبه انطلق بنا ما نقعد عند
هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله
فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء ويستحب ايضا الثناء على الميت وان لا
يذكر الا محاسن اعماله وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات
فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير
فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاشوا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه
وقال انس رضي الله عنه مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليه
شرا فقال صلى الله عليه وسلم وجبت ومروا باخرى فاثنوا خيرا فقال صلى الله
عليه وسلم وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا اثنيتم عليه
خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله في
الارض رجعنا الى وصف المنافقين قال الله تعالى انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة على ابن ابي والقيام
على قبره ولما نزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا
قام على قبره بعدها فان قيل الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل
هذا النهي كونه كافرا فدخل تحته الفسق وغيره فما الفائدة في وصفه فاسقا بعد

وصفه بالكفر قيل لان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يودي الامانه ولا
يضمر لاحد سوا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار
السو للغير وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان المنافق بهذه الصفة
الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد ان وصفهم بالكفر فان قيل اليس
ان المنافق يصلى عليه بعد ان اظهر الاسلام مع قيام الكفر فيه فالجواب ان التكاليف
مبنية على الظاهر قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون اعلم ان تكرير هذه الاية للمبالغة والتاكيد وان يكون
على بال من المخاطب لا ينساه وان يعتقد انه مهم ولان كل امة في فرقه غير
الفرقه الاخرى وقال الامام فخر الدين الرازي الكلام على هذه الاية في مقامين
المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد النزول له شان في
تقرير ما نزل اولا وتاكيده وارادة ان يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا
ينساه وان يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان
يحذر منه وهو ان اشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال
والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير
يراد به التاكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشي الذي وقع الاهتمام به وقيل
ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالاية الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال
واولاد عند نزولها وبالاية الاخرى اقواما آخرين منهم المقام الثاني في
وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الايتين وذلك انه تعالى قال
في الاية الاولى فلا تعجبك بالفا وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما
انه عطف الاية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين
للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه بالفا في قوله فلا
تعجبك واما هذه الاية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا اتى بحرف الواو وقال

تعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ٥ واسقط حرف لا هنا فقال
واولادهم ٥ والسبب فيه ان حرف لا دخلت هناك لزيادة التاكيد ٥ فيدل على
انهم كانوا معجبين بكثرة الاموال والاولاد ٥ وكانت اعجابهم باولادهم اكثر ٥ وفى
اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين ٥ وقال تعالى فى الآية
الاولى انما يريد الله ليعذبهم بها بحرف اللام ٥ وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان ٥
والفايده فيه التنبيه على ان التعليل فى احكام الله محال ٥ وانه اينما ورد حرف لا
فمعناه ان ٥ كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله ٥ معناه وما امروا الا بان يعبدوا
الله ٥ وقال تعالى فى الآية الاولى فى الحياة الدنيا ٥ وقال فى هذه الآية فى الدنيا ٥
والفايده فى اسقاط لفظة الحياة تنبيها على ان الحياة الدنيا بلغت فى الخسة
الى حيث انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة ٥ بل يجب الاقتصار عند ذكرها على
لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناتها ٥ فهذه جملة فى ذكر الفرق بين هذه الالفاظ ٥
والله اعلم بمراده ٥ واسرار كتابه العزيز ٥ قوله عز وجل واذا انزلت سوره
يحتمل ان يراد بالسورة بعضها ٥ لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جايز ٥ ويحتمل
ان يراد جميع السورة ٥ فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة ٥ لانها مشتملة
على الامر بالايمان والامر بالجهاد ٥ وذكر بعض المفسرين بلفظ اخر ٥ انه يجوز ان يراد
سورة بتمامها ٥ وان يراد بعضها ٥ كما يقع القران والكتاب على كله وعلى بعضه ٥
ولما بين سبحانه فى الايات المتقدمة ان المنافقين احتالوا فى رخصة التخلف
والقعود عن الغزو زاد فى هذه الآية دقيقة اخرى ٥ وهى انها متى نزلت آية
مشتملة على الامر بالايمان وعلى الامر بالجهاد مع رسوله صلى الله عليه وسلم استاذن
اولوا الثروة والقدرة منهم فى التخلف ٥ وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ٥ وقوله
اذا امنوا اى بان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله فان قيل كيف يامرهم بالايمان
مع كونهم مومنين فهو من باب تحصيل الحاصل ٥ قيل له معناه الامر بالدوام
على الايمان والجهاد فى المستقبل ٥ وقد ان الامر بالايمان متوجه على كل احدٍ

فی کل ساعة • وقیل ان هذا الامر وان کان ظاهره العموم لکن المراد به الخصوص
وهم المنافقون • المعنی اخلصوا الایمان بالله وجاهدوا مع رسوله • وانما قدم
الامر بالایمان علی الامر بالجهاد لان الجهاد بغیر ایمان لا یفید اصلا • فکانه قیل
للمنافقین الواجب علیکم ان تؤمنوا بالله اولا وتجاهدوا مع رسوله ثانیا حتی یفید کم
ذلک الجهاد فایده یرجع علیکم نفعها فی الدنیا والاخرة وقوله تعالی استاذنک
اولوا الطول منهم قال ابن عباس رضی الله عنه یعنی اهل الغنی وهم اهل القدرة
والثروة والسعة من المال • وقیل هم روسا المنافقین وکبراؤهم ه وفی تخصیص
اولی الطول بالذکر قولان • احدهما ان الذم لهم ازم • لکونهم قادرین علی اهبة السفر
والجهاد ه والقول الثانی انما خص اولوا الطول بالذکر • لان العاجز عن السفر
والجهاد لا یحتاج الی الاستیذان فی القعود لانه معذور وقالوا یعنی اولوا الطول ه
ذرنا نکن مع القاعدین یعنی فی البیوت من النسا والصبیان ه وقیل مع الذین لهم
عذر فی التخلف کالمرضی والزمنی رضوا بان یکونوا مع الخوالف قیل الخوالف النسا
اللواتی یتخلفن فی البیوت فلا یخرجن منها ه والمعنی رضوا بان یکونوا فی تخلفهم عن
الجهاد کالنسا ه وقیل خوالف جمع خالفة • وهم ادنیا الناس وسفلتهم • یقال
فلان خالفه قومه • اذا کادوه بهم وطبع علی قلوبهم ای وختم علی قلوب هؤلا
المنافقین لاختیارهم الکفر والنفاق فهم لا یفقهون یعنی ما فی الجهاد من الفوز
والسعادة • وما فی التخلف من الهلاک والشقاوة لکن الرسول والذین امنوا معه
لما شرح سبحانه حال المنافقین فی الفرار عن الجهاد بین ان حال الرسول صلی الله
علیه وسلم والذین معه بالضد منه • حیث بذلوا المال والنفس فی طلب مرضاة الله
جاهدوا باموالهم وانفسهم یعنی ان تخلف هولا المنافقون عن الغزو ولم یجاهدوا
فقد توجه الیه من هو خیر منهم واخلص نیة • یعنی الرسول والمومنین ه ونظیر هذه
الایة قوله تعالی فان یکفر بها هولا فقد وکلنا بها قوما لیسوا بها بکافرین • وقوله
فان استکبروا فالذین عند ربک یسبحون له باللیل والنهار وهم لا یسامون واولئک لهم

الخيرات لما وصفهم بالمسارعة الى الجهاد ذكر ما حصل لهم من الفوايد والمنافع
وهى انواع • اولها قوله واولئك لهم الخيرات • وهى يتناول منافع الدارين •
النصر والغنيمه فى الدنيا • والجنة والكرامة فى الاخره • وقيل المراد بالخيرات
الحور العين • لقوله تعالى فيهن خيرات حسان • وهى جمع خَيِّرَه • بتخفيف خَيِّرَه •
وقيل جمع خيّر • والله اعلم • المنفعة الثانية قوله واولئك هم المفلحون اى
الفايزون بكل مطلوب • المنفعة الثالثة قوله تعالى اعد الله لهم جنات تجرى
من تحتها الانهار اى من تحت منازلهم وقصورهم خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
وهذا بيان لما لهم من الخيرات الاخروية • وفى قوله تعالى اَعَدَّ • دليل على ان الجنة
مخلوقه الان • خلافا للمعتزله • قال بعضهم يحتمل ان تكون هذه الجنات كالتفسير
للخيرات والفلاح • ويحتمل ان يكون المراد من الخيرات منافع الدنيا • ومن الجنات
منافع الاخرة • والفوز العظيم عباره عن كون تلك الحالة مرتبه عظيمه ودرجة
عالية • قوله عزوجل وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم اعلم
انه تعالى لما شرح احوال المنافقين الذين كانوا فى المدينه ابتدا فى شرح احوال
المنافقين من الاعراب • بقوله وجاء المعذرون • اى المعتذرون من اعراب البوادى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه فى التخلف عن الغزو معه • قال
الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل • جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين
اليه دفاعا عن انفسهم • فقالوا يا نبى الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيّ على
حلائلنا واولادنا ومواشينا • فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انبانى الله
من اخباركم • وسيغنى الله عنكم • وقيل هم نفر من بنى غفار • رهط خفاف بن ايماء
ابن رَحَضه • وقيل هم من اسد وغطفان • قالوا ان لنا عيالا وان بنا جَهْدا
فأذَنْ لنا فى التخلف • وقال ابن عباس رضى الله عنه هم الذين تخلفوا بعُذْر •
فاذِن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومعنى الاية وجاء المعذرون • اى المقصرون •
يعنى انهم قصّروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به • والمعَذِّر من يرى ان له عذرا •

ولاعذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت
التا في الذال لقرب مخرجهما ۝ والاعتذار في كلام العرب على قسمين ۝ يقال
اعتذر اذا كذب في عذره ۝ ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم ۝ فرد الله عليهم
بقوله قل لا تعتذروا ۝ فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ۝ ويقال اعتذر
اذا اتى بعذر صحيح ۝ ومنه قول لبيد ۝

ومن بيتك حولا كاملا فقد اعتذر ۝

يعني فقد جا بعذر صحيح ۝ وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير ۝ يقال عذر
تعذيرا اذا قصر ۝ ولم يبالغ ۝ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم
وانهم كانوا كاذبين ۝ ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين ۝ بدليل انه تعالى لما
ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ۝ فلما فصل بينهم وميزهم عن
الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ۝ ويروى عن ابي عمرو بن العلا انه قال
لما قيل له هذا الكلام فقال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل فمنهم الذين عناهم الله بقوله
وجا المعذرون ۝ وتخلف اخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جرأة على الله ۝
فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين
ما جاوا وما اعتذروا ۝ وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله ۝ يعني في ادعايهم الايمان ۝
سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني في الدنيا بالقتل ۝ وفي الاخرة بالنار ۝
وانما قال منهم لانه تعالى علم ان منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه ۝ فاستثناهم الله
من المنافقين الذين اصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه ۝ قوله عز وجل
ليس على الضعفا اعلم ان الله تعالى لما بين الوعيد في حق من يتوهم العذر مع انه
لا عذر له عقبه بذكر اصحاب الاعذار الحقة الصحيحة ۝ وعذرهم ۝ واخبر
ان فرض الجهاد عنهم ساقط ۝ وهم اقسام الاول الصحيح الذي لا قدرة له نحو
الشيخ الهرم ۝ والزمن ۝ والذي خلق في اصل الفطرة ضعيفا نحيفا ۝ وهؤلاء هم
المرادون بالضعفا ۝ والا لم يتميزوا من المرضى ۝ والعطف يقتضي المغايرة ۝ وقال

بعضهم بعباره اخرى الضعيف هو الضعيف فى بدنه الماجز عن الغزو وتحمل مشاق
السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنسآء ومن خلق فى اصل الخلقة ضعيفا
نحيفا وبدل على ان هولا الاصناف هم الضعفا ان الله تعالى عطف عليهم المرضى
فقال تعالى ولا على المرضى والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فما المرضى
فدخل فيهم اهل العما والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من
التمكن من الجهاد والسفر للغزو ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعنى الفقرا
العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد ولا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومونة
السفر لان العاجز عن نفقة الغد ومعذور لان حضوره فى الغزاة انما ينفع
اذا قدر على الانفاق واذا لم يقدر على ذلك يضير وبالا على المجاهدين ويمنعهم عن
الاشتغال بالمقصود وقوله حرج اى اثم وضيق فى التاخر اى ليس على هولا
الاصناف البلاتة حرج اى اثم فى التخلف عن الغزو قال الامام فخر الدين ليس فى
الاية انه حرم عليهم لان الواحد من هولا لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدره
اما لحفظ متاعهم او تكثير سوادهم بشرط الا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان
ذلك طاعة مقبوله ثم انه تعالى شرط على الضعفا فى جواز التخلف عن الغزو
شرطا معينا وهو قوله اذا نصحوا لله ورسوله يعنى اذا اقاموا فى البلد واحترزوا
عن افشآ الاراجيف واثارة الفتن وسعوا فى ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين
خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول
صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجرى مجرى النصح لله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل اى ليس على من احسن فنصح لله ولرسوله فى تخلفه عن الجهاد
بعذر قدا باحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد
باحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل
ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله خالصا مخلصا من قلبه
بان ما عليه سبيل فى نفسه وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل وقال

بعضهم قوله ما على المحسنين من سبيل اى طريق للاذى عليهم ٠ ولا طريق للعاتب عليهم ٥
وروى ابو داود عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد تركتم
بعدكم قوما ما سرتم مسيرا ولا انفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا الا وهم معكم
فيه ٥ قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ٠ قال حبسهم المرض ٥
قال العلما فقد راى الحق سبحانه اصحاب الاعذار وما صبرت القلوب ٠ فخرج ابن ام
مكتوم الاعمى الى احد ٠ وطلب ان يعطا اللوا ٥ فاخذه مصعب بن عمير رضى الله عنه
فجا رجل من الكفار فضرب يده التى فيها اللوا فقطعها ٠ فامسكه باليد الاخرى ٥
فضرب اليد الاخرى فقطعها ٠ فتنا ولهه بصدره ٠ ويداه مقطوعتان ٠ كما فعل
جعفر بن ابى طالب يوم موته ٠ هذه عزايم القوم رضى الله عنهم ٠ والحق سبحانه يقول
ليس على الاعمى حرج ٠ وهو فى اول الصف ٠ ولا على الاعرج حرج ٠ وعمرو بن الجموح من
نقبا الانصار اعرج وهو فى اول الجيش ٥ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمرو
ان الله قد عذرك ٥ فقال والله يا رسول الله انى لارجو ان اطأ بعرجتى هذه فى الجنة ٥
وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لقد كان الرجل يوتى به يهادى بين الرجلين
حتى يقام فى الصف ٥ وقال بعض المفسرين قوله اذا نصحوا لله ورسوله ٥ النصح هو
اخلاص العمل من الغش ٠ ومنه التوبة النصوح ٥ وفى صحيح مسلم عن تميم الدارى
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة ٥ ثلاثا ٥ قلنا لمن ٥ قال
لله ٠ ولكتابه ٠ ولرسوله ٠ ولايمة المسلمين ٠ وعامتهم ٥ قال العلما النصيحة لله
اخلاص الاعتقاد فى الوحدانية ٠ ووصفه بصفات الالهية ٠ وتنزيهه عن
النقايص ٠ والرغبة فى محابه ٠ والبعد عن مساخطه ٠ والنصيحة لرسوله التصديق
بنبوته ٠ والتزام طاعته فى امره ونهيه ٠ وموالاة من والاه ٠ ومعاداة من عاداه ٠
وتوقيره ٠ ومحبته ٠ ومحبة آل بيته ٠ وتعظيمه ٠ وتعظيم سنته ٠ واحيا وها بعد
موته بالبحث عنها ٠ والتفقه فيها ٠ والذب عنها ٠ ونشرها ٠ والدعا اليها ٥
والتخلق باخلاقه الكريمة ٥ صلى الله عليه وسلم ٥ والنصح لكتاب الله العزيز قراته ٥

والتفقه فيه ٥ والذب عنه ٥ وتعليمه واقرائه ٥ والتخلق به ٥ والنصح لائمة المسلمين
ترك الخروج عليهم ٥ وارشادهم الى الحق ٥ وتنبيههم فيما اغفلوه من امور المسلمين ٥
ولزوم طاعتهم ٥ والقيام بواجب حقهم ٥ والنصح للعامة ترك معاداتهم ٥
وارشادهم ٥ وحب الصالحين منهم ٥ والدعا لجميعهم ٥ وارادة الخير لكافتهم ٥ وفي
الحديث الصحيح مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ٥ اذا اشتكى
عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى والله غفور يعني لمن تخلف عن الجهاد
بعذر ظاهر اباحه الشرع رحيم يعني انه تعالى رحيم بجميع عباده ٥ قال قتادة نزلت
هذه الاية في عايذ بن عمرو واصحابه ٥ وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن ام مكتوم ٥
وكان ضرير البصر ٥ والله اعلم ٥ ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين
اتبعه بذكر قسم رابع ٥ وهو قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك يعني ولا حرج ولا
اثم في التخلف عنك على الذين اذا ما اتوك لتحملهم يعني يسالونك الحملان ليبلغوا الى
غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد ٥ فان قيل اليس هولاء داخلين تحت
قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ٥ فنقول الذين لا يجدون ما ينفقون
هم الفقرا الذين ليس لهم قدر النفقة ٥ وهولاء هم الذين ملكوا قدر النفقة الا انهم
لم يجدوا الركوب ٥ واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية ٥ فقال ابن اسحق نزلت
في البكائين ٥ وكانوا سبعة ٥ ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا لما جا ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم عليه ٥
فانزل الله تعالى هذه الاية ٥ وهم سبعة نفر ٥ من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ٥ ومن
بني واقف حرمي بن عمير ٥ ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب ٥ يكنى ابا ليلى ٥
ومن بني المعلا سلمان بن صخر ٥ ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد ابو رعيلة ٥
وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ٥ ومن بني سلمة عمرو بن غنمة ٥ وعبد الله
ابن عمرو المزني رضي الله عنهم ٥ وقال البغوي هم سبعة نفر ٥ سموا البكائين ٥ معقل
ابن يسار ٥ وصخر بن خنساء ٥ وعبد الله بن كعب الانصاري ٥ وعلبة بن زيد الانصاري ٥

وسالم بن عمير وخبيب بن عدي وعبد الله بن معقل المزني قال اتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا
فقال لا اجد ما احملكم عليه وقال مجاهد وجماعة من المفسرين هم بنو مقرن من
مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقال بعضهم نزلت
في بني مقرن وكانوا سبعة اخوة كلهم صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في
الصحابة سبعة اخوة غيرهم وهم النعمان ومعقل وعقل وسويد وسنان
وسابع لم يسم كلهم مزنيون صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشاركهم احد
من الصحابة في هذه المكرمة كما ذكره ابن عبد البر وغيره وقد قيل انهم شهدوا
الخندق كلهم وقيل نزلت في سبعة نفر من بطون شتى وهم البكاؤن اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ليحملهم فلم يحملهم عليه فتولوا واعينهم تفيض
من الدمع حزنا فسموا البكائين وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحتمل
انها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس رضي الله عنه سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحملهم على الدواب وقيل بل سالوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال
المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون
ولذلك سموا بالبكائين فذلك قوله تعالى قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا
واعينهم تفيض من الدمع اي تسيل كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من قولك يفيض
دمعها لان العين جعلت كانها كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل
ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز ويجوز ان يكون قلت لا اجد استينافا
كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما
احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزا كالاعتراض حزنا مفعول له والله اعلم
والمعنى حزنا الا يجدوا ما ينفقون يعني على انفسهم في الجهاد قال بعض العلما في
قوله تعالى واعينهم تفيض من الدمع حزنا ما يستدل به على قرايز الاحوال ثم منها
ما يفيد العلم الضروري ومنها ما يحتمل التردد كمن مر على دار قد علا فيها

النعى وخمشت الخدود وحلقت الشعور وصلقت الاصوات وخرقت الجيوب
وناد وا على صاحب الدار بالثبور فيعلم انه قد مات واما الثانى فكد موع الايتام
على ابواب الحكام قال الله تعالى مخبرا عن اخوة يوسف عليهم السلام وجاوا اباهم عشآ
يبكون وهم كاذبون قال تعالى مخبرا عنهم وجآ وا على قميصه بدم كذب ومع هذا
فانها قرائن يستدل بها فى الغالب فيبتنى عليها الشهادات بنآ على ظواهر الاحوال
وغالبها قال الشاعر ٥

اذا اشتبكت دموع فى خدود ٥ تبين من بكى ممن تباكى ٥

وسانى هذا المعنى مستوفى فى سوره يوسف ان شآ الله تعالى انما السبيل على الذين
يستاذنونك لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال فى حق من يعتذر ولا
عذر له انما السبيل يعنى انما يتوجه الطريق بالعقوبة على الذين يستاذنونك يا محمد
فى التخلف عنك والجهاد معك وهم اغنيآ يعنى قادرين على الخروج معك والمراد
بهم المنافقون كرر سبحانه ذكرهم للتاكيد فى التحذير من سوآ فعالهم وقوله
رضوا كلام مستانف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنيآ فقيل رضوا بان
يكونوا مع الخوالف يعنى رضوا بالدناة والضيعة والانتظام فى جمله الخوالف ٥
وهم النسآ والصبيان والقعود معهم وطبع الله على قلوبهم يعنى ختم عليها اى السبب
فى تفرتهم عن الجهاد هو انه تعالى طبع على قلوبهم فهم لا يعلمون ما فى الجهاد من الخير
فى الدنيا والآخره اما فى الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما فى
الاخره فالثواب والنعيم الدايم الذى لا ينقطع ٥ روى ان المنافقين الذين تخلفوا
عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين رجلا ٥ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
جآ وا يعتذرون اليه بالباطل فانزل الله عز وجل يعتذرون اليكم اذا رجعتم
اليهم يعنى يعتذرهولا المنافقون المتخلفون عنك يا محمد اليك ويقسمون لانفسهم عذرا
باطلا وانما ذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بلفظ الجمع فى قوله اليكم تعظيما له صلى الله
عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى المومنين ولهذا قال تعالى يعتذرون اليكم ٥

يعني بالاعذار الباطله الكاذبة إذا رجعتم اليهم • يعني من سفركم قل اى قل لهم يا محمد
لا تعتذروا بالباطل لن نؤمن لكم يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به • وهذا علة للنهى
عن الاعتذار • لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به قد نبانا الله من
اخباركم يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم • وهذا علة لانتفا تصديقهم •
لان الله تعالى اذا اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم الاعلام باخبارهم وما فى ضمايرهم
لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم وسيرى الله عملكم ورسوله يعني فى
المستانف اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه • وقيل يحتمل انهم وعدوا بان
ينصروا المومنين فى المستقبل • فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون
بما قلتم ام لا يعني فيخبركم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم يعني فيخبركم
بما كنتم تعملون لانه هو المطلع على ما فى ضمايركم من الخيانه والكذب واخلاف الوعد •
فان قيل لما قال تعالى وسيرى الله عملكم فلم لم يقل ثم ترد ون اليه • قلنا فى وصفه
تعالى بكونه عالم الغيب والشهادة ما يدل على كونه مطلعا على ضمايرهم المشتمله على
الكذب والكيد • وفيه تخويف شديد • وزجر عظيم • قوله عز وجل سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم يعني اذا رجعتم من سفركم اليهم يعني الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين
لتعرضوا عنهم يعني لتصفحوا عنهم ولا توبخوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم فاعرضوا
عنهم يعني فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق • او اعطوهم طلبتهم • وقيل
يريد ترك الكلام • يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم • قال اهل المعانى اذ هو لا المنافقين
طلبوا اعراض الصفح • فاعطوا اعراض المقت • ثم ذكر سبحانه العلة فى سبب الاعراض
عنهم • فقال تعالى انهم رجس يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة • واعمالهم قبيحة •
وفى لفظ آخر ان المعاتبة لا تنفع فيهم • ولا تصلحهم • لانهم ارجاس انجاس • لا سبيل
الى تطهيرهم • وقال بعضهم المعنى ان خبث باطنهم رجس روحانى • وكما يجب الاحتراز
عن الارجاس الجسمانيه • فكذلك يجب الاحتراز عن الارجاس الروحانيه • بل اولى •
خوفا من سراياتها الى الانسان وماواهم جهنم اى مصيرهم الى النار فى الاخرة •

يعنى وكفتهم النار عذابا وتوبيخا • فلا تكلفوا عنا بهم جزاء بما كانوا يكسبون يعنى
من الاعمال الخبيثة فى الدنيا • قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى الجد بن قيس
ومعتب بن قشير واصحابهما • وكانوا ثمانية رجلا من المنافقين • فقال النبى صلى الله
عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم • وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن ابى ٥
حلف للنبى صلى الله عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها ٥
وطلب من النبى صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه • فانزل الله عز وجل هذه الاية والتى
بعدها يحلفون لكم لترضوا عنهم يعنى يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم • يعنى
ان عرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم فان ترضوا عنهم يعنى
فان رضيتم عنهم ايها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين لانه تعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق والشك • فلا يرضى عنهم ابدا ٥ او
فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم • وكانوا عرضة لعاجل
عقوبته وآجلها • وانما قيل ذلك ليلا يتوهم ان رضى المؤمنين يقتضى رضى الله عنهم ٥
قال بعضهم ان هذه المعانى مذكورة فى الايات السالفة • وقد اعادها الله سبحانه
مرة اخرى ٥ والظاهر ان الاول خطاب مع المنافقين الذين كانوا فى المدينة ٥
وهذا خطاب مع المنافقين الذين من الاعراب واهل البوادى ٥ قال تعالى
الاعراب اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم
والعلماء • قال اهل اللغة يقال رجل عزى اذا كان نسبه فى العرب ثابتا ٥ وجمع
عربى عرب • كما يقال مجوسى ومجوس ويهودى ٥ ويهود ٥
ورجل اعرابى اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا • سواء كان من العرب
او من موالهم • وجمع الاعرابى على الاعراب • او الاعارب • والاعاريب • فمن استوطن
القرى والمدن العربية فهم عرب • ومن نزل البادية فهم الاعراب • فالاعرابى اذا
قيل له يا عربى فرح بذلك • والعربى اذا قيل له يا اعرابى غضب • والعرب افضل
من الاعراب • لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب • وانما سمى العرب

العرب لان اولاد اسمعيل عليه السلام نشؤا بعربة وهى من تهامة فنسبوا الى بلدهم
وكل من سكن جزيرة العرب ونطق بلسانهم فهو منهم والعرب العاربة هم الخلص
منهم واخذ من لفظه فاكد به كقولك ليل" لايل" وربما قالوا العرب العربا
ورجل" تعرب" اى تشبه بالعرب وتعرب بعد هجرته اى صار اعرابيا
والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص وكذلك المتعرب به واول من تكلم
بالعربية يعرب بن قحطان وهو ابو اليمن كلهم والعرب والعرب مثل العجم والعجم
والعريب تصغير العرب والتصغير للتعظيم ذكر هذا الجوهري قال القشيري
والمهاجرون والانصار عرب لا اعراب وسميت العرب عربا لان ولد اسماعيل نشؤوا
من عربة وهى تهامة فنسبوا اليها وقيل انما سموا عربا لان قريشا اقامت بعربة
وهى مكة وانتشر سائر العرب فى جزيرتها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال حب العرب من الايمان ولا شك ان اللسان العربى مختص بانواع من الفصاحة
والجزالة وروى عن بعض الحكما انه قال حكمة الروم فى ادمغتهم وذلك لانهم يقدرون
على التركيبات العجيبة وحكمة الهند فى اوهامهم وحكمة اليونان فى افئدتهم
وذلك لكثرة مالهم من المباحث العقلية وحكمة العرب فى السنتهم وذلك لحلاوة
الفاظهم وعذوبة عباراتهم قال بعض العلما فى قوله تعالى الاعراب اشد كفرا
ونفاقا لما كان ذلك ودل على نقصهم وحطهم عن المرتبة الكاملة عن من سواهم ترتبت
على ذلك احكام بلانة اولها لا حق لهم فى الفيء والغنيمة كما قال النبى صلى الله عليه
وسلم فيما رواه مسلم فى صحيحه من حديث بريدة رضى الله عنه وفيه ثم ادعهم الى
التحول من دارهم الى دار المهاجرين فان ابوا ان يتحولوا فاخبرهم انهم ان فعلوا ذلك
لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان ابوا ان يتحولوا عنها فاخبرهم انهم
يكونون كاعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المومنين ولا يكون لهم فى
الغنيمة والفى شى الا ان يجاهدوا مع المسلمين وثانيها اسقاط شهادة اهل
البادية على الحاضرة لما فى ذلك من تحقق التهمة واجازها الامام ابو حنيفة رحمه الله

خ
عليهم

لانه لا يراعى كل تهمة والمسلمون كلهم عدول عنده واختارها الامام الشافعى
اذا كان عدلا مرضيا وهو الصحيح وقد وصف الله تعالى الاعراب هنا باوصاف بلاثة
احدها بالكفر والنفاق بانها ثلاثة ما يتخذ ما ينفق مغرما وتربص بكم
الدوائر بالثها بالايمان بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات
الرسول فمن كانت هذه صفته فبعيد ان ترد شهادته فيلحق بالسابق والاول
وذلك باطل وبالثها انه امامتهم باهل الحاضرة ممنوعة لجهلهم بالسنة وتركهم
الجمعة وكره الامام ابو حنيفه امامة الاعرابى وهى جايزه عنده والله اعلم ٥
وقد حكى عن الاعراب نوادر منها انه بدويا قال لابنه ما بنى كن سبعا خالسا
اوذيبا خانسا اوكلبا حارسا واياك ان تكون انسانا ناقصا ٥ وحكى ان اعرابا
كان اسمه موسى فالتقط كيسا فيه دراهم ثم دخل مسجدا يصلى فيه فقرا الامام
وما تلك بيمينك يا موسى فرمى بالكيس اليه وقال والله انك لساحر ٥ وقال اعرابى
اياكم والعجلة فان العرب تكنيها ام الندامات ٥ وحكى ان اعرابيا سلم ولده الى
الى معلم ثم غاب وساله ما سورته فقال قل يا ايها الكافرون ثم غاب وجاء فساله
فقال سورته اذا جاءك المنافقون فقال انه والله ما ينقلب الا الى اوتاد الكفر والنفاق ٥
علمك يا بنى نعمك فاز عها ٥ وحكى ان اعرابيا دخل المسجد فصلى صلاة خفيفة
ثم قال اللهم زوجنى الحور العين فقال له عمر رضى الله عنه اسات النقد واعظمت
الخطبة ٥ وكانت اعرابية نايمه فنبهوها للصلاة فانت المآ فوجدته باردا
فتركته وتوجهت الى القبله بغير وضو فكبرت للصلاه ثم قال اللهم قمت وانا
عجلى وصلت وانا كسلى فاغفر لى عدد الثرى فقلنا لها ما هذا الذى بصنعين
قالت ان صلاتى هذه كصلاتى منذ اربعين سنة ٥ وحكى ان اعرابيا صلى صلاة
خفيفه فقام اليه على بن ابى طالب رضى الله عنه بالدرة وقال له اعد صلاتك
فاعادها واطمان فيها فلما فرغ قال له على اهذه خير ام الاولى قال له بل الاولى
قال لم قال لانى صليت الاولى لله وصليت هذه خوفا من الدرة فضحك على رضى الله عنه

وحكي انّ اعرابيا شهد عند حاكم شهادة على انسان • فقال المشهود عليه للحاكم اتقبل
شهادة هذا علىّ وله من المال كذا وكذا ولم يحج • فقال الاعرابى بل والله حججت كذا
كذا مرة • فقال سله يرحمك الله عن مكان زمزم • فقال له الحاكم هل تعرف مكان
زمزم • فقال انى حججت قبل ان تحفر زمزم • وحكى ايضا ان اعرابيا سرق ناقة
مسك • فقيل له انّ الله تعالى يقول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة • فقال اذن احملها
طيبة الريح خفيفة المحمل • وحكى انّ اعرابيا سافر فرجع خائبا من غير ربح كسبه •
فقيل له ما ربحت فى سفرك • فقال ما ربحنا الا فى قصرنا من صلاتنا • وحكى انّ اعرابيا
جاءه ضيف فقدم اليه قصعة ثريد • وقال له لا تقعرها ولا تصقعها • ولا
تشربها • فقال الضيف فمم اذن آكل • قال لا ادري • فانصرف من عنده جائعا •
اى لا تاكل من اعلاها • ولا من اسفلها • ولا من حروفها • وذكر عند اعرابى رجل شديد
العبادة • فقال هذا والله رجل سوء ينظر انّ الله لا يرحمه حتى يعذب نفسه هذا
التعذيب • وقال الاصمعى رايت اعرابيا وقد بلغ عمره مائة وعشرين سنة •
فقلت له مما اطول عمرك • فقال انى تركت الحسد فعمرت • وحكى انّ اعرابيا ركب
البحر فراى من امواجه الاهوال • ثم ركبه مرة اخرى وهو ساكن • فقال لا يغرنى حلمك
بعد ما رأى من حلمك العجايب • وقيل لاعرابى ما تشتكى قال ذنوبى • قيل فما تشتهى
قال الجنة • قيل افلا ندعو لك طبيبا • قال الطبيب هو الذى اعلّنى • واشترى اعرابى
غلاما • فقيل له انه يبول فى الفراش • فقال انّ وجد فراشا قليلا فيه راشدا •
ذكر هذه النوادر صاحب الكشاف فى كتاب ربيع الابرار • واعلم انّ الله تعالى حكم
على الاعراب فى هذه الاية بحكمين • الاول انهم اشد كفرا ونفاقا • وذلك انّ اهل
البدو صفة الوحوش • وايضا انّ مزيد استيلاء الهوا الحار اليابس عليهم يوجب
مزيد النخوة والطيش عليهم • وايضا انّ الاعراب ما كانوا تحت سياسة سايس
قط • ولا باديب مودب • وانما نشاوا على مقتضى ارايهم وعقولهم كما شاوا • وايضا
كانوا معزلا عن خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم • وسماع وعظه ونصيحته الشافية •

فكيف يكونون مساوين مع من امسى واصبح فى خدمته • الحكم الثانى قوله تعالى
واجدر يعنى واخلق واحرى واحقّ ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
يعنى الفرايض والسنن والاحكام • وقيل معنى حدود الله اى مقادير التكاليف والاحكام
وقيل مراتب ادلة العدل والتوحيد والنبوة والمعاد • ومن هذا قول النبى صلى
الله عليه وسلم اذا الجفا والقسوة فى الفدادين • يعنى الاكثر فيهم • لانهم يفدون • اى
يصيحون فى حروثهم • والفدِيد فى اللغة الصياح والله عليم يعنى بما فى قلوب عباده •
حكيم فيما فرض من حدوده واحكامه • وقيل عليم باحوالهم • حكيم فى امهالهم ومن
الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا يعنى لا يرجوا على انفاقه ثوابا • ولا يخاف على امساكه
عقابا • انما ينفق خوفا او رياء • والمَغرم التزام ما لا يلزم • والمعنى ان من الاعراب من
يعتقد ان الذى ينفقه فى سبيل الله غرامة • لانه ينفق ذلك خوفا من المسلمين • او مراياة
لهم • ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه ويتربص بكم الدوآير يعنى وينتظر
بكم تقلب الزمان وصروفه التى تاتى مرة بالخير ومرة بالشر • وفى لفظ اخر ويتربص
بكم دوائر الزمان • وتبدل الاحوال • بدَوْر الايام • لتذهب غلبتكم عليه فيتخلف عن
اعطاء الصدقة • وقيل يعنى بالدوايرالموتَ والقتلَ • اى ينتظران تنقلب الامور عليكم
فيموتَ الرسولُ • ويَظهر عليكم المشركون • قال الله تعالى داعيا عليهم عليهم دآيرة
السَّوآى اى عليهم تدور المصايب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين •
وقيل بل تنقلب عليهم الزمان ويدور البلآء والسَّوْء والحزن • ولا يرون فى نبينا
محمد صلى الله عليه واصحابه ودينه الا ما يسوهم • وقرا ابو عمرو وابن كثير عليهم دآيرة
السَّوْء بالضم • وهو العذاب • وقرا الباقون بفتح السين • وهو ذم للدآيرة • كقولك
رجلُ سَوْءٍ • فى مقابلة قولك رجل صِدق • واجمعوا على فتح السين فى قوله ما كان
ابوك امرَءَ سَوْءٍ • قال سيبويه قولهم مررت برجلٍ صدقٍ • معناه برجلٍ صالح •
وليس هو من صدق اللسان • ومررت برجُلِ سَوْءٍ • ليس هو من سَوْئِهِ • وانما
معناه مررت برجلٍ فسادٍ والله سميع يعنى لاقوالهم عليم يعنى بما يخفون فى ضمايرهم

من النفاق والغش • وارادة السوء للفريقين • ونزلت هذه الاية في اسد وغطفان
وتميم • ثم استثنا الله عز وجل فقال تعالى ومن الاعراب من يومن بالله واليوم
الآخر قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة • وقال الكلبي هم اسلم وغفار وجهينة
لما روى في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم
ان كان جهينة ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان
ومن بني عامر بن صعصعة • فقال رجل اخابوا وخسروا • قال نعم • هم خير من بني تميم وبني
اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة • وفي روايته ان الاقرع بن
حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما بايعك سراق الحجيج من اسلم وغفار ومزينة •
واحسبه قال وجهينة • فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايت ان كان اسلم وغفار ومزينة •
واحسبه قال وجهينة • خيرا من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان • قال اخابوا وخسروا •
قال نعم • وفي الصحيحين ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم
سالمها الله • وغفار غفر الله لها • زاد مسلم في روايته له اما اني لم اقلها • لكن الله قالها •
وفي الصحيحين ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش
والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله •
وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله القربات جمع قربة • وهو ما تقرب به
الى الله عز وجل • تقول منه قربت لله قربانا • والجمع في ادنى العدد قربات • وقربات •
والكثير قرب • ومعنى الاية انه يطلب بما ينفق القربة الى الله عز وجل وصلوات الرسول
يعني ويرجون في دعا النبي صلى الله عليه وسلم • وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يدعوا للمصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم • ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على آل ابي اوفى • والصلاة تقع على ضروب • فمنها من الله تعالى الرحمة والخير والبركة •
ومن الملايكة الاستغفار B • ومن المومنين الدعا • وكذلك هي من الملايكة ايضا ومن النبي
صلى الله عليه وسلم • قال الله تعالى وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم • اي دعاوك تثبيت لهم
وطمانينة الا انها قربة لهم قال العلما يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول •

ويحتمل ان تعود الى الانفاق • وكلاهما قربة من الله • وهذه شهادة من الله تعالى
للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول
ويحتمل ان تعود لهُ مقبوله عند الله • لان الله تعالى اكد ذلك بحرف التنبيه وهو
قوله ألا • وبحرف التحقيق • وهو قوله انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته
وهذه النعمة هي اقصى مرادهم • قال بعضهم ومما ادل هذا الكلام على رضى الله عن
المتصدقين • وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النيه من صاحبها ان الله غفور
اى للمومنين المنفقين في سبيله رحيم يعنى بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات • وقيل
غفور يستر عيب المخل • رحيم يقبل جهد المجد • قوله عز وجل والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار اعلم ان الله تعالى لما بين فضايل الاعراب الذين
يتخذون ما ينفقون قربات عند الله بين ان فوق منزلتهم منازل هي اعلا واعظم
وهي منازل السابقين الاولين • واثنى عليهم سبحانه • وقد اختلف في عدد اصنافهم
واصنافهم • ونحن نذكر من ذلك طرفا يتبين الغرض فيه ان شا الله • روى عن سعيد بن
المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة ان المراد بالسابقين الذين صلوا الى القبلتين •
وقال عطا بن ابى رباح هم اهل بدر • وقال الشعبى هم اهل بيعة الرضوان • وكانت
بيعة الرضوان بالحديبية • واتفقوا على ان من هاجر قبل تحويل القبلة فهو من
الاولين • وقال محمد بن كعب القرظى هم جميع الصحابة رضى الله عنهم • لانهم حصل لهم
السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن
كعب القرظى الا تخبرنى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم • واردت الفتن •
فقال ان الله تعالى قد غفر لجميعهم محسنهم • ومسيئهم • واوجب لهم الجنة في كتابه •
فقلت له في اى موضع اوجب لهم الجنة • فقال سبحان الله • الا تقرا قوله تعالى والسابقون
الاولون الى اخر الاية • فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم • زاد
في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان • قال شرط في التابعين شريطة • وهو
ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيية • قال حميد فكان لم اقرا هذه الاية قط •

واما افضلهم فهم الخلفا الاربعة ثم الستة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون
ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان واختلف العلما في اولهم اسلاما بعد
اتفاقهم على ان خديجة رضوان الله عليها اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلما اول من آمن بعد خديجة علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وهذا قول جابر بن عبد الله قال الحاكم لا اعلم خلافا بين اهل التواريخ ان
عليا اولهم اسلاما واختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين
وقيل ابن سبع وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال
بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذا قول ابن عباس
والنخعي والشعبي او ما سمعت قول الشاعر

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة ۞ فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا ۞
خير البرية اتقاها واعدلها ۞ بعد النبي واوفاها بما حملا ۞
الثاني التالي المحمود مشهده ۞ واول الناس منهم صدق الرسلا ۞

وقال الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثه مولى النبي
صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابرهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول اول
من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النسا خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب ومن
الموالي زيد بن حارثه رضي الله عنهم فهولا سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما
اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا
وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن
ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو
الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم فجاء بهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يديه وصلوا معه فكان هولا الثمانيه النفر اول
من سبق الخلق الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام وذكر محمد

ابن سعد ان الزبير اسلم رابع اربعة بعد ابي بكر رضي الله عنه • وكان اذ ذاك ابن ثمان
سنين • وقال ابن سعد ايضا • اتفقوا على ان اول من اسلم من النساء خديجة رضي الله عنها •
واختلفوا فيما عداها على اقوال • احدها انه علي بن ابي طالب رضي الله عنه • فعال الامام
احمد بن حنبل حدثنا يعقوب عن ابيه عن ابي اسحق • قال حدثني يحيى بن ابي الاشعث •
عن اسمعيل بن اياس بن عفيف الكندي عن ابيه عن جده • قال كنت امرأ تاجرا فقدمت
الموسم • فاتيت العباس بن عبد المطلب وهو يمنى لابتاع منه بعض التجارة • وكان تاجرا •
فوالله اني لعنده بمنى اذ خرج رجل من خبا قريب منه فنظر الى الشمس ثم قام يصلي •
ثم خرجت امراة من ذلك الخبا فقامت تصلي خلفه • ثم خرج من ذلك الخبا غلام
حين راهق الحلم فقام يصلي خلفه • قال فقلت للعباس من هذا • قال ابن اخي محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب • فقلت من هذه المراة • قال امراته خديجة • قلت فما هذا
الذي يصنع • قال يصلي • وهو يزعم انه نبي • ولم يتابعه على امره الا امراته وابن عمه •
وهو يزعم انه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر • وايم الله ما اعلم على وجه الارض
كلها احدا على هذا الدين الا هولا الثلاثة • وكان عفيف وهو ابن عم الاشعث بن
قيس يقول لو كان الله رزقني الاسلام يومئذ لكنت ثالثا او رابعا • ثم اسلم وحسن
اسلامه • وقال الامام احمد بن حنبل ايضا حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري
عن ابي جحيفة العمري • قال رايت عليا كرم الله وجهه ضحك على المنبر حتى بدت نواجذه •
ولم ارَه ضحك اكثر منه • فقيل له في ذلك • فقال ظهر علينا ابو طالب وانا مع رسول الله
الذي يصنع • قال يصلي • وهو يزعم انه نبي • ولم يتابعه على امره الا امراته وابن عمه •
وهو يزعم انه سيفتح عليكم كنوز كسرى وقيصر • وايم الله ما اعلم على وجه الارض
كلها احدا على هذا الدين الا هولا الثلاثة • وكان عفيف وهو ابن عم الاشعث بن
قيس يقول لو كان الله رزقني الاسلام يومئذ لكنت ثالثا او رابعا • ثم اسلم وحسن
اسلامه • وقال الامام احمد بن حنبل ايضا حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري
عن ابي جحيفة العمري • قال رايت عليا كرم الله وجهه ضحك على المنبر حتى بدت نواجذه •
ولم ارَه ضحك اكثر منه • فقيل له في ذلك • فقال ظهر علينا ابو طالب وانا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة نصلي • فقال ما هذا تصنعان يا ابن اخي • فدعاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام • فقال لا والله • لا تعلوني استي ابدا • فذلك الذي
اضحكني • ثم قال علي رضي الله عنه اللهم اني لا اعرف عبدا من هذه الامة عبدك قبلي
غير نبيك صلى الله عليه وسلم • لقد صليت قبل ان يصلي الناس بسبع سنين • القول
الثاني اول من اسلم علي وخديجة وزيد بن حارثة رضي الله عنهم • القول الثالث ان
اول من اسلم ابو بكر وبلال رضي الله عنهما • وقال ابن هشام اول من اظهر الاسلام بمكة

ابو بكر رضي الله عنه وبلال وعلى وزيد صهيب وخباب ثم اسلم فى السنه الثانيه من
النبوة حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقيل فى سنة خمس من النبوة
وقيل فى الثانية وكان اسلام عمر رضى الله عنه بعد حمزة بيوم وقيل بثلاثة ايام
وروى عن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم ايد الاسلام باحب
الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بابى جهل بن هشام فكان احبهما الى الله عمر وقال
الزهرى لما اسلم عمر رضى الله عنه نزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد قد استبشر اهل
السما باسلام عمر وقال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال صهيب لما
اسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا فطفنا وانتصفنا ممن اغلظ علينا واختلفوا بعد
كم رجلا اسلم عمر فالمشهور انه اسلم بعد تسعة وثلاثين انسانا وقد عدهم الهيثم بن
عدى فقال خديجة على زيد بن حارثه ابو بكر بلال عثمان بن عفان عبد الرحمن
ابن عوف طلحة بن عبد الله سعد بن ابى وقاص سعيد بن زيد ابو عبيده بن الجراح
الزبير بن العوام حمزه بن عبد المطلب عبيدة بن الحارث خباب بن الارت عمار بن ياسر
جعفر بن ابى طالب مصعب بن عمير عبد الله بن مسعود عياش بن ابى ربيعة عثمان بن
مظعون ابو سلمة بن عبد الاسد المقداد بن عمرو طليب صهيب عامر بن فهيره
عمرو بن عبسة نعيم بن النحام خالد بن سعيد خالد بن البكير
عبد الله بن جحش ابو احمد بن جحش عامر بن البكير عتبة بن غزوان الارقم بن ابى
الارقم واقد بن عبد الله عامر بن ربيعة السايب بن عثمان بن مظعون وتمم الله الاربعين
بعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنهم واما تفسير الصحابى فالمعروف من طريقة
اهل الحديث ان كل مسلم راى النبى صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة قال البخارى
فى صحيحه من صحب النبى صلى الله عليه وسلم او راه من المسلمين فهو من اصحابه وروى
عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد الصحابى الا من اقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة او سنتين او غزا معه غزوة او غزوتين وهذا القول ان صح عن سعيد فانه
يوجب ان لا يعد من الصحابة جرير بن عبد الله البجلى ومن شاركه وقد اتفقوا على عده

فى الصحابة ٥ وقال القرطبى لاخلاف ان اول السابقين من المهاجرين ابو بكر الصديق
رضى الله عنه ٥ وقال ابن العربى السبق يكون بثلاثة اشياء بالصفة وهو الايمان ٥
والزمان والمكان ٥ واسبق هذه الوجوه سبق الصفات ٥ والدليل عليه قول النبى صلى
الله عليه وسلم فى الصحيح نحن الآخرون الاولون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه
من بعدهم ٥ فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له ٥ فاليهود غدا ٥ والنصارى
بعد غد ٥ فاخبر صلى الله عليه وسلم ان من سبقنا من الامم بالزمان سبقناهم
بالايمان والامتثال لامر الله تعالى والانقياد اليه والاستسلام لامره والرضا بكليفه
والاحتمال لوظايفه ٥ لا يعترض عليه ٥ ولا نختار مَحَه ٥ ولا نبدل بالراى شريعةً ٥ كما
فعل اهل الكتاب ٥ وذلك بتوفيق الله لما قضاه ٥ وتيسيره لما يرضاه ٥ وما كنا لنهتدى
لولا ان هدانا الله ٥ وتضمنت هذه الاية تفضيل السابقين الى كل منقبة من
مناقب الشريعة فى علم ٥ او دين ٥ او شجاعة ٥ او غير ذلك ٥ من العطا فى المال ٥ والرتبة ٥
والاكرام ٥ وفى هذه المساله خلاف بين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ٥ واختلف العلما
فى تفضيل السابق بالعطا على غيرهم ٥ فروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه كان لا
يفضل الناس فى العطا بعضهم على بعض بحسب السابقة ٥ وكان عمر رضى الله عنه يقول
اتجعل ذا السابقة كمن لا سابقة له ٥ فقال ابو بكر انما عملوا لله واجرهم على الله ٥
وكان عمر يفضل فى خلافته ٥ ثم قال عند وفاته لين عشت الى غد لالحقن اسفل
الناس باعلاهم ٥ فمات من ليلته رضى الله عنه ٥ والخلاف الى يومنا هذا على هذا الخلاف ٥
وقال السهيلى ان اسبق الناس فى الهجرة ابو بكر رضى الله عنه ٥ لانه كان فى خدمة
الرسول ومصاحبا له فى جميع المواضع ٥ وكان نصيبه من هذا المنصب اعلا من نصيب
غيره من الصحابه ٥ واذا ثبت هذا فقد صار محكوما عليه بانه رضى الله عنه ٥ ورضى هو
عن الله ٥ وذلك فى اعلا الدرجات من الفضل ٥ وحينيذ يلزم ان يكون اماما حقا بعد
الرسول صلوات الله عليه ٥ والا لكان مستحقا للعزل والمقت ٥ وذلك ينافى حصول هذا
التعظيم ٥ فصارت هذه الاية من اجل الدلايل على فضل ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ٥ وعلى صحة

احاسنها كذلك ٥ وقال ايضا اختلفوا فى المدح الحاصل فى هذه الاية هل
تناول جميع الصحابة ام لا ٥ فقال قوم انه تناول الذين سبقوا فى الهجرة والنصره ٥
وعلى هذا فهو لا تناول الا قدما الصحابة ٥ لان كلمة من تفيد التبعيض ٥ ومنهم
من قال تناول جميع الصحابة ٥ لان جملة الصحابة السابقون الاولون بالنسبة الى غيرهم
من المسلمين ٥ وكلمة من فى هذا الموضع للتبيين ٥ وكثر من الناس ذهبوا الى هذا القول ٥
فهذه الاية تدل على ان الله تعالى اوجب لجميع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الجنة
والرضوان ٥ وشرط على التابعين شرطا ٥ وهو ان يتبعوهم باحسان ٥ وهو الاقتدا بهم
فى اعمالهم الحسنة دون غيرها ٥ ومنهم من قال يتبعوهم باحسان فى القول ٥ وهو ان لا
يقولوا فيهم سوا ٥ وان لا يوجهوا الطعن عليهم فيما اقدموا عليه ٥ واما السابقون
من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله العقبه ٥ وهى العقبة
الاولى ٥ وكانوا ستة نفر اسعد بن زرارة ٥ وعوف بن مالك ٥ ورافع بن مالك بن العجلان ٥
وقطبة بن عامر ٥ وجابر بن عبد الله بن رياب رضى الله عنهم ٥ ثم اصحاب العقبه الثانيه ٥
من العام المقبل ٥ وكانوا اثنى عشر رجلا ٥ ثم اصحاب العقبه الثالثه ٥ وكانوا سبعين
رجلا ٥ منهم البرا بن معرور رضى الله عنه ٥ وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر ٥ وسعد
ابن عبادة ٥ وسعد بن الربيع ٥ وعبد الله بن رواحة ٥ فهؤلا رضى الله عنهم سباق الانصار ٥
ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى اهل المدينه يعلمهم القران ٥
فاسلم على يده خلق كثير من الرجال والنسا والصبيان من اهل المدينة ٥ وذلك قبل ان يهاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينه ٥ وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من
سبق الى الهجرة والنصره ٥ والذى يدل عليه ان الله تعالى ذكر كونهم سابقين ٥ ولم
يبين بماذا سبقوا ٥ فبقى اللفظ مجملا ٥ فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار وصفهم
بكونهم مهاجرين وانصارا ٥ فوجب صرف اللفظ المجمل اليه ٥ وهو الهجرة والنصرة ٥
وايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ٥ ومرتبة عاليه ٥ من حيث ان الهجرة امر شاق على
النفس لمفارقة الوطن والعشيره ٥ وكذلك النصرة ٥ فانها مرتبة عالية ٥ ومنقبة

شرفه ٥ لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه وآووه ٥ وواسوه ٥ وآووا
اصحابه ٥ وواسوهم ٥ فلذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم ٥ فقال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان قيل هم بقية المهاجرين
والانصار سوى السابقين الاولين ٥ فعلى هذا القول يكون لجميع من الصحابة ٥ وقيل
هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار فى الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة ٥
قال عطا هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ٥
ويذكرون محاسنهم ٥ وفى الصحيحين عن عمران بن حصين رضى الله عنه ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال خير الناس قرنى ٥ ثم الذين يلونهم ٥ ثم الذين يلونهم ٥ قال عمران فلا
ادرى اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثا ٥ وفى الصحيحين ايضا عن ابى سعيد الخدرى رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى ٥ فلو ان احدكم
انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ٥ اراد صلى الله عليه وسلم
بالقرن فى الحديث الاول اصحابه رضى الله عنهم ٥ والقرن الامة من الناس ٥ يقارن
بعضهم بعضا ٥ واختلفوا فى مدته من الزمان ٥ فقيل من عشر سنين الى عشرين ٥
وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة ٥ والمد المذكور فى الحديث الثانى هو ربع
صاع ٥ والنصيف نصفه ٥ والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق
فى سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من اعمال الصحابة وانفاقهم ٥ لانهم
انفقوا وبذلوا المجهود فى وقت الحاجة ٥ وقال بعض المفسرين ايضا واختلف
العلماء فى التابعين ومراتبهم ٥ فقال الخطيب الحافظ التابعى من صحب الصحابى ٥
ويقال للواحد منهم تابع ٥ وتابعى ٥ وكلام الحاكم ابى عبد الله وغيره مشعر بانه
يكفى فى التابعى ان يسمع من الصحابى او يلقاه ٥ وان لم توجد الصحابة العرفية ٥
وقيل ان اسم التابعين يطلق على من اسلم بعد الحديبية ٥ كخالد بن الوليد ٥ وعمرو
ابن العاص ٥ ومن داناهم من مسلمة الفتح ٥ لما ثبت ان عبد الرحمن بن عوف شكا الى النبى
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ٥ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخالد دعوا لى اصحابى ٥

فوالذی نفسی بیده لو ان احدکم کل یوم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصیفه
ومن العجب عند الحاکم النعمان وسوید ابنی مقرن المزنی فی التابعین عند
ما ذکر الاخوة من التابعین وهما صحابیان معروفان مذکوران فی الصحابة وقد
شهدا الخندق کما تقدم ۝ واکبر الفقهاء التابعین الفقهاء السبعة من اهل المدینه ۝
وهم سعید بن المسیب ۝ والقاسم بن محمد ۝ وعروة بن الزبیر ۝ وخارجة بن زید ۝ وابو
سلمة بن عبد الرحمن ۝ وعبد الله بن عتبه بن مسعود ۝ وسلیمان بن یسار ۝ وقد
نظمهم بعض الجلة فی ست واحد ۝ فقال

فخذهم عبید الله عروة سالم ۝ سعیدا ابو بکر سلیمان خارجه ۝

وقال الامام احمد بن حنبل افضل التابعین قیس ۝ وابو عثمان ۝ وعلقمة ۝ ومسروق ۝
هؤلاء کانوا فاضلین ۝ ومن علیة التابعین ۝ وفی روایة عنه قال افضل التابعین
سعید بن المسیب ۝ فقیل له فعلقمة والاسود ۝ فقال سعید ۝ وعلقمة ۝ والاسود ۝
وقال ایضا کان عطا مفتی مکة ۝ والحسن البصری مفتی البصره ۝ فهذان اکثر الناس
عنهم رایهم ۝ وروی عن ابی بکر بن ابی داود قال سیدتا التابعین من النسا حفصة بنت
سیرین ۝ وعمیره بنت عبد الرحمن ۝ وثالثتهما ولیست کهما ام الدرداء ۝ وروی
عن الحاکم ابی عبد الله قال طبقه تعد فی التابعین ولم یصح سماع احد منهم من الصحابة ۝
منهم ابرهیم بن سوید النخعی ۝ ولیس بابرهیم بن یزید النخعی الفقیه ۝ وبکیر بن ابی السمط ۝
وبکیر بن عبد الاشج ۝ وذکر غیرهم ۝ اذ هم عند الناس فی اتباع التابعین ۝ وقد لقوا
الصحابة ۝ منهم ابو الزناد عبد الله بن ذکوان ۝ لقی عبد الله بن عمر ۝ وانس بن مالک ۝
وهشام بن عروة ۝ وقد ادخل علی عبد الله بن عمر ۝ وجابر بن عبد الله ۝ وموسی بن عقبه ۝
وقد ادرک انس بن مالک ۝ وامّ خالد بنت خالد بن سعید بن العاص ۝ وفی
التابعین طبقة تسمی بالمخضرمین ۝ وهم الذین ادرکوا الجاهلیة وحیاة رسول
الله صلی الله علیه وسلم واسلموا ولا صحبة لهم ۝ واحدهم مخضرم بفتح الخا والراء ۝
کانه خضرم ۝ ای قطع عن نظرائه الذین ادرکوا الصحبة وغیرها ۝ وذکرهم مسلم

فائدة ذکر کتب اسماء الفقهاء السبعة وعلقها علی الحکم او شرحها زاد عبد الحکیم ذا سعد

محمد بن الحنفية ابن علي

فبلغ بهم عشرين نفسا ٥ منهم ابو عمرو الشيباني ٥ وسويد بن غفلة الكندي ٥ وعمرو
ابن ميمون الاودي ٥ وابو عثمان النهدي ٥ وعبد خير بن يزيد الخيواني ٥ بفتح
الخاء بطن من همدان ٥ وعبد الرحمن بن مل ٥ وابو الحلال العتكي ربيعة
ابن زرارة ٥ وممن لم نذكره مسلم منهم ابو مسلم الخولاني ٥ وعبد الله بن نوبة ٥
والاحنف بن قيس ٥ فهذه نبذة من معرفة الصحابة والتابعين الذين نطق
بفضلهم القران العظيم ٥ رضوان الله عليهم اجمعين ٥ وكفانا نحن قول الله عز وجل
كنتم خير امة اخرجت للناس ٥ وقوله عز وجل ولذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ودِدنا
انا قد رأينا اخواننا ٥ الحديث ٥ فجعلنا صلى الله عليه وسلم اخوانه اذ اتقينا الله بعد
واقتفينا آثاره ٥ حشرنا الله واياكم في زمرته ٥ ولا حادَ بنا عن طريقته وملته
بحقه على الله وحق صحبته ٥ وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه يعني رضي الله
اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب ٥ وهذا لفظ عام يدخل فيه
كل الصحابة واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز
العظيم قوله عز وجل وممن حولكم من الاعراب منافقون ذكر جماعة من
المفسرين من المتاخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة
وجهينة واشجع وغفار واسلم ٥ وكانت منازلهم حول المدينة ٥ يعني ومن هؤلاء
الاعراب ايضا منافق ٥ وهذا الذي ذكروه مشكل ٥ لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا
لهؤلاء القبايل ومدحهم ٥ فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى وممن حولكم
من الاعراب منافقون على القليل ٥ لان لفظة من للتبعيض ٥ ويحمل دعا النبي صلى الله
عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب ٥ وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول
النبي صلى الله عليه وسلم فيه ٥ واما الطبري فانه اطلق القول ٥ ولم يعين احدا من القبايل
المذكورة في تفسير هذه الاية ٥ بل قال في تفسير هذه الاية من القوم الذين حول
مدينتكم ايها المومنون من الاعراب منافقون ٥ ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم اقوام

منافقون ۝ وقال البغوي ومن اهل المدينة من الاوس والخزرج منافقون مردوا
على النفاق في الكلام تقديم وتاخير ۝ تقديره ومن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة
منافقون مردوا على النفاق ۝ اي مرنوا عليه ۝ يقال تمرد فلان على ربه ۝ اذا عتا
وتجبر ۝ ومنه الشيطان المارد ۝ ويقال تمرد في معصيته ۝ اي مرن وثبت عليها ۝
واعتادها ولم يتب منها ۝ وقال ابن اسحق لجوا فيه وابوا غيره ۝ وقال ابن زيد اقاموا
عليه ولم يتوبوا منه لا تعلمهم يعني انهم بلغوا في النفاق الى حيث انك يا محمد لا تعلمهم
مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار ۝ وفي لفظ اخر تخفون عليك مع فطنتك وصدق
فراستك ۝ لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم نحن نعلمهم يعني لكن نحن
نعلمهم ۝ لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت ۝ وفي لفظ اخر لا يعلمهم الا الله ۝ ولا يطلع
على سرهم غيره ۝ لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ۝ ويبرزون لك ظاهرا
كظاهر المخلصين من المومنين ۝ وقيل معناه لا تعلم يا محمد عاقبة امورهم ۝ وانما
نختص نحن بعلمها ۝ وهذا يمنع ان يحكم على احد بجنة او نار سنعذبهم مرتين
اختلف المفسرون في العذاب الاول ۝ مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب
القبر ۝ بدليل قوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم وهو عذاب النار في الاخرة ۝
فثبت بهذا انه تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات ۝ مرة في الدنيا ۝ ومرة في القبر ۝
ومرة في الاخرة ۝ اما المرة الاولى وهي عذاب المرة الاولى التي اختلفوا فيها ۝
فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة ۝ فقال اخرج يا
فلان فانك منافق ۝ اخرج يا فلان فانك منافق ۝ فاخرج من المسجد اناسا وفضحهم ۝
فهذا هو العذاب الاول ۝ والثاني هو عذاب القبر ۝ ان صح هذا القول فيحتمل بعد
ان يكون بعد ان اعلمه الله حالهم وسماهم له ۝ لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ۝
ثم بعد ذلك اعلمه بهم ۝ وقال مجاهد العذاب الاول هو القتل والسبي ۝ وهذا
القول ضعيف ۝ لان احكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين ۝
فلم يقتلوا ولم يسبوا ۝ وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين ۝

وقال قتادة المرة الاولى هي الوبيلة في الدنيا • وقد جا تفسيرها في الحديث بانها
خراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تنجم من صدورهم • يعني تخرج من صدورهم • وقال
ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا • والاخرى عذاب الاخرة •
وقال ابن عباس رضي الله عنه الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا • والاخرى عذاب القبر •
وقال ابن اسحق الاولى ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها من غير
حسبه • والاخرى عذاب القبر • وقيل احدهما ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم
عند قبض ارواحهم • والاخرى عذاب القبر • وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار •
والاخرى احراقهم بنار جهنم • وهو قوله ثم يردون الى عذاب عظيم • قوله عز وجل
وآخرون اعترفوا بذنوبهم اختلف العلماء فيهم على قولين احدهما انهم قوم من المنافقين
تابوا من نفاقهم واخلصوا • وحجة هذا القول ان قوله واخرون عطف على قوله
وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهمهم • ويعضده ما نقله الطبري عن
ابن عباس انه قال هم الاعراب • والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت
في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك • واختلف المفسرون في عددهم • فروى عن ابن عباس
رضي الله عنه انهم كانوا عشرة • منهم ابو لبابة • وروى عنه ايضا انهم كانوا خمسة • احدهم
ابو لبابة • وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية • احدهم ابو لبابة •
وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة • احدهم ابو لبابة • وقيل كانوا ثلاثة •
ابو لبابة بن عبد المنذر • واوس بن ثعلبة • وديعة بن حذام • وذلك انهم تخلفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك • ثم ندموا بعد ذلك وتابوا • وقالوا نكون
في الظلال ومع النسا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد والكرا • فلما
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لنوثقن
انفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا
ويعذرنا • فربطوا انفسهم في سواري المسجد • فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

من سفره [illegible] ما نا سواري فلا نطلقها
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا ٥ فربطوا انفسهم
في سواري المسجد ٥ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ربهم فراهم ٥ فقال
من هولا ٥ فقالوا هولا تخلفوا عنك ٥ فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت
الذي تطلقهم وترضى عنهم ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا
اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم ٥ رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ٥
فانزل الله عز وجل هذه الاية ٥ فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم وعذرهم ٥
فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك ٥ خذها فتصدق بها
عنا ٥ وطهرنا واستغفر لنا ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ
من اموالكم شيا ٥ فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ٥ الاية ٥
وقال قوم نزلت هذه الاية في ابي لبابة خاصة ٥ واختلفوا في ذنبه الذي تاب
منه ٥ فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو
الذبح ٥ واشار الى حلقه ٥ فندم على ذلك وربط نفسه بسارية ٥ وقال والله لا احل
نفسي ٥ ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت ٥ او يتوب الله علي ٥ فمكث سبعة ايام لا
يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ٥ فانزل الله عز وجل هذه الاية ٥ فقيل
له قد تيب عليك ٥ فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
يحلني ٥ فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده ٥ فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من
توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب ٥ وان انخلع من مالي كله صدقة الى
الله والى رسوله ٥ فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة ٥ فالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين ٥ لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ٥ ولم
يقل خذ اموالهم ٥ ولان لفظة من تقتضي التبعيض ٥ قال الحسن وقتادة وهولا
سوى الثلاثة الذين تخلفوا ٥ وسياتي خبرهم ٥ واما تفسير الاية فقوله تعالى
واخرون اعترفوا بذنوبهم ٥ قال اهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشي ٥

ومعناه انهم اقروا بذنوبهم ٥ وفيه دقيقة ٥ وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم
باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين ٥ ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم ٥ وندموا على
ما فعلوا ٥ فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة ام لا ٥ قلت له مجرد
الاعتراف بالذنب لا يكون توبة ٥ فاذا اقترن بالاعتراف الندم على الماضي من الذنب
والعزم على تركه في المستقبل فحينئذ يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ٥ وقوله تعالى
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم
منه ٥ والعمل السيئ هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وقيل
العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سائر الغزوات ٥ والسيئ
هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك ٥ وقيل ان الصالح يعم جميع اعمال البر والطاعة ٥
والسيئ ما كان ضده ٥ فعلى هذا تكون الاية في حق جميع المسلمين ٥ والحمل على العموم
اولى ٥ وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك ٥ وروى الطبري عن ابي عثمان ٥ قال ما في القرآن اية ارجى عندي لهذه
الامة من قوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية ٥ قال بعضهم وهذه الاية
وان كانت نزلت في الاعراب فهي عامة الى يوم القيامة فيمن له اعمال صالحة وسيئة
فهي آية ترجى ٥ وروى عن حجاج بن ابي زينب قال سمعت ابا عثمان النهدي
يقول ما في القرآن اية ارجى عندي لهذه الامة من قول الله عز وجل واخرون اعترفوا
بذنوبهم الى اخرها ٥ وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا اتاني الليلة آتيان وابتعثاني فانتهيا الى مدينة
مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ٥ فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راءٍ
وشطر كاقبح ما انت راءٍ ٥ قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ٥ فوقعوا فيه
ثم رجعوا الينا ٥ فذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صورة ٥ قالا لي هذه جنة
عدن ٥ وهذاك منزلك ٥ قالا اما القوم الذي كان شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح
فانهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم ٥ وذكر البيهقي من حديث

ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الاسرا ٥ وفيه قال
ثم صعد بي الى السما السابعة ٥ فقالوا حياه الله من اخ وخليفة ٥ فنعم الاخ ونعم
الخليفة ٥ ونعم المجي جا ٥ فاذا برجل اشمط جالس على كرسي عند باب الجنة وعنده
قوم بيض الوجوه ٥ وقوم سود الوجوه ٥ وفي الوانهم شي ٥ فاتوا نهرا فاغتسلوا فيه ٥
فخرجوا منه وقد خلص من الوانهم شي ٥ ثم انهم اتوا نهرا آخر ٥ فاغتسلوا فيه فخرجوا
منه وقد خلص من الوانهم شي ٥ ثم دخلوا النهر الثالث فخرجوا منه وقد خلصت
الوانهم مثل الوان اصحابهم ٥ فجلسوا الى اصحابهم ٥ فقال ما جبريل من هولا البيض
الوجوه ٥ وهولا الذين في الوانهم شي فدخلوا النهر ٥ وقد خلصت الوانهم ٥ فقال
هذا ابوك ابرهيم ٥ هو اول رجل اشمط على وجه الارض ٥ وهولا بيض الوجوه قوم لم
يلبسوا ايمانهم بظلم ٥ قال واما هولا الذين في الوانهم شي خلطوا عملا صالحا واخر
سيّيا ٥ فتابوا فتاب الله عليهم ٥ واما النهر الاول فرحمة الله ٥ واما النهر الثاني
فنعمة الله ٥ واما الثالث فسقاهم ربهم شرابا طهورا ٥ وذكر تمام الحديث ٥ فان قيل
قد جعل سبحانه كل واحد من العمل الصالح والسيي مخلوطا ٥ فما المخلوط به ٥
قلنا ان الخلط عباره عن الجمع المطلق ٥ فاما قولك خلط فانما يحسن في الموضع
الذي ينزح كل واحد من الخليطين بالآخر وتغير به عن صفته الاصليه ٥ كقولك
خلطت الما باللبن ٥ وخلطت الما واللبن ٥ فتنوب الواو عن البا ٥ فيكون معنى الاية
على هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيي ٥ ذكره غالب المفسرين ٥ وانكره الامام فخر
الدين الرازي ٥ وقال اللايق بهذا الموضع الجمع المطلق ٥ لان العمل الصالح والعمل
السيي اذا حصلا معا بقي كل واحد منهما على حاله ٥ كما هو مذهبنا ٥ فان القول
بالاحباط باطل ٥ فالطاعة تبقى موجبة للمدح ٥ والثواب والمعصية تبقى
موجبة للذم والعقاب ٥ فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيّيا فيه تنبيه
على نفي القول بالمخالطة ٥ وانه بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر احدهما
بالآخر ٥ فليس الا الجمع المطلق ٥ وقال الواحدي العرب تقول خلطت الما باللبن ٥

وخلطت الماء واللبن كما تقول خلطت زيدا وعمرو ٥ والواو في الاية احسن من الباء
لانه اريد معنى الجمع ٥ لا حقيقة الخلط ٥ الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالشيء
كما يختلط الماء باللبن ٥ لكن قد يجمع بينهما ٥ والله اعلم ٥ وقوله تعالى عسى الله ان يتوب
عليهم قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب ٥ والدليل عليه
قوله تعالى فعسى الله ان يأتي بالفتح ٥ وقد فعل ذلك ٥ وقال اهل المعاني لفظة عسى
هنا تفيد الطمع والاشفاق ٥ لانه ابعد من الاتكال والاهمال ٥ وقيل ان الله تعالى
لا يجب عليه شيء ٥ بل كل ما يفعله على سبيل التفضل والتطول والاحسان ٥ فذكر
لفظة عسى التي هي للترجي والطمع ٥ حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ٥ ولكن
هو نيل ما يرجوه منه اقرب ٥ لانه ختم الاية بقوله ان الله غفور رحيم وهذا
يفيد انجاز الوعد ٥ وقال بعض اهل العلم من الناس من قال قوله تعالى عسى الله
ان يتوب عليهم ٥ يدل على ان التوبة لا تحصل الا من خلق الله تعالى ٥ اذ الاصل في التوبة
الندامة ٥ والندامة لا تحصل باختيار العبد ٥ ومنهم من قال انه يدل على القبول ٥
الا انه خلاف الظاهر ٥ والله اعلم بمراده ٥ قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها قال ابن عباس رضي الله عنه لما اطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلقوا بأموالهم وصاحباه فاتوا باموالهم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ٥ فقالوا يا رسول الله خذ من اموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا ٥
يقولون استغفر لنا وطهرنا ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ شيئا منها
حتى امر به ٥ فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة ٥ الى اخر الاية ٥ وهذا
قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير ٥ وقتادة والضحاك ٥ ثم اختلف العلماء في المراد
بهذه الصدقة ٥ فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا ٥ وذلك انهم بدلوا اموالهم
صدقة ٥ فاوجب الله تعالى اخذها ٥ وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم ليكون جارية
مجرى الكفارة ٥ واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة ٥
وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم ٥ فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن

اسلامهم بذلوا الزكاة ٥ امر الله تعالى رسوله ان ياخذها منهم ٥ وقال بعضهم ان
الاية كلام مبتدا ٥ والمقصود منها ايجاب اخذها من الاغنيا ودفعها الى الفقرا ٥
وهذا قول اكثر الفقها ٥ واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكوة ٥ اما حجة
اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الايات لابد وان تكون منتظمة متناسبة ٥ فلو
حملناها على اخذ الزكوة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها ٥
ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزولها انها نزلت في شان التائبين ٥ واما
اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير ٥
وذلك انهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال
فامروا باخراج الزكاة التي هي طهرة ٥ فلما اخرجوها علم صحة قولهم وصحة
توبتهم ٥ ولا نسلم ان خصوص السبب عموم الحكم ٥ فان قالوا ان الزكاة قدر
معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم ٥ قلنا لا نسلم هذا صحة ما
قلناه ٥ لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم ٥ فلا يكونوا راضين باخراج الزكوة اولى ٥
ثم في هذه الاية احكام ٥ الاول قوله تعالى خذ من اموالهم ٥ والخطاب فيه
للنبي صلى الله عليه وسلم اي خذ يا محمد من اموالهم صدقة ٥ فكان النبي صلى الله عليه
وسلم ياخذها منهم ايام حياته ٥ ثم اخذها الائمة بعده ٥ فيجوز للامام او نايبه
ان ياخذ الزكوة من الاغنيا ويدفعها الى الفقرا ٥ الحكم الثاني قوله
من اموالهم ٥ ولفظة من تقتضي التبعيض ٥ وهذا البعض الماخوذ غير معلوم ولا مقدر
بنص القران ٥ فلم يبق الا الصدقة التي بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها
في اخذ الزكوة ٥ الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم صدقة بعد العموم ٥
فيجب الزكاة في جميع المال حتى في الدين ٥ وفي مال الركاز ٥ الحكم الرابع ظاهر
ظاهر قوله تطهرهم ان الزكوة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام ٥ وصدور الاثام
لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي ٥ فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون
الصبي ٥ وهذا قول الامام ابي حنيفة ٥ واجاب اصحاب الامام الشافعي بانه لا

يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا ٥ وللعلماء في قوله تعالى تطهرهم
اقوال • الاول ان معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها
من دنس الاثام • القول الثاني ان تكون تطهرهم متعلقا بالصدقة • فتقديره خذ
من اموالهم صدقة فانها طهرت لهم • وانما حسن جعل الصدقة مطهرا لما جاء ان الصدقة
اوساخ الناس • فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ • وكان ذلك
الاندفاع جاريا مجرى التطهير • فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم بها
منقطعا عن قوله تطهرهم • ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم
تلك الصدقة ٥ وتزكيهم انت بها ٥ القول الثالث ان نجعل التاء في قوله تطهرهم
وتزكيهم ضمير المخاطب • ويكون المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم • وتزكيهم
بواسطة تلك الصدقة • القول الرابع ان معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم ٥
يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين • الى منازل الابرار المخلصين ٥ وقيل
معنى وتزكيهم اي تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم • وذلك ان الله تعالى يجعل النقصان
الحاصل بسبب اخراج الزكاة سببا للازدياد ٥ وقال بعض المفسرين ايضا اختلف
العلماء في هذه الصدقة المامور بها • فقيل هي صدقة الفرض • وهو القول مروي
عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه • وقيل هي مخصوصة بمن نزلت فيه ٥
فان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ منهم ثلث اموالهم • وليس هذا من الزكوة المفروضة
في شيء • ولهذا قال الامام مالك اذا تصدق الرجل بجميع ماله اجزاه اخراج الثلث •
متمسكا بحديث ابي لبابة • وعلى القول الاول فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم •
بمقتضى اقتصاره عليه • فلا يلزم اخذ الصدقة سواه • ويلزم على هذا سقوطها
بسقوطه • وزوالها بموته • وبهذا تعلق من نعوا الصدقة على ابي بكر الصديق
رضي الله عنه • وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطينا عوضا منها التطهير
والزكاة والصلاة علينا ٥ وقد عدمناها من غيره • واستدل على ذلك شاعرهم ٥
اطعنا رسول الله ما كان بيننا ؛ فيا عجبا ما بال ملك ابي بكرِ ؛

فان الذين سالوكم فمنعتم ۞ عطاء التمر وامسى لديهم من التمر ۞
سخنعهم ما دام فينا بقية ۞ كرام على القربا في العسر واليسر ۞
وهذا صنف من القايمين على ابى بكر امثلهم طريقة ۰ وفى حقهم قال ابو بكر رضى
الله عنه والله لا قاتلن من فرق بين الصلاه والزكاة ۰ والله اعلم ۰ الحكم الخامس
قوله تعالى وصل عليهم يعنى ادع لهم ۰ واستغفر لهم ۰ لان اصل الصلاة
فى اللغة الدعا ۰ قال الامام الشافعى رحمه الله السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان
يدعوا للمتصدق ۰ فيقول آجرك الله فيما اعطيت ۰ وبارك لك فيما ابقيت ۰ وقال
بعضهم يجب على الامام ان يدعوا للمتصدق ۰ وقال بعضهم يستحب ذلك ۰ وقيل
يجب فى صدقه الفرض ۰ ويستحب فى صدقه التطوع ۰ وقيل يجب على الامام ۰ ويستحب
للفقران يدعوا للمعطى ۰ وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على فلان ۰ ويدل
عليه ما روى عن عبد الله بن ابى اوفى رضى الله عنه ۰ وكان من اصحاب الشجرة ۰ قال
كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم ۰ فاتاه ابى
بصدقته فقال اللهم صل على آل ابى اوفى ۰ اخرجه البخارى ومسلم ۰ وذهب
قوم الى ان هذا مسنوح ۰ وانه لا يصلى على احد الا على النبى صلى الله عليه وسلم وحده ۰
خاصة ۰ خصه الله بذلك بقوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا ۰
ولقول ابن عباس رضى الله عنه لا يصلى على احد الا على النبى صلى الله عليه وسلم ۰
والقول الاول هو الاصح ۰ فان الخطاب ليس مقصورا عليه ۰ فيجب الاقتدا بالنبى
صلى الله عليه وسلم ۰ والتاسى به ۰ لانه كان ممتثل قول الله تعالى وصل عليهم ان
صلوتك سكن لهم ۰ اى اذا دعوت لهم حين ياتون بصدقاتهم سكن ذلك قلوبهم وفرحوا
به ۰ وقد روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال اتانى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت لامراتى لاتسالى رسول الله ۰ صلى الله عليه وسلم ۰ فقالت بخرج رسول الله
من عندنا وما نساله شيا ۰ فقالت يا رسول الله صل على زوجى ۰ فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلى الله عليك وعلى زوجك ۰ والصلاة هنا الرحمة ۰ والشيعة

تقولون فی حق علی بن ابی طالب واولاده رضی الله عنهم انه یصلی علیهم ۰ فتقولون علی
علیه الصلاه والسلام ۰ وذلک ممتنع عند قوم ۰ والظاهر انه یجوز ۰ لان نص القرآن
یدل علی ان هذا الذکر جایز فی حق من یودی الزکوه ۰ فکیف یمتنع ذکره فی حق علی
والحسن والحسین ۰ وفی قوله تعضنا لبعض سلام علیکم لطایف ۰
قوله سلام" مبتدا ۰ وعلیکم خبره ۰ والتقدیر سلام واقع علیکم حاصل" ۰ وقد
یقلب هذا الترتیب ۰ فیقال فی الجواب وعلیکم السلام ۰ قال سیبویه وانهم یقدمون
الاهم ۰ فقوله وعلیکم السلام یدل علی اهتمام هذا المجیب بشان ذلک القایل ۰
وایضا فقوله وعلیکم السلام یفید الحصر ۰ ومن لطایف السلام عند قوم
هو ان قوله سلام علیکم اکمل من قوله السلام علیکم ۰ بدلاله النص ۰ وهو قوله تعالی
فقل سلام علیکم ۰ وقوله تعالی قل الحمد لله وسلام علی عباده الذین اصطفی ۰ وفی
القران من هذا الجنس کثیر ۰ واما السلام بالالف واللام ۰ فانما جا من الانبیا علیهم
السلام ۰ کما جا من موسی علیه السلام ۰ بقوله والسلام علی من اتبع الهدی ۰ ومن عیسی
علیه السلام ۰ والسلام علیّ یوم ولدت الایه ۰ وعند قوم ان قوله السلام
علیکم اکمل من قوله سلام علیکم ۰ لان لفظ السلام جنس یتناول کل فرد من افراد
السلام ۰ وفیه من المبالغة ما لیس فی غیره ۰ ولهذا اختار الامام ابو حنیفة
رضی الله عنه فی التشهد هذا ۰ ومن لطایف السلام ایضا ۰ انه لاشک ان هذا
العالم معدن الشرور والآفات ۰ والمحن والمخافات ۰ واختلفوا هل الاصل
فی جبلة الحیوان الخیر ام الشر ۰ فقیل الاصل فیها الشر ۰ وهذا کالاجماع
المنعقد بین جمیع الناس ۰ بل بین جمیع الحیوانات ۰ والدلیل علیه ان کل انسان
یری انسانا یبعد والیه وهو لا یعرفه فان طبعه یحمله علی الاحتراز عنه والباهب
لدفعه ۰ وهذا المعنی حاصل فی سایر الحیوانات فهذا یدل علی ان الاصل فی الحیوان
هو الشر ۰ ولاشک ان دفع الشر اهم من جلب الخیر ۰ لان ایصال الخیر الی کل احد
لیس فی الوسع ۰ بخلاف دفع الشر ۰ فانه ترک" ۰ وترک ما لا نهایة له ممکن ۰ فلما

كان دفع الشر اهم من ايصال الخير والدنيا دار الشرور والآفات ٠ والحيوان في
اصل الفطره منشا للشر ٠ واذا وصل انسان الى انسان كان اهم المهمات ان يعرفه
انه منه في السلامة ٠ والامن والامانة ٠ وذلك بذكر السلام ٠ في ابتدا الكلام ٥
ومن لطايف اللام ايضا هو ان يقع على الانسان ٠ وعلى الارواح الملازمة له
من الحفظة وغيرهم ٥ والله اعلم وقوله تعالى ان صلاتك سكن لهم وقرى
ان صلواتك على الجمع ٠ سكن لهم اى ان دعاك رحمة لهم ٠ وقال ابن عباس طمانينة وسكن
لهم ٠ وقيل ان الله قد قبل منهم ٠ وقال قتادة سكن لهم اي وقار لهم ٥ وقال ابو
عبيده تثبت لقلوبهم ٠ وقيل ان السكن ما سكنت اليه ٥ والمعنى ان صلواتك توجب
سكون نفوسهم اليها ٠ وان الله قد قبل توبتهم ٠ او قبل زكاتهم ٥ واعلم ان روح
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم روح قوية مشرقه صافية باهرة ٠ فاذا دعى لهم صلى الله
عليه وسلم وذكرهم بالخير فاضت آثار روحه على ارواحهم ٠ فاشرقت ارواحهم ٥
وصفت سرايرهم ٠ وانتقلوا من الظلمة الى النور ٠ ومن الجسمانية الى الروحانيه ٥
والله سميع يعني لاقوالهم ولدعايك لهم عليم يعني بنياتهم ٠ وقيل سميع يسمع اعترافهم
بذنوبهم ودعاهم ٠ عليم بما في ضمايرهم من الندم والغم لما فرط منهم الم يعلموا ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده اعلم ان هذه صيغة استفهام ٠ الا ان المراد منه التقرير ٥
فبشر الله تعالى هولا التابين بقبول توبتهم وصدقاتهم ٠ ومعنى الاية الم يعلم هولا
الذين تابوا ان الله يقبل التوبة الصادقه ٠ والصدقة الخالصة ٠ وقيل ان المراد
بهذه الاية غير التابين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات ٠ وذلك انه لما نزلت
توبة هولا التابين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هولا كانوا معنا بالامس لا
يكلمون ولا يجالسون ٠ فما لهم اليوم ٠ فانزل الله عز وجل هذه الاية ترغيبا لهم في التوبه ٥
وفي الايه مباحث منها ان في قوله هو يقبل التوبة تخصيصا ٠ وفايدته هو ان
قبول التوبة ليس الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وانما الله تعالى هو الذي يقبل
التوبة تارة ويردها اخرى ٠ فاقصدوه بها ووجهوها اليه ٠ ومنها قالت

المعتزلة قبول التوبة واجب عقلا على الله تعالى • وقال اهل السنة انه واجب بحكم
الوعد والتفضل والاحسان • وفي قوله تعالى عن عباده قولان • احدهما انه لا
فرق بين قوله عن عباده وقوله من عباده • وثانيهما قال بعضهم لعل قوله
عن عباده ابلغ • لان كلمة من تفيد القبول من البعض • بخلاف كلمة عن • فانها لا توهم ذلك •
فيكون فيها من المبالغة ما ليس في الغير • ولانها للبعد والمجاوزة • فدل على ان المذنب
يعتقد انه بعيد عن ان تقبل توبته • وفيه انكسار النفس • والله اعلم وقوله تعالى
وياخذ الصدقات يعني يقبلها ويثيب عليها • وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في
تلك الصدقة واعطائها الفقراء • وقيل معنى اخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء
عليها • ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير
او السائل هو الاخذ لها • وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها • وان الله تعالى
يقبلها من عبده المتصدق • وقال بعضهم معنى قوله وياخذ الصدقات اي يقبلها
اذا صدرت عن خلوص النية • وقال بعضهم ايضا فان قيل قوله تعالى وياخذ
الصدقات يدل على ان الآخذ هو الله تعالى • وقوله خذ من اموالهم صدقة يدل
على ان الآخذ هو الرسول صلى الله عليه وسلم • وقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل
لما بعثه الى اليمن خذها من اغنيائهم وردها في فقرائهم يدل على ان الآخذ معاذ •
ثم اذا دفعت الصدقة الى الفقير فالآخذ هو الفقير • فكيف الجمع بين هذه الالفاظ •
والجواب عنه من وجهين • احدهما انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم
بالاخذ فاخذ الرسول هو اخذ الله سبحانه على معنى انه قايم مقامه • والرسول
صلى الله عليه وسلم لما امر معاذا بالاخذ فاخذ معاذ فآخذ مقام الرسول صلى الله
عليه وسلم • والمقصود هو اخذ الفقير • فاخذ الفقير قايم مقام اخذ الله تعالى واخذ
رسوله صلى الله عليه وسلم • ولما كان اخذ الرسول قائما مقام اخذ الله تعالى كان في
الاية التنبيه على تعظيم شان الرسول صلى الله عليه وسلم • ونظيره قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله • وقوله ان الذين يؤذون الله • والمراد منه ايذاء النبي صلى

الله عليه وسلم ۝ ثانيهما انه اضاف الاخذ الى الله تعالى بمعنى كونه مجازيا ۝
واضاف الى الرسول بمعنى كونه مبلغا الى الناس حكمة الله تعالى ۝ واضاف الى الفقير
بمعنى كونه مباشرا الاخذ ۝ ونظيره ان الله تعالى اضاف التوفي الى نفسه بقوله الله
يتوفى الانفس حين موتها ۝ واضافه الى ملك الموت بقوله قل يتوفاكم ملك الموت ۝
واضافه الى الملائكة الذين هم اتباع ملك الموت بقوله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا وهم لا يفرطون ۝ فاضيف التوفي الى الله تعالى بالخلق ۝ والى ملك الموت بالرياسة
في ذلك العمل ۝ والى اتباعه بالمباشرة ۝ اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى ويأخذ
الصدقات تشريف عظيم لهذه الطاعة ۝ وقال بعضهم ايضا قوله تعالى ويأخذ
الصدقات هذا نص صريح في ان الله تعالى هو الآخذ لها والمثيب عليها وان الحق له عز وجل
ونبيه صلى الله عليه وسلم واسطة ۝ فاذا توفي فعامله هو الواسطة بعده ۝ والله تعالى
حي لا يموت ۝ وهذا يبين ان قوله تعالى خذ من اموالهم ليس مقصورا على النبي صلى الله
عليه وسلم كما تقدم ۝ وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا
اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة ۝ فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل
كما يربي احدكم فلوه او فصيله ۝ لفظ مسلم ۝ وفي لفظ البخاري من تصدق بعدل
تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله ۝ وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله
يقبلها بيمينه ۝ ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه ۝ حتى تكون مثل الجبل ۝
واخرجه الترمذي ۝ ولفظه ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها
لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل احد ۝ وتصديق ذلك في كتاب الله
عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ۝ ويمحق الله الربا
ويربي الصدقات ۝ وقوله من كسب طيب اي حلال ۝ وذكر اليمين والكف في الحديث
كناية عن قبول الصدقة ۝ وان الله تعالى قد يقبلها من المعطي لان من عادة الفقير او
السائل اخذ الصدقة بكفه اليمين ۝ فكأن المتصدق قد وضع صدقته في القبول ۝

والاثابة • وقوله فتربوا اي تكبر • يقال ربا الشي يربو اذا زاد وكبر • والفصيل
بضم الفا وفتحها لغتان • هو المهر باول ما يولد • والمفصيل ولد الناقة الى ان ينفصل
عنها • وقال بعضهم في تاويل هذه الاحاديث وهي من احاديث الصفات ان هذا
كناية عن القبول والجزا عليها • كما كنى بنفسه الكريمة المقدسة عن المرض تعطفا
عليه • بقوله تعالى يا ابن ادم مرضت فلم تعدني الحديث • وخص اليمين والكف
بالذكر اذ كل قابل الشي انما ياخذه بكفه ويمينه • او يوضع له فيه • فخرج اللفظ على
ما تعرفونه • والله تعالى منزه عن الجارحة • وقد جات اليمين في كلام العرب لغير
معنى الجارحة كما قال الشاعر ٥

اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين ؛

اي هو مؤهل للمجد والشرف • ولم يرد بها يمين الجارحة • لان المجد معنى • واليمين
التي يلقى بها رايته معنى • وكذلك اليمين في حق الله تعالى • وقد قيل ان معنى قوله
تربوا في كف الرحمن • ان الكف عبارة عن كفة الميزان التي توزن فيها الاعمال ٥
فيكون من باب حذف المضاف • كانه قال فتربوا في كفة ميزان الرحمن • والله اعلم
وقوله تعالى وان الله هو التواب اي كثير قبول التوبة الرحيم بعفو الحوبة ٥
وقال بعضهم قوله التواب الرحيم تاكيد لقوله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن
عباده وتبشير لهم بان الله هو التواب الرحيم • قوله عز وجل وقل اعملوا
اي قل يا محمد لهؤلا التائبين اعملوا يعني به بطاعته وادا فرايضه فسيرى الله
عملكم في هذا ترغيب عظيم للمطيعين • ووعيد عظيم للمذنبين • فكانه قال
اجتهدوا في العمل في المستقبل • فان الله يرى اعمالكم ويجازيكم عليها • وفي لفظ اخر
فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا • على الله وعباده كما رايتم وتبين لكم ورسوله
والمومنون يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون اعمالكم ايضا • اما
رويته الرسول صلى الله عليه وسلم باطلاع الله اياه على اعمالهم • واما رويته المومنين
فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين • وبغضة المفسدين • ٥

وقد اعلموا غير التائبين من المتخلفين وان المراد بقوله تعالى الم يعلموا غير التائبين
من المتخلفين ترغيبا لهم في التوبة • فقد روي انه لما تيب عليهم قال الذين لم
تتوبوا لهؤلاء الذين تابوا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا نجالسون فما لهم الآن •
وما هذه الخاصة التي خصوا بها دوننا • فنزلت هذه الاية • فعلى هذا القول قوله
فسيرى الله عملكم وعيد لهم • وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة •
وقوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون جامع للترغيب والترهيب •
وذلك لان المعبود اذا لم يكن عالما بافعال العباد كانت الافعال معطلة • ولهذا قال
ابرهيم عليه السلام لابيه آزر لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا • قال
الامام الفاضل رحمه الله ليس المقصود من هذه الحجة القدح في الهية الصنم • فان
كل احد يعلم بالضرورة انه جماد قابل للكسر • بل المقصود ان اكثر عبدة الاصنام
في زمان ابرهيم عليه السلام اتباع الفلاسفة الذين قالوا بان اله العالم موجب بالذات
لا بالاختيار • فيقال الموجب بالذات اذا لم يكن عالما بالجزييات ولم يكن قادرا
على المنع والضر ولا يسمع دعا المحتاجين ولا يبصر تضرع المساكين فاي فايده
في عبادته • وكان المقصود من تلك الحجة ابطال قول الفلاسفة والطعن فيه •
فاما اذا كان فاعلا مختارا وكان عالما بالجزييات فحينيذ يحصل للمعبودية
فوايد عظيمه • وذلك انه اذا علم طاعة العبد قدر على ايصال الخيرات اليه في الدنيا
والآخره • فقوله اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون ترغيب عظيم
للمطيعين • وترهيب عظيم للمذنبين • فظهر ان هذه اللفظة الواحده جامعه
لجميع ما تحتاج المرء اليه في دينه ودنياه • واحتج اهل السنة بهذه الاية
على جواز الروية على الله تعالى • فقالوا هذه الروية معداة الى مفعول واحد • والقوانين
اللغوية شاهدة بان الروية المتعدية الى مفعول واحد معناها الابصار • لا
العلم • والا لكانت معداة الى مفعولين • كما تقال رايت زيدا عالما • وايضا انه تعالى
وصف نفسه بالعلم بهذه الاية • فقال وستردون الى عالم الغيب والشهاده • فلو كانت

هذه الرؤية بمعنى العلم لزم التكرار ٥ فثبت انها بمعنى الابصار ٥ ثم انه تعالى عدى
هذه الرؤية الى عملهم ٥ والعمل ينقسم الى اعمال القلوب ٥ وهى الارادات والكراهات ٥
والى اعمال الجوارح ٥ نحو الحركات والسكنات ٥ فوجب كونه تعالى رائيا الكل ٥
فان قيل ما معنى قوله فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون ٥ وعملهم لا يراه
كل احد ٥ فالجواب ان معناه وصول خبر ذلك العمل الى الكل ٥ قال النبى صلى الله
عليه وسلم لو ان احدا عمل فى صخره لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا
من كان ٥ فان قيل ما الفائدة فى ذكر الرسول والمومنين بعد ذكر الله تعالى ٥
نقول فيه وجهان احدهما هذا كما قيل ان كنت من المحققين فى عبوديه
الحق فاعمل الاعمال الصالحة لله تعالى ٥ وان كنت من الضعفا المشغولين شتا
الخلق فاعمل الاعمال الصالحة لتفوز بثنا افضل الخلق ٥ وهو الرسول والمومنون ٥
فانه اذا علم انه اذا فعل ذلك الفعل عظمه الرسول والمومنون عظم فرحه ٥
الوجه الثانى ما ذكره ابو مسلم رحمه الله ان المومنين شهدا الله يوم القيامة ٥
كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ٥ الى اخر الاية ٥ والرسول صلى الله عليه وسلم
شهد الامة ٥ كما قال الله تعالى فى حقه فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا
بك على هولا شهيدا ٥ فعلم ان الرسول صلوات الله عليه والمومنين شهدا الله يوم القيامة ٥
والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ٥ فذكر الله تعالى ان الرسول والمومنين يرون اعمالهم ٥
والمقصود التنبيه على انهم يشهدون يوم القيامة عند حضور الاولين والآخرين
بانهم اهل الصدق والسداد ٥ والعفاف والرشاد وسترددون الى عالم الغيب والشهادة
يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سركم وعلانيتكم ٥ ولا يخفى عليه شى من بواطنكم
وظواهركم فينبئكم اى فيخبركم بما كنتم تعملون يعنى فى الدنيا من خير او شر فيجازيكم على
اعمالكم ٥ وقيل فينبئكم تنبيه بذكر ومجازاة على عملكم ٥ قال الاصم المراد
بعالم الغيب ما يسرونه ٥ وبالشهادة ما يظهرونه ٥ ولا بعد ان يقال الغيب ما
حصل فى قلوبهم من الدواعى والصوارف ٥ والشهادة الافعال التى تظهر على جوارحهم ٥

والدواعي والصوارف كالعلة للافعال الظاهرة ٥ والعلة سابقة على المعلول ٥
فلهذا قدم الغيب على الشهادة ٥ ولان الغيب كالعدم بالنسبة الى الشهادة ٥
والعدم سابق على الوجود في الامور الممكنة ٥ وقال حكما الاسلام المراد
من قوله فسيرى الله عملكم الاشارة الى الثواب الروحاني ٥ ومن قوله وستردون
الى عالم الغيب والشهادة تعريف عقاب الاخرى والفضيحة ٥ قوله تعالى واخرون
مرجون لامر الله قرا اهل المدينة واهل الكوفة غير ابي بكر مُرْجَوْنَ بغير همز ٥
وقرا غيرهم مرجَؤُنَ ٥ من ارجيته ٥ وارجأته ٥ اذا اخرته ٥ ومنه المُرْجِئَة ٥
سموا بهذا الاسم لانهم لا يجزمون القول بمغفرة التائب ٥ ولكن يوخرونها الى مشيئة
الله تعالى ٥ وقال الاوزاعي انما سموا مرجئة لانهم يوخرون العمل من الايمان ٥
واعلم ان الله تعالى قسم المتخلفين عن الجهاد على ثلاثة اقسام ٥ اولهم المنافقون ٥ وهم
الذين مردوا على النفاق ٥ واستمروا عليه ٥ والقسم الثاني التائبون ٥ وهو المراد
من قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم ٥ وهم ابو لبابة واصحابه ٥ فقبل الله توبتهم ٥
والقسم الثالث وهم المذكورون في هذه الاية موقوفون وموخرون الى ان يحكم الله فيهم ٥ وهم المراد بقوله واخرون مرجَوْن لامر الله ٥ والفرق بين القسم الثاني
والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم ٥ والقسم الثالث
توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة ٥ فاخر الله تعالى امرهم ٥ ونزلت هذه الاية في
الثلاثة الذين تخلفوا ٥ وهم كعب بن مالك ٥ وهلال بن امية ٥ ومرارة بن الربيع ٥ والضابط
في اسمايه حروف مكة ٥ فالميم مراره ٥ والكاف كعب ٥ والهاء هلال ٥ تخلفوا عن غزوة
تبوك ٥ وستاتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا ٥ وذلك انهم لما تخلفوا
في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه ٥ فوقفهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم خمسين ليلة ٥ ونهى الناس عن كلامهم ٥ وكانوا من اهل بدر ٥ فجعل بعض الناس يقول
هلكوا ٥ وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم ٥ وهو قوله اما يعذبهم
واما يتوب عليهم يعني ان امرهم الى الله ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم ٥ وان شاء غفر لهم وعفى عنهم ٥

قال بعضهم قوله امّا وامّا للتفكيك وهو راجع الى العباد اى خافوا عليهم العذاب
وارجوا لهم الرحمة ٥ وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم ٥ ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شدائدهم على السوارى والطهار
الجزع والغم ٥ فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله تعالى واخلصوا
نياتهم ٥ ونصحت توبتهم ٥ فرحمهم ربهم سبحانه وتعالى ٥ وروى انه قيل لكعب ابن مالك
اذهب فاعتذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنيعك ٥ فقال لا والله حتى تتنزل
توبتى ٥ واما صاحباه فاعتذرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ فقال ما خلفكما عنى ٥
قالا لا عذر لنا الا الخطيئة ٥ فنزل قوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله ٥ فوقفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية ٥ ونهى عن مجالستهم ٥ وامرهم باعتزال
نسائهم ٥ وارسالهن الى اهاليهن ٥ فجاءت امراة هلال تساله ان تاتيه بطعامه فانه
شيخ كبير ٥ فاذن لها فى ذلك خاصة ٥ وجاء رسول من الشام الى كعب يرغبه فى اللحاق
بهم ٥ فقال كعب بلغ من خطيئتى ان طمع فى المشركون ٥ قال فضاقت على الارض بما
رحبت ٥ وبكى هلال بن امية حتى خيف على بصره ٥ فلما مضى خمسون يوما نزلت توبتهم ٥
بقوله تعالى لقد تاب الله على النبى ٥ وبقوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا والله عليم
يعنى بما فى قلوبهم حكيم يعنى فيما يقضى عليهم ٥ وقيل عليم برجائهم ٥ حكيم فى ارجائهم ٥
قوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا اعلم ان الله تعالى لما
ذكر اصناف المنافقين وطرايقهم المختلفه قال تعالى ومنهم ايضا الذين اتخذوا
مسجدا ضرارا ٥ قال المفسرون نزلت هذه الاية فى جماعة من المنافقين بنوا
مسجدا يضارون به مسجد قبا ٥ وكانوا اثنى عشر رجلا من اهل النفاق ٥ ودبيعة
ابن ثابت ٥ وخذام بن خالد ٥ ومن داره اخرج هذا المسجد ٥ وثعلبة بن حاطب ٥
وجارية ابن عمرو ٥ وابنا مجمع ٥ وزيد ٥ ومعتب بن قشير ٥ وعباد بن حنيف اخو سهل
ابن حنيف ٥ وابو حبيبة بن الازعر ٥ ونبتل بن الحارث ٥ وبجاد بن عثمان ٥ ونجتمع ٥
بنوا هذا المسجد ضرارا ٥ يعنى مضارة للمومنين وكفرا يعنى ليكفروا فيه بالله ورسوله ٥

وقيل ولضرارا اي تفريقا للمسلمين تفريقا لايصدر ممن كان قبلنا قوله ضرارا. قال اهل
التاويل ضرارا بالمجد وليس للمجد ضرار انما هو لاهله. وروى الدارقطني بسنده
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاضرر
ولاضرار. من ضار ضاره الله به. ومن شاق شاق الله عليه. وقال بعض العلما
الضرر هو الذي لك فيه منفعه وعلى جارك فيه مضرة. والضرار الذي ليس لك فيه
منفعة وعلى جارك فيه المضره. وقيل هما معنى واحد. تكلم بهما جميعا على جهة
التاكيد. قال اصحاب الامام مالك وجماعة من اهل العلم لا يجوز ان يبنى
مسجد الى جنب مسجد. ويجب هدمه والمنع من بنايه. لئلا ينصرف جماعة المسجد
الاول الى الثاني. فسقى الاول شاغرا. الا ان تكون المحلة كبيرة لا يكفي لاهلها مسجد
واحد. فيجوز البناء حينيذ. ولذلك قالوا لا ينبغي ان يبنى في المصر الواحد جامعين
وبلاثه. ويجب منع بنا الثاني. ومن صلى فيه الجمعة لم يجزه ذلك. قالوا وقد احرق
النبي صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار وهدمه. وروى الطبري بسنده عن شقيق
انه جا ليصلي في مسجد بني غاضرة فوجد الصلاة قد فاتته. فقيل له ان مسجد
بني فلان لم يصل فيه بعد. فقال لا احب ان اصلي فيه. لانه بني على ضرار. قال
اصحاب الامام مالك كل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة او مباهاة فهو في حكم
مسجد الضرار. لا تجوز الصلاة فيه. قال النقاش يلزم من هذا ان لا يصلى
في كنيسة ونحوها. لانها بنيت على شر. قال القرطبي هذا لا يلزم. لان الكنيسة
لم تقصد ببنيانها الضرر بالغير. وان كان اصل بنائها على شر. وانما اتخذ
النصاري الكنيسة واليهود البيعة موضعا يتعبدون فيه بزعمهم كالمسجد لنا.
فافترقا. وقد اجمع العلما على ان من صلى في كنيسة او بيعه على موضع طاهر ان
صلاته ماضية جايزة. وذكر البخاري ان ابن عباس رضي الله عنه صلى في بيعه ليس فيها
تماثيل. اي تصاوير. وروى ابو داود عن عثمان بن ابي العاص ان النبي صلى الله عليه
وسلم امره ان يجعل مسجدا في الطايف حيث كانت طواغيتهم. وقال الشافعي ايضا

كل مسجد بنى مباهاةً او رياءً او سمعةً او لغرض سوى ابتغاء وجه الله تعالى او بمال
غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار • فالمتغلب الظالم وكل من كان اماما لظالم لا
يصلى وراءه • الا ان يظهر عذره • او يتوب • فان بنى عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد
قبا سالوا عمر بن الخطاب فى خلافته ان ياذن لمجمع تزجازية ان يصلى بهم فى
مسجدهم • فقال عمر لا ونعمة عين • اليس بامام المنافقين فى مسجد الضرار • فقال
له مجمع يا امير المومنين لا تعجل على • فوالله لقد صليت فيه • ولا اعلم ما اضمروا
عليه • ولو علمت ما صليت بهم فيه • انى كنت غلاما قاريا للقران شابا وكانوا شيوخا
قد عسوا على جاهليهم • وكانوا لا يقراون من القران شيا فصليت • ولا احسب ما
صنعت اثما ولم اعلم ما فى انفسهم • فعذره عمر رضى الله عنه • وصدقه وامره
بالصلاة فى مسجد قبا • قال القرطبى قال علماونا رحمهم الله اذا كان المسجد
الذى يتخذ للعباده وحض الشارع صلوات الله عليه على بنايه بقوله من بنى لله مسجدا
ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة يهدم وينزع • فما ظنك بسواه •
بل هو احرى ان يزال ويهدم • حتى لا يدخل ضرر على الاقدم • وذلك كمن بنى
فرنا الى جانب فرن • او رحا الى جانب رحا • او حماما الى جانب حمام • او بيرا
الى جانب بير • او غير ذلك مما يدخل به الضرر على الغير فانه يهدم ولا يبقى •
وضابط هذا الباب ان كل من ادخل على اخيه ضررا منع • فان ادخل على
اخيه ضررا ما كان له فعله فى ماله فاضر ذلك بجاره او غير جاره • نظر
الى ذلك الفعل • فان كان تركه اكثر ضررا من الضرر الداخل على الفاعل قطع
اكثر الضررين واعظمهما حرمة فى الاصول • مثال ذلك رجل فتح كوة فى
منزله يطلع منها على دار اخيه وفيها العيال والاهل • ومن شان النسا فى
بيوتهن القا بعض ثيابهن • والانتشار فى حوايجهن • ومعلوم ان الاطلاع بعض
على العورات محرم قد ورد النهى فيه • فللخوف الاطلاع على العورات راى العلما
ان يغلقوا على فاتح الباب او الكوة ماله فيه منفعة وراحة • ويفتحوا ما عليه

منه نقبة عليه عند الوجه الاول . اذا لم يكن بينه من قطع احدهما ٥
وهذا الحكم في هذه المسئلة عند الامام مالك واصحابه خلافا للامام الشافعي رحمه الله
ومن قال بقوله . قال اصحاب الامام الشافعي لو حفر رجل في ملكه بيرا وحفر آخر
في ملكه بيرا يسترق منها ما البير الاولي جاز . لان كل واحد منهما حفر في ملكه ٥
فلا يمنع من ذلك . ومثله ايضا عندهم ما لو حفر الى جنب بير جاره كنيفا يفسده
عليه لم يكن له منعه . لانه تصرف في ملكه . والقران والسنة يردان هذا القول ٥ وبالله
التوفيق ٥ ومن هذا الباب ايضا وجه آخر من الضرر منع العلماء منه كدخان
الفرن والحمام . وغبار البيدر . والدود المتولد من الزبل المبسوط في الرحاب . وما في
معنى ذلك . فانه تقطع منه ما تبين ضرره وخشي تماديه . واما ما كان ساعة خفيفه
مثل نفض الثياب والحصر عند الابواب فان هذا مما لا غنى بالناس عنه وليس مما
يستحق به شي . فبقي الضرر في منع مثل هذا اعظم واكثر من الضرر على ذلك ساعة
خفيفة . وللجار على جاره في ادب السنة ان يصبر على اذاه على ما نقدر . كما عليه
ان لا يوذيه . وان يحسن اليه . ومما يدخل في هذا الباب ايضا مسالة ذكرها
اسمعيل بن ابي اويس عن الامام مالك انه سيل عن امراة عرض لها مس ٥ اي جنون ٥
فكانت اذا اصابها زوجها اودنى منها اشتد ذلك بها . فقال مالك لا ارى ان
يقربها . وارى للسلطان ان يحول بينه وبينها . وهذا معنى قوله والذين اتخذوا
مسجدا ضرارا وكفرا ٥ وذلك انه لما كان اعتقادهم انه لا حرمة لمسجد قبا ولا لمسجد
النبي صلى الله عليه وسلم كفروا بهذا الاعتقاد . وقد وكفرا اي بالنبي صلى الله عليه
وسلم وما جاء به . ذكره القشيري وغيره . وقوله وتفريقا بين المومنين لانهم
كانوا يصلون جميعا في مسجد قبا . فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيودي ذلك
الى الاختلاف وافتراق الكلمة . وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية كما قدمنا وكان
شابا يقرا القران . ولم يدر ما اراد وا ببنيانه . فلما فرغوا من بنائه اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك . فقالوا يا رسول الله انا بنينا مسجدا لذي العلة .

والحاجة · والليله المطيرة والليلة الظلماء فايوت بنا نتشرف بك ونصلي في منازلنا
وتدعوا بالبركة · فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن على مسافة سفر · ولو قدمنا
ان شاء الله اتيناكم فصلينا فيه · قال بعضهم وهذه الاية تدل على ان القصد الاكبر
والغرض الاظهر من وضع الجماعة تالف القلوب والكلمة على الطاعة · وعقد الذمام
والحرمة · حتى يقع الانس بالمخالطة · وتصفى القلوب من وضر الاحقاد · واستنبط
الامام مالك من هذه الاية انه لا يصلى جماعتان في مسجد واحد اماميين · خلافا
لسائر العلماء · وقد روى عن الامام الشافعي المنع · اذا كان تشتيتا للكلمة ·
وابطالا لهذه الحكمة · ودريعة الى ان يقول من يريد الانفراد عن الجماعة كان لي
عذر · فيقيم جماعة ويقدم امامه · فيقع الخلاف ويبطل النظام · وخفي ذلك عليهم ·
قال ابن العربي وهذا شانه معهم · اي الامام الشافعي مع العلماء · وهو اثبت قدما
منهم في الحكمة · واعلم بمقاطع الشريعة · وقوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر · وبنوه اعدادا · يعني انتظارا
واعدادا لمن حارب الله ورسوله من قبل · يعني من قبل بنائهم هذا المسجد · وهو ابو
عامر الراهب · والد حنظلة غسيل الملايكة · وكان ابو عامر قد ترهب في الجاهلية
ولبس المسوح وتنصر · فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر
ما هذا الدين الذي جيت به · قال النبي صلى الله عليه وسلم جيت بالحنيفية دين
ابرهيم · قال ابو عامر فانا عليها · فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها ·
قال ابو عامر بلى · ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها · فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما فعلت · ولكني جيت بها بيضاء نقية · فقال ابو عامر اماتك الله
الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا · فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين · وسماه
ابا عامر الفاسق · فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه
وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم · فلم يزل كذلك الى يوم حنين · فلما
انهزمت هوازن يئس ابو عامر · وخرج هاربا الى الشام · وارسل الى المنافقين ان

استعد واما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا. فاني ذاهب الى قيصر ملك
الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه. فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد
قبا. فذلك قوله تعالى وارصادا. يعني وانتظارا لمن حارب الله ورسوله. يعني ابا
عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام. من قبل. يعني اذ ابا عامر الفاسق
حارب الله ورسوله من قبل بنا مسجد الضرار. وقال بعضهم ومن حارب الله ورسوله
هو ابو عامر الراهب. وسمي بذلك لانه كان يتعبد ويلتمس العلم. فمات كافرا بقنسرين
بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى وليحلفن. يعني الذين بنوا ان اردنا
اي ما اردنا ببنيانه الا الحسنى. يعني الا الفعلة الحسنى. وهي الرفق بالمسلمين. والتوسعة
على اهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قبا او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
والله يشهد انهم لكاذبون. يعني في قيلهم وحلفهم. روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي اوان. وهو موضع قريب من المدينة. فاتاه
المنافقون. وسألوه ان يأتي مسجدهم. فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم. فانزل الله
عز وجل هذه الآية. واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به. فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مالك بن الدخشم. ومعن بن عدي. وعامر بن السكن. ووحشيا. فقال
لهم انطلقوا. فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه.
فخرجوا مسرعين حتى اتوا بني سالم بن عوف. وهم رهط مالك بن الدخشم. فقال مالك
انظروني حتى اخرج اليكم بنار. فدخل اهله فاخذ من سعف النخل فاشعله. ثم
خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله. فاحرقوه وهدموه. وتفرق
عنه اهله. وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه
الجيف والنتن والقمامة. ومات ابو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا طريدا. قال
عطا لما فتح الله على عمر بن الخطاب رضي الله عنه الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد.
وامرهم ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الآخر. وقوله تعالى
لا تقم فيه اي في مسجد الضرار ابدا. قال ابن عباس رضي الله عنه معناه لا تصل فيه

ابدا ٥ منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار ٥ وروى ايضا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يمر الطريق التي فيها المسجد والمر موضعه
ان تتخذ كناسة يلقى فيها الجيف والاقذار والقمامات لمسجد اسس على التقوى
اللام فيه لام الابتدا ٥ وقيل لام القسم ٥ تقديره والله لمسجد اسس ٥ اي بني اصله ٥
ووضع اساسه على تقوى الله عز وجل من اول يوم بني ووضع اساسه
كان ذلك البنا على التقوى احق ان تقوم فيه يعني مصليا ٥ واختلفوا في المسجد
الذي اسس على التقوى ٥ فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري رضي الله
عنهم هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ يعني مسجد المدينة ٥ ويدل عليه ما
روى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيت بعض نسايه ٥ فقلت يا رسول الله اي المسجدين اسس على التقوى ٥ قال فاخذ
كفا من حصبا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا ٥ لمسجد المدينة ٥ اخرجه
مسلم ٥ وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ٥ ومنبري على حوضي ٥ وفي الصحيحين ايضا
عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة ٥ وعن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان قوايم منبري هذا رواتب في الجنة ٥ اخرجه النسايي ٥ قوله
رواتب اي ثوابت ٥ تقال رتب بالمكان اذا اقام فيه وثبت ٥ وفي رواية عن ابن
عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قبا ٥ ويدل عليه
سياق الآية ٥ وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويدل على انهم اهل
قبا ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال نزلت هذه الآية في اهل قبا فيه رجال
يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ٥ قال كانوا يستنجون بالماء ٥ فنزلت هذه الآية
فيهم ٥ اخرجه ابو داود والترمذي ٥ وقال حديث غريب ٥ هكذا ذكره صاحب جامع
الاصول ٥ من رواية ابي داود والترمذي مرفوعا على ابي هريرة ٥ ورواه البغوي من طريق

فضائل مسجد قبا

ابي داود مرفوعا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه
الآية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت
فيهم هذه الآية ومما يدل على فضل مسجد قبا ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا اوياتي قبا راكبا وماشيا زاد في رواية
فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا
كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة
البخاري ومسلم واخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى ياتي هذا المسجد مسجد قبا فيصلي
فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن اسيد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة اخرجه الترمذي وروى الطبراني عن ابي
امامة بن سهل عن ابيه رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضا
فاحسن الوضو ثم دخل مسجد قبا فركع فيه اربع ركعات كان ذلك عدل رقبة
وروى ايضا عن كعب بن عجرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
توضا فاسبغ الوضو ثم عمد الى مسجد قبا لا يريد غيره ولا يحمله على الغدو الا
الصلاة في مسجد قبا فصلى فيه اربع ركعات يقرا في كل ركعة ام القران كان له
كاجر المعتمر الى بيت الله تعالى وعن عامر بن سعد وعائشة بنت سعد سمعا
اباهما رضي الله عنه يقول لان اصلي في مسجد قبا احب الي من ان اصلي في مسجد
بيت المقدس رواه الحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما وروى ابو كريب عن عبد الله
ابن بريدة رضي الله عنه في قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
قال انما هي اربع مساجد لم يبنهن الا نبي الكعبة بناها ابرهيم واسمعيل عليهما اللام
وبيت اريحا بيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد
قبا بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والاكثرون على ان المسجد الذي اسس على التقوى
هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض لا يمتنع دخولهما تحت هذا

الاثر اسس على التقوى

الذكر ن وقوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا اى عن الاقذار والنجاسات
وسائر النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين ه وقال عطا كانوا يستنجون بالماء ولا
ناموس بالليل على الجنابة ه عن ابى هريره رضى الله عنه قال نزلت هذه الاية فى اهل قبا
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ه قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت
هذه الاية فيهم ه اخرجه ابو داود والترمذى ه وقال حديث غريب ه هكذا ذكره
صاحب جامع الاصول موقوفا على ابى هريره ه ورفعه البغوى وغيره ه فقالوا عن ابى
هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وذكره ه وروى الطبرى بسنده عن عويم بن ساعدة
رضى الله عنه وكان من اهل بدر ه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا
انى اسمع الله عز وجل قد احسن عليكم الثنا فى الطهور ه فما هذا الطهور ه قالوا يا رسول الله
ما نعلم شيا ه الا ان جيرانا لنا من اليهود راينا هم يغسلون ادبارهم من الغائط
فغسلنا كما غسلوا ه وعن قتاده قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل
قبا ان الله قد احسن عليكم الثنا فى الطهور ه فما تصنعون ه قالوا انا نغسل عنا اثر الغائط
والبول ه وقال الامام فخر الدين الرازى المراد من هذه الطهارة التى
الذنوب والمعاصى ه وهذا القول متعين لوجوه ه الاول ان التطهر من الذنوب
هو المؤثر فى القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه ه الوجه الثانى
ان الله تعالى وصف اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم
والكفر بالله تعالى ه وكون هولا بعينهم اهل قبا بالضد من صفاتهم ه وما ذاك الا لكونهم
مبرئين من الكفر والمعاصى ه وهى الطهارة الباطنة ه الوجه الثالث ان طهارة
الظاهر انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والمعاصى ه
وقيل يحتمل انه محمول على كلا الامرين ه يعنى طهاره الباطن من الكفر والنفاق
والمعاصى ه وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء ه قال بعضهم ايضا ولقايل
ان يقول اجرا هذا اللفظ فى الطهارة عن النجاسة حقيقة ه وفى غيرها مجاز ه ولو
كان كما ذكرتم لكان جمعا بين الحقيقه والمجاز ه والجواب انه محمول على هذا وعلى

ذلك باعتبار الاشتراك وهو غير متعذر ٥ وان السلف بعضهم معنى محبتهم للتطهر
انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشئ ٥ ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى
عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ٥ وروى صاحب الكشاف انه لما
نزلت هذه الاية مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشى معه المهاجرون حتى وقفوا
على باب مسجد قبا ٥ فاذا الانصار جلوس ٥ فقال لهم صلى الله عليه وسلم امومنون
انتم ٥ فسكت القوم ٥ ثم اعادها ٥ فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله انهم مومنون وانا
معهم ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضا ٥ قالوا نعم ٥ قال اتصبرون
على البلا ٥ قالوا نعم ٥ قال اتشكرون في الرخا ٥ قالوا نعم ٥ فقال صلى الله عليه وسلم
مومنون ورب الكعبة ٥ ثم قال يا معشر الانصار ان الله اثنى عليكم ٥ فما الذي تصنعون
في الوضو ٥ فقالوا نتبع الما الحجر ٥ فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية رجال يحبون
ان يتطهروا الى اخرها ٥ وقال اخرون ان الله تعالى اثنى في هذه الاية على من احب الطهارة
واثر النظافة ٥ وهي مروة آدمية ٥ ووظيفة شرعية ٥ وثبت ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يحمل معه الما في الاستنجا ٥ وكان يستعمل الحجارة تخفيفا ٥ والما تطهيرا ٥
والله يحب المطهرين وفي هذا مدح لهم وثنا عليهم ٥ والرضى عنهم بما اختاروه لانفسهم
من المداومة على محبة الطهارة كما قدمنا ٥ ثم ان الله تعالى اعاد السبب الاول ٥
وهو كون المسجد مبنيا على التقوى فقال افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
يعني طلب ببنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه ٥ والمعنى ان الباني لما بنى ذلك
البنا كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه خير ام من اسس بنيانه على شفا
جرف هار الشفا هو الشفير ٥ وشفا كل شئ حرفه ٥ ومنه يقال اشفى على ذلك اذا
دنا منه وقرب ان يقع فيه ٥ والجرف المكان الذي اكل الما تحته فهو الى السقوط
اقرب ٥ قال ابو عبيد الجرف هو الهوة ٥ وما يجرفه السيل من الاودية فينحفر بالما
فيبقى واهيا ٥ وقوله هار اي هاير ٥ وهو الساقط ٥ فهو من هار يهور فهو هاير ٥
وقيل هو من هار يهار اذا انهدم وسقط ٥ وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض ٥

كانهيار الرمل والشئ الرخو فانهار به يعني سقط بالباقي في نار جهنم وقيل دفع
به الباطل في نار جهنم ٥ ولما جعل الجرف الهاير مجازا عن الباطل رشح المجاز ٥
فجئ بلفظ الانهيار الذي هو للجرف ٥ وليتصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على
شفا جرف من اودية جهنم ٥ فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها ٥ وقال
بعضهم ايضا معناه ان بنا هذا المسجد الضرار كالبنا على شفا جهنم تتهور باهله
فيها ٥ وهذا مثل ضربه الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ٥ ومسجد التقوى مسجد
قبا ٥ او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ٥ فمعنى المثل افمن اسس بنيان دينه على
قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه
على اضعف القواعد واقلها بقا وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل
بنا على غير اساس بابت وهو شفا جرف هار ٥ واذا كان ذلك كان اسرع الى
السقوط في نار جهنم ٥ ولان الباني الاول قصد ببنيانه تقوى الله ورضوانه ٥
وكان بناوه اشرف البناء ٥ والباني الثاني قصد ببنيانه الكفر والنفاق واضرار
المسلمين ٥ فكان بناوه اخس البناء ٥ وكان عاقبته الى نار جهنم ٥ قال ابن عباس
رضي الله عنه صيرهم نفاقهم الى النار ٥ وقال قتادة والله ما ابتناها بنا وهم حتى
وقع في النار ٥ ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فروي الدخان يخرج منه ٥
قال بعضهم وفي هذه الاية دليل على ان كل شئ ابتدئ بنية تقوى الله وقصد
به وجه الكريم فهو الذي يبقى ويسعد به صاحبه ويصعد الى الله ويرفع اليه
ويخبر عنه بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ٥ على احد الوجهين ٥
ويخبر عنه ايضا بقوله والباقيات الصالحات ٥ على ما مر بيانه ان شا الله تعر ٥
واختلف العلما في قوله فانهار به في نار جهنم ٥ هل ذاك حقيقة او مجاز ٥ على
قولين ٥ الاول ان ذاك حقيقة ٥ وان النبي صلى الله عليه وسلم لما ارسل الله يهدمه
روي الدخان يخرج منه كما قدمنا ٥ وقال بعضهم كان الرجل يدخل فيه سبعة
من سعف النخل فيخرجها سودا محترقة ٥ وهذا يدل على ان جهنم في الارض ٥ وروي

عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ان جهنم في الارض ثم تلى هذه الاية فانها رابية في نار
جهنم وقال جابر رضي الله عنه انا رايت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم القول الثاني ان ذلك مجاز والمعنى صار البناء في نار جهنم فكانه
انهار اليه وهوى فيه وهو كقوله تعالى فامه هاوية والظاهر القول الاول
اذ لا احاله في ذلك والله اعلم بحقيقة ذلك والله لا يهدي القوم الظالمين اى لا يوفقهم
للخير عقوبة لهم على نفاقهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة يعني شكا ونفاقا في قلوبهم
والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببنائهم
مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم واورثهم
غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم
وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون في بنائه كما حبب العجل الى بني اسرائيل
فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريقه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب
امر بتخريبه وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة اى حرارة وغيظا في قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم اى تجعل قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء اما السيف واما الموت
والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها وقرا ابن عامر وحمزة
وحفص الا ان تقطع بفتح التاء اى تتقطع وقرا غيرهم تقطع بضم التاء ومعناه
الاول يعني الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلمون عنه
واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة فيها باقية متمكنة ثم يجوز ان يكون
ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطعها وما
هو كائن منهم بقتلهم او في القبور او في النار او معناه الا ان يتوبوا توبة
تقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم يعني باحوالهم واحوال
جميع عباده حكيم يعني فيما حكم به عليهم وقيل عليم بعزائمهم حكيم في جزاء جرائمهم
قوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
الاية اعلم ان الله تعالى بعد ان شرح فضائح المنافقين وقبائحهم سبب تخلفهم عن

غزوة تبوك وتمم ذلك الشرح عاد الى بيان فضيلة الجهاد وحقيقته ٥ ونزلت
هذه الاية فى البيعة الثانية ٥ وهى بيعة العقبة الكبرى ٥ وهى التى اناف فيها رجال
الانصار على السبعين ٥ وكان اصغرهم سنا عقبة بن عمرو ٥ وذلك انهم اجتمعوا الى
رسول الله صلى الله عليه فى الشعب عند العقبة ٥ فال عبد الله بن رواحة للنبى صلى
الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شيت ٥ فقال النبى صلى الله عليه وسلم اشترط
لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا ٥ واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون
منه انفسكم واموالكم ٥ قاذا فعلنا ذلك فما لنا ٥ قال الجنة ٥ قالوا ربح البيع ٥ قال الواحد
لا نقيل ولا نستقيل ٥ فانزل الله عز وجل هذه الاية ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ٥ قال ابن عباس معناه انه تعالى اشترى منهم انفسهم
واموالهم بالجنه ٥ وقال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فاعلى ثمنهم ٥ وقال
الحسن ان الله تعالى اعطاكم الدنيا فاشتروا الجنه ببعضها ٥ ثم هى بعد ذلك عامة
فى كل مجاهد فى سبيل الله من امة نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ٥
قال اهل المعانى لا يجوز ان تشترى الله شيا فى الحقيقه ٥ لان المشترى انما تشترى
ما لا يملك ٥ والاشيا كلها ملك لله عز وجل ٥ ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها ٥
واموالنا هو رزقنا اياها ٥ لكن جرى هذا مجرى التلطف فى الدعا الى الطاعة والجهاد ٥
وذلك لان المومن اذا قاتل فى سبيل الله حتى يقتل وانفق ماله فى سبيل الله عوضه الله
الجنة فى الاخرة جزا لما فعل فى الدنيا ٥ فجعل ذلك استبدالا واشترا ٥ فهذا معنى
قوله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ٥ والمراد بالاموال انفاقها
فى سبيل الله وفى جميع وجوه البر والطاعات ٥ وفى الاية لطايف الاولى ان
المشترى لا بد له من تقدم البايع ٥ وهذا البايع هو الله ٥ والمشترى هو الله ٥ وهذا
انما يصح فى حق القيم بامر الطفل الذى لا يمكنه رعاية المصالح فى البيع والشرا ٥ وصحة
هذا البيع مشروطة برعاية الغبطة العظيمة ٥ فهذا المثل جار مجرى التنبيه
على كون العبد كالطفل الذى لا يهتدى الى رعاية مصالح نفسه ٥ وانه تعالى هو المراعى

لمصالحهِ بشرط الغبطة التامة ٥ والثانية انه تعالى اضاف اضافا الانفس والاموال
اليهم ٥ فوجب ان يكونا مغايرين له ٥ والامر في نفسه كذلك ٥ لان الانسان عبارة
عن الجوهر الاصلي الباقي ٥ وهذا البدن يجري مجرى الالة والاداة والمركب له ٥
وكذلك المال خلق وسيله الى رعاية مصالح الانسان مادام يبقى ٥ فتعلق القلب بمصالح
عالم الجسم المتبدل وهو البدن والمال ٥ فامتنع وصوله الى السعادات العالية ٥
والدرجات الشريفة ٥ فاذا انقطع التفاته عنها وبلغ ذلك الانقطاع الى ان عرض
البدن للقتل والمال للانفاق في طلب رضوان الله فقد بلغ الى حيث رجح الهدى
على الهوى ٥ والمولى على الدنيا ٥ والاخرة على الاولى ٥ فعند هذا يكون من السعداء
الابرار ٥ والافاضل الاخيار ٥ فالبايع هو النفوس القدسية البشرية ٥ والمشترى
هو الحضرة الازلية ٥ والامتعة هي الاجساد البالية ٥ والاموال الفانية ٥ والاثمان
هي الجنان الباقية ٥ والسعادات الدايمة ٥ فالارباح حاصلة ٥ والهموم زايلة ٥
فلهذا قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ٥ وقوله ماذا لهم الجنة مثل
الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشراء ٥ وذلك ان اصل
الشرا بين الخلق ان يعوضوا ما خرج من ايديهم مما كان انفع لهم ٥ او مثل ما خرج
عنهم في النفع ٥ فاشترى الله سبحانه من العباد املاك انفسهم واموالهم في طاعته ٥
واهلاكها في مرضاته ٥ واعطاهم سبحانه وتعالى الجنة عوضا عنها اذا فعلوا ذلك ٥
وهو عوض عظيم ٥ لا يدانيه المعوض ولا يقاس به ٥ فاجرى ذلك على مجاز ما تعارفوه
في البيع والشرا ٥ فمن العبد تسليم النفس والمال ٥ ومن الله الثواب والنوال ٥ فسمي
هذا شرا ٥ وروي الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فوق كل بر
بر حتى يبذل العبد دمه ٥ فاذا فعل ذلك فلا بر فوق ذلك ٥ وقال الشاعر
الجود بالمال جود فيه مكرمة ٥ والجود بالنفس اقصى غاية الجود ٥
وانشد الاصمعي لجعفر الصادق رضي الله عنه ٥
اثامن النفس النفيسة ربها ٥ وليس لها في الخلق كلهم ثمن ٥

بها تشترى الجنات إن أنا بعتها ۞ بشيء سواها انه ذلكم غبن ۞
لئن ذهبت نفسي بدنيا اصبتها ۞ لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن ۞
وحكى الحسن ان اعرابيا مر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الاية ان
الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم • فقال كلام من هذا • قال كلام الله • قال ربيح
والله مزنح • لا نقيله ولا نستقله • فخرج الى الغزو فاستشهد • قال العلما كما
انه تعالى اشترى من المومنين البالغين المكلفين كذلك اشترى من الاطفال • فالمهم
واسقمهم • لما في ذلك من المصلحة • وما فيه من الاعتبار للبالغين • فانهم لا يكونون
عند شي اكثر صلاحا واقل فسادا منهم عند الالم من الاطفال • وما يحصل للوالدين
الكافلين من الثواب فيما ينالهم من الهم • وتعلق بهم من التربية والكفالة • ثم هو
جل وعلا يعوضهم ولا الاطفال عوضا اذا صاروا اليه • ونظير هذا في الشاهد انك
تكتري الاجير ليبني لك وتنقل التراب • وفي كل ذلك له الم واذى • ولكن ذلك جايز
لما في عمله من المصلحة ولما يصل اليه من الاجر • وقوله تقاتلون في سبيل الله
هذا تفسير لتلك المبايعة • وبيان لمحل التسليم • وقيل ان فيه معنى الامر اي قاتلوا
في سبيل الله فتقتلون وتقتلون يعني فتقتلون اعدا الله • وتقتلون في طاعة الله
وسبيله • وقرا حمزة والكسائي وخلف والنخعي فيقتلون وتقتلون • بتقديم
المفعول على الفاعل • ومنه قول امرئ القيس ۞
فان تقتلونا نقتلكم ۞ ۞ اي تقتلوا بعضنا يقتلكم بعضنا • وقرا الباقون
بتقديم الفاعل على المفعول ۞ واختلفوا في انه هل يدخل فيه مجاهدة الاعدا
بالحجة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ام لا • فمنهم من قال هو مختص بالمقاتلة ۞
ومنهم من قال انه عام تتناول الكل ۞ فان الجهاد بالمقاتلة لا تحسن اثره الا بعد
الجهاد بالحجة • ثم الانسان جوهر شريف خصه الله تعالى بمزيد الاكرام • والفساد
في ذاته نحو الجهل والكفر من الامور العارضية • فمتى زال ذلك العارض بقي الجوهر
الشريف كما كان ۞ فالجهاد بالحجة يجري مجرى الافناء للذات ۞ فكان الاولى

الدباغة لجلد الميتة • والجهاد
بالمقاتلة كحرق محرك

وقوله وعدا عليه حقا يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقا في التوراة والانجيل والقران يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التوراة والانجيل كما اثبته في القران وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرايع ومكتوب على جميع اهل الملل وقيل المراد انه تعالى بين في التوراة والانجيل انه اشترى من امة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة كما بين في القران وقوله ومن اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى بالعهد من الله وهو استفهام بمعنى الانكار وذلك لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف باكرم الاكرمين قال بعضهم ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ وقال اخرون قوله ومن اوفى بعهده من الله تضمن الوفا بالوعد والوعيد ولا تضمن وفا الباري للكل فاما وعده فللجميع واما وعيده فمخصوص ببعض المذنبين وبعض الذنوب وفي بعض الاحوال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يعني فاستبشروا ايها المومنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به وافرحوا به غاية الفرح فانكم تبيعون فانيا بباق وذلك هو يعني هذا البيع الفوز العظيم لانه رابح في الاخرة قال جعفر الصادق رضي الله عنه ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله تعالى بايعك وجعل الصفقة لك وقال الحسن اسمعوا الى صفقة ربحة بايع الله بها كل مومن واعلم رحمك الله ان هذه الاية العظيمة مشتملة على انواع من التاكيدات اولها قوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم فكون المشترى هو الله المقدس عن الكذب والحيلة وهو من ادل الدلايل على تاكيد هذا العهد وثانيها انه تعالى عبر عن ايصال هذا الثواب بالبيع والشرا وذلك حق مؤكد وثالثها قوله وعدا ولا يستراب في ان وعد الله حق ورابعها قوله عليه وكلمة على للوجوب وخامسها قوله حقا وهو تاكيد وسادسها قوله في التورية والانجيل والقران وذلك يجري مجرى اشهاد جميع الكتب الالهية والانبيا والرسل على هذه المبايعة وسابعها قوله ومن اوفى بعهده من الله وهو ايضا مبالغة

فی التاکید • وتاسعها قوله هو الغور • وعاشرها هو العظیم • وقال بعض العارفین
فی هذه الایه نکت کثیره • احدها فی قوله ان الله اشتری من المومنین • فانه تعالی
اشتراهم مع علمه بالعیوب • وکل من اشتری شیا وهو عالم بالعیب فان کان کریما
فانه یستحی ان یرده بالعیب • ویتحمله • کأن الله تعالی یقول یا عبدی انی اشتریتک
مع علمی بعیبک • فلا ارد ک بکثره عیوبک • لانی رضیت بک وانت معیب • وهاهنا
نکته اخری • وهو ان الله تعالی ذکر المشتری له • لانه علم فی علمه السابق ان الشیطان
یرغب فی شرایهم ویخدعهم • فاشتراهم الله عز وجل قبل ان یشتریهم الشیطان حتی
اذا اشتراهم الشیطان لا یصح شراوه ایاهم • کما ان السلعة اذا کان لها مشتریان •
واحدهما اسبق صح شرا الاول دون الثانی • کأن الله تعالی یقول عبادی اشتریتکم
قبل ان یشتریکم الشیطان • فصح شرای وبطل شراوه • فیذهب هو مع الکفار الی النار •
وتذهبون انتم مع انبیایکم الی الجنة • فان قیل کیف یشتری ولم یکن البایع
حاضرا • قیل له یجوز للولی ان یشتری للطفل شیا من ماله • اشتراک مولاک
مع العیب • وهو یقدر علی اصلاح العیب • ومن یقدر علی اصلاح العیب لا یرد المبیع
بالعیب • ومن اشتری شیا واستعمله بعد العلم بالعیب لا یمکنه رده • ومولانا
سبحانه اشترانا وکان عالما بالعیب عند شرانا • ثم استخدمنا • فنرجوا من کرمه
وفضله ان لا یردنا بالعیب • فان قیل ما الحکمة فی ان الله تعالی جعل وسقة
هذا الشرا فی کتب ثلاثة • کما قال وعدا علیه حقا فی التورية والانجیل والقران •
وکان الشرا واحدا • فلم لم یقتصر علی وسقه واحده • والجواب عنه ان شراه
عز وجل من عباده کان ثلاثة اشیا • النفس • والروح • والمال • یجاهدون بالنفس فی
سبیل الله • ویسفقون فیه الاموال • ویبذلون الارواح • فلاجل هذا جعل سبحانه
الوثیقة فی ثلاث کتب • فبذل النفس یورث الجنة • کما قال تعالی بان لهم الجنة •
وبذل المال یورث النصر • نصر من الله وفتح قریب • وبذل الروح یورث الحیاة
الباقیة • ولا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله امواتا بل احیا عند ربهم یرزقون الی اخرها •

ويقال ان احوال الغارب لا تخلوا من اربعة اوجه • إمّا ان يعافى فله الفضل
والنعمة • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل الاية • واما ان يموت في الطريق فله اجره •
• ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية • واما ان يؤسر فله مرضاة الرب •
ومن الناس من يشري نفسه ابتغآء مرضاة الله • واما ان يقتل فصار فصار شهيدا •
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية • قال الحسن والله ما على الارض مومن الا
يدخل في هذه المبايعة • ذلك هو الفوز العظيم • اى الظفر بالجنة والخلود فيها •
قوله عز وجل التآيبون اعلم انه تعالى لما ذكر في الاية الاولى انه اشترى من
المومنين انفسهم واموالهم بين في هذه الاية اذا اولئك المومنين هم الموصوفون بهذه
الصفات • قال الفرآ استونف لفظ التايبين بالرفع لتمام الاية الاولى وانقطاع
الكلام • وقال الزجاج التايبون رفع بالابتدا • وخبره مضمر • المعنى التايبون الى
آخره لهم الجنة ايضا • من لم يجاهد غير معاندٍ • ولا قاصدٍ لترك الجهاد فله الجنة
ايضا • وهذا وجه حسن • كانه وعد الجنة جميع المومنين • كما قال تعالى وكلا وعد الله
الحسنى • ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا للمجاهدين الموصوفين بهذه
الصفات • فيكون رفع التايبون على المدح • يعني المومنين المذكورين في قوله ان الله اشترى •
واما التفسير فقوله تعالى التايبون • يعني بايوا من الشرك • وبرءوا من النفاق •
وقيل التايبون من كل معصية • فدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وجميع المعاصي •
لان لفظ التايبين لفظ عموم • فيتناول الكل • واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل
بحصول اربعة امور • اولها احتراق القلب عند صدور المعصية • وثانيها الندم
على فعلها فيما مضى • وثالثها العزم على تركها في المستقبل • ورابعها ان يكون الحامل له
على التوبة طلب رضوان الله وطلب عبوديته • فان كان غرضه بالتوبه تحصيل
مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته العابدون يعني الذين عبدوا
الله وحده • واخلصوا له العباده • واطاعوه • وعلموا ان عبادته واجبه عليهم • وقيل
هم الذين اتوا بالعباده على اقصى وجوه التعظيم لله تعالى • وهي ان تكون العباده خالصة

لله • وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببته من عبادي • وقال علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه لا تهتموا لقلة العمل • واهتموا للقبول • فان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه اخلص العمل يجزك منه القليل • وقال صلى الله
عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله اربعين صباحا الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه • وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث
والدم الحامدون يعني الذين يحمدون الله على كل حال في السرا والضرا • ويدل عليه
ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول من يدعى الى
الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السرا والضرا • وقيل هم الذين يحمدون الله
ويقومون شكره على جميع نعمه دنيا واخرى • قال بعضهم والتسبيح والتحميد صفة
الملائكة الذين كانوا يعبدون الله قبل خلق الدنيا السايحون قال ابن مسعود وابن
عباس رضي الله عنهما هم الصائمون • قال سفيان بن عيينة انما سمي الصائم سايحا لتركه
اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح • وقال الازهري قيل للصائم سايح لان
الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الاكل • وكذلك الصائم ممسك
عن الاكل • وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسيح • والصائم
مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي • وقال عطا السايحون هم الغزاة المجاهدون
في سبيل الله • ويدل على هذا القول ما روى عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال قلت
يا رسول الله ايذن لنا في السياحة • فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله • وقال
عكرمة السايحون هم طلبة العلم • لانهم يتنقلون من بلد الى بلد في طلبه • وقيل ان
السياحة لها اثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين اخلاقها • لان السايح لا بد ان يلقى
انواعا من الضر والبوس • ولا بد له من الصبر عليها • ويلقى العلما والصالحين في سياحته
فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم • ويرى العجايب وآثار قدرة الله تعالى فيفكر
في ذلك فيدله على وحدانية الله تعالى وعظم قدرته الراكعون الساجدون يعني المصلين

وفي لفظ آخر هم الحافظون على الصلوات • وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانه
معظم اركانها • وبهما تتميز المصلي عن غير المصلي • بخلاف حالة القيام والقعود • لانهما
حاله المصلي وغيره • ويمكن ان تقال القيام اول مراتب التواضع لله • والركوع وسطها •
والسجود غايتها • فخص الركوع والسجود بالذكر لما فيهما من التواضع ما ليس في الغير
من افعال الصلاة تنبيها على ان المقصود الاصلي من الصلاة الخضوع والخشوع ٥
الآمرون بالمعروف يعني يامرون الناس بالايمان بالله وحده والناهون عن المنكر يعني
الشرك بالله • وقيل انهم يامرون الناس بالحق في اديانهم واتباع الرشد والهدى
والعمل الصالح • وينهونهم عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه • او نهى عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم • قال الحسن اما انهم لم يامروا الناس بالمعروف حتى كانوا من اهله •
ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه • واختلف في الواو في قوله والناهون عن المنكر ٥
فقيل هي واو الثمانيه • للاشعار بان السبعة عقد تام • وقال احزون لان السبعة
عند العرب عدد كامل صحيح • ولانهم يعطفون بالواو على السبعة • ومنه قوله تعالى
وبانهم كلبهم • وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها • وقوله ثيبات وابكارا ٥
وقد ذكرها ابن خالويه في مناظرته لابي علي الفارسي في قوله تعالى وفتحت ابوابها •
وانكر ابو علي هذه الواو • قال ابن عطية وحدثني ابي رحمه الله عن الاستاذ النحوي
ابي عبد الله الكفيف المالقي • وكان ممن استوطن غرناطة واقرأ فيها انه قال هي لغة
فصيحة لبعض العرب • من شانهم ان يقولوا اذا عدوا واحد • اثنين • ثلاثه • اربعه •
خمسه • سته • سبعه • وثمانيه • تسعه • عشره • فهكذا هي لغتهم • ومتى جا في كلامهم
امر ثمانية ادخلوا الواو • قال غيره وهي لغة قريش • وقيل دخلت الواو
في والناهون عن المنكر للتضاد بين الامر والنهي • كما في قوله ثيبات وابكارا • والله اعلم
والحافظون لحدود الله قال ابن عباس رضي الله عنه يعني القائمين بطاعة الله سره ٥
وقال الحسن الحافظون لفرايض الله • وهم اهل الوفا ببيعة الله • وقيل هم المودون
فرايض الله • المنتهون الى امره ونهيه • فلا يضيعون شيا من العمل الذي الزمهم به • ولا

د تكون منهيا نهاهم عنه ٥ والمقصودات تكاليف الله كثيرة ٥ وهي منحصرة في نوعين ٥
احدهما تتعلق بالعبادات ٥ وثانيهما يتعلق بالمعاملات ٥ اما الاول فالامر
بذلك لاجل المصالح الدينية نحو الامر بالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ٥
والاعتاق والنذر وسائر انواع البر ٥ واما الثاني فذلك اما لجلب المنافع واما
لدفع المضار ٥ ثم المنافع قد تكون مقصودة بالاصالة ٥ وقد تكون مقصودة
بالتبعية ٥ اما التي بالاصالة فهي المنافع الحاصلة من الحواس الخمس ٥ كالملموسات ٥
والمذوقات ٥ والمبصرات ٥ والمسموعات ٥ والمشمومات ٥ وفي كل قسم من هذه
الاقسام احكام شرعية ٥ وفيها كتب مختلفة ٥ على ما عرف من الكتب الفقهية ٥
واما التي بالتبعية فهي الاموال ٥ والبحث عنها من ثلاثة اوجه ٥ احدها
الاسباب الموجبة للملك ٥ نحو البيع ٥ والهبة ٥ وغير ذلك ٥ وثانيها الاسباب
الموجبة لغير المالك التصرف في الشيء ٥ نحو الوكالة ٥ والوديعة مثلاً ٥ وثالثها
الاسباب المانعة للمالك عن التصرف في ملكه ٥ نحو الرهن والاجارة ٥ فهذه هي
اقسام التكاليف في جلب المنافع ٥ واما دفع المضار فتقول المضار على خمسة
اقسام ٥ لان المضرة اما ان تحصل في النفوس ٥ او في الاموال ٥ او في الاديان ٥ او في
العقول ٥ او في الانساب ٥ وفي كل قسم من هذه الاقسام احكام شرعية ٥ اما في
النفوس فكالقصاص ٥ والدية ٥ والكفارة ٥ وقطع اليد ٥ ونحو ذلك ٥ واما في الاموال
فهو الاحكام المذكورة في كتاب الغصب والسرقة ٥ واما في الاديان فنحو الحكم
بالكفر ٥ والردة ٥ والبدعة ٥ واما في العقول فنحو حد الشرب ٥ واما في الانساب
فنحو حد الزنا ٥ فهذه هي الاقسام المذكورة عن السلف ٥ والحكم في كل
قسم لصيانة ذلك القسم ٥ كالقصاص لصيانة النفس مثلاً ٥ ولقائل ان يقول
حد القذف لصيانة العرض غير هذه الاقسام ٥ فتكون الاقسام ستة في الحقيقة ٥
ثم ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه ٥ فلهذا
نصب الله الامام لتنفيذ هذه الاحكام ٥ ولما كانت الاحكام كثيرة بينها الله تعالى ٠

في دفع م

فی هذه الآیة علی سبیل الاجمال • فقال والحافظون لحدود الله • وبیان المجمل
علی المجمل • فانه تعالی امر الرسول بالبیان • واعلم ان الکتب الفقهیة مشتملة
علی بیان اقسام التکالیف المتعلقه باعمال الجوارح • فاما التکالیف المتعلقه باعمال
القلوب فلم یتعرضوا لها • ولم یبحثوا عن دقائقها • ولاشک فی ان البحث عنها اهم •
والمبالغة فی الکشف عن حقائقها اولی • والآیات الکثیرة فی کتاب الله تعالی ناطقه
بذلک • فقوله تعالی والحافظون لحدود الله متناول لجمیع الاقسام علی سبیل
الشمول والاحاطة • والله اعلم بمراده • ثم انه تعالی لما ذکر هذه الصفات التسع التی
اولها التائبون وآخرها والحافظون لحدود الله قال بعدها وبشر المومنین ای
المتصفین بهذه الصفات • والمقصود منه انه تعالی قال فی الایة المتقدمة فاستبشروا
ببیعکم الذی بایعتم به وذکر عقب هذه الصفات وبشر المومنین تنبیها علی ان
البشارة المذکوره وهی قوله فاستبشروا لم تتناول الا المومنین الموصوفین بهذه
الصفات • فان قیل ما السبب فی انه تعالی ذکر الصفات المتقدمة علی سبیل
التفصیل • ثم ذکر عقیبها سایر اقسام التکالیف علی سبیل الاجمال فی قوله والحافظون
لحدود الله • فنقول لان التوبة والعباده وتحمید الله تعالی والسیاحة لطلب
العلم والرکوع والسجود والامر بالمعروف والنهی عن المنکر امور لا ینفک المکلف
عنها فی اغلب اوقاته • واما البقیة فقد ینفک المکلف عنها • فلهذا ذکر سبحانه
تلک الامور علی سبیل التفصیل • وذکر الباقیه علی سبیل الاجمال • بقوله والحافظون
لحدود الله • وبشر المومنین • یعنی وبشر یا محمد المصدقین بما وعدتهم به اذا وفوا لله
بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخالهم الجنة • وقیل وبشر من فعل هذه
الافعال التسع • فان له الجنة وان لم یغزو • قوله عز وجل ما کان للنبی
والذین آمنوا ان یستغفروا للمشرکین ولو کانوا اولی قربی الایة • اعلم ان الله لما
لما بین من اول هذه السورة الی هذا الموضع وجوب اظهار البراءة من الکفار والمنافقین
من جمیع الوجوه • بین فی هذه الایة انه یجب اظهار البراءة من اموالهم • وان کانوا

فی غایة القرب من الانسان کالاب والام لما وجبت البراة من احیائهم ۰ والمقصود بیان
وجوب مقاطعتهم علی اقصی الغایات ۰ والمنع عن مواصلتهم بسبب من الاسباب ۰
واختلف اهل التفسیر فی سبب نزول هذه الآیة ۰ فقال قوم نزلت فی شان ابی طالب
عم النبی صلی الله علیه وسلم والد علی کرم الله وجهه ۰ وذلک ان النبی صلی الله علیه وسلم اراد
ان یستغفر له بعد موته فنهاه الله عز وجل عن ذلک ۰ ویدل علی ذلک ما روی عن سعید
ابن المسیب عن ابیه المسیب بن حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله
صلی الله علیه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابی امیة بن المغیره ۰ فقال ای عم
قل لا اله الا الله ۰ کلمة احاج لک بها عند الله ۰ فقال ابو جهل وعبد الله بن ابی امیة اترغب
عن ملة عبد المطلب ۰ فلم یزل رسول الله صلی الله علیه وسلم یعرضها علیه ۰ ویعودان تلک
المقالة ۰ حتی قال ابو طالب آخر ما کلمهم انا علی ملة عبد المطلب ۰ وابی ان یقول لا اله الا الله ۰
قال رسول الله صلی الله علیه وسلم والله لاستغفرن لک ما لم انه عنک ۰ فانزل الله عز
وجل ما کان للنبی والذین امنوا ان یستغفروا للمشرکین ولو کانوا اولی قربی ۰ وانزل
الله فی ابی طالب انک لا تهدی من احببت ولکن الله یهدی من یشاء ۰ اخرجاه فی الصحیحین ۰
فان قیل قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الایة فی شان ابی طالب ۰ وذلک ان
وفاته کانت بمکة اول الاسلام ۰ ونزول هذه السورة بالمدینة ۰ وهی من آخر القران نزولا ۰
قیل له الذی نزل فی ابی طالب قوله تعالی انک لا تهدی من احببت ۰ فقال النبی صلی الله
علیه وسلم لاستغفرن لک ما لم انه عنک ۰ کما فی الحدیث ۰ فیحتمل انه صلی الله علیه وسلم
کان یستغفر له فی بعض الاوقات ۰ الی ان نزلت هذه الآیة ۰ ومنع من الاستغفار ۰ والله
اعلم بمراده ۰ واسرار کلامه ۰ وفی صحیح مسلم عن ابی هریره رضی الله عنه قال قال رسول الله
صلی الله علیه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله ۰ کلمة اشهد لک بها یوم القیامة ۰
فابی ۰ فانزل الله عز وجل انک لا تهدی من احببت ولکن الله یهدی من یشاء ۰ الایه ۰ وفی
روایة قال لولا ان تعیرنی قریش یقولون انما حمله علی ذلک الجزع لاقررت بها عینک ۰
فانزل الله عز وجل الایة ۰ وفی الصحیحین عن ابی سعید الخدری رضی الله عنه انه سمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب • فقال لعله تنفعه شفاعتى
يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلى منه ام دماغه • وفى رواية
يغلى دماغه من حرارة نعليه • وفى الصحيحين ايضا عن العباس بن عبد المطلب عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم • قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك وينصرك
فهل نفعه ذلك ويغضب لك • قال هو فى ضحضاح من نار • ولولا انا لكان فى الدرك
الاسفل من النار • وفى رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك
وينصرك • فهل نفعه ذلك • قال نعم • وجدته فى غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح •
وقال ابو هريرة وبريدة رضى الله عنهما لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه
فوقف حتى جيئ رجا اذ نودن له فيستغفر لها • فنزلت ما كان للنبى والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين • وروى مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال زار النبى
صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله • فقال استاذنت ربى فى ان استغفر لها
فلم يوذن لى واستاذنته فى ان ازور قبرها فاذن لى فزوروا القبور • فانها تذكركم الموت •
وقال قتادة قال النبى صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابى كما استغفر ابرهيم لابيه • فانزل
الله عزوجل هذه الاية • وروى ان الله تعالى احيا للنبى صلى الله عليه وسلم ابويه بعد ما ماتا
فامنا به وصدقاه • على ما سنبينه فيما ياتى من التفسير ان شاء الله تعالى • وروى الطبرى
بسنده عن قتادة قال ذكر لنا ان رجالا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى الله
ان من ابائنا من كان يحسن الجوار • ويصل الارحام • ويفك العانى • ويوفى بالذمم • افلا
نستغفر لهم • فقال النبى صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لابى • كما استغفر ابرهيم
لابيه • فانزل الله عزوجل ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية • ثم
عذر الله ابرهيم بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه • الاية •
وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان •
فقلت له اتستغفر لابويك وهما مشركان • فقال استغفر ابرهيم لابيه وهو مشرك •
فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم • فنزلت ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين •

الشيم

قال العلما وهو مذهب الشيعه م

الآية • اخرجه النسائى والترمذى • وقال حديث حسن • واخرجه الطبرى • وقال فيه
فانزل الله عزوجل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما
تبين له انه عدو لله تبرا منه الاية • ومعنى الآية ما كان سبغى للنبى والذين امنوا ان
يستغفروا للمشركين • وليس لهم ذلك • لان الله تعالى لا يغفر للمشركين • فلا يجوز ان يطلب
منه ما لا يفعله • ففيه النهى عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولى قربى •
لان النهى عن الاستغفار للمشركين عام • فيستوى فيه القريب والبعيد • وهذه
الاية تضمنت قطع موالاة الكفار حيهم وميتهم • فان الله تعالى لم يجعل للمومنين ان
يستغفروا للمشركين • فطلب الغفران للمشرك مما لا يجوز • فان قيل قد
صح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم احد حين كسروا رباعيته وشجوا وجهه
قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون • فكيف يجتمع هذا مع منع الله تعالى رسوله والمومنين
من طلب المغفرة للمشركين • قيل له ان ذلك القول من النبى صلى الله عليه وسلم انما
كان على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الانبيا عليهم السلام • والدليل عليه ما رواه مسلم
عن عبد الله رضى الله عنه قال كانى انظر الى النبى صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الانبيا
ضربه قومه • وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون • وفى
صحيح البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر نبيا قبله شجه قومه • فجعل النبى صلى الله
عليه وسلم يخبر عنه بانه قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون • وهذا نص صريح فى
الحكاية عمن قبله • لا انه قال ذلك ابتداء من نفسه كما ظنه بعضهم • والله اعلم • والنبى
الذى حكى عنه هو نوح عليه السلام • على ما ياتى بيانه فى سورة هود ان شا الله • وقيل ان
المراد بالاستغفار فى الاية الصلاة • قال بعضهم ما كنت ادع الصلاة على احد من
اهل القبلة • ولو كانت حبشية حبلى من الزنا • لانى لما سمع الله جل ثناوه حجب الصلاة
الا عن المشركين بقوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ك
قال عطا بن ابى رباح الاية فى النهى عن الصلاة على المشركين • والاستغفار هنا يراد
به الصلاة • وجواب ثالث وهو ان الاستغفار للاحيا جايز • لانه مرجو ايمانهم

للمشركين

ويمكن تالفهم بالقول الجميل وترغيبهم في الدين ۝ وقد قال كثير من العلما لا باس ان
يدعوا الرجل لابويه الكافرين ويستغفر لهما ما داما حيين ۝ فاما من مات فقد
انقطع عنه الرجا فلا يدعا له ۝ وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يستغفرون
لموتاهم فنزلت الاية فامسكوا عن الاستغفار ۝ ولم ينههم ان يستغفروا للاحيا
حتى يموتوا ۝ ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع ۝ فقال تعالى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم يعني تبين لهم انهم ماتوا على الشرك فهم من اصحاب الجحيم ۝ وايضا فقد
قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ۝ والله لا يخلف وعده ۝ ثم انه تعالى ذكر عذر ابرهيم
عليه اللام فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ۝ اي ما
كان طلب ابرهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعدة وعدا ابرهيم اباه ان يستغفر
له رجا اسلامه ۝ وفي الاية مباحث الاول في تعلق هذه الاية بما قبلها ۝ وفيه وجوه ۝
احدها ان المقصود منه ان لا يتوهم انسان ان الله تعالى منع نبيه سيدنا محمدا صلى الله
عليه وسلم من بعض ما اذن لابرهيم فيه ۝ وثانيها انه تعالى وصف ابرهيم في هذه الاية
بكونه حليما اي قليل الغضب ۝ وبكونه اواها ۝ اي كثير التوجع والتضجر عند نزول المضار
بالناس ۝ والمقصود ان من كان موصوفا بهذه الصفة كان ميل قلبه الى الاستغفار
لابيه شديدا ۝ فكانه قيل ان ابرهيم مع جلالة قدره ومع كونه موصوفا بالاواهية
والحليمية منعه الله من الاستغفار لابيه الكافر ۝ فلان لا يكون غيره ممنوعا من هذا
المعنى اولى ۝ الوجه الثالث دل القران العظيم على ان ابرهيم استغفر لابيه ۝
قال تعالى حكاية عنه واغفر لابي انه كان من الضالين ۝ ربنا اغفر لي ولوالدي ۝ وقال
سلام عليك سا ستغفر لك ربي ۝ وقال لاستغفرن لك ۝ وثبت ان الاستغفار للكافر لا
يجوز ۝ فكيف صدر هذا عن ابرهيم عليه السلام ۝ فاجاب سبحانه عن هذه الشبهة
بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ۝ وفيه قولان ۝
احدهما ان يكون الواعد ابا ابرهيم ۝ والمعنى ان اباه وعده ان يؤمن ۝ فكان ابرهيم
عليه اللام يستغفر له رجا اسلامه ۝ فلما تبين له انه عدو لله وانه لا يومن تبرا منه ۝

وترك ذلك الاستغفار • وثانيهما ان يكون الواعد ابرهيم • وذلك انه وعد اباه
ان يستغفر له رجا اسلامه • فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه • والدليل على صحة
هذا التاويل قراءة الحسن • الا عن موعدة وعدها اباه • بالباء • ومن الناس من
ذكر في الجواب وجهين آخرين • احدهما ان المراد من استغفار ابرهيم لابيه دعاوه
له بالايمان والاسلام • وكان يتضرع الى الله تعالى ان يرزقه الايمان حتى يتخلص من العقاب
ويفوز بالغفران • فلما اخبره الله تعالى بانه يموت مصرا على الكفر ترك ذلك • وثانيهما
ان من الناس من حمل قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
الى آخرها على صلاة الجنازة • فلا امتناع للاستغفار • ويكون الفايدة في ذلك الاستغفار
تخفيف العذاب • قالوا والدليل على ما ذكرنا منعه صلى الله عليه وسلم من الصلاة
على المنافقين • بقول الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا • واما قوله
تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه يعني فلما ظهر لابرهيم من جهة الوحي وبان
له ان اباه عدو لله يعني موته على الكفر تبرا منه عند ذلك • وقيل يحتمل ان الله تعالى لما
اوحى الى ابرهيم ان اباه عدو لله تبرا منه • وقيل معناه لما تبين له في الاخرة انه عدو
لله تبرا منه • ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يلقى ابرهيم عليه السلام اباه آزر يوم القيامة • وعلى وجه آزر قترة وغبرة •
فيقول ابرهيم الم اقل لك لا تعصني • فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك • فيقول ابرهيم يا
رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون • فاي خزي اخزى من ابي الابعد
فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين • ثم يقال يا ابرهيم ما تحت رجليك •
فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ • فيوخذ بقوايمه فيلقى في النار • اخرجه البخاري •
زاد غيره فيتبرا منه يومية • القترة غبرة يعلوها سواد • والذيخ ذكر الضباع
ثم يا مشناة من تحت ثم خا معجمة وهو ذكر الضباع • والانثى ذيخة • والله اعلم •
وقوله ان ابرهيم لاواه حليم الاواه ما خوذ من قول الرجل عند شدة حزنه
اوه • والسبب فيه ان عند الحزن تخنق الروح الحيواني في داخل القلب وتشتد

حزنه ۞ فالانسان يخرج ذلك النفس المحتنق فى القلب ليخف بعض ما به ۞ ثم للمفسرين
فى الاواه عبارات ۞ ذكر بعضهم منه خمسة عشر قولا ۞ الاول انه الدعاء ۞ اى الكثير
الدعاء ۞ وهذا قول ابن مسعود ۞ الثانى انه الرحيم بعباد الله ۞ وهذا قول ابن عباس رضى
الله عنه ۞ الثالث انه الموقن ۞ وهذا قول مجاهد ۞ الرابع انه المؤمن ۞ بلغة الحبشة ۞
الخامس انه المسبح الذى يذكر الله تعالى فى الارض القفر الموحشة ۞ السادس انه الكثير
الذكر لله عز وجل ۞ وهذا قول عقبة ابن عامر ۞ ويدل عليه ما روى انه ذكر عند
النبى صلى الله عليه وسلم رجل يكثر ذكر الله ويسبح ۞ فقال انه لاواه ۞ السابع انه الذى
يكثر تلاوة القران ۞ وهذه الاقوال متداخلة ۞ وتلاوة القران تجمعها ۞ الثامن
انه المتاوه شفقا وفرقا ۞ المتضرع يقينا ولزوما للطاعة ۞ وهذا قول ابى عبيده ۞
قال الزجاج انتظم فى قول ابى عبيده هذا جميع ما قيل فى الاواه ۞ التاسع انه
الفقيه ۞ العاشر انه المتضرع الخاشع ۞ وهذا القول رواه عبد الله بن شداد بن
الهاد عن النبى صلى الله عليه وسلم ۞ وروى ايضا عن انس رضى الله عنه ان امراة تكلمت عند
النبى صلى الله عليه وسلم بشى كرهه ۞ فنهاها عمر رضى الله عنه ۞ فقال النبى صلى الله عليه وسلم
دعوها فانها اواهة ۞ قيل يا رسول الله وما الاواهة ۞ قال الخاشعة ۞ الحادى عشر
انه هو الذى اذا ذكر خطاياه استغفر منها ۞ الثانى عشر انه الكثير التاوه من الذنوب ۞
الثالث عشر انه المعلم للخير ۞ الرابع عشر انه الشفيق ۞ وكان ابو بكر الصديق
رضى الله عنه يسمى الاواه لشفقته ورافته ۞ الخامس عشر انه الراجع عن كل ما
يكره الله تعالى ۞ واصله الاواه من التاوه ۞ وهو ان يسمع للصدر صوت تنفس
الصعداء ۞ والفعل منه اوه ۞ وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه ۞
وذكرنا اولا ان السبب فيه هو ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب وتشتد حرها ۞
فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق فى القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة ۞
قال كعب رضى الله عنه كان ابرهيم عليه السلام اذا ذكر النار تاوه ۞ يقول اوه من
النار ۞ قبل ان لا تنفع اوه ۞ وقال ابو ذر رضى الله عنه كان رجل يكثر الطواف بالبيت

ونقول فى دعايه اَوَّهْ اَوَّهْ فشكا ابوذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال دَعْهُ
فانه اواه قال فخرجت ذات ليلة فاذا النبى صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل
ليلا ومعه المصباح ه وقال الجوهرى قولهم عند الشكاة اوَّهْ من كذا
ساكنة الواو انما هو توجع ه قال الشاعر
وروى فَاوِّ
فَاوْهِ لذكراها اذا ما ذكرتها ومن بُعْدِ ارضٍ بيننا وسماءِ
وربما قلبوا الواو الفا فقالوا آهِ من كذا ه وربما شددوا الواو وكسروها
وسكنوا الهاء فقالوا اَوِّهْ من كذا ه وربما حذفوا مع التشديد الهاء فقالوا
اَوِّ من كذا بلا مدّ ه وبعضهم يقول آوَّهْ بالمدّ والتشديد وفتح الواو
ساكنة الهاء لتطويل الصوت بالشكاية ه وربما ادخلوا فيه التاء فقالوا
أَوَّتاهُ بمدّ ولا يمدّ ه وقد اَوَّهَ الرجل تاويها وتاوَّهَ تأوُّها اذا
قال اوّهْ ه والاسم منه الآهة بالمدّ ه قال المُثَقِّبُ العَبْدى
اذا ما قمتُ ارحلها بليلٍ تأوَّهُ آهةَ الرجل الحزينِ
واسم المثقب شاس بن عايد ه وقيل ابن نهار ه وذكر البخارى هذا البيت
فى صحيحه فى كتاب التفسير فى اول هذه السورة ه وهو من اول قصيده ه اولها
أفاطمَ قبل بينكِ متّعينى ومنعكِ ما سألتُكِ ان تبينى
ولا تعدى مواعدَ كاذباتٍ تمرّ بها رياحُ الصيف دُوْنى
فانّى لو تخالفنى شمالى لما اتبعتُها ابدًا يمينى
ويقول ايضا فيها ه
فاِمّا ان تكون اخى بحقٍّ فاعرفَ منكَ غثّى من سمينى
والّا فاطّرحنّى وانتحلنى عدوا اتّقيكَ وتتّقينى
وقوله آهةَ بالمدّ للاكثر ه وفى رواية الاصيلى تشديد الهاء بلا مدّ ه
وأما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمّن سبّه او اتاه بمكروه ثم يقابله
بالاحسان واللطف ه كما فعل ابرهم عليه السلام مع ابيه ه حين قال له لئن لم تنته

لارجمنك ٥ فاجابه ابرهيم بقوله سلام عليك سا ستغفر لك ربى ٥ وقال ابن عباس
رضى الله عنه الحليم السيد ٥ وانما وصف الله ابرهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهو
لشده الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله فبين الله تعالى انه مع هذه
الصفات الجميله الحميده تبرا من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر ٥ فاقتدوا
انتم به فى هذه الحالة ايضا ٥ وقال بعضهم الحليم هو الصبور على البلاء الصفوح عن
الاذى ٥ لان ابرهم عليه السلام كان يستغفر لابيه وهو يقول لارجمنك ٥ وقيل
الحليم هو الذى لم يعاقب احدا قط الا فى الله ٥ ولا ينتصر من احد لاجله ٥ وكان ابرهيم
عليه السلام كذلك ٥ وكان اذا قام يصلى سمع وجيب قلبه على ميلين صلوات
على نبينا وعليه ٥ وقوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين
لهم ما يتقون لما منع المومنين ان يستغفروا للمشركين والمومنون كانوا قد
استغفروا قبل نزول هذه الاية لاباءهم وامهاتهم المشركين والمشركات ٥ فلما
نزلت هذه الاية خافوا من ذلك ٥ فازال الله تعالى خوفهم بها ٥ وبين انه لا يواخذهم بعمل
الا بعد ان يبين لهم انه يجب عليهم ان يتقوه ويحترزوا عنه ٥ ومعنى الاية وما كان الله
ليقضى عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد اذ رزقكم الهداية
ووفقكم للايمان به وبرسوله ٥ وذلك وقال بعضهم بلفظ اخر ٥ معناه ان ما امر الله
باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا
يواخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ٥ ولا يحكم لهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان
حظره وعلمهم بانه واجب الاجتناب ٥ واما قبل العلم والبيان فلا ٥ قال وهذا
بيان لعذر من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهى ٥ والمراد
بما يتقون ما وجب اتقاوه للنهى ٥ فاما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف ٥
وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهى عن الاستغفار للمشركين
فلما منعوا من ذلك وقع فى قلوب المومنين خوف على من مات على ذلك ٥ فانزل الله
عز وجل هذه الاية ٥ وبين انه لا يواخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم انه يجب عليهم ان

تقوه وتركوه • قال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين
خاصة • وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة • وقال الضحاك وما كان الله
ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون • وقال مقاتل والكلبي هذا
في امر المنسوخ • وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا قبل
تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة • فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك • ثم حرمت
الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك • ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة
فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة • فقالوا يا رسول الله
قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال • فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضل
قوما بعد اذ هداهم • يعني وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى
يبين الناسخ **ان الله بكل شيء عليم** يعني انه تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند
ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين • ويعلم ما يبين لكم من اوامره ونواهيه **ان الله**
له ملك السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض • وما
فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم ما شاء **يحيي ويميت** يعني انه تعالى يحيي من شاء على الايمان
ويميته عليه • ويحيي من شاء على الكفر ويميته عليه • لا اعتراض لاحد عليه في حكمه
وعبيده **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم • ليس
لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم • وقال بعضهم ايضا في ذكر هذا المعنى
في هذا المقام فوايد • منها انه تعالى لما امر بالبراءة من الكفار بين ان له ملك السموات
والارض • فاذا كان هو الناصر لكم فهم لا يقدرون على اضراركم • ومنها انه تعالى لما
امر بهذه التكاليف الشاقة • كانه قال وجب عليكم ان تنقادوا لحكمي وتكليفي فاني
الهكم وانتم عبيدي • قوله عز وجل **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين**
والانصار الى اخرها اعلم ان الله تعالى لما استقصى في شرح احوال غزوة تبوك وبين
احوال المتخلفين عنها واطال القول في ذلك على الترتيب الذي مر ذكره • عاد في هذه
الآية الى شرح ما بقي من احكامها • ومن بقية تلك الاحكام انه كان قد صدر عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم زلة جارية مجرى ترك الاولى ٥ وصدر عن المومنين نوع
زلة ٥ فذكر الله تعالى انه تفضل عليهم وتاب عليهم في تلك الزلات ٥ بقوله لقد تاب
الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية ٥ وفيه بعث للمومنين على التوبة ٥ وانه ما
من مومن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار ٥ حتى النبي والمهاجرين والانصار ٥
ومعنى تاب ٥ اي تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم ٥ ومعنى توبه الله على نبيه صلى
الله عليه وسلم سببه اذنه للمنافقين بالتخلف عنه في غزوة تبوك ٥ وهو لقوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم ٥ فهو من باب ترك الافضل ٥ لا انه ذنب يوجب عقابا ٥
وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك ٥ فهو كقوله تعالى فان لله خمسه ٥ ومعنى
هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة
النبي صلى الله عليه وسلم ٥ كما ضم اسم الرسول الى اسم الله تعالى في قوله فان لله خمسه وللرسول ٥
فهو تشريف له ٥ واما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم
من الميل الى القعود عن غزوة تبوك ٥ لانها كانت في وقت شديد ٥ وربما وقع في
قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم ٥ وكيف لنا بالخلاص منهم ٥ فتاب الله عليهم ٥
وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية ٥ وقيل ان
الانسان لا يخلوا من زلات وتبعات في مدة عمره ٥ اما من باب الصغاير ٥ واما
من باب ترك الافضل ٥ ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين معه لما تحملوا شاق
هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدايد التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر
لهم ٥ وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدايد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى
الله عليه وسلم ٥ وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم
في الدين ٥ وانهم قد بلغوا الى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم
الى ذكرهم ٥ وقوله الذين اتبعوه اى في تلك الغزوه من المهاجرين والانصار ٥ وقد
ذكر بعض العلما ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين الفا ٥ ما بين راكب
وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبايل في ساعة العسره يعني

فی وقت العسرة. ولم یرد ساعة بعینها. والعسرة الشدة والضیق. وکانت غزوة
تبوک تسمی غزوة العسرة. والجیش الذی سار یسمی جیش العسرة. لانه کان علیهم عسره
فی الظهر والزاد والماء. قال الحسن کان العشرة منهم یخرجون علی بعیر واحد یعتقبونه
بینهم. یرکب الرجل ساعة ثم ینزل فیرکب صاحبه کذلک. وکان زادهم التمر
المسوس. والشعیر المتغیر. والاهالة الزنخة. وکان النفر منهم یخرجون وما معهم
الا التمرات الیسیرة بینهم. فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاکها حتی یجد
طعمها. ثم یخرجها من فیه ویعطیها صاحبه. ثم یشرب علیها جرعة من الماء کذلک
حتی تاتی علی آخرهم. ولا یبقی من التمرة الا النواة. فمضوا مع النبی صلی الله علیه وسلم
علی صدقهم ویقینهم رضی الله عنهم. وقال عمر بن الخطاب رضی الله عنه وقد سئل
عن ساعة العسرة. خرجنا مع رسول الله صلی الله علیه وسلم الی تبوک فی قیظ شدید.
فنزلنا منزلا اصابنا فیه عطش شدید. حتی ظننا ان رقابنا ستقطع. وحتی ان
الرجل لینحر بعیره فیعصر فرثه فیشربه. ویجعل ما بقی علی کبده. فقال ابو بکر
الصدیق یا رسول الله ان الله عز وجل قد عودک فی الدعا خیرا فادع الله. قال اتحب
ذلک. قال نعم. فرفع یدیه صلی الله علیه وسلم. فلم یرجعا حتی قالت السما فاظلت ثم
سکبت. فملوا ما معهم من الاوعیة. ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسکر.
وروی ابو هریره وابو سعید رضی الله عنهما. قالا کنا مع النبی صلی الله علیه وسلم فی غزوه
تبوک. فاصاب الناس مجاعة. فقالوا یا رسول الله لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا
فاکلنا وادهنا. فجا عمر رضی الله عنه فقال یا رسول الله ان فعلوا قل الظهر. ولکن
ادعهم بفضل ازوادهم. فادع الله علیها بالبرکة. لعل الله ان یجعل فی ذلک البرکة.
قال نعم. فدعا بفضل الازواد. فجعل الرجل یجی بکف ذرة. ویجی الآخر بکف تمر.
ویجی الآخر بکسرة. حتی اجتمع علی النطع من ذلک شی یسیر. قال ابو هریره فحزرته
قدر ربضة العنز. فدعی رسول الله صلی الله علیه وسلم بالبرکة. ثم قال خذوا فی اوعیتکم.
فاخذوا فی اوعیتهم حتی والله الذی لا اله الا هو ما بقی فی العسکر وعا الا ملؤوه.

واكل القوم حتى شبعوا وفضلت فضلة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا
اله الا الله. وانى رسول الله. لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة. رواه
مسلم فى صحيحه. وقوله من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم يعنى من بعد ما
قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التى نالتهم. والزيغ
فى اللغة الامالة. وقد هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك
الشدة التى نالتهم. لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر فى قلوبهم. فلاجل ذلك
قال الله تعالى ثم تاب عليهم يعنى انه تعالى علم اخلاص نيتهم. وصدق توبتهم. فرزقهم
الانابة والتوبة. فان قيل قال تعالى فى اول الاية لقد تاب الله على النبى والمهاجرين
والانصار. ثم قال فى اخرها ثم تاب عليهم. فما الفايدة فى هذا التكرار. قلنا فيه
وجوه. احدها انه تعالى ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب. تفضلا منه وتطييبا
لقلوبهم. وتعظيما لشانهم. ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة
اخرى. تعظيما لشانهم. وليعلموا انه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم. وثانيها
انه اذا قال عفى السلطان عن فلان ثم عفى عنه دل ذلك على ان ذلك العفو عفو
متاكد بلغ الغاية القصوى. وثالثها ان التوبة الاولى من الوساوس التى كانت
فى قلوبهم فى ساعة العسرة. والثانية من الزيادة عليها. كما قال تعالى من بعد ما
كاد تزيغ قلوب فريق منهم. وقال اخرون ايضا قوله ثم تاب عليهم اى قبل
توبته عليهم. بان تدارك قلوبهم حتى لم تزغ. وكذلك سنة الله مع اوليايه. اذا
اشرفوا على العطب ووطنوا انفسهم على الهلاك امطر عليهم سحايب الجود فاحيا
قلوبهم. وانشد بعضهم فى هذا المعنى

منكم ارجوا ولست اعرف ربا ۞ يرتجى منه بعض ما منكم ارجوا ۞
واذا اشتدت الشدايد فى الا ۞ رض على الخلق فاستغاثوا وعجوا ۞
وابتليت العباد بالخوف والجو ۞ ع واصروا على الذنوب ولجوا ۞
لم يكن لى سواك رب ملاذا ۞ فتيقنت انى بك انجوا ۞

وقوله تعالى انه بهم رؤف رحيم ومعنى الرؤف فى صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات ۰ وبين الرؤف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا فى المعنى ۰ قال الخطابى قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ۰ ولا تكاد الرافة تكون فى الكراهة ۰ وقال بعضهم ايضا الرؤف الرحيم صفتان لله تعالى ۰ فالرافة عبارة عن السعى فى ازالة الضرر ۰ والرحمة عبارة عن السعى فى ايصال المصلحة ۵ وقيل احداهما الرحمة السابقة ۰ والاخرى الرحمة اللاحقة ۰ قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا هذا معطوف على ما قبله ۰ تقديره لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار ۰ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ۰ وفائدة هذا العطف بيان قبول توبتهم ۰ وهم كعب بن مالك ۰ وهلال بن امية ۰ ومرارة بن الربيع ۰ وكلهم من الانصار ۵ وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله ۰ وفى معنى خلفوا قولان ۵ احدهما انهم خلفوا عن توبة ابى لبابة واصحابه ۰ وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه ۰ فتاب الله على ابى لبابة واصحابه ۰ واخر امر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك ۵ والقول الثانى انهم خلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ۵ وقال بعضهم ايضا فى هذا المعنى اختلف اهل العلم فى السبب الذى لاجله وصف هؤلاء الثلاثة بكونهم مخلفين ۰ وذكروا فيه وجوها ۰ احدها انه ليس المراد ان هؤلاء امروا بالتخلف ۰ او حصل الرضا من الرسول بذلك ۰ بل هو كقولك لصاحبك اين خلفت فلانا ۰ فيقول بموضع كذا ۰ لا يريد به انه امره بالتخلف ۵ بل لعله قد نهاه عنه ۰ وانما يريد انه تخلف عنه ۰ وثانيها لا يمتنع ان هؤلاء الثلاثة كانوا على عزيمة الذهاب الى الغزو ۰ فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رما يحصلوا الآلات والأدوات ۰ فلما بقوا مدة ظهر التوانى منهم والكسل ۰ فصح ان يقال خلفهم الرسول ۵ وبالجملة فالمراد من كون هؤلاء مخلفين كونهم مؤخرين فى قبول التوبة عن الطائفة الاولى ۰ قال كعب بن مالك وهو احد الثلاثة ۰ قوله تعالى فى حقنا وعلى الثلاثة الذين خلفوا ۰ ليس من تخلفنا ۰ انما هو تاخير رسول الله صلى الله

عليه وسلم امرنا يشير به الى قوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله ٥ وذكر هذا حديث كعب الطويل الآتي ذكره ٥ وهولاء الثلاثة هم كعب بن مالك الشاعر ٥ وهلال ابن امية الذي نزلت فيه آية اللعان ٥ ومرارة بن ربيعة ٥ وقال اخرون ايضا وللناس في هذه القصة قولان ٥ احدهما انهم ذهبوا خلف النبي صلى الله عليه وسلم ٥ قال الحسن كان لاحدهم ارض قيمتها مائة الف ٥ فقال يا ارضاه ٥ ما خلفني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا امرك ٥ اذهبي فانت في سبيل الله ٥ ولا كابدن المفاوز حتى أصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وكان للثاني اهل فقال يا اهلاه ٥ كما قال الاول ٥ واما الثالث فلم يكن له اهل ولا مال ٥ فقال لا كابدن المفاوز حتى اصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ فانزل الله عز وجل وآخرون مرجون لامر الله ٥ وثابتهما وهو قول الاكثر انهم ما ذهبوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره وانطلق يتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى سواده كن اباذر ٥ فقال الناس هو ابو ذر يا رسول الله ٥ فقال صلى الله عليه وسلم رحم الله اباذر يمشي وحده ٥ ويموت وحده ٥ ويبعث وحده ٥ وعن ابي خيثمة انه دخل بستانه وكانت له امراة حسناء فوجدها قد رشت له في الظل ٥ وبسطت له الحصير ٥ وقربت اليه الرطب ٥ والماء البارد ٥ فنظر وقال ظل ظليل ٥ ورطب يانع ٥ وماء بارد ٥ وامراة حسناء ٥ ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ٥ ما هذا والله بنصف ٥ او قال ما هذا بخير ٥ فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح ٥ فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا هو براكب يزول به السراب ٥ فقال كن اباخيثمة ٥ فقالوا هو والله ابو خيثمة يا رسول الله ٥ فجاء حتى سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ٥ واما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٥ فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمي ٥ قال وكان اعلم قومه

واوعاهم لاحادث رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه
حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك • قال كعب لم اتخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوه غزاها قط الا فى غزوة تبوك • غير انى قد تخلفت
فى غزوة بدر • ولم يعاتب احدا تخلف عنها • انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون يريدون عير قريش • حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد • ولقد
شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام • وما
احب ان لى بها مشهد بدر • وان كانت بدر اذكر فى الناس • وكان من خبرى
حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك انى لم اكن قط اقوى ولا ايسر
منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة • والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتها
فى تلك الغزوة • ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها •
حتى كانت تلك الغزوة • فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد • واستقبل
سفرا بعيدا ومفازا • واستقبل عددا كثيرا • فجلا للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة
غزوهم • واخبرهم بوجههم الذى يريد • والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثير • لا يجمعهم كتاب حافظ • يريد بذلك الديوان • قال كعب فقل رجل يريد
ان يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى • مالم ينزل فيه وحى من الله عز وجل • وغزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال • وانا اليها اصعر • فتجهز
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه • وطفقت اغدو لكى اتجهز معهم فارجع
ولم اقض شيا • واقول فى نفسى انا قادر على ذلك اذا اردت • فلم يزل ذلك يتمادى حتى اسرعوا
وتفارط الغزو • فهممت ان ارتحل فادركهم • فيا ليتنى فعلت • ثم لم يقدر لى ذلك •
وطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى انى لا
ارى لى اسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق • او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء •
ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك • فقال وهو جالس فى القوم بتبوك
ما فعل كعب بن مالك • فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه بردا • والنظر

في عياله. فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت. والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا
خيرا. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينما هو كذلك راى رجلا مبيضا يزول به
السراب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة. فاذا هو ابو خيثمة الانصاري
وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون. قال كعب فلما بلغني ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي. فطفقت اتذكر الكذب
واقول بما اذا اخرج من سخطه غدا. واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي. فلما
قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل. حتى عرفت اني
لن انجو منه بشي ابدا. فاجمعت صدقه. واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما.
وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين. ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك
جاءه المخلفون. فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له. وكانوا بضعة وثمانين رجلا.
فقبل منهم علانيتهم. وبايعهم. واستغفر لهم. ووكل سرائرهم الى الله. حتى جئت.
فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم تبسم المغضب. ثم قال تعال. فجئت
امشي حتى جلست بين يديه. فقال ما خلفك. الم تكن قد ابتعت ظهرك. قلت يا رسول
الله اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه بعذر.
لقد اعطيت جدلا. ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به
عني ليوشكن الله ان يسخطك علي. ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني
لارجو فيه عقبى الله. وفي رواية عفو الله عز وجل. والله ما كان لي من عذر.
والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك. قال فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق. فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت. وثار رجال من
بني سلمة فاتبعوني. فقالوا لي والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا. لقد عجزت
في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون.
فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فوالله ما
زالوا يوبخونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي. قال

ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من احد • قالوا نعم لقيه معك رجلان • فالا مثل ما قلت
وقل لهما مثل ما قل لك • قلت من هما • قالوا مرارة بن الربيع العامري • وهلال بن
امية الواقفي • قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة • قال ومضيت
حين ذكروهما لي • قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين
من تخلف عنه • قال فاجتنبنا الناس • او قال تغيروا لنا • حتى تنكرت في نفسي الارض فما
هي بالارض التي اعرف • فلبثنا على ذلك خمسين ليلة • فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في
بيوتهما يبكيان • واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم • فكنت اخرج فاشهد الصلاة
واطوف في الاسواق فلا يكلمني احد • واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في
مجلسه بعد الصلاة • فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام امر لا • ثم اصلي قريبا
منه واسارقه النظر • فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي • فاذا التفت نحوه اعرض عني •
حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حايط ابي قتادة •
وهو ابن عمي واحب الناس الي • فسلمت عليه • فوالله ما رد السلام • فقلت يا ابا قتادة
انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله • قال فسكت • فعدت فناشدته فسكت •
فعدت فناشدته • فقال الله ورسوله اعلم • ففاضت عيناي • وتوليت حتى تسورت
الجدار • فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام
يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك • قال فطفق الناس يشيرون له
الي • حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان • وكنت كاتبا • فقرأته • فاذا فيه اما
بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك • ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة •
فالحق بنا نواسك • قال فقلت حين قرأتها وهذه ايضا من البلاء • فتيممت بها التنور
فسجرتها • حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث الوحي واذا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأتيني • فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تعتزل امرأتك •
قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل • قال لا • بل اعتزلها فلا تقربها • قال وارسل الى
صاحبي مثل ذلك • قال فقلت لامرأتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا

الامس قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ان هلال بن امية شيخ ضايع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن
لا يقربنك فقالت انه والله ما به من حركة الى شي والله ما زال يبكي منذ كان من
امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امراتك فقد اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت لا
استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا
خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة
على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت
علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلا
صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا وعلمت ان قد جاء فرج قال
واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس
يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من
اسلم قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت
صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ
واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتامم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني
الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حاشية
حتى صافحني وهنأني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا
ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو
يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت
امن عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال بل من عند الله وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف

ذلك منه • قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي
صدقة الى الله والى رسوله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك
فهو خير لك • قال فقلت فاني ممسك سهمي الذي بخيبر • قال وقلت يا رسول الله ان
الله انما انجاني بالصدق • وان من توبتي ان لا أحدث الا صدقا ما بقيت • قال فوالله
ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله • والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا • واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي • قال فانزل
الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة
حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم • وعلى الثلاثة الذين خلفوا • حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين • قال كعب والله ما انعم
الله على من نعمة قط بعد اذ هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا • ان الله عز وجل قال
للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد • فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء
بما كانوا يكسبون • يحلفون لكم لترضوا عنهم • فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين • قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم • وارجأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك • قال الله عز وجل وعلى الثلاثة
الذين خلفوا • وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو • وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه
امرنا عمن حلف له واعتذر اليه • وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي
وكلام صاحبيّ • ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا • فاجتنب الناس
كلامنا • فلبثت كذلك حتى طال علي الامر • ما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي
علي النبي صلى الله عليه وسلم • او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم • واكون من الناس

بتذكر المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يسلم علي ولا يصلي علي • قال وانزل الله عز وجل
توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الآخر من الليل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ام سلمه • وكانت ام سلمة محسنة في شاني • معتنية بامري • فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب • قالت افلا ارسل اليه فابشره
قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم ساير الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا • اخرجه البخاري
ومسلم • شرح غريب هذا الحديث قوله حين توانقنا على الاسلام •
التوسو بفاعل من الميثاق وهو العهد • والراحلة الجمل او الناقه القوية نازعلى الحمل
والسفر • وقوله وَرّى بغيرها • يقال وَرّى عن الشي اذا اخفاه واظهر غيره • والمفازة
البرية القفر سميت بذلك تفوّلا بالفوز والنجاة منها • قوله فجلا للمسلمين هو بتخفيف
الجيم • يعني كشف لهم مقصدهم واظهره لهم • والاهبة الجهاز • وما تحتاج اليه المسافر •
قوله وانا الها اصعر • هو بالعين المهملة • اي اميل • والصعر الميل • قوله حتى تفارط
الغزو • اي تباعد ما بيني وبين الجيش من المسافة • وطفق مثل جعل • والمخصوص بالعيب
المشار اليه بالعيب • تقال فلان ينظر في عطفيه • اذا كان معجبا بنفسه • تقال زال
عنه السراب يزول • اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد • والسراب هو ما يظهر
للانسان في البرية في وقت الهاجره كانه ماء • والمُبَيَّض بكسر الباء لابس البياض •
وقوله كن اباخيثمة • معناه انت ابو خيثمة • وقيل معناه اللهم اجعله اباخيثمة •
اي ليوجد هذا الشخص اباخيثمة حقيقه • وقوله وهو الذي لمزه المنافقون •
يعني عابوه واحتقروه • والقافل الراجع من سفره الى وطنه • قوله حصرني شي •
البتا شد الحزن • كانه لشدته يظهره يبتّه صاحبه • اي يظهره • قوله زاح
عني الباطل • اي زال وذهب عني • واجمعت صدقه • اي عزمت عليه • لقد اعطيت
جدلا • اي فصاحة وقوه في الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما اردت بما اشاء من الكلام •
والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان • قوله فما زالوا يوبخونني • اي يلومونني اشد

اللوم ٠ قوله حتى نكرت في نفسي الارض فما هي الارض التي اعرفه ٠ معناه تغيّر على كل
شيء من الارض ٠ وتوحشت عليّ ٠ وصارت كانها ارض لا اعرفها ٠ وقوله فاما صاحباي
فاستكانا ٠ يعني خضعا وسكنا ٠ قوله تسوّرت حايط ابي قتادة ٠ اي علوته وصعدت
سوره وهو اعلاه ٠ والانباط الفلاحون والزراعون ٠ وهم من العجم او الروم ٥
والمضيعة مفعلة ٠ من الضياع والاطراح ٠ قوله فتيممت بها التنور فسجرتها ٠
اي فقصدت بالصحيفة التي ارسل بها ملك غسان فاحرقتها في التنور ٠ وقوله اوفى
على سلع ٠ هو جبل بالمدينة معروف ٠ وقوله فانطلقت اتامم ٠ يعني اقصد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ٠ والفوج الجماعة من الناس ٠ تقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه
امارات الفرح والسرور ٠ قوله انخلع من مالي ٠ اي اخرج منه جميعه وانصدق
به ٠ كما يخلع الانسان قميصه ٠ قوله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق
الحديث احسن مما ابلاني ٠ البلا والابتلا يكون في الخير وفي الشر ٠ واذا اطلق كان
في الشر غالبا ٠ فاذا اريد به الخير قيّد ٠ كما قيد هنا بقوله احسن مما ابلاني ٠ اي
انعم عليّ ٠ قوله ان لا اكون كذبته ٠ هكذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا ٠
قال العلما لفظة لا زايدة ٠ ومعناه ان اكون كذبته ٠ وقوله فاهلك ٠ هو بكسر
اللام ٠ وارجاوه امرنا تاخيره ٠ وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس ٠ اي
يطاوكم ويزدحمون عليكم ٠ واصل الوطئ الكسر ٠ وقوله ساير الليل ٠ اي باقي
الليل ٠ وقوله وآذن بتوبة الله علينا ٠ اي اعلم ٠ والاذان الاعلام ٠ والله اعلم ٠
وقوله عز وجل حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ٠ يعني بما اتسعت ٠ والرحب
سعة المكان ٠ والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا ٠ وهذا مثل
للحيرة في امرهم ٠ كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرّون فيه قلقا وجزعا ٠ وفي
هذا دليل على هجران اهل المعاصي حتى يتوبوا وضاقت عليهم انفسهم ٠ يعني من شدة
الغم والحزن ٠ ومجانبة الناس اياهم ٠ وترك كلامهم ٠ حتى صارت قلوبهم لا يسعها انس
ولا سرور ٠ لانها خرجت من فرط الوحشة والغمّ وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه

يعني انهم ايقنوا وعلموا ان لا مفزع ولا مفر من الله الا اليه • ولا عاصم من عذابه الا
هو • وقيل علموا ان لا ملجا من سخط الله الا الى استغفاره • قال ابو بكر الوراق
التوبة النصوح ان تضيق على التايب الارض بما رحبت • وتضيق عليه نفسه • كتوبة كعب
ابن مالك واصحابه ثم تاب عليهم في الكلام اضمار وحذف • تقديره وظنوا ان لا ملجا
من الله الا اليه فرجعهم • ثم تاب عليهم • وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه •
وقوله ثم تاب عليهم تاكيد لقبول توبتهم • لانه قد تقدم ذكر توبتهم في قوله وعلى
الثلاثة الذين خلفوا • كما تقدم بيانه • وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار • وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا • وقوله ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم
الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل ويدوموا عليها • وقال ان
اصل التوبة الرجوع • ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم الاول وعادتهم في
الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك • وقال بعضهم معنى ليتوبوا اي
ليدخلوا في جملة التوابين • وقال بعضهم بدا الله تعالى بالتوبة منه • وقال ابو
يزيد غلطت في اربعة اشياء في الابتدا مع الله تعالى ظننت اني احبه • فاذا هو احبني البسطامي صح
قال تعالى يحبهم ويحبونه • وظننت اني ارضى عنه • فاذا هو قد رضي عني • قال تعالى رضي
الله عنهم ورضوا عنه • وظننت اني اذكره • فاذا هو يذكرني • قال تعالى واذكروا الله اكبر •
وظننت اني اتوب • فاذا هو قد تاب علي • قال الله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا • فان
قيل ما معنى قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا • قلنا فيه وجوه • احدها قال اهل
السنة المقصود منه بيان ان فعل العباد مخلوق لله تعالى • فقوله ثم تاب عليهم
يدل على ان التوبة فعل الله تعالى • وقوله ليتوبوا • يدل على انه فعل العبد • فهذا
صريح قولنا • ونظيره قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا • وقوله وانه هو
اضحك وابكى • وقوله هو الذي يسيركم • مع قوله قل سيروا • الوجه الثاني ان
المراد تاب عليهم في الماضي ليكون داعيا لهم الى التوبة في المستقبل • الوجه الثالث
اصل التوبة الرجوع • فالمراد ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم • الوجه الثالث ثم تاب

عليهم لتوبوا اى ليدوموا على التوبة · وتقدمت هذه الاوجه الوجه الرابع ثم تاب
عليهم اى لينتفعوا بالتوبه ويتوفر عليهم ثوابها · واحتج اهل السنة بهذه الآية على
ان قبول التوبة غير واجب على الله تعالى عقلا · فانه لو كان واجبا عليه كان من
اللوازم ان يقبل النبى صلى الله عليه وسلم توبتهم فى الحال · ولم يقبل فى الحال · بل
تركهم مدة خمسين يوما واكثر ان الله هو التواب يعنى على عباده الرحيم اى بهم ·
وفيه دليل على ان قبول التوبة انما هو محض الرحمة والكرم والفضل والاحسان ·
وانه لا يجب على الله شى · قال بعضهم ختم الله الآية بقوله ان الله هو التواب الرحيم ·
فذكر الرحيم عقب ذكر التواب يدل على ان قبول التوبة انما هو لاجل الرحمة لا
لاجل الثواب · وكانت واقعة كعب بن مالك وصاحبيه بعلة غزوة تبوك · وكانت
فى السنة التاسعة من الهجرة · قال كعب رضى الله عنه ونزل فى غزوة تبوك جملة من
سورة برآءة · وقال ايضا لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قال له العباس
ابن عبد المطلب رضى الله عنه يا رسول الله انى اريد ان امدحك · فقال له قل لا يفضض
الله فاك · فانشد يقول ·

من قبلها طبت فى الظلال وفى ؞ مستودع حيث يخصف الورق ؞
ثم هبطت البلاد لا بشر ؞ انت ولا مضغة ولا علق ؞
بل نطفة تركب السفين وقد ؞ الجم نسرا واهله الغرق ؞
ورددت نار الخليل مكتتما ؞ فى صلبها لم يرم بها احترق ؞
تنقل من صالب الى رحم ؞ اذا مضى عالم بدا طبق ؞
حتى انتهى بيتك المهيمن من ؞ خندف علیا تحتها النطق ؞ احتوى
وانت لما ولدت اشرقت الا ؞ رض وضاءت بنورك الافق ؞
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور ؞ وسبل الرشاد نخترق ؞

وفى اول هذه السنة ايضا قدم وفد بنى اسد الى المدينة · وفيهم طليحة بن خويلد بن نوفل
الاسدى · وكان يعد بالف فارس · فاسلم هو واخوه سلمة والقوم · ثم ارتد طليحة

واخوه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وادعى النبوه • ثم راجع بعد ذلك الاسلام
وقصته مشهوره **وفيها** بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى هلال المحرم
المصدقين الى العرب **وفيها** قدم وفد بني تميم وقصتهم مشهوره **وفيها** كانت سريه
الضحاك بن سفيان الكلابي الى القرطا آل بني كلاب • في ربع الاول **وفيها** قدم وفد
بكر بن وايل في الشهر المذكور • وكان فيهم بشير بن معبد السدوسي • وامه الخصاصيه
من الازد • واسلم وحسن اسلامه • وصار من اهل الصفة • ومشى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فاخذ بيده • وقال له يا ابن الخصاصية ما اصبحت تنقم على الله حيث
اصبحت تماشي رسوله • فقال ما اصبحت انقم شيا • قد اعطاني ربي عز وجل كل خير •
وفيها كانت سريه علقمة بن مجزز المدلجي الى جده في ربع الاخر • وكان قد
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اناسا من الحبشة ترايا هم اهل الشعيبه في مراكب •
فبعث صلى الله عليه وسلم علقمة في ثلثمائة رجل • فانتهى الى جزيرة في البحر • فخاض
الماء اليهم • فهربوا منه • فانصرف راجعا **وفيها** كانت سرية علي بن ابي طالب رضي الله عنه
في ربع الاخر الى الفلس صنم طي • بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسين ومائة
رجل من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا • فاجنبوا الخيل • واعتقبوا الابل •
حتى اغاروا على حي من احيا العرب • وسالوا عن حلة آل حاتم • فدلوا عليها • فشنوا
الغارة مع الفجر • فسبوا حتى ملاوا ايديهم من السبي والنعم والشا • وهدموا الفلس •
وكان صنما لطي • وفي رواية خرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومعه راية سوداء مع
سهل • ولوا ابيض مع جبار بن صخر • وبين يديه دليل خريت • فسلك بهم طريقا وعيد •
فلما انتهى بهم الى موضع • قال لهم بقي سنكم وبين الذي تريدون يوم • فان سرتم
نهارا راوكم رعاؤهم فيبندروا بكم • ولكن اقيموا بوميكم هاهنا • ونمشي ليلتنا فنصبحهم
في عماية الصبح • فنزلوا وسرحوا ابلهم • فبعث على رضوان الله عليه ابا قتادة
والحباب بن المنذر وابا ناييله على خيولهم يطوفون حول العسكر • فوجدوا غلاما
اسود • فقالوا من انت • فقال اطلب بعيري • فاتوا به عليا • فشدد عليه • فقال انا

غلام من طي يعثون الى هذا المكان • وقالوا ان رايت خيل محمد فطر الينا • فقال علي
رضوان الله عليه لاصحابه ما ترون • فقال حباب بن صخر اري ان نسري ليلا على خيلنا
والعبد معنا حتى نصبحهم • فقال سيروا • وجعلوا العبد دليلا • وهو مكتوف يردفه
بعضهم عقبة • فلما ابهار الليل وقف العبد • وقال اخطات الطريق • وتركتها وراي
فرجع بهم مقدار ميل • ثم قال انا على خطا • فقال علي رضي الله عنه انا منكر على خدعة
قدموه فاضربوا عنقه • فلما راى السيف قال ارايتم ان صدقتكم اينفعني • قالوا
نعم • قال فاني صنعت ما رايتم لانه ادركني ما يدرك الناس من الحيا • فقلت اقبلت
بالقوم ادلهم على الحي من غير محنة • فلما عاينت القتل كان لي عذرا الحي منكم
قربت • فتسمعوا نباح الكلاب • فصبحوهم وقت السحر • فقتلوا وسبوا • واخذوا
النساء والاموال • فنظرت جارية الى العبد وهو موثوق • فقالت هذا عمل رسولكم •
فقال يا ابنة الاكارم والله ما فعلت حتى قدمت لتضرب عنقي • واصابوا اخت
عدي بن حاتم • فعزلوها ناحية • ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال
هشام فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخت عدي بن حاتم في حظيره • فمر بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادته يا محمد • انا ابنة سيد قومي • كان ابي يحمي الذمار •
ويفك العاني • ويقري الضيف • ويشبع الجايع • ويطعم الطعام • ولم ترد طالب
حاجة قط • فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه صفة المومنين • لو كان ابوك
مومنا ترحمنا عليه • اطلقوا عنها فان ابوها كان يحب مكارم الاخلاق وفيها قدم
وفد تجيب في شهر ربيع الاخر • وقصتهم مشهورة وفيها قدم عدي بن حاتم الى المدينة
في جمادى الاولى • وقصته مشهورة وفيها كانت غزوة تبوك كما تقدم اولا • وكانت
الانباط تقدمون المدينة من الشام بالزيت ودقيق الحوارى • فكانت اخبار الشام
عند المسلمين بهذا السبب • فقدمت قادمة منهم • فاخبروا ان الروم جمعت جموعا
كثيره بالشام • وان هرقل يريد السير بهم الى المدينة • وقد اجلب معه لخم وجذام
وعاملة وغسان وغيرهم • وانهم نزلوا البلقا وعسكروا بها • وتخلف هرقل بحمص

وانه ياتى اليهم . قال الواقدي ولم يكن الذي من ذلك ؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغزو اغزاة الا ورى بغيرها ليلا تذهب الاخبار حتى كانت غزوه تبوك . وكان الحر شديدا . واستقبل سفرا بعيدا وعدوا كثيرا . فجلى للناس امرهم ليتاهبوا واخبرهم انه يريد الروم . واستقبل القتايل واهل مكه . ورغبهم فى الجهاد . وذلك فى زمن عسرة من الناس . وجدب من البلاد . وحين طابت الثمار . فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم . ويكره هون الشخوص عنها . وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمل النفقه فى سبيل الله . فاول من جا ابو بكر رضى الله عنه بماله كله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ابقيت شيا . قال الله ورسوله . ثم جا عمر رضى الله عنه بنصف ماله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ابقيت شيا قال نعم نصف مالي . وبلغه ما جا به ابو بكر . فقال ما استبقنا الى خير قط الا سبقنا اليه ابو بكر . وجهز عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلث الجيش . وقد جا بالف بعير والف دينار . فصبها فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا . وحمل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ما ينى اوقيه . وحمل معظم الصحابة رضى الله عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحمل العباس وطلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة مالا . وحمل عاصم بن عدى تسعين وسقا من تمر . وقال هشام جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وحض على النفقه فى سبيل الله . فجاه العباس عمه بسبعين الفا . وجاه عثمان بالف دينار ومايى بعير . وقال ابن اسحق انفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك الوجه نفقه عظيمه . لم ينفق احد اعظم منها . وحمل كل احد حتى النساء بن سعتن بمعاضدهن وخلاخلهن وخواتيمهن وغير ذلك . وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على ثنية الوداع . واستخلف على المدينة سباع الغفارى . وقيل محمد بن مسلمة . وعلى الصلاه ابن ام مكتوم . وخلف عليا رضوان الله عليه فى اهله . وعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات على ثنيه الوداع . فدفع لواه الاعظم الى ابى بكر .

رضي الله عنه • ودفع رايته العظمى الى الزبير رضي الله عنه • ودفع راية الاوس الى اسيد
ابن حضير • ودفع لوآء الخزرج الى ابي دجانة • وقيل الى الحباب بن المنذر • وكانوا
يرحلون عند ميل الشمس • فما يزالون الى الليل • وكان سيرهم في رجب في خامسه
وقيل في عاشره • وفي هذه السنة المذكوره قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتاب ملوك حمير • وهمدان باليمن باسلامهما وفيها قدم وفد فزارة • ووفد همدان
وفيهم ذو المشعار مالك بن نمط وقصتهم مشهوره وفيها وفد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفد الداريين • قال زياد بن هند الداري قدمنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكه ونحن ستة انفس • تميم الداري • واخوه نعيم بن اوس • والفاكه بن
النعمان • وبزيد بن قيس • وابو هند بن عبد الله • واخوه الطيب بن عبد الله •
فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن • فاسلمنا وسالناه ان يعطينا
ارضا من ارض الشام • فاعطانا • وكتب لنا في جلد اديم كتابا فيه شهاده العباس
وخرم بن قبيس • وشرحبيل بن حسنة • قال ابو هند وهو صاحب الحدث فلما
هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينه هاجرنا اليه • وسالناه ان يجدد لنا
كتابا • وفي رواية فقالوا سلوا ما شيتم • فقال تميم اركان اساله بيت المقدس
وكورها • فقال ابو هند اخاف ان لا يتم لنا ذلك • لانه يكون بها ملك العرب • فقال
تميم فنساله بيت جبرين • فقال ابو هند فهذا اكبر • اطلبوا منه عينون وحبرون •
وبيت ابرهيم • فطلبناه فكتب لنا • ثم قال اذا سمعتم اني قد هاجرت فاقدموا
علي • فلما هاجر قدموا عليه فجدد لهم الكتاب • وقال الكلبي قدم وفد
الداريين على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من تبوك • وكانوا عشره •
تميم • ونعيم ابنا اوس بن خارجة اللخمي • وبزيد بن قيس بن خارجة • والفاكه بن النعمان
ابن جبلة • وهانئ بن حبيب بن هانئ • وخارجة بن اسود • وقيل واسود بن جبير اللخمي •
فاهدى حبيب بن هانئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم رواية خمر وافراسا • وقبآ
مخوصا بالذهب • اي منسوجا • فقبل القبآ والافراس • ورد الخمر • وقال ان الله حرم

بشربها وبيعها • فانطلق بها فجزأها في بقيع الخبيه • واعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم العباس رضى الله عنه فباعه العباس من يهودى بثمانيه الاف درهم • فقال
له تميم يا رسول الله ان لنا جيرة من الروم ولهم قريتان فقال لاحدهما جبرى والاخرى
بيت عينون • فان فتح الله عليك الشام فهبهما لي • فقال صلى الله عليه وسلم هما لك •
قال الواقدى وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنعيم بن اوس واخيه تميم بن اوس
بسم الله الرحمن الرحيم • هذا ما اقطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيم
ابن اوس واخاه تميما الداريين جبرى وبيت عينون بالشام • سهلها وجبلها • وماءها
وانباطها وبقرها ولعقبه من بعده • لا يحافهما فيهما احد • ولا يبلج عليهم فيها
بظلم • فمن ظلمهم واخذ منهم شيا فعليه لعنة الله والملائكه والناس اجمعين •
وكتب على بن ابى طالب • وقال الهيثم بن عدى نسخة الكتاب هذا ما اقطى محمد رسول الله
لتميم الدارى واصحابه • انطاهم عينونا وحبرون • والمرطوم بيت ابرهيم • بدين منهن •
وجميع ما فيها • قطيعة بتة • وهى لاعقابهم من بعدهم ابدا لا بدين • فمن اذاهم
فيها اذاه الله • وشهد ابو بكر بن ابى قحافة • وعمر بن الخطاب • وعثمان بن عفان •
وعلى بن ابى طالب • ومعوية بن ابى سفين • وكتب واقاموا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينه حتى توفى • وقام ابو بكر رضوان الله عليه فاعطاهم ذلك • واوصى لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمائة وسق من تمر خيبر • وكتب ابو بكر الصديق وهو خليفه
الى ابى عبيده بن الجراح بعد فتح الشام اما بعد فامنع من كان يومن بالله واليوم
الاخر من الفساد فى قرى الداريين • وان كان اهلها قد اجلوا عنها واراد الداريون
ان يزرعوها فلهم ذلك • وان اراد اهلها الرجوع اليها فهى لهم • وهم بها احق •
والمرطوم هو بيت ابرهيم عليه السلام • وهو موضع قبره • وجبرى قرية الى جانب
المرطوم • واما ترجمة تميم الدارى • فكنيته ابو رقية • ولم يكن له ولد ذكر •
انما كانت له هذه البنت فكنى بها • وقال ابن عبد البر لم يولد لتميم غير رقيه • وكان
نصرانيا فاسلم سنة تسع من الهجره • وتميم من الطبقه الرابعة من الصحابه • نزل

المدينة • وتحول الى الشام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه • وكان يختم القرآن في ركعة •
وربما ردّد الاية الواحدة الى الصباح • وكان يشتري الرداء بالفي درهم فيصلي فيه
ما الليل • وفي تميم انزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم الى آخرها • وقصته
مشهورة قد تقدمت في سورة المايدة • وقال تميم رضي الله عنه خرجت من الشام
الى الحجاز حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم • فادركني الليل في واد • فقلت انا
في جوار عظيم هذا الوادي الليلة • فنادى مناد عُذ بالله • فان الجن لا تجير على الله •
قد خرج رسولا لامبيين • وصلينا خلفه بالحجون • واسلمنا واتبعناه • وذهب كيد
الجن • ورُميت الشياطين بالشهب • فانطلق الى محمد صلى الله عليه وسلم • قال فلما اصبحت
اتيت دير ايوب • وفيه راهب • فاخبرته • فقال صدق نجدة • يخرج من الحرم • وهو
خير الانبيا • فلا تسبقن اليه • فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلمت •
وكان تميم اول من قصّ في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه • فقال له عمر ما تقول •
قال اقرا عليهم القران • وآمرهم بالخير • وانهاهم عن الشر • فقال افعل • فكان يقصّ
على الناس يوما واحدا في الجمعة • فلما استخلف عثمان رضي الله عنه استزاد يوما
آخر • ومرّ به عمر رضي الله عنه يوما وهو يقصّ • ومعه ابن عباس • فقال له
سله عن زلة العالم • فقال تميم ليس زلة العالم اذا زل زل الناس فيؤاخذ بهم •
فقال له عمر احسنت • وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه اول من اسرج
المساجد تميم الداري • وسكن تميم دمشق • ثم انتقل الى فلسطين • فتوفي بها سنة
اربعين • وقبره ببيت جبرون • وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم • وروى
عنه من الصحابة ابن عباس • وانس بن مالك • وابو هريرة • وغيرهم • وقدم مصر لغزو
البحر • فروى عنه جماعة من المصريين • واخرج له الامام احمد بن حنبل في المسند
ثمانية احاديث • وقد روى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث الجساسة
عن تميم الداري • وسياتي ذكره في موضعه ان شا الله • وفي سنة تسع من الهجرة ايضا
كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سمعان بن عمرو الكلابي كتابا يدعوه الى الاسلام •

فاخذ الكتاب ورفع به دلاه فقال له ابنه عمدت الى كتاب سيد العرب فرقعت
به دلوك ستصيبك قارعة فرت به سريعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستباحوا
كل شى كان له فهرب ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما فرد عليه من
ماله ما لم يقسم وفيها قدم وفد بنى البكاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
معاوية بن ثوار بن عبادة وهو يومئذ ابن مائة سنة ومعه ابنه بشير والفجيع
ابن جذع وعبد عمرو فاكرمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجازهم فقال له
معاوية بن ثور يا رسول الله انى قد كبرت فامسح على وجه ابنى بشير فمسح عليه ووهبه
اعنزا عفرا اى بيضاء فكانت السنة تسمى بنى البكاء ولا تسميهم وفى ذلك يقول
محمد بن بشير بن معاوية ○

وانا الذى مسح الرسول بوجهه ودعا له بالخير والبركات
اعطاه احمد اذ اتاه اعنزا عفرا نواحل لسن بالحلبات
يملأن وفد الحى كل عشية ويعود ذاك الملؤ بالغدوات
بورك من مسح منيح وبورك مانحا وعليه منى ما حييت صلاتى

وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فهو عند الفجيع وقومه وفيها قدم
وفد بنى عقيل بن كعب وفيهم ربيع بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل وعقال
ابن خويلد وغيرهما واخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وقال صلى
الله عليه وسلم لعقال بن خويلد قل اشهد ان لا اله الا الله فقال اشهد ان هبيرة بن
المفاضة نعم الفارس يوم مولبان وهو اسم موضع فقال له صلى الله عليه وسلم قل
اشهد ان لا اله الا الله فقال اشهد ان الصريح تحت الرغوة فقال له صلى الله
عليه وسلم الثالثة قل اشهد ان لا اله الا الله فقالها واسلم وكتب لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم العقيق وبه سمى عقيق بنى عقيل وفيه عيون ونخل وكتب لهم
فى اديم احمر وفى هذه السنة جرت قصة تغلبه بن حاطب احد المنافقين وقد مضت
قصته عند قوله تعالى ومنهم من عاهد الله وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحباب

ابان بن سعد بن العاص برامیه علی الصدقات الی البحرین فیها رجع رسول الله صلی
الله علیه وسلم ما عزا والغامدیة وفیها لا عن رسول الله صلی الله علیه وسلم بین
رجل وامراته وفیها اسلم کعب بن زهیر الشاعر وزهیر هو ابن ابی سلمی ٥ وکان کعب
قد خرج هو واخوه بجیر بن زهیر الی ابرق العراق ٥ وکان قریبا من زرود ٥ فقال
بجیر لاخیه اقم انت فی النعم حتی آتی هذا الرجل فاسمع کلامه واعرف ما عنده ٥
فاقام کعب ودخل بجیر علی رسول الله صلی الله علیه وسلم المدینة ٥ فدعاه الی الاسلام
فاسلم ٥ وبلغ ذلک اخاه کعبا ٥ فانشد یقول

الا ابلغا عنی بجیرا رسالةً ٥ علی ای امرٍ دِنْتَ غیرک دَلّکا ٥
علی خُلُقٍ لم تُلفِ اُمّا ولا ابا ٥ علیه ولم تدرک علیه اخالکا ٥
سقاک ابو بکر بکاس رَویة ٥ وانهلک المامور منها وعلکا ٥

فانصل ذلک برسول الله صلی الله علیه وسلم ٥ فاهدر دمه ٥ وقال من لقی کعبا فلیقتله ٥
فلقیه بجیر فخبره بذلک ٥ ویقول النجا ٥ ما اظنک ناجیا ٥ وان رسول الله صلی الله
علیه وسلم ما جاءه احد قط یَفُوهُ بالشهادتین الا قبِله ٥ ولم یواخذه بما تقدم قبل
الاسلام ٥ قال کعب فقدمت المدینة فانخت راحلتی علی باب المسجد ودخلته ٥
ورسول الله صلی الله علیه وسلم جالس بین اصحابه مثل موضع المائده من القوم وهم
متحلقون حوله حلقة ثم حلقه ٥ فیقبل علی هولا مرة ثم علی هولا مرة ٥
فدنوت منه وقلت اشهد ان لا اله الا الله ٥ وان محمدا رسول الله ٥ فقال من انت ٥ قلت
انا کعب بن زهیر ٥ فقال الذی یقول ما یقول ٥ ثم اقبل علی ابی بکر رضی الله عنه فاستنشده
لبعید زهیر
الشعر ٥ الی ان قال ستقاک ابو بکر بکاس رویة ٥ وانهلک المامور ٥ فقال یا رسول الله
ما قلت هکذا ٥ قال فکیف قلت ٥ قال قلت وانهلک المامون بالثون ٥ فقال رسول الله
صلی الله علیه وسلم مامون والله ٥ ثم استنشدنی فانشدته ٥
بانت سعادُ فقلبی الیومَ متبولُ ٥ فلما بلغت الی قوله
اُنبِّئتُ ان رسولَ اللهِ اَوعدنی ٥ والعَفوُ عندَ رسولِ الله مامُول ٥
فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم والعفو عند رسول الله مامول ٥

فلما قلت
لا تاخذنى باقوال الوشاة ولم ۞ اذنب ولو كثرت فى الاقاويل ۞
قال لا ۞ ثم اعطانى بردته ومشى على كتفيه ۞ فبعتها بعد بعشرين الفا ۞ وهى التى
اشتراها معويه ۞ فكانت عند بنى امية ۞ ثم انتقلت الى بنى العباس وفى السنه المذكوره
الا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسايه شهرا ۞ وسياتى قصته فى سوره التحريم ان شا
الله وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق فحج بالناس وفيها
توفى النجاشى ملك الحبشة ۞ واسمه اصحمة ۞ قال الامام احمد حدثنا يحيى بن
سعيد ۞ قال حدثنا مالك عن الزهرى عن ابن المسيب عن ابى هريره رضى الله عنه ۞ قال نعا
لنا النبى صلى الله عليه وسلم النجاشى فى اليوم الذى مات فيه ۞ فخرج الى المصلى وصف اصحابه
خلفه وكبر عليه اربعا ۞ وقالت عائشة رضى الله عنها لما مات النجاشى كانوا يتحدثون
انهم لا يزالون يرون النور على قبره ۞ قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
يعنى فى مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين يعنى مع النبى
صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الغزوات ۞ ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين
قعدوا فى البيوت وتركوا الغزو ۞ وقال سعيد بن جبير مع الصادقين يعنى ابى
بكر وعمر رضى الله عنهما ۞ وقال ابن جريج مع المهاجرين ۞ وقال ابن عباس مع الذين
صدقت نياتهم ۞ واستقامت قلوبهم واعمالهم ۞ وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى تبوك باخلاص نيه ۞ وقيل كونوا مع الذين صدقوا فى الاعتراف بالذنب ۞
ولم يعتذروا بالاعذار الباطله الكاذبه ۞ وهذه الايه تدل على فضيله الصدق ۞
لان الصدق يهدى الى الجنة ۞ والكذب يهدى الى الفجور ۞ كما ورد فى الحديث ۞ وقال
ابن مسعود رضى الله عنه الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ۞ ولا ان يعد احدكم صاحبه شا
ثم لا ينجز له ۞ اقروا ان شيتم اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ۞ وروى ان ابا بكر الصديق
احتج بهذه الايه على الانصار فى يوم السقيفة ۞ وذلك ان الانصار قالوا منا امير ومنكم
امير ۞ فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله تعالى يقول فى كتابه للفقرا المهاجرين ۞ الى

قوله اولئكهم الصادقون من هم • قالت الانصار انتم هم • فقال ابو بكر ان الله تعالى يقول
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين • فامركم ان تكونوا معنا • ولم ينهنا
ان نكون معكم • نحن الامراء • وانتم الوزراء • وقيل ان لفظة مع بمعنى من • والمعنى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين • وحق على من فهم عن الله وعقل
عنه ان يلازم الصدق في الاقوال • والاخلاص في الاعمال • والصفات في الاحوال •
فمن كان كذلك لحق بالابرار • ووصل الى رضى الغفار • قال النبي صلى الله عليه وسلم
عليكم بالصدق • فان الصدق يهدي الى البر • وان البر يهدي الى الجنة • وما يزال
الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا • وان الكذب يهدي الى
الفجور • وان الفجور يهدي الى النار • وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب
عند الله كذابا • وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق اذا مات في سفره مات
شهيدا • وان مات على فراشه مات صديقا • وروى ابو امامة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا زعيم ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان
كان مازحا • رواه البيهقي وغيره • وعن عبد الرحمن بن الحارث بن ابي فروة السلمي
رضي الله عنه • قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بطهور فغمس يده فتوضأ •
فتنحنحنا • فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حملكم على ما فعلتم • قالوا الله
الله ورسوله • قال فاذا جبيتم ان يحبكم الله ورسوله فادوا اذا ائتمنتم • واصدقوا
اذا حدثتم • واحسنوا جوار من جاوركم • رواه الطبراني • وعن الحسن بن علي رضي الله
عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك •
فان الصدق طمانينة • والكذب ريبة • رواه الترمذي • وقال حديث حسن صحيح •
وعن منصور بن المعتمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحروا الصدق وان
رايتم ان الهلكة فيه • فان فيه النجاة • رواه ابن ابي الدنيا هكذا معضلا • ورواته
ثقات • وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم
بالصدق فانه مع البر • وهما في الجنة • واياكم والكذب فانه مع الفجور • وهما في النار •

رواه الطبرانى ٥ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رجلا جا الى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ما عمل الجنة ٥ قال الصدق ٥ اذا صدق العبد بر ٥ واذا
بر آمن ٥ واذا امن دخل الجنة ٥ قال يا رسول الله ما عمل النار ٥ قال الكذب ٥
اذا كذب العبد فجر ٥ واذا فجر كفر ٥ واذا كفر دخل النار ٥ رواه الطبرانى ٥ وعن مالك
بلغه ان ابن مسعود رضى الله عنه قال لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب فينكت
فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكذابين ٥ ذكره مالك فى
الموطا هكذا ٥ وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه ٥ قال النبى صلى الله عليه وسلم رايت
الليلة رجلين اتانى ٥ قال الذى رايته يشق شدقه فكذاب ٥ يكذب الكذبة فتحمل
عنه حتى تبلغ الآفاق ٥ فيصنع به الى يوم القيامة ٥ رواه البخارى ٥ وعن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اية المنافق ثلاث ٥ اذا حدث كذب ٥
واذا وعد اخلف ٥ واذا عاهد غدر ٥ وزاد مسلم فى رواية له وان صام وصلى وزعم انه
مسلم ٥ وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر ٥ وقال انى مسلم ٥ اذا حدث
كذب ٥ واذا وعد اخلف ٥ واذا ايتمن خان ٥ رواه ابو يعلى ٥ وعن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن العبد الايمان كله حتى يترك الكذب فى
المزاح والمرا وان كان صادقا ٥ رواه الامام احمد وغيره ٥ ورواه ابو يعلى من حديث
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٥ ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد
صريح الايمان حتى يدع المزاح والكذب ٥ ويدع المرا وان كان محقا ٥ وعن ابى امامة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المومن على الخلال كلها ٥ الا
الخيانة والكذب ٥ رواه الامام احمد ٥ وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال يطبع العبد المومن على كل خلة غير الخيانة والكذب ٥ رواه البزار
وغيره ٥ وعن ابى بكر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكذب مجانب
الايمان ٥ رواه البيهقى ٥ وعن صفوان بن سليم رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله ايكون

المومن جبانًا قال نعم • قيل له ايكون المومن بخيلا قال نعم • قيل له ايكون المومن كذابا •
قال لا • رواه الامام مالك هكذا مرسلا • وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق
وانت له كاذب • رواه الامام احمد • وعن ابي سرة رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الا ان الكذب يسود الوجه • والنميمة عذاب القبر •
رواه ابو يعلى وغيره • وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بر الوالدين يزيد في العمر • والكذب ينقص الرزق • والدعا يرد القضا • رواه
الاصبهاني • وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كذب
العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جا به • رواه الترمذي • وقال حديث حسن •
وعن عايشة رضي الله عنها قالت ما كان من خلق ابغض الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الكذب • ما اطلع على احد من ذلك شي فيخرج من قلبه حتى يعلم انه قد
احدث توبة • رواه البزار وغيره • ورواه ابن حبان ولفظه قالت ما كان من خلق
ابغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب • ولقد كان الرجل يكذب عنده الكذبة
فما تزال في نفسه حتى يعلم انه قد احدث فيها توبة • ورواه الحاكم ايضا • ولفظه
قالت ما كان من شي ابغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب • وما جرب به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احد وان قل فيخرج له من نفسه حتى يجد له توبة •
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لصبي
تعال هاك • ثم لم يعطه فهي كذبة • رواه الامام احمد وغيره • وعن عبد الله بن
عامر رضي الله عنه قال دعتني امي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا •
فقالت ها تعال اعطيك • فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردت ان تعطيه
قالت اردت ان اعطيه تمرا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك لو لم تعطه
شيا كتبت عليك كذبة • رواه ابو داود وغيره • وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده
رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل للذي يحدث بالحديث

ليضحك به القوم فيكذب ليضحك ويل له • رواه ابو داود وغيره • وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم • شيخ زان • وملك كذاب • وعايل مستكبر • رواه
مسلم وغيره • وعن سلمان رضي الله عنه • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
لا يدخلون الجنة الشيخ الزاني • والامام الكذاب • والعايل المزهو • رواه البزار • العايل
هو الفقير • والمزهو هو المعجب نفسه المتكبر ○ وروى عن ابي امامة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان التاجر اذا كان فيه اربع خصال طاب كسبه ○
اذا اشترى لم يذم • واذا باع لم يمدح في البيع • ولم يدلس في البيع • ولم يحلف فيما
بين ذلك • رواه الاصبهاني ○ وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة ○ رواه الاصبهاني وغيره ○
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب الكسب
كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا • واذا ايتمنوا لم يخونوا • واذا وعدوا لم يخلفوا •
واذا اشتروا لم يذموا • واذا باعوا لم يمدحوا • واذا كان عليهم لم يمطلوا • واذا
كان لهم لم يعسروا • رواه البيهقي ○ وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال البيعان بالخيار مالم يتفرقا • فان صدق البيعان وبينا بورك لهما
في بيعهما • وان كتما وكذبا عسى ان يربحا ربحا ويمحقا بركة بيعهما • اليمين الفاجرة
منفقة للسلعة ممحقة للكسب • رواه البخاري وغيره • وعن اسمعيل بن عبيد بن
رفاعة عن ابيه عن جده رضي الله عنه انه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصلى
فراى الناس يتبايعون • فقال يا معشر التجار • فاستجابوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم • ورفعوا اعناقهم وابصارهم اليه • فقال ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا •
الا من اتقى وبر وصدق • رواه الترمذي • وقال حديث حسن صحيح • وعن ابي ذر رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة • ولا يزكيهم
ولهم عذاب اليم • فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات • فقلت خابوا وخسروا •

يعمل
ص م

منهم يا رسول الله • قال المسبل • والمنان • والمنفق سلعته بالحلف الكاذب • رواه مسلم • وغيره • وعن سلمان رضي الله عنه قال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة • اشمط زان • وعايل مستكبر • ورجل جعل الله بضاعته لا تشترى الا يمينه ولا تبيع الا يمينه • رواه الطبراني • وروى عن عصمة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم غدا • شيخ زان • ورجل اتخذ الايمان بضاعته يحلف في كل حق وباطل • وفقير مختال مزهو • رواه الطبراني • مزهوا اي متكبر معجب فخور • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم • رجل على فضل ما بفلاة يمنعه ابن السبيل • زاد في رواية يقول له الله اليوم امنعك فضلي • كما منعت فضل ما لم تعمل يداك • ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف بالله لاخذها بكذا وكذا فصدقه فاخذها وهو على غير ذلك • ورجل بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا • فان اعطاه منها ما يريد وفى له • وان لم يعطه لم يف • وفي رواية نحوه • وقال ورجل حلف على سلعة لقد اعطى بها اكثر مما اعطى وهو كاذب • ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم • ورجل منع فضل ما • فيقول الله له اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك • رواه البخاري وغيره • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة يبغضهم الله • البياع الحلاف • والفقير المختال • والشيخ الزاني • والامام الجاير • رواه النسائي وغيره • وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال مر اعرابي بشاة • فقلت تبيعها بثلاثة دراهم • فقال لا والله • ثم باعها • فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال باع آخرته بدنياه • رواه ابن حبان • وعن ابي قتادة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم وكثرة الحلف في البيع • فانه ينفق ثم يمحق • رواه مسلم والنسائي وابن ماجة رحمهم الله • ويكفي في فضله الصدق ان الصديق مشتق منه • والله تعالى وصف به الانبيا في معرض المدح والثنا • فقال تعالى

واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا • وقال ابن عباس رضي الله عنه اربع من
كن فيه ربح • الصدق • والحيا • وحسن الخلق • والشكر • وقال بشر من اكرم من عامل
الله تعالى بالصدق استوحش من الناس • وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصورا
الدينوري في المنام • فقلت له ما فعل الله بك • قال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم آمل •
فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله تعالى ماذا • قال الصدق • واقبح ما توجه
به الكذب • وقال ابو سليمن رحمه الله اجعل الصدق مطيتك • والحق سيفك • والله تعال
غايه طلبتك • وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا قط • فقال لو كنت صادقا لرايت
الصادقين • وعن محمد بن علي الكتاني انه قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة
اركان على الحق • والصدق • والعدل • فالحق على الجوارح • والعدل على القلوب • والصدق
على العقول • واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من صدقني في سريرته
صدقته عند المخلوقين في علانيته • وقال بعضهم اجمع الفقها والعلما على ثلاث
خصال انها اذا صحت ففيها النجاة • ولا يتم بعضها الا ببعض • الاسلام الخالص عن
البدعة والهوى • والصدق به في الاعمال • وطيب المطعم • وقال وهب بن منبه
رضي الله عنه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا • كان صلحا بني اسرايل
يجتمعون فيقرونها ويتدارسونها • لا كنز انفع من العلم • ولا مال ارنح من الحلم •
ولا حسب اوضع من الغضب • ولا قرين ازين من العمل • ولا رفيق اشين من الجهل •
ولا شرف اعز من التقوى • ولا كرم اوفر من ترك الهوى • ولا عمل افضل من الفكر •
ولا خشية اعلا من الصبر • ولا سيئة اجرا من الكبر • ولا دوا الين من الرفق •
ولا آدا اوجع من الخرق • ولا رسول اعدل من الحق • ولا دليل انصح من الصدق •
ولا فقر اذل من الطمع • ولا غنى اشقى من الجمع • ولا حياة اطيب من الصحة • ولا
معيشة اهنى من الالفة • ولا عبادة احسن من الخشوع • ولا زهد اخير من القنوع •
ولا حارس احفظ من الصمت • ولا غايب اقرب من الموت • وقال محمد بن سعيد
المروزي اذا طلبت الله تعالى بالصدق افادك الله تعالى مراة بيدك حتى تبصر كل

شي من عجايب الدنيا والآخرة ٥ وقال ابوبكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك
وبين الله تعالى ٥ والرفق فيما بينك وبين الخلق ٥ وقيل لذي النون هل للعبد
الى صلاح اموره سبيل ٥ فانشد يقول ٥

قد بقينا مذبذبين حيارى ٥ نطلب الصدق وما اليه سبيل ٥
قد عاوى الهوى تخف علينا ٥ وخلاف الهوى علينا ثقيل ٥

وقيل لسهل بن عبدالله بما اصل هذا الامر الذي نحن عليه ٥ فقال الصدق والسخا
والشجاعة ٥ فقيل له زدنا ٥ فقال التقا وطيب الغذا ٥ وروى عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن الكمال ٥ فقال قول الحق ٥ والعمل بالصدق ٥
وعن الجنيد في قول الله عز وجل ليسال الصادقين عن صدقهم ٥ قال يسال
الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم ٥ وهذا امر على خطر **فصل**
في بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه ٥ اعلم ان لفظ الصدق يستعمل
في ستة معان ٥ صدق في القول ٥ وصدق في النية ٥ وصدق في الارادة ٥ وصدق
في العزم ٥ وصدق في الوفا بالعزم ٥ وصدق في العمل ٥ وصدق في تحقيق مقامات
الدين كلها ٥ فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق ٥ لانه مبالغة من
الصدق ٥ ثم هم ايضا على درجات ٥ ومن كان له حظ من الصدق في شي من
الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فوقه صدقه ٥ الصدق الاول صدق اللسان ٥
وذلك لا يكون الا في الاخبار ٥ او فيما تضمن الاخبار وبنيته عليه ٥ والخبر اما ان
يتعلق بالماضي ٥ او المستقبل ٥ وفيه يدخل الوفا بالوعد والخلف فيه ٥
وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه ٥ فلا يتكلم الا بالصدق ٥ وهذا هو اشهر
انواع الصدق واظهرها ٥ فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشيا على خلاف
ما هي عليه فهو صادق ٥ ولكن لهذا الصدق كمالان ٥ احدهما الاحتراز عن
المعاريض ٥ فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب ٥ وذلك لانها تقوم مقام
الكذب ٥ اذ المحذور من الكذب تفهيم الشي على خلاف ما هو عليه في نفسه ٥ الا

اذ ذاك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال • وفي تاديب
الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم • وفي الحذر عن الظلمة • وفي قتال الاعدا
والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك • فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه
ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما امره الحق به وتقتضيه الدين • فاذا نطق به
فهو صادق • وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه • لان الصدق ما اريد لذاته •
بل للدلالة على الحق والدعا اليه • فلا ننظر الى صورته • بل الى معناه • نعم في مثل
هذا الموضع ينبغي ان نعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا • وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره • وذلك لكي لا ينتهي الخبر الى الاعدا
فيقصدوا • وليس هذا من الكذب في شيء • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا • ورخص في النطق على وجه المصلحة
في بلاغة مواضع • من اصلح بين اثنين • ومن كان له زوجتان • ومن كان في مصالح
الحرب • والصدق هاهنا يتحول الى النية • فلا يرعى فيه الا صدق النية • وارادة
الخير • فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا
وصدقا كيف ما كان لفظه • ثم التعريض فيه اولى • فطريقه ما حكي عن بعضهم
انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره • فقال لزوجته خطي باصبعك دايره •
وضعي الاصبع في الدايره • وقولي ليس هاهنا • فاحترز بذلك عن الكذب • ودفع الظالم
عن نفسه • وكان قوله صدقا • وافهم الظالم انه ليس في الدار • والكمال الاول في
اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة • والكمال
الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه عز وجل • كقوله
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض • فان قلبه ان كان مشغولا باماني
الدنيا وشهواتها منصرفا عن الله تعالى فهو كاذب • وكقوله اياك نعبد واياك نستعين
وقوله انا عبد الله • فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى
الله لم يكن كلامه صدقا • ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله انا عبد الله لعجز

عن تحقيقه • فانه ان كان عبدا لنفسه • او عبدا للدنيا • او عبدا لشهواته لم
يكن صادقا في قوله • وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له • كما قال عيسى عليه السلام
ما عبيد الدنيا • وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم
وعبد الحلة وعبد الخميصة • سمي كل من تعبد قلبه بشيء عبدا له • وانما العبد
الحق هو من اعتق اولا عن غير الله • فصار حرا مطلقا • فاذا تقدمت هذه الحرية
صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله تعالى • فشغله بالله عز وجل ومحبته •
وتقيد ظاهره وباطنه بطاعته • فلا يكون له مراد الا الله تعالى • ثم قد يجاوز
هذا الى مقام اخر اسنى منه يسمى الحرية • وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله تعالى
من حيث هو هو • بل يقنع بما يريد الله تعالى له من تقرب او ابعاد • فتبقى ارادته
في ارادة الله تعالى • وهذا عبد عتق عن غير الله تعالى فصار حرا • ثم عاد وعتق
عن نفسه فصار حرا • وصار مفقودا لنفسه • موجودا لسيده ومولاه • ان حركه
تحرك • وان سكنه سكن • وان ابتلاه رضي • لم يبق فيه متسع لطلب التماس واعتراض •
بل هو بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل • فهذا منتهى الصدق في العبودية •
فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه • لا لنفسه • وهذه درجات الصديقين •
واما الحرية عن غير الله تعالى فدرجات الصادقين • وبعدها تحقق العبودية
لله تعالى • وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا • فهذا
معنى الصدق في القول الصدق الثاني في النية والارادة • ويرجع ذلك الى الاخلاص •
وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى • فان ما مزجه شوب
من حظوظ النفس بطل صدق النية • وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا • كما روينا في
فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة • حتى قيل للعالم ماذا عملت فيما علمت •
فقال فعلت كذا وكذا • فقال كذبت • بل اردت ان يقال فلان عالم • فانه لم يكذبه
ولم يقل لم تعمل • ولكن كذبه في ارادته ونيته • وقد قال بعضهم الصدق صحة
التوحيد في القصد • ولذلك قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون •

وقد قالوا انكر لرسول الله وهذا صدق ولكن كذب لهم لا من حيث نطق اللسان
بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب متطرقا الى الخبر وهذا القول تضمن
اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في
دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب فيما تلفظ به
فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص وكل صادقٍ فلا بد ان
يكون مخلصا **الصدق الثالث** صدق العزم فان الانسان قد يعزم العزم فيقول
في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او لقيت عدوا في سبل الله
قاتلت ولم ابال وان قتلت وان اعطاني الله عز وجل ولاية عدلت فيها ولم اعص الله
تعالى بظلم وميلٍ الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة
جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق
في العزيمة وكأن الصدق ها هنا عبارة عن التمام والقوة كما تقال لفلان شهوة
صادقة وتقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم يكن له شهوة عن سبب ناجز قوي
او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق والصديق
هو الذي يصادف عزيمته في الخيرات كلها قويةً تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا
تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر
رضي الله عنه لان اُقَدَّم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر
رضي الله عنه فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتامر
مع وجود ابي بكر رضي الله عنه واكد ذلك بما ذكره من القتل وسراتب الصديقين
في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن
اذا خُلّي ورايَهُ لم يُقدم ولو ذُكِرَ له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في
الصادقين والمومنين من لو خير بين ان يُقتَل هو وابو بكر كانت حياته احب اليه
من حياة ابي بكر **الصدق الرابع** الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في
الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمونة فيه خفيفة فاذا حققت الحقائق

وحصل التمكن وهاجت الشهوات وانحلت العزيمة وغلب الشهوة ولم ترتفع الوفا
بالعزم • وهذا يضاد الصدق فيه • ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه • فقد روى عن انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن انس م
فشق ذلك على قلبه • وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه •
اما والله لين اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع •
قال فشهد احدا من العام القابل • فاستقبله سعد بن معاذ • فقال يا ابا عمرو
الى اين • فقال واها لريح الجنة • اني اجدها دون احد • فقاتل حتى قتل • فوجد
في جسده بضع وثمانين من بين رميه وضربة وطعنة • فقالت اخته ما عرفت النضر
ما عرفت اخي الا ببنانه • ونزلت هذه الاية • رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٥
ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم
احد شهيدا • وكان صاحب لوا رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر •
وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الشهدا اربعة • رجل مومن جيد الايمان لقي العدو فصدق
الله تعالى حتى قتل • فذلك الذي ترفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا • ورفع
راسه حتى وقعت قلنسوته • قال الراوي فلا ادري اقلنسوة عمر او قلنسوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ٥ ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه
بشوك الطلح • اتاه سهم عاير فقتله • فهو في الدرجة الثانية • ورجل مومن خلط
عملا صالحا واخر سيئا لقي العدو فصدق الله تعالى حتى قتل • فذلك في الدرجة
الثالثة • وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس قعود فقالا ان رزقنا
الله مالا لنصدقن ولنكونن من الصالحين • وقال بعضهم انما هو شي نووه في انفسهم
لم يسكلموا به • فقال تعالى ومنهم من عاهد الله لين آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين • فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون • فاعقبهم نفاقا

فى معادهم الى يوم يلقونه فما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون • فجعل العزم
عهدا • وجعل الخلف فيه كذبا • والوفاء به صدقا • وهذا الصدق اشد من الصدق
الثالث • فان النفس قد تسخوا بالعزم • ثم يكفى عند الوفا لشدته عليها ولهيجان
الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب • ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه • فقال لكن
اقدم فتضرب عنقى احب الى من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضى الله عنه • اللهم الا
ان تسول لى نفسى عند القتل شيا لا اجده • لانى لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتغير
عن عزمها • اشار بذلك الى شدة الوفا بالعزم • وقال ابو سعيد الخراز رايت
فى المنام كان ملكين نزلا من السما • فقال لى ما الصدق • قلت الوفا بالعهد فقال لى
صدقت • وعرجا الى السما **الصدق الخامس** فى الاعمال • وهو ان يجتهد حتى لا تذل
اعماله الظاهرة على امر فى باطنه لا تصفه هو به • لا بان يترك الاعمال • ولكن بان
يستخبر الباطن الى تصديق الظاهر • وهذا يخالف ما ذكرناه من ترك الريا • لان
المرائى هو الذى يقصد ذلك لاجل الخلق • ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته
ليس يقصد به مشاهدة غيره • ولكن قلبه غافل عن الصلوة • فمن ينظر اليه يراه
قائما بين يدى الله تعالى • وهو بالباطن قايم فى السوق بين يدى شهوه من شهواته •
فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب • وهو مطالب
بالصدق فى الاعمال • وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار • وليس باطنه
موصوفا بذلك الوقار • فهذا غير صادق فى عمله • وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا
مرائيا اياهم • ولا ينجو عن هذا الا من استوا السريرة والعلانية • بل يكون باطنه
مثل ظاهره • او خيرا من ظاهره • ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظواهر
ولبس ثياب الاشرار • كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره • فيكون كاذبا فى دلالة الظاهر
على الباطن • فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمى ريا • ويفوت
به الاخلاص • وان كان عن غير قصد ففوت به الصدق • ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى • واجعل علانيتى صالحة

وقال زيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته خيرا من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته خيرا من سريرته فذلك الجور ٥ وانشدوا

اذا السرّ والاعلان فى المومن استوى ۞ فقد عزّ فى الدارين واستوجب الثنا ۞
فان خالف الاعلانُ سرًا فما له ۞ على سعيه فضل سوى الكد والعنا ۞
كما خالص الدينارَ فى السوق نافق ۞ ومغشوشهُ المردود لا نقتضى الثنا ۞

وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقتْ سريرة المومن علانيته ناهى الله تعالى به الملائكة • فيقول هذا عبدى حقا • وقال معونة بن قرة من يدلنى على بكاء بالليل بسّام بالنهار • وقال عبد الواحد كان الحسن رحمه الله اذا مرّ بشى كان من اعمل الناس به • واذا نهى عن شى كان من اترك الناس له • ولم ارَ قط سريرة اشبهَ بعلانية منه • وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالامانه • وعاملت فيما بينى وبينك بالخيانه • وبكى • وقال ابو يعقوب النهرجورى الصدق موافقه الحق فى السرّ والعلانية • فاذن مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق الصدق السادِس وهو اعلا الدرجات واعزها الصدق فى مقامات الدين • كالصدق فى الخوف والرجا • والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وساير هذه الامور • فان هذه الامور لها مبادى تطلق الاسم بظهورها • ثم لها غايات وحقايق • والصادق المحقق من نال حقيقتها • واذا غلب الشى وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه • كما تقال فلان صَدق القتال • وتقال هذا هو الخوف الصادق • وهذه هى الشهوه الصادقه • وقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا • الى قوله اولئك هم الصادقون ٥ وقال تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر • الى قوله اولئك الذين صَدقوا • وسيل ابو ذر رضى الله عنه عن الايمان فقرا هذه الايه • فقيل له سالناك عن الايمان ٥ فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الاية ٥ ولنضرب لكل

مثلا • فما من عبد يومن بالله الا وهو خايف من الله تعالى خوفا ينطلق عليه الاسم •
ولكنه خوف غير صادق • اى غير بالغ درجة الحقيقة • اما تراه اذا خاف سلطانا
او قاطع طريق فى سفره كيف يصفر لونه • وترتعد فرايصه • وتشخص عليه عيشه •
وتعذر عليه اكله ونومه • وسقم عليه فكره • حتى لا تنفع به اهله وولده • وقد
ينزع عن الوطن • فيستبدل بالانس الوحشة • وبالراحة التعب والمشقه والتعرض
للاخطار • كل ذلك خوفا من درك المحظور • ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شى من ذلك
عند جريان معصية عليه • ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لما را مثل النار
نام هاربها • ولا مثل الجنة • نام طالبها • فالتحقيق فى هذه الامور عزيز جدا •
ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها • ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما
ضعيف واما قوى • فاذا قوى سمى صادقا فيه • فمعرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف
منه لا نهاية له • ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام احب ان
اراك فى صورتك التى هى صورتك • فقال لا تطيق ذلك • قال بلى ارنى • قال فواعده
البقيع فى ليلة مقمره فاتاه • فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو به قد سد الافق
يعنى جوانب السما • فوقع النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه • فافاق وقد عاد
جبريل لصورته الاولى • فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله
تعالى هكذا • قال كيف لو رايت اسرافيل • ان العرش لعلى كاهله • وان رجليه قد
مرقت تخوم الارضين السفلى • وانه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع •
يعنى كالعصفور الصغير • فانظر ما الذى يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع
الى ذلك الحد • وسايرالملايكة ليسوا كذلك • لتفاوتهم فى المعرفة • فهذا هو
الصدق فى التعظيم • وقال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت
ليلة اسرى بى وجبريل بالملا الاعلا كالحلس البالى من خشية الله تعالى • والحلس
هو الكسا الذى يلقى على ظهر البعير • وكذلك الصحابة رضى الله عنهم كانوا خايفين • وما
كانوا يبلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولذلك قال ابن عمر رضى الله عنهما لن

تبلغ حقيقه الايمان حتى ينظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله عز وجل ٥ وقال ينظر
ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه عز وجل ٥ الا ان بعض الحمق
اهون من بعض ٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبلغ عبد حقيقة الايمان حتى
ينظر الى الناس كالا با عر في جنب الله تعالى ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حقير ٥
فالصادق اذن في جميع هذه المقامات عزيز ٥ ثم درجات الصدق لا نهاية لها ٥
وقد يكون للعبد صدق في الامور دون بعض ٥ فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق
حقا ٥ قال سعد بن معاذ رضي الله عنه بلاية انا فيهن قوي ٥ وفيما سواهن ضعيف ٥
ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها ٥ ولا شيعت جنازه فحدث
نفسي بغير ما هي قايلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها ٥ وما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق ٥ فقال ابن المسيب ما ظنك ان
هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم ٥ فهذا صدق في هذه الامور ٥
وكم من جلة الصحابة قوم قد ادوا الصلاه وتبعوا الجنايز ولم سلغوا هذا
المبلغ ٥ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه ٥ والكلمات الماثوره عن المشايخ
في حقيقه الصدق في الاغلب لا يتعرض الا لاحاد هذه المعاني ٥ نعم قد قال
ابو بكر الوراق الصدق ثلاثة ٥ صدق التوحيد ٥ وصدق الطاعة ٥ وصدق
المعرفة ٥ فصدق التوحيد لعامة المومنين ٥ قال الله عز وجل والذين امنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون ٥ وصدق الطاعة لاهل العلم والورع ٥ وصدق
المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض ٥ وكل هذا يدور على ما ذكرناه
في الصدق السادس ٥ ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق ٥ وهو ايضا غير محيط لجميع
الاقسام ٥ وقال جعفر الصادق الصدق هو المجاهدة ٥ وان لا تختار على الله
غير الله ٥ كما لم يختر عليك غيرك ٥ قال الله تعالى هو اجتباكم ٥ وقد قد اوحى الله
تعالى الى موسى عليه السلام اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال
لانظر كيف صدقه ٥ فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا ٥ وان وجدته

جزوعات تكوى الى خلقي حزلته ولم ابال • فاذن من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها • والله تعالى هو الموفق للصواب •

قوله عز وجل **ما كان لاهل المدينة** يعني لساكني المدينة من المهاجرين والانصار **ومن حولهم من الاعراب** يعني سكان البوادي • مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار • وقيل هو عام في كل الاعراب • لان اللفظ عام • وحمله على العموم اولى • **ان يتخلفوا عن رسول الله** يعني اذا غزا • وهذا الكلام ظاهره خبر ومعناه النهي • اي ليس لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه** يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه • ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه في حال الشدة والمشقة • وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم ان يصيبهم من الشدايد فيختاروا الخفض والدعة • ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب • وفي لفظ اخر لا يختاروا بقاء انفسهم على نفسه في الشدايد • بل امروا ان يصحبوه في الباساء والضراء • وبلقوا انفسهم بين يديه في كل شدة • وقال بعض العلماء في هذه الاية معاتبة للمومنين من اهل يثرب وقبايل العرب المجاورين لها كمزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار على التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك • والمعنى ما كان لهولاء المذكورين ان يتخلفوا • فان التغير كان فيهم • لا في غيرهم • فانهم لم يستنفروا في قول بعضهم • ويحتمل ان يكون الاستنفار في كل مسلم • وانما خص هولاء بالعتاب لقربهم وجوارهم • وانهم احق بذلك من غيرهم • واعلم ان ظاهر اللفظ يدل على وجوب الجهاد على الكل • الا انه مخصوص في العاجزين بالنصوص الدالة على العذر • كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها • وغير ذلك • ثم انه تعالى لما منع من التخلف بين انه لا يصيبهم في ذلك السفر نوع من انواع المشقة الا وهو يوجب الثواب العظيم فذكر امورا خمسة اولها قوله **ذلك** اي النهي عن التخلف **بانهم** اي بسبب انهم **لا يصيبهم** في سفرهم

ظمأ اى شدة عطش • وثانيها قوله ولا نصب اى مشقة وثالثها قوله ولا
مخمصة اى مجاعة شديده يظهر به ضمور البطن • يقال فلان خميص البطن
فى سبيل الله اى فى الجهاد • ورابعها قوله ولا يطاون موطيا يغيظ الكفار
يعنى ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار كحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم
وارجلهم يكون ذلك الدوس سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم وضيق صدورهم •
وخامسها قوله ولا ينالون من عدو نيلا يعنى اسرا او قتلا او هزيمة او غنيمة
وكذلك • فليلا كان او كثيرا الا كتب لهم به عمل صالح يعنى الا كتب الله لهم بذلك
ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم • وفى لفظ اخر الا كان ذلك
قربة لهم عند الله تعالى • قال ابن عباس رضى الله عنه بكل روعة تنالهم فى سبيل
الله تسعين الف حسنة • يقال نال منه اذا رزأه ونقصه • وفى الصحيح ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة • وفيه واما التى هى له اجر فرجل ربطها
فى سبيل الله لاهل الاسلام فى مرج او روضة • فما اكلت فى ذلك المرج او الروضة
الا كتب له عدد ما اكلت حسنات • وكتب له عدد ارواثها وابوالها حسنات •
قال بعضهم هذا وهى فى موضعها • فكيف اذا دربت بها • قال بعضهم والآية
عامة فى كل ما يسوءهم • وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه
مشكورا من قيام وقعود وكلام وغير ذلك • وفيه ايضا دليل على ان المدد
شارك الجيش فى الغنيمة بعد انقضاء الحرب • لان وطى ديارهم مما يغيظهم • وقد
اسهم النبى صلى الله عليه وسلم لابنى عامر وقد قدموا بعد تقضى الحرب • والموطأ
اما مصدر كالمورد • واما مكان • فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار اى يغيظهم
وطاه ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعنى ان الله لا يدع محسنا من خلقه قد احسن
فى عمله واطاعه فيما امره به او نهاه عنه ان يجازيه على احسانه وعمله
الصالح • وفى الاية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قامه وقعوده ومشيه
وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله • وكذا القول فى قصد المعصية •

وان حركاته فيها كلها سيآت الآن يغفرها الله بفضله وكرمه • واختلف العلما
فى حكم هذه الآية • فقال قتادة منسوخة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
غزا بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر • فاما غيره من الائمة والولاه
فيجوز لمن شا من المومنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين الية ضروره ٥
وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعى وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد
العزيز يقولون فى هذه الاية انها لأول هذه الامة واخرها • فعلى هذا يكون هذه
الاية محكمة لم تنسخ • وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا • فلما
كثروا نسخها الله عز وجل • واباح التخلف لمن شا بقوله وما كان المومنون لينفروا
كافة • ونقل الواحدى عن عطيه انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وامرهم • قال الواحدى هذا هو الصحيح • لانه
يتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر • وكذا غيره من
الائمة والولاة اذا ندبوا او عينوا • لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد ولم
يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد • والله اعلم وقوله تعالى
ولا ينفقون يعنى فى سبيل الله نفقه صغيره ولا كبيرة يعنى تمره فما دونها او اكثر
منها حتى علاقة سوط • وفى الحديث من انفق فى سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف •
وروى انه جا رجل بناقه مخطومة فقال هذه فى سبيل الله • فقال النبى صلى الله
عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقه كلها مخطومة • وقال صلى الله
عليه وسلم من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا • ومن خلف غازيا فى سبيل الله
فقد غزا ولا يقطعون واديا يعنى ولا يجاوزون فى مسيرهم وادبا مقبلين او
مدبرين فيه الا كتب لهم يعنى كتب الله لهم اثارهم وخطاهم ونفقاتهم • والوادى
هو كل منعرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل • وهو فى الاصل فاعل من
وَدَى اذا سال • ومنه الوادى • وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الارض ٥ وقال
بعضهم الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادى ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون

قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا يعملون • قال الامام فخر الدين فيه وجهان •
الاول ان الاحسن من صفة فعلهم • وفيها الواجب والمندوب والمباح • فالله يجزيهم على الاحسن • وهو الواجب والمندوب • دون المباح • والثانى ان الاحسن
صفه للجزاء • اى يجزيهم جزاءً هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب •
وفى الاية دليل على فضل الجهاد • وانه من احسن اعمال العباد • عن سهل بن سعد
الساعدى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير
من الدنيا وما عليها • وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها • والروحة
يروحها العبد فى سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها • وفى رواية وما
فيها • رواه البخارى ومسلم • وعن ابى هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق
برسلى فهو علىّ ضامن ان ادخله الجنة • او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا
ما نال من اجر او غنيمة • والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء
يوم القيامة كهيئته يوم كلم • لونه لون دم • وريحه ريح مسك • والذى نفس محمد بيده
لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا • ولكن
لا اجد سعة فاحملهم • ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى • والذى
نفس محمد بيده لوددت انى اغزو فى سبيل الله فاقتل • ثم اغزو فاقتل • لفظ مسلم •
وللبخارى بمعناه • وعن ابى سعيد رضى الله عنه قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اى الناس افضل • قال مومن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله • قال ثم
من • قال ثم رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله • وفى رواية يتقى الله ويدع الناس
من شره • رواه البخارى ومسلم • وعن ابى عبس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار • رواه البخارى • وعن
ابى هريره رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا
بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة •

يعني حسنات • رواه البخاري ايضا • وعن ابي مسعود الانصاري البدري رضي الله عنه
قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال هذه في سبيل الله •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة يوم
القيامة • رواه مسلم • وعن خريم بن فاتك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من انفق نفقه في سبيل الله كتبت له سبعمايه ضعف • اخرجه الترمذي
والنسائي رحمهما الله • قوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا كافة الاية
قال عكرمة لما نزلت هذه الاية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان
يتخلفوا عن رسول الله • قال ناس من المنافقين هلك من تخلف • فنزلت هذه الاية •
وما كان المومنون لينفروا كافة • قال ابن عباس رضي الله عنه انها ليست في الجهاد •
ولكن لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم • وكانت
القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد • ويقبلوا بالاسلام وهم
كاذبون • فضيقوا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم • واجهدوهم • فانزل الله عز وجل
يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مومنين • فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عشايرهم • وحذر قومهم ان يفعلوا فعلهم • فذلك قوله تعالى وليندروا قومهم
اذا رجعوا اليهم • وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كان ينطلق من
كل حي من العرب عصابة فياتون النبي صلى الله عليه وسلم فسالونه عما يريدون من
امر دينهم • ويتفقهون في دينهم • ويقولون لنبي الله صلى الله عليه وسلم ما تامرنا ان
نفعله • واخبرنا عما نقول لعشايرنا اذا انطلقنا اليهم • فيامرهم نبي الله صلى الله عليه
وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله • وبعثهم الى قومهم بالصلاه والزكوة • فكانوا اذا اتوا
قومهم نادوا انت من اسلم فهو منا • ويندرونهم • حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه •
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين • وينذرون
قومهم اذا رجعوا اليهم • ويدعونهم الى الاسلام • وينذرونهم النار • ويبشرونهم
بالجنة • وقال مجاهد اذا ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي

فاصابوا من الناس معروفا • ومن الحطب ما ينتفعون به • ودعوا من وجدوا من
الناس الى الهدي • فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجيئونا ٥
فوجدوا في انفسهم تحرجا • واقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله
عليه وسلم • فعاتبهم الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
وقعد طائفة ليتفقهوا ولينذروا قومهم من الناس اذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ٥ وقال ابن عباس رضي الله عنه ما كان المومنون لينفروا
جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ٥ فلولا نفر من كل فرقه منهم
طائفة • يعني عصبة • يعني السرايا • ولا يسيروا الا باذنه • فاذا رجعت السرايا
وقد نزل بعدهم قران تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقالوا
ان الله تعالى قد انزل على نبيكم بعدكم قرانا وقد تعلمناه • فتمكث السرايا يتعلمون
ما انزل الله على نبيهم بعدهم • ويبعث سرايا اخرى • فذلك قوله تعالى ليتفقهوا
في الدين • يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم • ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم ٥
لعلهم يحذرون • نقل هذه الاقوال كلها الطبري رحمه الله • واما تفسير الاية فيمكن
ان يقال انها من بقية احكام الجهاد • ويمكن ان يقال انها كلام مبتدا لا تعلق لها
بالجهاد • فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج
الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب عذر • فلما بالغ الله تعالى في الكشف
عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المومنون والله لا نتخلف
عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها • فلما
قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحده • فنزلت هذه الاية • فيكون المعنى ما كان ينبغي للمومنين ولا يجوز
لهم ان ينفروا بكليتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم • بل يجب ان
ينفسموا قسمين • فطائفة يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم • وطائفة ينفروا
الى الجهاد • لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام اصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم الى قسمين • قسم للجهاد • وقسم لتعلم العلم • والتفقه فى الدين • لان الاحكام
والشرايع كانت تجدد شيئا بعد شئ • فامكلا زمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يحفظون ما نزل من الاحكام وتجدد من الشرايع • فاذا قدم الغزاة اخبروهم
بذلك • فيكون معنى الاية وما كان المومنون لينفروا كافة • فلولا • يعنى فهلا نفر من
كل فرقه منهم طائفه للجهاد وتقعد طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم
الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعنى مخالفة
امر الله تعالى وامر رسوله صلى الله عليه وسلم • وهذا معنى قول قتادة • وقال ان
التفقه صفة للطايفة النافرة • قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله
من الظهور على المشركين والنصرة • وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم • ومعنى ذلك ان
الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على اعدايهم وان الله يريد اعلا دينه
وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفيه القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا
رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلايل النصر
والفتح والظفر لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق • واورد على هذا القول
ان هذا النوع لا يعد فقها فى الدين • ويمكن ان يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله يعز
هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة فى ايمانهم • فيكون ذلك فقها فى الدين •
واما الاحتمال الثانى وهو ان يقال ان هذه الاية كلام مبتدا لا تعلق لها بالجهاد •
وهو ما ذكرناه عن مجاهد • ان ناسا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادى
فاصابوا معروفا • ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى • فقال الناس لهم ما نراكم
الا وقد تركتم صاحبكم وجيتمونا • فوجدوا فى انفسهم من ذلك حرجا • فاقبلوا كلهم من
البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فانزل الله عز وجل هذه الاية •
والمعنى هلا نفر من كل فرقه طائفه • وتقعد طائفة ليتفقهوا فى الدين ويبلغوا
ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون • يعنى باس الله ونقمته
اذا خالفوا امره • وفى الاية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والفقه

دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم ۞ وان عدل
عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ۞ وقال بعض العلما ان طلب العلم ينقسم
قسمين ۞ فرض على الاعيان ۞ كالصلاه ۞ والزكاة ۞ والصيام ۞ وفي هذا المعنى جا الحديث
المروى طلب العلم فريضة ۞ كما روى عن انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول طلب العلم فريضة على كل مسلم ۞ القسم الثاني فرض على
الكفاية ۞ لتحصيل الحقوق ۞ واقامة الحدود ۞ والفصل بين الخصوم ۞ ونحوه ۞
اذ لا يصلح ان يتعلمه جميع الناس فتضيع احوالهم واحوال غيرهم ۞ وتنقص او
تبطل معايشهم ۞ فتعين بين الحالين ان يقوم به البعض من غير تعيين ۞ وذلك
حسب ما يسره الله تعالى لعباده ۞ وقسمه بينهم من رحمته ۞ لسابق علمه وقدرته
وكلمته ۞ وقال بعضهم ايضا طلب العلم فضيلة عظيمة ۞ ومرتبة شريفه لا توازيها
عمل ۞ روى في الصحيحين عن معوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ۞ وانما انا قاسم والله يعطي ۞ ولن تزال
امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى يأتي امر الله ۞ وعن ابي هريره
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن ۞ خيارهم
في الجاهليه خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ۞ رواه البخاري ومسلم ۞ وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف
عابد ۞ اخرجه الترمذي ۞ واصل الفقه في اللغة الفهم ۞ يقال فقه الرجل ۞
اذا فهم ۞ وفقه فقاهة اذا صار فقيها ۞ وقيل الفقه هو التوصل الى علم غايب
بعلم شاهد ۞ فهو اخص من العلم ۞ وفي الاصطلاح ان الفقه عبارته عن العلم باحكام
الشرع واحكام الدين ۞ وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفايه ۞ ففرض العين معرفه
احكام الطهارة ۞ واحكام الصلاه ۞ والصوم ۞ وغير ذلك ۞ فعلى كل مكلف معرفه ذلك ۞ قال
النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضه على كل مسلم ۞ ويقدم اولا ۞ وكذلك كل عبادة

وجبت على المكلف بحكم الشرع سبب عليه معرفة تعلمها مثل علم الزكاة اذا صار له
مال يجب فى مثله الزكوة • وعلم احكام الحج اذا وجب عليه • واما فرض الكفاية من
الفقه فهو ان تعلم حتى بلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا • واذا قعد اهل بلد
عن تعلمه عصوا جميعا • واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى بلغ درجه الفتوى
سقط الفرض عن الباقين • وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث • والله الموفق •
عن ابى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
كفضلى على ادناكم • اخرجه الترمذى مع زيادة فيه • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى
الجنة • اخرجه الترمذي • وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع • اخرجه الترمذى ايضا • وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة • وما سوى ذلك
فهو فضل • اية محكمة • او سنة قائمة • او فريضة عادلة • اخرجه ابو داود • الآية
المحكمة هى التى لا اشتباه فيها • ولا اختلاف فى حكمها • او ما ليس بمنسوخ • والسنة
القائمة هى المستمرة الدائمة • التى العمل بها متصل لا يترك • والفريضة العادلة
هى التى لا جور فيها ولا حيف فى قضايها • وقال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم
يدعا عظيما فى ملكوت السما • اخرجه الترمذى موقوفا • وقال الامام الشافعى
العلم افضل من صلاة النافلة • وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق
الجنة • وان الملائكة لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم • وان العالم ليستغفر له من فى
السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الما • وان فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب • وان العلما ورثة الانبيا • وان الانبيا لم
يورثوا دينارا ولا درهما • ورثوا العلم • فمن اخذه اخذ بحظ وافر • اخرجه الترمذى •
وروى الدارمى فى مسنده عن الحسن قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين

كانا فى بنى اسرآيل • احدهما كان عالما يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير ٥
والاخر يصوم النهار ويقوم الليل • ايهما افضل • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضل هذا العالم الذى يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذى
يصوم النهار ويقوم الليل كفضلى على ادناكم ٥ اسنده ابو عمر بن عبد البر فى كتاب
العلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل
العالم على العابد كفضلى على امتى ٥ وقال ابن عباس رضى الله عنه افضل الجهاد من بنى
مسجدا يعلم فيه القران والفقه والسنة ٥ وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين والهمه
رشده • رواه البزار ٥ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افضل العبادة الفقه • وافضل الدين الورع ٥ رواه الطبرانى ٥ وقال صلى الله عليه
وسلم قليل العلم خير من كثير العباده • وخير دينكم الورع • وكفى بالمرء فقها اذا عبد
الله • وكفى بالمرء جهلا اذا اعجب برايه • رواه الطبرانى ايضا ٥ وعن صفوان بن عسال
المرادى رضى الله عنه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد متكى على برد له احمر
فقلت له يا رسول الله انى جيت اطلب العلم • فقال مرحبا بطالب العلم • ان طالب العلم
لتحفه الملائكه باجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السما الدنيا من محبتهم
لما يطلب • رواه الامام احمد وغيره • وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جآ اجله وهو يطلب العلم لقى الله عز وجل ولم يكن بينه وبين
النبى الا درجة النبوه • رواه الطبرانى ٥ وعن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب علما فادركه كتب الله له كفلين من الاجر ٥
ومن طلب علما ولم يدركه كتب الله له كفلا من الاجر • رواه الطبرانى ايضا • وعن
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم بابا من
العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين صديقا ٥ وعنه صلى الله عنه وسلم انه قال
افضل الصدقه ان يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه اخاه المسلم • رواه ابن ماجه ٥

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المؤمن
من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره • وولدا صالحا تركه • او مصحفا
ورثه • او مسجدا بناه • او بيتا لابن السبيل بناه • او نهرا اجراه • او صدقة اخرجها
من ماله في صحته تلحقه من بعد موته • رواه ابن ماجة وغيره • وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله • الا
من ثلاث • صدقة جارية • او علم ينتفع به • او ولد صالح يدعو له • رواه مسلم • وعن
انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل العلماء في الارض
كمثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر • فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل
الهداة • رواه الامام احمد • وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبعث الله العباد يوم القيامة • ثم يميز العلماء • فيقول يا معشر العلماء
اني لم اضع علمي فيكم لاعذبكم • اذهبوا فقد غفرت لكم • رواه الطبراني • وعن ابي
امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالعالم والعابد • فيقال
للعابد ادخل الجنة • ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس • رواه الاصبهاني وغيره •
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله
العالم والعابد • فيقال للعابد ادخل الجنة • ويقال للعالم اثبت حتى تشفع للناس بما
احسنت ادبهم • رواه البيهقي وغيره • وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد سبعون درجة • كل درجتين حضر
الفرس سبعين ذراعا • وذلك لان الشيطان يبدع البدعة للناس فيبصرها العالم
فينهى عنها • والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه لها • رواه الطبراني • وعن انس
ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان • فعلم ثابت
في القلب • فذاك العلم النافع • وعلم في اللسان • فذلك حجة الله على عباده • رواه البيهقي
وغيره • وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من غدا يريد العلم يتعلمه لله فتح الله له بابا الى الجنة • فذكر الحديث الى اخره • رواه ابو داود •

وغيره • وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع • رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال
الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب • قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر
ونحوها • وقال ابن عمر هم الروم • لانهم كانوا سكان الشام • والشام اقرب الى
المدينة من العراق • وقال بعضهم هم الديلم • وكذا قال الحسن المراد بالاية هو
قتال الديلم والترك والروم • وسيل ابن عمر رضي الله عنه عمن يبدا بالروم او
بالديلم • فقال بالروم • وقال بعض اهل العلم ايضا القتال واجب مع الكفرة قريبهم
وبعيدهم • ولكن الاقرب فالاقرب اوجب • نظيره قوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين • وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه • ثم غيرهم من عرب الحجاز •
ثم الشام • والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره • وهكذا المفروض على اهل
كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم • وقال ابن زيد المراد بهذه الاية وقت
نزولها العرب • فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم من الامم • وفي لفظ اخر عنه
قال كان الذين يلونهم من كفار العرب فقاتلوهم حتى فرغ منهم • امر بجهاد اهل
الكتاب وقتالهم حتى يعطوا الجزية • ونقل عن بعض العلما انه قال نزلت هذه
الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة • فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت
ناسخة لقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار • وقال المحققون من العلما لا وجه
للنسخ • لانه تعالى لما امرهم بقتال المشركين كافة ارشدهم الطريق الاصوب الاصلح •
وهو ان يبدوا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد • وبهذا
الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة • لان قتالهم في دفعة واحدة لا تصور
ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه اولا • كما ذكرنا قبل • ثم اسقل
منهم الى قتال سائر العرب • ثم الى قتال اهل الكتاب • وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك •
ثم اسقل الى غزوة الروم في الشام • وكان فتح الشام في زمن الصحابة رضي الله عنهم • ثم

انهم انتقلوا الى العراق • ثم بعد ذلك الى سائر الامصار • لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنايم على الابعد • وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني شدة وقوة وشجاعة • والغلظة ضد الرقة • قال الحسن صبرا على جهادهم • وقال بعضهم غلظةً يعني شدة وعنفا في المقال قبل القتال • ونحوه قوله تعالى واغلظ عليهم • وقوله ولا تهنوا • والفايدة في الغلظة انها اقوى تاثيرا في الزجر والمنع عن القبيح • ثم اذ هذا لا يكون مطردا • بل قد تحتاج تارة الى الرفق واللطف • واخرى الى العنف • ولهذا قال تعالى وليجدوا فيكم غلظة تنبيها على انه لا يجوز الاقتصار على الغلظةِ البتّة • فانه منفّر موجب تفرق القوم • فقوله وليجدوا فيكم غلظة يدل على تقليل الغلظة • واعلم اذ هذه الغلظة انما تعتبر فيما يتصل بالدعوة الى الدين • وذلك اما باقامة الحجة • واما بالجهاد والقتال • واما ان تحصل فيما يتصل بالبيع والشرا والمجالسة واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالعون والنصر • والمراد اذ يكون اقدامه على الجهاد والقتال بسبب تقوى الله • لا بسبب الجاه والمال •

قوله عز وجل واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني واذا انزل الله سورة من سور القران فمن المنافقين من يقول • يعني يقول بعضهم لبعض ايكم زادته • يعني نزول السوره ايمانا • يعني تصديقا ويقينا • وانما يقول ذلك المنافقون استهزا • ومقصودهم بذلك التشبث على النفاق • وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المومنين • وغرضهم الصرف عن الايمان • فقال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله • ومعنى الزيادة ضم شي الى جنسه مما هو في صفته • فالمومنون اذا اقروا بنزول سوره من القران عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا • وقال بعضهم زادتهم خشية • او ايمانا بالسوره • لانهم لم يكونوا امنوا بها تفصيلا • وهم يستبشرون يعني المومنين يفرحون بنزول القران شيا بعد شي • لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الاخرة • وقال بعضهم معنى

ستبشرون • اى يحدون زيادة التكليف • بشارة للشريف • وقال بعض
المفسرين ان الله تعالى اجاب • فقال انه حصل للمومنين سبب نزول هذه السورة
امران • وحصل للكافرين ايضا امران • امّا للمومنين فاولها انها تزيدهم
ايمانا • لانه لا بد عند نزولها من ان يعترفوا بانها حق من عند الله تعالى • والكلام
فى زيادة الايمان ونقصانه قد مر فى اول سورة الانفال • وبانيهما ما يحصل
لهم من الاستبشار • وذلك هو الثواب عند بعضهم • وعند بعضهم النصره والظفر •
وعند بعضهم الفرح والسرور الحاصل بسبب تلك التكاليف الزايده من حيث
انه يتوسل به الى مزيد الثواب • وامّا للكافرين فاولها قوله واما الذين
فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق • سمى الشك فى الدين مرضا • لانه فساد فى القلب •
يحتاج الى علاج • كالمرض فى البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج • قال بعضهم وفى
هذا دليل على ان الروح لها مرض وصحة • فمرضها الكفر والاخلاق الذميمه • وصحتها
العلم والاخلاق الفاضلة • وقوله فزادتهم يعنى نزول السوره من القران رجسا
الى رجسهم يعنى كفرا الى كفرهم • وذلك كلما جحد وانزول سوره او استهزوا بها
ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول • وسمى الكفر رجسا لانه اقبح الاشياء • واصل
الرجس فى اللغة الشى المستقذر • وقال بعضهم المراد بالرجس اما العقايد الباطله
او الاخلاق الذميمة • وباسهما قوله وماتوا وهم كافرون يعنى وهم جاحدون
لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم • وفيها اخبار عن اصرارهم على
الكفر الى الموت • وهذه الحالة اسوا من الحالة الاولى • لانها عبارة عن مداومة
الكفر بخلاف الحاله الاولى • فالحاصل ان النفس الطاهرة عن حب الدنيا الموصوفة
باستيلاء حب الله والاخره اذا سمعت هذه السوره صار سماعها موجبا لازدياد
الرغبة فى الاخره والنفرة عن الدنيا • واما النفس الخبيثة الحريصة على الدنيا
الغافلة عن حب الله والاخره اذا سمعت هذه السورة المشتملة على الجهاد صار سماعها
موجبا لازدياد الكفر على الكفر • وهذا يتنزل على قول من يقول ان الايمان لا يزيد ولا ينقص •

واما الذين قالوا انه تزيد وتنقص فما تقدم في سورة الانفال من الادلة • وقال مجاهد
في هذه الآية الايمان يزيد وينقص • وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياخذ بيد
الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى تزدادوا ايمانا • وقال علي برائي
طالب رضي الله عنه ان الايمان يبدو لمعة بيضاء في القلب • وكلما ازداد الايمان عظما
ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله • وان النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب
وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله • وايم الله لو شققتم
عن قلب مومن لوجدتموه ابيض • ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود •
قوله تعالى اولا يرون قرا حمزة بالتاء على خطاب المومنين • وقرا الباقون بالياء
على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله واما الذين في قلوبهم مرض • ولما
بين الله تعالى ان الذين في قلوبهم مرض يموتون وهم كافرون وذلك يدل على عذاب
الاخرة بين انهم لا يتخلصون في كل عام مرة او مرتين عن عذاب الدنيا • فقال تعالى
اولا يرون انهم يفتنون يعني يبتلون في كل عام مرة او مرتين يعني بالامراض
والشدايد • وقيل بالقحط والجدب • وقيل بالغزو والجهاد • وقيل انهم
يفتضحون باظهار نفاقهم • وقيل انهم ينافقون • ثم يومنون • ثم ينافقون •
وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون يعني من النفاق
ونقض العهد • ولا يرجعون الى الله ولا هم يذكرون يعني ولا يتعظون بما يرون من
صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين واذا ما انزلت سورة يعني فيها عيب
المنافقين وتوبيخهم نظر بعضهم الى بعض يريدون بذلك الهرب • وتغامزون بالعيون
انكارا للوحي وسخرية به • قايلين هل يراكم من احد يعني هل احد من المومنين يراكم
اذ قمتم من مجلسكم • فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد • وان علموا ان احدا يراهم
اقاموا ولبثوا على ذلك الحال • وفي لفظ اخر تقول بعضهم لبعض هل يراكم من احد من
المسلمين لننصرف • فانا لا نصبر على استماع ما انزل على محمد • ويغلبنا الضحك • فنخاف
الافتضاح بينه وبين اصحابه ثم انصرفوا يعني عن حضرة النبي صلى الله عليه وسلم مخافه

الفضيحة ٥ وقيل معناه انصرفوا عن الايمان بتلك السورة النازلة ٥ وقيل انصرفوا
عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون صرف الله قلوبهم يعني عن الايمان ٥ وقيل
عن فهم القران ٥ قال الزجاج اضلهم الله تعالى مجازاة على فعلهم بانهم قوم لا
يفقهون يعني لا يفهمون عن الله دينه ولا شيا فيه ينفعهم ٥ فان قيل ما التفاوت
بين هذه الاية والتي قبلها ٥ وهي قوله واذا ما انزلت سوره فمنهم من يقول ايكم
زادته هذه ايمانا ٥ فيما في تلك الاية حكى عنهم انهم ذكروا قولهم ايكم زادته هذه
ايمانا ٥ وفي هذه الاية حكى عنهم انهم اكتفوا بنظر بعضهم الى بعض على سبيل الهزء
وطلبوا الفرار ٥ وفي قوله صرف الله قلوبهم دليل لاهل السنة على انه تعالى
صرفهم عن الايمان وصدهم عنه وهو صريح فيه ٥ روى عن ابن عباس رضي الله عنه
قال يكره ان يقال انصرفنا من الصلاه ٥ لان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم
ولكن قولوا قضينا الصلاة ٥ قال ابن العربي وفي هذا القول نظر ٥ فان نظام الكلام
ان يقال لا يقل احد انصرفنا من الصلاة ٥ فان قوما قيل فيهم ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم ٥ وعن ابي الفضل الجوهري قال كنا في جنازة فقال المنذر
بها انصرفوا رحمكم الله ٥ فقال لا يقل احد انصرفوا ٥ فان الله تعالى قال في قوم
ذمهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ٥ ولكن قولوا انقلبوا رحمكم الله ٥ فان الله تعال
قال في قوم مدحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله ٥ قوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم هذا خطاب للعرب ٥
يعني لقد جاءكم ايها العرب رسول ٥ وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٥ من انفسكم ٥ اي
من جنسكم ٥ ومن نسبكم ٥ عربي قرشي مثلكم ٥ تعرفون نسبه وجنسه ٥ وانه من ولد
اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام ٥ واعلم ان الله تعالى وصف الرسول صلى الله عليه
وسلم في هذه الاية بخمسة انواع من الصفات ٥ الاولى قوله من انفسكم ٥ وفيه وجوه ٥
منها انه بشر مثلكم ٥ كما في قوله قل انما انا بشر مثلكم ٥ ومنها من انفسكم اي من
العرب ٥ ونظيره قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ٥

والمقصود ترغيب للعرب فى نصرته والقيام بخدمته • ومنها من انفسكم خطاب
لاهل الحرم • وذلك لان العرب كانوا يسمون اهل الحرم اهل الله وخاصته • وكانوا
يخدمونهم ويقومون باصلاح مهماتهم • ومنها ان المقصود من ذكر هذه الصفه
التنبيه على طهارته • كانه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانه
والعفاف • وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم • وايصال الخيرات اليكم •
وارسال من هذه صفته يكون من اعظم نعم الله عليكم • وقوله من انفسكم يقتضى
مدح حال نسب النبى صلى الله عليه وسلم • وانه من صميم العرب وخالصها • فانه صلى
الله عليه وسلم نخبة بنى هاشم • وسلالة قريش وصميمها • وافضل العرب واعزهم
نفرا من قبل ابيه وامه • ومن اهل مكة • من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده •
وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى قول الله تعالى من انفسكم • قال صلعم نسبا وصهرا
وحسبا • ليس فى ابائى من لدن ادم سفاح • كلنا نكاح • وقال الكلبى كتبت للنبى
صلى الله عليه وسلم خمسمائة امّ • فما وجدت فيها سفاحا • ولا شيا مما كانت عليه
الجاهليه • وعن ابن عباس فى قول الله عز وجل وتقلبك فى الساجدين • قال من
نبى الى نبى حتى اخرجك نبيا • وروى عنه ايضا انه قال ليس قبيلة من العرب الا وقد
ولدت النبى صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب • وقال جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه
لم يصبه شى من ولاد الجاهلية • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خرجت
من نكاح ولم اخرج من سفاح • ذكره الطبرى • وذكر البغوى باسناد الثعلبى عن ابن
عباس رضى الله عنهما • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدنى من سفاح اهل
الجاهلية شى • ما ولدنى الا نكاح كنكاح اهل الاسلام • قال قتادة جعله الله من
انفسهم • فلا يحسدونه على ما اعطاه الله من النبوه والكرامة • وقال بعض العلما فى
تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبى صلى الله عليه وسلم •
يعنى من مضر يتها • وربيعتها • ويمانيها • فاما رسعة ومضر فهم من ولد معد
ابن عدنان • واليه تنسب قريش • وهو منهم • واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحطانيه

فان آمنة لها نسب فى الانصار فانها كانت قريشية والانصار اصلهم من اليمن
من ولد قحطان نزسبا • فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاكم رسول
من انفسكم ترغيب العرب فى نصره والايمان به • فان شرفهم يشرفه • وعزتهم يعزبه •
وفخرهم يفخره • فانه من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والصيانه والعفاف
وطهارة النسب والاخلاق الحميده • وقرا ابن عباس والزهرى لقد جاكم رسول
من انفَسِكم بفتح الفآ • ومعناه انه من اشرفكم وافضلكم • وفى صحيح البخارى عن
ابى هريره رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى
ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه • وفى صحيح مسلم عن واثلة
ابن الاسقع رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى
كنانة من ولد اسمعيل • واصطفى قريشا من كنانة • واصطفى من قريش بنى هاشم •
واصطفانى من بنى هاشم • وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم
بينهم • فجعلوا مثلك كمثل نخلة فى كبوة من الارض • فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى من خير فريقهم • او خير الفريقين • ثم تخير القبايل
فجعلنى فى خير قبيله • ثم تخير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم • فانا خيرهم نفسا
وخيرهم بيتا • اخرجه الترمذى • وروى الطبرى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى ادم • ثم اختار
بنى ادم فاختار منهم العرب • ثم اختار العرب فاختار منهم بنى هاشم • ثم اختار بنى
هاشم فاختارنى • فلم ازل خيارا من خيار • الا من احب العرب فبحبى احبهم • ومن
ابغض العرب فببغضى ابغضهم • وعن ابن عباس رضى الله عنه ان قريشا كانت نورا
بين يدى الله عز وجل قبل ان يخلق ادم بالفى عام • يسبح ذلك النور • ويسبح الملائكة
بتسبيحه • فلما خلق الله ادم القى ذلك النور فى صلبه • فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاهبطنى الله الى الارض فى صلب ادم • وجعلنى فى صلب نوح • وقذفنى

في صلب ابرهيم ۰ ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة ۰ والارحام الطاهرة ۰
حتى اخرجني من ابوي ۰ لم يلتقيا على سفاح قط ۰ ونشهد لصحة هذا الخبر
شعر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
من قبلها طبت في الظلال وفي ۰ مستودع حيث يخصف الورق ۰
ثم هبطت البلاد لا بشر ۰ انت ولا مضغة ولا علق ۰
بل نطفة تركب السفين وقد ۰ الجم نسرا واهله الغرق ۰
تنقل من صالب الى رحم ۰ اذا مضى عالم بدا طبق ۰
وقوله لم يلتقيا على سفاح قط ۰ معناه ان نسبه صلى الله عليه وسلم الى ادم عليه
السلام لم يكن النسل فيه الا من نكاح ۰ ولم يكن فيه زنا قط ۰ فهو صلى الله
عليه وسلم المصطفى ۰ الماحي ۰ الحاشر ۰ العاقب ۰ المقفى ۰ الشهيد ۰ المصدق ۰
النور ۰ المسلم ۰ العبد ۰ الداعي ۰ الامام ۰ الهادي ۰ المهاجر ۰ البشير ۰ النذير ۰
السراج ۰ المنير ۰ الامين ۰ الذكر ۰ المذكر ۰ العامل ۰ المنصور ۰ اذن خير ۰ المزمل ۰
المدثر ۰ طه يس ۰ خاتم النبيين ۰ روف ۰ رحيم ۰ الصاحب ۰ الشفيع ۰ المشفع ۰
المتوكل ۰ المبارك ۰ الآمر ۰ الناهي ۰ الطيب ۰ الكريم ۰ المحلل المحرم ۰ الواضع ۰ الرافع ۰
المجبر ۰ قاسم ۰ نبي التوبه ۰ نبي الرحمة ۰ نبي الملحمة ۰ عبد الله احمد محمد ۰ ابن
عبد الله الذبيح ۰ وذلك ان اباه عبد المطلب امر في منامه بحفر زمزم فمنعه
قريش من ذلك ۰ ولم يكن له من الولد الا الحارث ۰ وبه كان يكنى ۰ فنذر لئن ولد
له عشره نفر ثم بلغوا ان يمنعوه لينحرن احدهم عند الكعبة لله تعالى ۰ فلما
بلغوا ذلك ضرب عليهم القداح ۰ فخرج القدح على عبد الله ۰ وهو اصغر بنيه ۰ كذا
قاله ابن اسحق ۰ والصواب بنى امه ۰ والا فحمزة والعباس كانا اصغر منه ۰ وهم
الحارث ۰ وابو طالب ۰ والزبير ۰ وعبد الكعبة ۰ والمقوم ۰ ويقال هما واحد ۰
وحجل ۰ واسمه المغيرة ۰ والغيداق ۰ ويقال هما واحد ۰ وقثم ۰ ومنهم من اسقطه ۰
وضرار ۰ وابو لهب ۰ واسمه عبد العزى ۰ وكني بذلك لجماله ۰ وصار في الاخرة

لما آله ٥ فهو لا اعمامه صلى الله عليه وسلم ٥ واما عماته فهن صفية ٥ وعاتكه ٥
وارروى ٥ اسلمن ٥ وفى ذلك خلاف ٥ الا صفية ٥ وامية ٥ وبرة ٥ وام حكيم البيضاء ٥
فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ٥ واسمه شيبة الحمد ٥ وقيل
اسمه عامر بن هاشم ٥ واسمه عمرو بن عبد مناف ٥ واسمه المغيره بن قصى ٥
واسمه زيد ٥ وقال الامام الشافعى اسمه يزيد بن كلاب ٥ واسمه حكيم ٥ وقيل
عروة بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب ابن فهر ٥ وفهر هو جماع
قريش فى قول الكلبى وغيره ٥ وسموا قريشا لانهم كانوا يقرشون عن خلة
الناس ٥ وقيل التقريش التفتيش ٥ وقيل التجمع ٥ وقيل التجارة ٥ وقيل
ان قصيا كان يقال له القرشى ٥ وقيل التحريش ٥ وقيل سموا بدابة فى البحر
تاكل الدواب لشدتها ابن مالك بن النضر ٥ واسمه قيس ٥ وهو قول ابن اسحق ٥
ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة ٥ واسمه عمرو ٥ وقال ابن اسحق اسمه
عامر بن الياس ٥ واسمه جبيب بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ٥
الى هنا مجمع عليه ٥ وما فوق ذلك مختلف فيه ٥ واشهره ابن اُدَدٍ ٥
ويقال ابن اُدِّ بن اُدَد بن مُقَوِّم بن ناحُور بن تَيْرَح بن يَعْرُب بن يشجُب
وقيل يشجُب بن يعرب بن يشجُب بن نابت بن اسمعيل ٥ وتفسيره
مطيع الله الذبيح ٥ ويلقب اعراق الثرى ٥ قال النبى صلى الله عليه وسلم انا
ابن الذبيحين ابن ابرهيم خليل الرحمن ٥ ويكنى ابا الضيفان ٥ وتفسير ابرهيم
اب راحم بن تارَح وهو آزر بن ناحُور بن شاروح بن راغُوا ٥
ويقال ارغوا ٥ ومعناه قاسم بن فالَخ ٥ ويقال فالَغ بن عَيْبَر ٥ ويقال
عابَر ٥ وهو هود عليه السلام بن شالَخ ٥ ومعناه الرسول ٥ ويقال الوكيل ٥
ابن ارفخشد ٥ ويقال الفخشد ٥ ومعناه مصباح مضى بن سام بن نوح
عليه السلام ٥ واسم نوح عبد الغفار بن لامك ٥ ويقال لمكان بن متوشلخ
ابن خَنُوخ ٥ ويقال اخنخ ٥ ويقال اخنوخ ٥ ويقال اَهْنَخ ٥ وهو ادريس عليه السلام ٥

متوشلخ ح

ابن خيزر ٥ ويقال ابن بارد ٥ ويقال الرايد ٥ ومعناه الضابط بن مهليل ٥
ويقال مهلايل ٥ ومعناه الممدح بن قيذر ٥ ويقال قسان ٥ ومعناه
المستوى بن يانش ٥ ومعناه الصادق بن شيث ٥ ويقال شات ومعناه
هبة الله وقيل عطية الله بن آدم ابى البشر ٥ ويقال اسمه ابو محمد لمحمد
ابن عبد الله سيد ولده من النبين صلى الله عليه وعليهم اجمعين ٥ وامه
فهى آمنة ٥ بنت وهب ٥ بن عبد مناف ٥ بن زهرة ٥ بن كلاب ٥ ويقال عبد مناف
ابن كلاب ٥ وزهرة امه ٥ فيما قاله ابن قتيبة والجوهري ٥ وفى ذلك نظر ٥ وولد
صلى الله عليه وسلم بمكة ٥ فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف اخى الحجاج ٥ وقيل
كان مولده بالشعب ٥ وقيل بالردم ٥ وقيل بعسفان ٥ يوم الاثنين ٥ لليلتين
خلتا من ربيع الاول ٥ وقيل لثنتى عشره ٥ وحكى فيه ابن الجزار الاجماع ٥ وفيه
نظر ٥ وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ٥
وخرج من مكة يوم الاثنين ٥ ودخل المدينة يوما الاثنين ٥ ورفع الركن يوم الاثنين ٥
وتوفى يوم الاثنين ٥ وقيل لثمان عشرة ٥ وقيل لسبع عشره ٥ وقيل لثمان بقين
منه ٥ وقيل فى اوله حين طلع الفجر ٥ يوم ارسل الله الابابيل ٥ على اهل الفيل ٥
وقيل ولد عام الفيل ٥ وقيل بعد الفيل بشهر ٥ وقيل باربعين يوما ٥ وقيل
لشهرين وستة ايام ٥ وقيل بخمس يوما ٥ وقيل بخمسة وخمسين يوما ٥ وقيل
بعشر سنين ٥ وقيل بعشرين سلا بين عاما ٥ وقيل باربعين عاما ٥ وقيل بسبعين
عاما ٥ وقيل ولد يوم عاشورا ٥ وقيل فى صفر ٥ وقيل فى ربيع الاخر ٥ ولم تجد
امنه لحمله ثقلا ولا وحما ٥ وولد مختونا مسرورا مقبوضة اصابع يده ٥
مشيرا بالسبابة كالمسبح بها ٥ وقيل ان جده ختنه يوم سابعه ٥ وقيل ان جبريل
هو الذى ختنه ٥ وختم حين وضع بالخاتم بين كتفيه ٥ وسماه الله محمدا ٥ وقيل ان
جده سماه يوم سابعه ٥ وتوفى ابوه عبد الله وهو حمل ٥ وقيل قبل ولادته
بشهرين ٥ وقيل توفى وهو فى المهد ٥ وقيل وهو ابن شهرين ٥ وقيل وهو ابن

اشهر ٥ وقيل ابن ثمانية عشرين شهرا ٥ وكانت وفاته في دار النابغة ٥
وقيل توفي بالابواء بين مكة والمدينة ٥ وكان ابن خمس وعشرين سنه ٥ وقيل
ثمان وعشرين ٥ وقيل ثلثون ٥ وقيل ثمان عشرة ٥ وارضعته صلى الله عليه
وسلم ثويبة عتقه ابي لهب حين بشرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم ٥ وقال
ابو احمد اعتقها بعد ما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينه ٥ وارضعته
بلبان ابنها مسروح ٥ وتوفيت ثويبه سنه سبع من الهجره ٥ وارضعته ايضا
حليمة بنت الحارث بن ابي ذويب السعديه ٥ وصحح ابن حبان وغيره حديثا
على اسلامها ٥ وارضعته بلبان ابنها عبد اخي انيسة ٥ وابنتها خدامه وهي الشيماء
القادمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ٥ وختم صلى الله عليه وسلم
بخاتم النبوه بين كتفيه ٥ وكان ينام مسكا ٥ وكان مثل زر الحجلة ٥ ذكره البخاري ٥
وفي صحيح مسلم جمع عليه خيلان كانها الثآليل السود ٥ عند نغض كتفه ٥
ويروى عند غضروف كتفه اليسرى ٥ وقيل اليمنى ٥ وفي صحيح مسلم ايضا انه كبيضة
حمامه ٥ وفي صحيح الحاكم شعر مجتمع ٥ وفي سنن البيهقي مثل السلعة ٥ وفي
كتاب الشمايل بضعة ناشزة ٥ وفي حديث عمرو بن اخطب كشئ يختم به ٥
وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة ٥ وفي جامع الترمذي كالتفاحة ٥ وفي
كتاب الروض كاثر المحجم القابضة على اللحم ٥ وفي تاريخ ابن ابي خيثمة شامة
خضرا محتفرة في اللحم ٥ وفيه ايضا كشامة سوداء تضرب الى الصفرة ٥
حولها شعرات متراكبات كانها عرف الفرس ٥ وفي تاريخ القضاعي بلاث
شعرات مجتمعات ٥ وفي كتاب الترمذي الحكيم كبيضة حمام ٥ مكتوب على باطنها
الله وحده لا شريك له ٥ وفي ظاهرها توجه حيث شئت فانك منصور ٥ وفي
كتاب المولد لابن عابد كان نورا يتلالا ٥ وفي سيره ابن ابي عاصم عذرة كعذره
الحمامة ٥ قال ابو ايوب يعني قرطمة الحمامة ٥ وفي تاريخ نيسابور مثل البندقة
من لحم ٥ مكتوب فيه ما اللحم محمد رسول الله ٥ وعن عائشة رضي الله عنها انه كتينة

صغيره تضرب الى الدهمة ٥ وكان مما يلى القفا ٥ قالت رضى الله عنها فلمسته حين
توفى صلى الله عليه وسلم فوجدته قد رفع ٥ وماتت امه وهو ابن اربع سنين ٥
وقيل ابن ست ٥ وقيل ابن سبع ٥ وقيل ابن تسع ٥ وقيل ابن خمس ٥ وقيل ابنى عشره
سنه ٥ وشهر وعشره ايام ٥ وكانت ام ايمن بركة ٥ دايته وحاضنته بعد موت امه ٥ ومات جده عبد
المطلب كافله ٥ وله صلى الله عليه وسلم من العمر ثمان سنين وشهر وعشره ايام ٥
وقيل تسع سنين ٥ وقيل ثلاث ٥ وفيه نظر ٥ وكان لعبد المطلب يوم مات مايه ٥
وعشر سنين ٥ وقيل مايه واربعين ٥ وقيل غير ذلك ٥ وكفله بعد عبد المطلب
ولده ابو طالب ٥ واسمه عبد مناف ٥ وقيل اسمه كنيته ٥ فيما ذكره الحاكم ٥ وفيه
نظر ٥ وكانت كفالة ابى طالب بوصية من ابيه عبد المطلب ٥ ولكون ابى طالب شقيق
عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ ولما بلغ صلى الله عليه وسلم من العمر
اثنى عشره سنة وقيل غير ذلك خرج مع عمه ابى طالب الى الشام ٥ حتى بلغ بصرى ٥
فراه بحيرا الراهب ٥ واسمه جرجيس فعرفه بصفته ٥ فقال وهو آخذ بيده
هذا سيد العالمين ٥ بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ٥ فقيل له وما علمك بذلك ٥
فقال انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ٥ ولا
يسجدون الا لنبى ٥ وانا نجده فى كتبنا ٥ وسأل ابا طالب ان يرده خوفا عليه من اليهود ٥ تسجد
ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عشرين سنة حضر مع عمومته حرب الفجار فى
شوال ٥ وكان بين قريش وهوازن ٥ وسمى بذلك لكونه وقع فى الاشهر الحرم ٥
وايام الفجار اربعة ٥ قاله السهيلى ٥ والصواب ستة ٥ ورمى فيه صلى الله عليه وسلم
باسهمه ٥ وكان قبله بلاثه الفجرة ٥ ورابعا فى الانصار بالمدينة ٥ وحضر
ايضا صلى الله عليه وسلم حلف الفضول ٥ وهو حلف عقدته قريش على نصر كل مظلوم
بمكة ٥ وكان صلى الله عليه وسلم رعى غنم اهله باجياد على قراريط ٥ ثم خرج
صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد فى تجاره

لها حتى بلغ بصرى • وكان له اذ ذاك خمس وعشرون سنة • وتزوجها بعد رجوعه
لشهرين وخمسة وعشرين يوما • في عقب صفر سنة ست وعشرين • وقيل
كان سنه احدى وعشرين سنة • وقيل بلا بين • وقيل كان قد راهق البلا بين •
وقيل غير ذلك • وخديجة يومئذ ابنة اربعين سنة • وقيل غير ذلك • وكانت
اولا عند عتيق بن عايذ • فولدت له عبد الله • وقيل عبد مناف وهندا • ثم
خلف عليها بعده ابو هالة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم التباش بن زرارة •
فولدت له هندا والحارث • وزينب • وكانت تكنى ام هند • وتدعى الطاهرة •
وولى تزوجها عمها عمرو بن اسد • وقيل اخوها عمرو بن خويلد • وقيل
ابوها • واصدقها صلى الله عليه وسلم نيفا عشرة اوقية ونشا • وقيل عشرين
بكرة • ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وبلا بين سنة خافت قريش ان تهدم الكعبه
من السيول التي اصابتها • فامروا باقوم النجار • وقيل اسمه مينا • وقيل ابرهيم •
وقيل صباح • وقيل باقوم • وقيل ميمون • وقيل قبيصة • ان بني الكعبه شرفها
الله • وفي الدلايل لابي نعيم كان بين الفيل والفجار اربعون سنة • وقيل بين
الفجار وبنيان الكعبة خمس عشره سنة • وكان بناوها في سنة خمس وعشرين من
الفيل • ووضع صلى الله عليه وسلم الركن بيده يوم الاثنين • ولما بلغ صلى الله
عليه وسلم اربعين سنة • وقيل اربعين ويوما • وقيل وعشرة ايام • وقيل
وشهرين • يوم الاثنين لسبع عشره خلت من شهر رمضان • وقيل لسبع • وقيل
لاربع وعشرين ليلة منه • وقيل يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول • سنة احدى
واربعين من الفيل • وقيل في اول ربيع • وقيل على راس خمس عشرة من نيسان
الكعبة • وقيل بعد ثنتين واربعين سنة • جاءه جبريل عليه السلام بغار حرا • بالنبوه
واما اولاده صلى الله عليه وسلم فولد له قبل النبوه القاسم • ومات وله
سنتان • وهو اول من مات من اولاده • وقيل انه عاش سبعة عشر شهرا • وقيل
انه بلغ ركوب الدابة • ثم ولد له زينب • قال الكلبي هي اول ولده • وولدت سنه بلا بين •

وماتت سنة ثمان من الهجرة عشر زوجها وابن خالتها ابى العاص بن الربيع ٥
واسمه مخشم • وقيل هشيم • وكانت زينب هاجرت قبله وتركته على شركه • ولما
اسلم ردها الله النبى صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول • بعد سنتين • وقيل بعد
ست سنين • وقيل قبل انقضاء العده • وقيل ردها بنكاح جديد سنه سبع ٥
وولدت له عليا • مات صغيرا • وامامة المحمولة فى صلاه الصبح • تزوجها على بن ابى طالب
بعد موت فاطمة رضوان الله عليها ٥ ثم ولدت له صلى الله عليه وسلم رقيه • وتزوجها
عثمان بن عفان رضى الله عنه فماتت عنده • وكانت اولا تزوجها عتبه بن ابى لهب •
فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى تبت يدا ابى لهب قال ابو لهب لولده
راسى من راسك حرام ان لم تطلق رقيه • ففارقها قبل الدخول بها • وهاجر بها
عثمان الى الحبشة • وولدت له عبد الله • ومات بعد ان بلغ ست سنين • وتوفيت
زينب والنبى صلى الله عليه وسلم ببدر ٥ ثم ولد له صلى الله عليه وسلم فاطمة رضوان
الله عليها • وكنيتها ام ابيها • تزوجها على بن ابى طالب بعد وقعه احد • وقيل قبلها
فى السنة الثانيه فى رجب • وقيل فى رمضان • وقيل فى صفر • وكان مولدها سنة
احدى واربعين • وتزوجت ولها من العمر خمس عشره سنة • وقيل خمسة اشهر ونصف •
وتوفى على احدى وعشرون سنة • وخمسة اشهر • وقيل عشر ذلك ٥ وقيل انها
ولدت قبل النبوه بخمس سنين • ايام بنا البيت • وتوفيت بعد النبى صلى الله عليه وسلم
بستة اشهر • وقيل عشر ذلك • وكان سنها اذ ذاك تسعا وعشرين سنه • وقيل احدى
وعشرين • وقيل ثلاثون • وقيل خمس وثلاثون • وولدت الحسن فى نصف رمضان سنة
ثلاث من الهجره • وقيل فى نصف شعبان ٥ وولدت الحسين فى ليال خلون منه سنه
اربع ٥ وقيل لم يكن بين الحسن والحسين وولد الحسن الاطهر واحد • وقيل خمسون
ليله • وقال قتاده ولد الحسين بعد الحسن بستة عشر شهرا • وولدت ابنا محسنا •
ومات صغيرا • ثم ولدت ام كلثوم • ولدتها قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم • وتزوجها
عمر بن الخطاب • ثم تزوجها بعد عمر عون بن جعفر بن ابى طالب • وكان لها ولد من

عمر بن الخطاب يسمى زيد • وتوفيت هي وولدها في وقت واحد • في ايام حرب زجاجه •
وصلى عليها عبد الله بن عمر بن الخطاب ٥ وولد له صلى الله عليه وسلم ام كلثوم •
تزوجها عتيبة بن ابي لهب • وقبل عتبه • فامره ابوه بطلاقها فطلقها • وتزوجها
عثمان رضي الله عنه • سنة ثلاث في جمادي الاخره • وتوفيت في شعبان سنة تسع ٥
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كانت ثالثة لزوجتها عثمان • وما زوجته الا بوحي ٥
ثم ولد له صلى الله عليه وسلم عبد الله • وهو الطيب • والطاهر مات بمكه • والله اعلم ٥
واما ابرهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فانه من ماريه القبطيه • توفي وله سبعون
يوما • ذكره ابو داود • وقيل بلغ ستة عشر شهرا وبضعة ايام • وقيل بضعه
عشر شهرا • وقيل سبعة عشر • وقيل سنة وعشره اشهر وستة ايام • وكان
مولده في السنة الثامنه من الهجره في ذي الحجة • والله اعلم • فذلك قول الله تعالى
لقد جاءكم رسول من انفسكم ٥ وقال بعضهم ايضا اخبر الله تعالى العرب انه بعث اليهم
رسولا من انفسهم على القدر لديهم • يعرفون فضله ومكانته • ويتحققون صدقه
وامانته • عزيزا عليه ما يهوى بهم في الهوان • حريصا على دخولهم الى دار امان
الايمان • شريف النسب فيهم • رؤفا رحيما بالمؤمنين • وانا له من نيل الكرامة
غاية السول • وقرن طاعته بطاعته فقال من يطع الرسول • واطلع على الوفق
بحمده • ورحم العالمين به فقال وما ارسلناك الا رحمه • فمن اصابه شيء من رحمته فاز •
ووصل الى كعبة النجاة من غير قطع حجاز • وحصنه من سور كتابه المبين بأمنع
سور • وسماه فيه نورا بقوله قد جاءكم من الله نور • وارسله شاهدا ومبشرا ونذيرا •
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا • وشرح بالرساله صدره • ووضع عنه وزره
الذي انقض ظهره • ورفع بذكره معه في الشهادتين ذكره • واظهر دينه على الدين
كله وعظم امره • ورمى المشركين منه بالمقعد العتيم • ونعته في ام الكتاب بالصراط
المستقيم • واتاه سبعا من المثاني • واكرمه بمنزلة محكمة المباني • وبعثه
حرزا للاميين • ووضع كتاب الابرار به في عليين • ورفعه الى المحل الاسنى • وقربه

من هنا اول الكلام المسجع في اوصافه صلى الله عليه وسلم

منه وكان قاب قوسين او ادنى ٥ ونزه لسانه عن النطق بهواه ٥ وفواده عن الكذب
فيما رآه ٥ وبصره عن الزيغ والالتفات ٥ وزكى جملته الجميلة وعصمها من الافات ٥
واقسم على انه ما ودعه وما قلاه ٥ ولم يقسم بحياة احدٍ في قوله لعمرك من الخلق
سواه ٥ وزوى له ارض الخبراتِ طولا وعرضا ٥ حيث انزل عليه ولسوف يعطيك ربك
فترضى ٥ وايده باظهر البراهينِ ٥ وابهر المعجزات ٥ واراده في تلك الرسل بقوله
ورفع بعضهم درجات ٥ ودرأ العذاب عن اهل مكة لكونه بواديهم ٥ فقال تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ٥ واعطاه الحوض المعروف بالكوثر ٥ وردّ على عداوه
بقوله ان شانئك هو الابتر ٥ وطهره من الاقذار والادناس ٥ وبيّن عصمته
في قوله والله يعصمك من الناس ٥ واحسن مخاطبته في سورة ن ٥ ووعده فيها
باجرٍ غيرِ ممنوع ولا ممنون ٥ واثنى عليه ثناءً يجلّ ان يحمله رسول النسيم ٥
وبالغ في التمجيد والتاكيد بقوله وانك لعلى خلق عظيم ٥ واتحفه تبارك اسمه
في سوره الفتح ٥ بجزيل الصلات الواصلات والمنح ٥ من ظهوره وغلبته ٥ وعلوّ
شِراع شريعته وكلمته ٥ وخضوع من ترفّع من اعدائه وكبره ٥ وغفرانِ
ما تقدم من ذنبه وما تاخر ٥ واتمام النعمة عليه ٥ وارسال الهداية اليه ٥
ونصره النصر العزيز ٥ ونصبِ حالِ من حوله على التمييز ٥ وانزالِ السكينة على قلب
من تابعه ٥ ورضاه عمّن تحت الشجرة بايعه ٥ الى غير ذلك مما تضمنته ايات السور
المشهوره ٥ وكمّله صلى الله عليه وسلم من معارف معروفةٍ ومآثر ما اثوره ٥
وبعثه الله من خير القرون والقبايل ٥ واختاره من ارفع البيوت والمنازل ٥
لانه اصطفى من ولد ابرهيم الخليل ٥ رافع قواعدِ البيت معه اسماعيل ٥ واصطفى
من ولد اسمعيل بني كنانه ٥ ومن بني كنانة قريشا المعروف بالشرف والمكانه ٥
واصطفى من قريش بني هاشم ٥ ومن بني هاشم سيّد السراة ابا القاسم ٥ ولم يزل
ينقله من الاصلاب المأهولةِ باهلةِ الصلاح ٥ حتى اخرجه من سِفاح ابويه لم يلتقيا
قط على سفاح ٥ ولا يخفى ما ظهر عند مولده وانتشر ٥ وما وافاحين مقدمه

المبارک واشتهر من ظهور النور الباهر ٥ وتدلی النجوم الزواهر ٥ وارتجاج
ایوان ملک الفرس کسری ٥ وسقوط شرفاته التی کادت ان تقعد بالشعری ٥
وخمود نارهم الالفیه ٥ وغیض الماء من بحیرة طبریه ٥ وحراسة السماء بالکواکب ٥
واضاءة ما بین المشارق والمغارب ٥ وانه علیه السلام اقبل مختونا مسرورا ٥
وتجلی فی حلل النبوة محبورا ٥ واسترضع فی بنی سعد بن بکر ٥ وبرئ
من اقوال اهل المین والمکر ٥ وشق قلبه الخفی المتنی ٥ وغسل ثلج الاراده حتی
نقی ٥ وختم بخاتم من نور ٥ تخفی لبهجته الشموس والبدور ٥ وملئ ایمانا
وحکمه ٥ وحشی بالرافة والرحمه ٥ ووزن بمایة من امته فرجح ٥ ولو وزن
بجمیعهم لتبین ترجیحه ووضح ٥ وما رفع به عن حلیمة ظئره من الضیر ٥
وما حصل لها ولقومها ببرکته من انواع الخیر ٥ وما نشأ علیه من بعض الاصنام ٥
والعفة عن امور الجاهلیة قبل الاسلام ٥ وما ترادفت به الاخبار ٥ عن علماء
الملل والاحبار ٥ وما عرف به الاساقف ٥ وطرق الاسماع من الهواتف ٥
وما انذر به الکهان ٥ ونقل عن القسوس والرهبان ٥ من انبائه وصفاته ٥
واسمائه وعلاماته ٥ ونبوته وملته ٥ وبعثته ونعت امته ٥ وما وجد فی ذلک
من اشعار الموحدین ٥ وذکر من کلام من مضی من المتقدمین ٥ وما ألقی فی التوراه
والانجیل ٥ وبینه من اسلم من اهل الکتب والتنزیل ٥ وما برز علی السنة
الاصنام وظهر ٥ وسمع من ذبایح النصب واجواف الصور ٥ وما روی مکتوبا
علی الحجارة بالخط القدیم ٥ من ذکر اسمه والشهادة له بالرساله والتعظیم ٥
ولقد خصه الله بمزایا الرتب ٥ واعرب عن تفضیله علی العجم والعرب ٥
ونظر الی قلوب عباده فانتقی منها قلبه ٥ وسبر احوال خلقه للتقریب منه
فلم یختر الا قلبه ٥ وقسم الناس قسمین فجعله فی خیرهم قسما ٥ وزکاه ابا وامّا
واصلا وفرعا وروحا وجسما ٥ وکان صلی الله علیه وسلم عظیم الهامه ٥
معتدل القامة ٥ ازهر اللون ادعج ٥ اهدب الاشفار ابلج ٥ کث اللحیة واضح

الجبين ٥ مملح الاسنان ناقى العرنين ٥ متماسك البدن ٥ ازج الحواجب من غير
قرن ٥ سهل الخدين ٥ طويل الزندين ٥ عبل العضدين ٥ بعيد ما بين المنكبين ٥
رحب الكفين ٥ مسيح القدمين ٥ اشم ضليع الفم اشنب ٥ اطول من المربوع واقصر
من المشذب ٥ ليس بمطهم ولا قصير الذقن مكلثم ٥ رجل الشعر لحيني الجيد ٥
احلى الناس من قريب واجملهم من بعيد ٥ دقيق المسربة واسع الصدر ٥
يتلالأ وجهه تلالؤ القمر ليله البدر ٥ الشكل ظاهر بعينيه ٥ لا يجاوز شعره
شحمة اذنيه ٥ اذا مشى كانما ينحط من صبب ٥ واذا نطق أتى من جوامع الكلم
بالعجب ٥ وكان طيب الريح والاسم ٥ نظيف البدن والجسم ٥ اطيب ريحا من العنبر
والذعر فا من المسك الاذفر ٥ يتضوع طيبا ٥ وهتز غصنا رطيبا ٥ تختفى من
شذاه جونة العطار ٥ وتتأرج بنشره الأرجاء والاقطار ٥ يصافح الرجل فيظل
يومه يجد فى كفه نشرا ٥ ويضع يده على راس الصبى فيعرف من بين الصبيان عطرا ٥
ما مشى فى طريق فمشى فيه احد من بعده ٥ الا عرف انه سلكه من ريحه الذى لا ند
كنده ٥ وكان صلى الله عليه وسلم دمث الاخلاق ٥ عزيز الإرفاد والإرفاق ٥
خافض الطرف سايل الاطراف ٥ جميل المحاسن حميدا الاوصاف ٥ ثابت الاساس ٥
قوى الحواس ٥ يرى الشياطين ويرى الملائكه ٥ وكما يبصر فى الضوء يبصر فى الظلمة
الحالكه ٥ وينظر من ورايه كما ينظر من بين يديه ٥ ويرى فى كف الثريا احد عشر
نجما اذا نظر اليه ضحكه التبسم ٥ وشيمته التكرم ٥ يفتر عن مثل حب الغمام ٥
ويبدأ من لقيه بالسلام ٥ يخرج النور من بين ثنايا ه ٥ ويخار النسيم من لطف سجاياه ٥
الملاحة جل نظره ٥ والمناصحة غاية وطره ٥ يمشى هونا لا سريعا ٥ واذا التفت
التفت جميعا ٥ وكان صلى الله عليه وسلم طويل السكوت ٥ مواظبا على القنوت ٥
دايم الفكره ٥ ملازم العبره ٥ متواصل الاحزان ٥ متجليا بالعدل والاحسان ٥
لا يعجبه من مال الى المال ولها ٥ ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ٥ يعظم النعمة
وان دقت ٥ ويصبر على المحنة وان شقت ٥ من رآه بديهة هابه ٥ ومن خالطه

معرفة احبه ولزم بابه ٥ لم ير احسن منه منظرا ٥ ولا اطيب خبرا ومخبرا ٥
يبادر الى قضا حاجة من يبتغي فضله ٥ يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله ٥
وكان صلى الله عليه وسلم يعرف السنة العرب ٥ ويعلم لغة من بعد منهم واقرب ٥
ويخاطب كل طايفة منهم بلسانها ٥ ويجري مع كل فرقة في ميدان بيانها ٥
فصاحته البها المنتهى ٥ وبلاغته حيرت البابة النهى ٥ وجوامع كلمه ماثوره ٥
وبدايع حكمه مشهوره ٥ وعيون معانيه منسجمة ٥ ودرر الفاظه منتظمه ٥
وايجاز مقاطعه تطرب الاسماع ٥ وحسن منازعه لا شك فنه ولا نزاع ٥ وطلاوة
قوله يجل عن الصفه ٥ وحلاوة منطقه لا يذوقها الا اهل المعرفه ٥ انزل
القران الكريم بلسانه ٥ بعظيما لامره ورفعة لشانه ٥ ما اعذب لفظه ٥ وانفع
وعظه ٥ واجزل فوايده ٥ واجمل فرايده ٥ وابلغ خطابه وخطبه ٥ وابدع رسايله
وكتبه ٥ نشا في بني سعد ورتبته في قريش عاليه ٥ فجمع من الكلام رونق الحاضره
وجزالة البادية ٥ وايد ببراعة خصه بها من حكم بتوفير قسمه ٥ ولسر
مدده الوحي الذي لا يدركه البشر ولا يحيطون بشي من علمه ٥ وكان صلى الله
عليه وسلم ذا آداب شريفه ٥ ومعارف منيفه ٥ ونظر ثاقب ٥ ورای صايب ٥
وظن صادق ٥ وحدس موافق ٥ وسياسة شاملة ٥ وحماية كامله ٥ وفضايل
مقصوده ٥ واخلاق محموده ٥ دينه الايمان ٥ وخلقه القران ٥ يسخط بسخطه
ويرضى برضاه ٥ ويجد وجده ويهتدي بهداه ٥ بعث ليتمم مكارم الاخلاق ٥
ويرحض شقة الارض من دنس النفاق ٥ مقررا للشرايع ٥ حافظا للودايع ٥
مجتهدا في المصالح ٥ رايضا للجوامح ٥ ناظرا في المهمات ٥ رافعا اثقال الملمات ٥
وكان صلى الله عليه وسلم غزير الحلم والاحتمال ٥ كثير الفضل والافضال ٥ يصل
من قطعه ٥ ويعطي لمن منعه ٥ ويبذل لمن حرمه ٥ ويعفو عمن ظلمه ٥ وينحني
طرفه عن القذى ٥ ويحبس نفسه عند الاذى ٥ ولا ينتقم مع القدره ٥ ويصبر
على ما يشق ويكره ٥ ولا يزيد مع اذى الجاهل واسرافه الا صبرا وحلما ٥ وما

خُيِّرَ فی امرین الا اختار ایسرهما مالم یکن اثما ۝ ولم یواخذ الذین کسروا رباعیته
وشجّوا مُحیّاه ۝ وقصدوا خفض المرفوع من عرفه وزُباه ۝ بل دعا لهم واعتذر
عن جهلهم ۝ وعفا عنهم وکم عفا عن مثلهم ۝ وتجاوز عما بدا من المنافقین فی
حقه قولا وفعلا ۝ ولم یقابل من شتمه ولا من اذاه بسوء طولا وفضلا ۝ وکم
اعرض عن جاهلٍ ومعاند ۝ وما ضرب بیده شیا قط الا أن یجاهد ۝ وصبر علی
مقاساة الجاهلیة ۝ وعلی ما لقی منهم من الشدة والبلیه ۝ الی ان سلطه الله علیهم ۝
وحکّمه فیهم واظفره بما لدیهم ۝ وکان صلی الله علیه وسلم عالی الهمم ۝ وافر
الفضل والکرم ۝ طویل الباع ۝ مدید الذراع ۝ بسیط الانامل ۝ کریم الشمایل ۝
جمیل العواطف ۝ جلیل المعارف ۝ مُجیبًا للمحبا ۝ مطبوعا علی السخا ۝ سهلَ الانفاق ۝
جزلَ الارفاق ۝ مهتما بصلة الارزاق ۝ این منه الغیثُ المغیثُ والبحر الغیداق ۝
یحقق الوسایل ۝ ولا تخیب امل الآمل ۝ یبذل الرغایب ۝ ویعین علی النوایب ۝
یحمل الکلّ ویکسب المعدوم ۝ ویُجری سیل السیب علی السایل والمحروم ۝
ویمد اطناب الرفق وارواقه ۝ ویعطی عطاء من لا یخشی الفاقه ۝ ویُنیل من
أخلد الیه مالم یکن فی خلده ۝ ولا یدخر شیا من یومه لغده ۝ اسخی من
الغمایم المثقله ۝ واجری بالخیر من الریح المرسله ۝ ظلال عطایاه مدید ۝
وحُلل مکارمه لا تبرح جدیده ۝ تمتار السحایب من یمّ ایادیه ۝ وتهرع
الرکایب الی ندی نادیه ۝ ما سُئل عن شی فقال لا ۝ ولا اعرض عن طالب غرض
ولا قلا ۝ اعطی رجلا ساله غنما بین جبلین ۝ ولم یزل معروفه معروفا عند الثقلین ۝
وقسم فی مجلس واحد تسعین الف درهم ۝ وکم انجد بعطایه من انجد واتهمّ ۝
واعطی مائة من الابل غیرَ واحد من العرب ۝ وجاد للعباس مالم یُطِق حمله من
الذهب ۝ ورَدّ سبایا هوازن وکانوا ستة الاف ۝ وخبرُ ما منح به صفوانَ وغیرَه
عن علمِ الرُواةِ غیرُ خاف ۝ وکان صلی الله علیه وسلم ذا شجاعة وبخده
وبسالة وشِده ۝ وباسٍ وشهامه ۝ وحِمایة وضَرامه ۝ وصَوْلة واقدام ۝

وارغام للصِرغام ٥ يُشتت شمل الكُماة ٥ ويُنهِك وجوه الحُماة ٥ ويُبطل حيلة
الأبطال ٥ ويفرق جمع الأقيال ٥ غزواته معدودة ٥ ومشاهده مشهودة ٥
وحُروبه لا تُنكر ٥ ومواقفه اشهر من ان تذكر ٥ حضر الوقايع الحامي
وطيسُها ٥ وشهد الملاحم العرمرم حميسُها ٥ وتولى الكماة عنه وهو
مستقر غير مرّه ٥ وفرّ المسلمون من حوله يوم حنين فرّة مُرّه ٥
وهو ثابت لا يبرح ٥ ومقبل لا يُدبر ولا يتزحزح ٥ قائلا انا النبي لا كذب ٥
انا ابن عبد المطلب ٥ ما قرُب منه احد اذا التقى الجمعان ٥ الا وعُدّ من اشد
الكُماة والشجعان ٥ وما لقي كتيبة الا وكان اول ضارب ٥ ولا توائب القوم
لوقع صوت الا وكان اسرع واثب ٥ ولم يُر اثبت جاشا منه في الجهاد ٥
ولا اقرب الى جهة المشركين وقت الجلاد ٥ قال ابن عمر ما رأيت اشجع
ولا انجد ٥ ولا ارضى من رسول الله ولا اجود ٥ وقال علي كنا نتقي برسول الله
اذا اشتد الباس واحمرّت الحدق ٥ وفي هذا الحديث احسن ما فيه مما خطب
كاعب السرور وجلب الانق ٥ وكان صلى الله عليه وسلم اكثر الناس حيا ٥
واوفرهم عن العورات اغضا ٥ واوسعهم صدرا ٥ وانورهم بدرا ٥ واجملهم
وصفا ٥ واجزلهم لطفا ٥ واعطفهم نايلا ٥ والطفهم شمايلا ٥ واليهم عريكة
واكرمهم عشره ٥ واحسنهم ادبا وابهجهم نضره ٥ وادومهم بشرا وانسا ٥
وابسطهم خُلقا واطيبهم نفسا ٥ اشد حيا من العذرا في خدرها ٥
والطف من نسمات الاسحار عند هبوبها ومرّها ٥ ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب ٥ ولا فحاش ولا مداح ولا عياب ٥ يتألف الناس ويحسن اليهم ٥ ويكرم
كرم كل قوم ويوليه عليهم ٥ لا يطوي عن بشره بشره ٥ ولا يشافه احدا
بما يكره ٥ ولا يثبت بصره في وجه احد من حيائه ٥ ولم يُر قط ماد رجليه
بين جلسائه ٥ ويتفقد اصحابه ٥ ولا يغلق على الوفد ابوابه ٥ ولا يقطع على احد
حديثه ٥ ولا يمنع عن الملهوف صحبة المغيثه ٥ ولا يعدل عمن جالسه لحاجه"

ولا ينحرف ٥ ولا ينصرف عنه حتى يكون هو المنصرف ٥ وما التقم احد اذنه فنحى راسه
حتى ينتحى الملتقم ٥ ولا يحسب جليسه انه احد اكرم عليه لما يرى من احسانه المرتكم ٥
وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويكافى عليها ٥ ويثابر على المعونة ويسارع
اليها ٥ ويجيب دعوة المسكين والمسكينه ٥ ويعود المرضى في اقصى المدينة ٥ ويخفف
الصلاة سبب طالب الحاجه ٥ ويكثر الى التغافل معاده ومعاجه ٥ ويقابل عذر
المعتذر بالقبول ٥ ويطلع لزايره نجوم اكرام ليس لها افول ٥ ويوثر من يدخل عليه
بوسادته ٥ ولا يخرج في مكارم الاخلاق عن عادته ٥ ويدعوا اصحابه بكناهم واحب
اسمايهم ٥ ويميل الى مخاطبتهم ومحادثتهم ومداعبه صبيانهم ٥ ولا يجيب احدا منهم
من اهل بيته الا بالبيه ٥ ويعم كلا من جلسايه من مودته بالتسويه ٥ ويجرى
على من امه واملاه سيل النوال ٥ ولا يرد ذا الحاجة الا بها او ميسور من القول ٥
قال انس خدمته عشر سنين فما قال لي لشي صنعته لم صنعته ٥ ولا لشي تركته لم
تركته ٥ وكان صلى الله عليه وسلم ذا شفقه تامه ٥ ورافة عامه ٥ ورحمة شامله ٥
وحنو سحابيه هامله ٥ يحب الرفق ولا يعدل عن جهاته ٥ واذا سمع بكا الصبي تجوز
في صلاته ٥ ويامر بالحسنة ويدني اهلها ٥ ولا يجزي بالسيئة مثلها ٥ ولكن يعفو
ويصفح ٥ ويتجاوز عن المسي ويسمح ٥ ويدفع بالتي هي احسن ٥ ويانى من المعروف بما
امكن ٥ ويصل الرحم ويقري الضيف ٥ ويقطع اسباب الجنف والحيف ٥
ويحرص على دخول المسلمين الى دار السلامه ٥ وقال ابن مسعود كان يتخولنا بالموعظه
مخافة السامة ٥ خفف عن امته وسهل ٥ وتوقف فيما شق عليهم وتمهل ٥
وبالغ في اسدا الاحسان اليهم ٥ وكره اشيا مخافة ان تفرض عليهم ٥ واطلع لهم
شفقا من الشفقة لا يغيب ٥ وخصهم من مناهل جبره ومواردخيره باوفر
نصيب ٥ وكان صلى الله عليه وسلم اجمل الناس ودا ٥ واحسنهم وفا وعهدا ٥
واعدلهم حكما ٥ واسعدهم بخما ٥ واعلاهم منا لا ومنارا ٥ واوفاهم سكينة
ووقارا ٥ واوفرهم للحقوق ذكرا ٥ واكثرهم تواضعا واطلهم كبرا ٥ سركب الحمار ويردف

خلفه ٥ ويُبدِئ للفقر والمسكين بشره ٥ ويأكل مما يليه ٥ ويناول الخادم ٥ ويساوي الخادمة
القادم ٥ ويرقع ثوبه ويخصف نعله ٥ ويقمّ بيته ويخدم اهله ٥ ويحلب الشاة
ويعقل البعير ٥ ويجيب اذا دُعي حتى الى الخبز الشعير ٥ ويتوكأ على العصا ٥ ويضطجع
على الرمل والحصى ٥ ويحمل بضاعته من السوق ٥ ويقوم بما يتعين عليه من الحقوق ٥
ويرى أن حُسن العهد من الايمان ٥ ويعامل من اكرم اصحابه باتم الاحسان ٥
وينظر في حال المديون والمفلس ٥ ويجلس حيث انتهى به المجلس ٥ ويكره ان يُقام
له اذا اتى ٥ وينصف المظلوم ممن تعدى عليه وعتا ٥ ويسكّن من روع العرّ
والكبر يا عجاجتها ٥ ويتطلق مع الأمة حيث شاءت حتى يقضي لها حاجتها ٥
حجّ على رحل رث الهيئة والصوره ٥ واهدى مائة بدنه في تلك الحجة المبروره ٥
وادار في سما السعادة لنجوم اصحابه فلكا ٥ واختار ان يكون نبيا عبدا لا نبيا
مَلِكا ٥ على انه سيد البشر بلا شكٍ ولا ريب ٥ واكرم الخلق على عالمِ الشهاده والغيب ٥
وكان صلى الله عليه وسلم اكثر الناس امانه ٥ واجزلهم عِفة وصيانه ٥
وانضرهم بهجه ٥ واصدقهم لهجه ٥ واجملهم سرا واعلانا ٥ واغزرهم عدلا
واحسانا ٥ صادقا في الكلام ٥ صادعا بالحق في الاحكام ٥ امينا في السما والارض ٥
مكينا عند من اليه النشور والعرض ٥ وعده مقرونا بالانجاز ٥ ولفظه
مشتمل على الايجاز ٥ لا ياخذ احدًا بقرفِ احد ٥ ولا يقبل من مال الى العناد
وعند ٥ يحكم عدلا ٥ وينطق فصلا ٥ وشفع فرض الصلاة بنفلها ٥ ويؤدي
الامانات الى اهلها ٥ تعرف الجاهليه فضله قبل الاسلام ٥ وكانوا يتحاكمون
اليه في النقض والابرام ٥ يشهد وليه وعدوه بعلمه وعدله ٥ والفضل
ما شهدت به الاعدا لاهله ٥ وكان صلى الله عليه وسلم ذا مروءة وافره ٥
وتؤدة عن وجه السداد سافره ٥ جزيل الصمت والوقار ٥ جميل المآثر
والايثار ٥ يرعى حق الصحبه القديمه ٥ وكجود بجود نعمه العميمه ٥ وتعطف
على ذوي رحمه برحمته وصلاته ٥ وتلطف بالصغار من اولاد اولاده حتى

في صلاته ٥ ويامر باستعمال خصال الفطرة ٥ ويتمسك على الحلم والحذر والتقدير
والفكره ٥ ويسكن الي قله الكلام وميله ٥ ويعرض عمن تكلم بغير جميل ٥ مجلسه
مجلس هدي وعلم ٥ ومحل خير وحلم ٥ لا ترفع فيه الاصوات ٥ ولا تذكر فيه
العورات ٥ ولا تؤبن في حرميه الحرم ٥ ولا تخفر في أرجايه الذمم ٥ ان تكلم اطرق
جلساوه ٥ وان صمت زاد وقاره وبهاوه ٥ لا يكاد يخرج من مجلسه شيا من اطراقه ٥
ولا يعدل عن طريق عدله وأدبه وانصافه ٥ وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا
في الدنيا ٥ نازلا من تركها بالمنزلة العليا ٥ متنزها عنها ٥ متقللا منها ٥ معرضا
عن زهرتها ٥ غير ناظر الي نضرتها ٥ متحليا بالطاعة ٥ متلفعا بمروط القناعة ٥
مزينا بالعفاف والكفاف احواله واموره ٥ مقتصرا من نفقته وملبسه
على ما تدعوا اليه الضروره ٥ يلبس البرد الخليظ والكسا والشمله ٥ ويقسم حلل
الديباج على اصحابه حلة بعد حلله ٥ عيشه ظليف ٥ وما كله طفيف ٥ وملبسه
خسيف ٥ وفراشه من ادم حشوه ليف ٥ ينقل المنام ٥ ولا يستكثر من الطعام ٥
يبيت جايعا طاويا ٥ ويصبح صايما خاويا ٥ لا يسال اهله طعاما ٥ ولا يظهر لهم
غرثا ولا اوا ما ٥ ان اطعموه اكل ٥ وان سقوه قنع بالنهل ٥ ما اكل قط
على خوان ٥ ولا خبز له المرقوق حينا من الاحيان ٥ ولا شبع من خبز شعير يومين
متواليين ٥ ولا من خبز بر بلاه ايام تتاعا حتى ادركه الحين ٥ ولا راى ابدا لحم شاه
سميط ٥ ولقد نام احيانا على سرير مرمول بشريط ٥ وما خلف دينارا ولا درهما
ولا نفقه ٥ ولم يترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها لابن السبيل صدقه ٥
هذا وقد اوتي خزاين الارض ومفاتيح الكنوز ٥ وابرز له من الابريز كل مجبوب
ومحجوز ٥ واظلته غمايم الغنايم ٥ وجاته هدايا اهل التجار والعمايم ٥
وحملت اليه الجزى والصدقات ٥ وانثالت عليه الاموال والنفقات ٥
وسيقت اليه الدنا بحذافيرها ٥ وترادفت عليه الفتوحات بجماهيرها ٥
فقابل الايراد من ذلك بالاصدار ٥ وما استاثر منه بدرهم ولا دينار ٥

بل قصد الخير ٥ واغنى به فاقة الغير ٥ وفرقه فى مصالح المسلمين ٥ وكف به
اكف المشركين ٥ وبذله لطالبى رفده وقاصدى آماله ٥ حتى انه توفى ودرعه
مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله ٥ وكان صلى الله عليه وسلم شديد الخوف
والعباده ٥ وافر الطاعة والمحبة والاراده ٥ طاعته نظير حبه ٥ وخوفه
على قدر علمه بربه ٥ عمله ديمه ٥ وطريقته مستقيمه ٥ يصلى طويلا ٥ وينوم
الليل الا قليلا ٥ ينام على شقه الايمن بغير مهاد ٥ ليستظهر على قله النوم والرقاد ٥
يراقب من يحاسب على الذره والذره ٥ ويستغفر الله فى اليوم مائة مره ٥
قام حتى انتفخت قدماه ٥ وهجر الطعام فى الهواجر طاعة لمولاه ٥ المحبة اساسه ٥
والصبر لباسه ٥ والزهد حرفته ٥ والصدق سجيته ٥ واليقين قوته ٥
والرضا مطيته ٥ والمعرفة راس ماله ٥ والطاعة منتهى آماله ٥ والشوق مركبه
والفكر انيسه ٥ والثقة كنزه والحزن جليسه ٥ والفقر فخره والعقل
مصباحه ٥ والجهاد خلقه والعلم سلاحه ٥ وقره عينه فى الصلاه ٥ وثمره
فواده ذكر من لا اله سواه ٥ الخوف مألفه ٥ والصبر مطرفه ٥ والعلم مرهبه ٥
والشوق مركبه ٥ فسبحان من اسرى به من مكه ليلا ٥ وسحب له على سحب
المعالى ذيلا ٥ ونقله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ٥ واتحفه من نعمه الظاهره
والباطنة ما لا يحصر ولا يحصى ٥ واتى صلى الله عليه وسلم بالبراق ٥ فركبه ليخرق
به السبع الطباق ٥ وهو دابة ابيض طويل ٥ يضع حافره عند منتهى طرفه الكميل ٥
فلما وصلت المقدس صلى فى مسجده امتثالا للامر ٥ واصاب الفطرة باختياره
اللبن دون الخمر ٥ ثم عرج مع جبريل الى السموات ٥ ومنح فى العالم العلوى ما علا
الدرجات ٥ ورأى ادم فى السما الدنيا ٥ وفى السما الثانية عيسى ويحيى ٥ وفى السما
الثالثه يوسف الصديق ٥ وفى الرابعة ادريس الحقيق باسرار التحقيق ٥ ولقى
هرون فى السما الخامسة ٥ واخاه موسى فى السما السادسة ٥ وفى السابعة ابرهيم
المشهور فضله المشهور ٥ واذا هو مسند ظهره الى البيت المعمور ٥ يا له بيتا يدخله

كل يوم يسبعون الف ملك ٥ لا يعودون اليه الا بمشية من اذا رالملك ٥ واستانس
بالابوين والاخوة وابني الخاله ٥ وكل منهم اشار الى صلاحه ورحب به ودعاله ٥
وعند كل سما يستفتح جبريل فيفتح له الباب ٥ ويسال عن بعثة من معه
فيرد على سايله الجواب ٥ ثم ذهب به جبريل الى سدرة المنتهى ٥ ذات الاغصان
الوريقة والثمر المشتهى ٥ وهى شجرة تخرج انهار الجنة من اصلها ٥ ويسير
الراكب سبعين عاما في ظلها ٥ والها ينتهى ما في الارض يعرج ٥ وما يهبط من فوقها
عندها يقف ومنها تخرج ٥ فلما غشيها من امر الله ما غشى تغيرت ٥ فما احد
يستطيع نعت حسنها الذى لو ادركته الابصار لتحيرت ٥ فاوحى الله تعالى ما
اوحى اليه ٥ وفرض ما فرض من الصلوات عليه ٥ ثم تصدق برحمته وخفف ٥
وزاد الاجر مع التخفيف وضعف ٥ بعد ان كلمه في ذلك موسى شكر الله على همته ٥
واشار عليه بسوال الله تعالى في التخفيف على امته ٥ ورفعه حتى بلغ مستوى يسمع
فيه صريف الاقلام ٥ ومملا في الملا الاعلا اذنيه من ترجيع الكلام ٥ وعظمه
بامامة اهل السما ٥ وقدمه للصلاة بالملايكه والانبيا ٥ واحضره لمشاهدة حضرته ٥
وكشف له حجب عينيه وقدرته ٥ واعانه على معاينة النور الاعظم ٥ واعلم المقربين
اليه بانه افضل خلقه واعلم ٥ واسمعه الاذان من لفظ ملك الحجاب ٥ واستخرج
لرويته من بحر قدرته ما يقضى له بالعجب العجاب ٥ واكرم له المثوى ٥ وارا ٥ وارخله
جنة المأوى ٥ واوضح له الطرائق ٥ واظهره على الحقايق ٥ واودعه الاسرار
المكنونه ٥ واطلعه على الغرايب المخزونه ٥ واشهده عجايب سلطانه وملكوته ٥
وافرده بالنظر الى عظمة كبريايه وجبروته ٥ وشمله بعنايته الوافره ولطافه
الخفيه ٥ وادناه دنوا تنقطع عنه الكيفيه ٥ ومهد له بساط التلطف والتانيس ٥
واعلاه على المقربين من اهل التسبيح والتقديس ٥ واراه ما اراه من ايانه الكبرى ٥
وذكره فيمن عنده ان في ذلك لذكرى ٥ وهو صلى الله عليه وسلم اول الناس خروجا
اذا نشروا ٥ وقايدهم اذا حشروا ٥ ومبشرهم اذا يئسوا ٥ وشفيعهم اذا حبسوا ٥

وخطيبهم اذا انصتوا ٥ ومنجدهم اذا دخلوا في ذلك اليوم ولهم لوآ الحمد
بيده المعيرة للغيث وآنوآيه ٥ وما من بني آدم نفس سواه الا تحت لوايه ٥ وهو
اول من تنشق عنه الارض ٥ واول من يدخل الجنة ثم معه ثم العرض ٥ افضل
السابقين ٥ واكرم عباد الله الصادقين ٥ وخير اصحاب اليمين ٥ واول من انزل
عليه الروح الامين ٥ وهو صاحب الحوض المشهر بالكوثر ٥ الذي ريحه اطيب من
المسك الاذفر ٥ وحافتاه قبابُ اللولو المنسق ٥ ومآوه احلا من العسل وابيض
من الورق ٥ طوله ما بين ايلة الى عمان ٥ يشخب فيه من الجنة ميزابان ٥
احدهما من اللجين ٥ والآخر من خالص العين ٥ كيزانه كنجوم السما بهجة
وعددا ٥ من شرب منه شربة لا يظما بعدها ابدا ٥ وهو صلى الله عليه
وسلم اول شافع واول مشفع ٥ واول من يقول فينصت لقوله ويسمع ٥ وهو
اعظم الانبيا اجرا ٥ وارفعهم ذكرا ٥ وابهرهم آيه ٥ وابعدهم غايه ٥ وابدعهم
تبيانا ٥ واقطعهم برهانا ٥ واجلهم مقدارا ٥ واعزهم انصارا ٥ واجزلهم حمدا
وشكرا ٥ واوفاهم بوكلا وصبرا ٥ واعلمهم بالله وصفاته واسمايه ٥ واشجعهم
قلبا بعظمته وجلاله وكبريآيه ٥ واعرفهم بشريعته واحكامه ٥ وافهمهم
لمعاني وحيه وكلامه ٥ واغزرهم احاطة بالمدارك العقليه ٥ واقربهم مجلسا
من الحضرة المقدسة الالهيه ٥ واظهرهم سمة وعلامه ٥ واكثرهم تبجا يوم
القيامه ٥ يوم يوتى الوسيلة المحفوفة باصناف المنه ٥ قال ابو هريره هي اعلا
درجة في الجنة ٥ يوم يعطى الف قصر من اللولو ترابها المسك السحيق ٥ وفيها
من الازواج والخدم ما يصلح لمثله وبه يليق ٥ يوم يقوم الناس افواجا الى باريهم
ذي العزة والتنزيه ٥ يوم المآب والحساب واللقا يوم يفر المرء من اخيه ٥
يوم يصير الناس فيه حيارى ٥ ويرون سكارى وما هم بسكاري ٥ يوم يلجون
اليه في امر الشفاعة ٥ حيث يرون تاخر غيره عنها وانقطاعه ٥ يوم يقوم
على يمين عرش الرحمن ٥ ويكسى حلة خضرا معلمة ببلوغ المنى والامان ٥

ويُؤذَنُ له فيقول ما شاء الله ان يقول ٥ ويُفتح عليه من الحمد والثنا ما وردت به
النقول ٥ بآله موقفا يقصر عن الوصول اليه المقربون ٥ ومقاما محمودا يغبطه
فيه الاولون والاخرون ٥ يشفع لاكثر ما فى الارض من شجر ٥ ولأزيد مما حملت
على ظهرها من حجر ٥ ويشفع فى تعجيل من لا حساب عليه الى دار القرار ٥ وفى مَن
وجب عليه العذاب وادخل الى النار ٥ وفى مَن تلفظ بالشهادة المعظمة ٥ وهذه
المنزلة الجليلة لا تحصل لغير ذاته المكرمه ٥ وكم حوى فضيلةً ليس له فيها من
الخلق مشارك ٥ على انه صلى الله عليه وسلم لم يفتخر بشئ من ذلك ٥ شكر الله جميل سعيه
واثيل همته ٥ وجزاه افضل ما جزى نبيًّا عن امته ٥ والقابه صلى الله عليه وسلم
واسماوه كثيره ٥ واوصافه حوت درر المحاسن ولم يغادر منها صغيره ولا كبيره ٥
فمن اسمايه محمد واحمد ٥ وهما اسمان مخصوصان بالطالع الاسعد ٥ منع الله
تعالى ان يسمى بهما قبل زمانه احد من الناس ٥ لئلا يدخل على القلوب الضعيفة
شك والتباس ٥ وهو احمد الحامدين واكثر الناس حمدا ٥ وهو حامل لوا الحمد يوم
تحشر الله المتقين اليه وفدا ٥ ومنها الماحى والحاشر ٥ والمقدس والطاهر ٥
فالماحى الذى محا الكفر بكلمه ٥ والحاشر الذى يحشر الناس على قدمه ٥ والنجم
الثاقب ٥ والمصلح والعاقب ٥ وهو الذى لا نبى بعده ٥ ولا يعقب جزر ذى رسالة
مده ٥ والشاهد والمبشر والنذير ٥ والداعى الى الله باذنه والسراج المنير ٥
والمقفى والقثم والقثوم ٥ وهذا الاسم الآخر فى آل بيته معلوم ٥ ومن اسمايه
صلى الله عليه وسلم المدثر والمزمل ٥ والمختار والمتوكل ٥ والروف الرحيم ٥
والصراط المستقيم ٥ والحق المبين ٥ والصادق الامين ٥ فالحق هو المحقق لصدقه
وأمره ٥ والمبين الذى بين ما بعثه به من جل ذكره ٥ وطه ويس ٥ ورحمة
للعالمين ٥ وسيد المرسلين ٥ وخاتم النبيين ٥ وامام المتقين ٥ وقائد الغر المحجلين ٥
ونعمة الله على الخلايق ٥ وعبد الله المعبد للطرايق ٥ ونبى الراحة والمرحمه ٥
ورسول التوبة والملحمه ٥ وهى اشارة الى ما بعث به من القتال ٥ وما امر به

من رَدع المشركين بحَدِّ النِصال وجَدِّ القِصال ٥ وخَليلُ الرحمن ٥ وحبيب
الملكِ الديان ٥ ومقسم السنة ورُوحُ الحق ٥ والشفيعُ المشفع فى الخلق ٥ وصاحب
الوسيلة ٥ والدرجةِ الرفيعة والفضيلة ٥ والحوضِ المورود ٥ والمقام المحمود ٥
والبراقِ والمعراج ٥ والهراوة والتاج ٥ وهو صلى الله عليه وسلم ذو الحُجة
والسلطان ٥ والعلامةِ والبرهان ٥ ورَبُّ اللوا والقضيب ٥ وراكب الناقه
والنجيب ٥ وسيدُ ولدِ آدم ٥ والمهيمنُ والفاتح والخاتم ٥ والمصطفى والمجتبى
والكريم ٥ وابو القاسم وابو ابرهيم ٥ والنبى الامى والهادى والنور ٥ والعروة
الوثقى التى من تمسك بها نال الغِبطةَ والسرور ٥ والبارَقِليطُ وهو الذى
يَفرُّقُ بين الحق والباطل ٥ وخَمْطايا ومعناه حامى الحَرَمِ بالمرهفات والذوابل ٥
ولَعَمرى انها اسماءٌ على مسمًى جليل ٥ والقابُ عَلَتْ بذِى فضلٍ أثير وقد رأيتُ ٥
منها ما ورد فى حَدِيثه الصحيح ٥ ومنها ما ذُكر فى القرآن الكريم باللفظ الصريح ٥
ومنها ما جاء فى التوراة والانجيل ٥ ومنها ما عُرف من الكتب البعيدِ عهدُها
من التنزيل ٥ ومنها ما سماه الله تعالى من اسمائه الحسنى ٥ وفى ذلك ما فيه من
التعظيم الاسمى والتشريف الاسنى ٥ وكان له صلى الله عليه وسلم معجزات
ادِلتها قاطعه ٥ وكرامات لِانواع الغرائب جامعه ٥ وكلمات صادعة صادقه ٥
وايات للعادات خارقه ٥ رآها فى محافل المسلمين الجمُّ الغفير ٥ ورواها الثِقات
عن العَدد الكثير ٥ لا تزداد مع تقادُم العهد الا ظهورا ٥ ولا يُبدِى سِراجُها مع
اجتهاد الملحد على اطفائه الا نورا ٥ فمن معجزاته ما جاء به من القرآن المجيد ٥
المنزلِ عليه بالحق من حكيم حميد ٥ الذى عَقَل بحُسنِ تاليفه العُقول ٥ وانافَ بالبيان
كَلِمِهِ على كل مَقول ٥ واخرسَ بايجازه فُصحاءَ العرب ٥ وزُمِّ بُلَغاءَهم من اعجازه
بِحراب الحَرَبْ ٥ وخَرَق عادتهم باسِنّة بلاغته ٥ واوقعهم فى الحصر بسعة
فصاحته ٥ على انهم كانوا فرسانَ الكلام ٥ وزُعماءَ ارباب النِثارِ والنِظام ٥
لا يَشكُّون ان البيانَ طوعُ مُرادهم ٥ وأنّ الحكمةَ جارية فى مِلكِ سَعدهم وسُعادهم ٥

يالله كتابا احكمت آياته ٥ وفصلت كلماته ٥ وبهرت مطالعه ٥ وزهرت مقاطعه ٥
وقهرت جوامعه ٥ وظهرت بدايعه ٥ وانارت زجاجة براعته ٥ واضاءت ديباجة
براعته ٥ ورست قواعد اعجازه واعجازه ٥ ورقت وطابت حقيقته ومجازه ٥
واعتدل احسن نظمه ٥ وزهاثمر حكمه وحكمه ٥ وانسقت عقود فرايده ٥
واطردت انهار فوايده ٥ وحسن ترصيعه وترصيفه ٥ وخص بالبيان والبديع
باليفه ٥ وجمع بين نصاعة الالفاظ وقوة الجزاله ٥ واقام من بلاغته على
وجوه العجز عنه اوضح الدلاله ٥ وادهش النواظر بطلاوته ٥ وحرك الالسن
بوصف حلاوته ٥ وحير الافكار رقته العجيب ٥ وسلب الالباب اسلوبه الغريب ٥
واشتمل على العلوم والمعارف ٥ وذكر الشرايع القديمة واخبار القرون
السوالف ٥ وانبا الامم الخاليه ٥ وسرد القصص الماضيه ٥ وشرح احوال الدار
الاخره ٥ ونشر ما انطوت عليه الكتب الغابره ٥ وبدء الخلق واعادتهم ٥ واسباب
شقاوتهم وسعادتهم ٥ والتنبيه على طرق الحجج العقليه ٥ والرد على الفرق بالبراهين
البينة والادلة القطعيه ٥ وكشف اسرار المنافقين واهل الكتاب ٥ وتوبيخهم
على الكذب والعدول عن الصواب ٥ الى غير ذلك من النواهي والاوامر ٥ والموانع
والزواجر ٥ والسير والامثال ٥ والتحريض على القتال ٥ والمواعظ والحكم ٥
ومحاسن الآداب والشيم ٥ والوعد والوعيد ٥ والتنزيه والتوحيد ٥ والتقرير
والترتيب ٥ والترغيب والترهيب ٥ والروعة التي تعترى القلوب عند سماع
قراته ٥ والهيبة التي تطرق الاسماع لدى تلاوته ٥ وكم حوى مجموعه وحاز ٥
نوعا من انواع الاعجاز ٥ قصرت العرب عنها ٥ وعجزت عن الاتيان بواحد منها ٥
اذ كانت خارجة عن قدرتهم ٥ مباينة لكلامهم وفصاحة السنتهم ٥ وما منهم
الا من بذل جهده ٥ واستفد جميع ما عنده ٥ وقصد اطفاء نوره ٥ واجتهد
في اخفاء ظهوره ٥ فما خلوا خبية من بنات شفاههم ٥ ولا برزوا بقطره من معين
مياههم ٥ مع طول المدة وكثره العدد ٥ وتظافر الوالد وما ولد ٥ بل ابلسوا

فما يسوا ٥ وجلسوا صاغرين لما أيسوا ٥ ثم انه لا يحد من سعى من المعطله
فى تعطيله ٥ ولا يحصى من ثابر من الملحدة على تغيير محكمه وتنزيله ٥ واجمعوا
كيدهم وقولهم ٥ واستفرغوا قوتهم وحولهم ٥ فما قدروا على تحويل كلمة
من تاليفه ٥ ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه ٥ لان الله تعالى تكفل
بحفظه ٥ ومنع من التعرض الى شى من لفظه ٥ وبالجمله فلم يوجد قبله ولا بعده
له نظير ٥ ولا استطاع احد مما ثلة فصل منه طويل ولا قصير ٥ بل حارت
فنه العقول وتدلهت فيه الاحلام ٥ وجفت الصحف عند معارضته ورفعت
الاقلام ٥ وهو من باب الخوارق الممتنعة عن البدو والحضر ٥ ولا يمكن ان
يدخل مثله تحت مقدور البشر ٥ يعرف ذلك من تفنن فى علوم هذا الشان ٥
واره ف خاطره الخطار ادب صناعة اللسان ٥ وهو الذكر الحكيم ٥ والقران
الكريم ٥ والنور المبين ٥ وحبل الله المتين ٥ والربيع للقلوب ٥ والماحى للذنوب ٥
والنافع الشافى ٥ والكافل الكافى ٥ والنجاة لمن تبعه ٥ والهدى لمن قراه وسمعه ٥
ينفر عنه الذين اذهب الشرك لبهم ٥ وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ٥
يوتى تاليه طلاقة وبشاشه ٥ ويكسب قاريه ابتهاجا وهشاشه ٥ لا يمله
القارئ ولا المستمع ٥ ولا تحصى الالسنة ثناء على فضله المجتمع ٥ حجته
قاهرة ودرجته عليا ٥ وآيته البينة باقية ما بقيت الدنيا ٥ لا يزال غضا
طريا ٥ ولا يبرح عذا شهيا ٥ تكريره يزيده حلاوة ظاهره ٥ وترديده ٥
يوجب له المحبة الوافره ٥ يستانس به فى الخلوات ٥ ويستلذ بترتيله فى
الصلوات ٥ لا تفنى عجايبه ٥ ولا تنطوى غرايبه ٥ ولا تنقضى عبره ٥ ولا تضمحل
درره ٥ ولا يبلى على كثره الرد جديد وصفه ٥ ولا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه ٥ من قال به صدق ٥ ومن دعى به خرق ٥ ومن حكم به عدل ٥
ومن قسم به برى من العدل ٥ ومن عمل به حصل على الاجر العظيم ٥ ومن تمسك
به هدى الى صراط مستقيم ٥ قال الشاعر ن

تمسّكْ بحبلِ الله أعنى كتابَهُ ۞ وقِفْ عندَه فهو المجيدُ المعظَّمُ ۞
يُبَشِّرُ اهلَ الصالحاتِ بنعمةٍ ۞ وفضلٍ ويَهْدِي للتى هى اقوَمُ ۞
ويُنذِرُ راقوا مَا عن الحقِّ اعرضوا ۞ وبالعَدلِ والانصافِ يقضِى ويحكُمُ ۞
بهِ نزَلَ الروحُ الامينُ منجّما ۞ على خيرِ مبعوثٍ يَرِقُّ ويَرحمُ ۞
محمدٍ الهادِى الذى بجنابهِ ۞ يلوذُ فصيحٌ فى المعادِ واعجَمُ ۞
عليهِ سلامٌ من سلامٍ مهيمنٍ ۞ مَدَى الدهرِ لا يفنَى ولا يتصرّمُ ۞

ومن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل مكة سالوه ان يريهم
آيه ۝ وذلك لقلة اليقين وكثره الغوايه ۝ فاراهم انشقاق القمر فرقتين ۝
حتى راوا حرا بينهما علما بين شعلتين ۝ وقال اشهدوا وهم حينئذ بمنى ۝
فانصبت على اعدايه الاذى كما حصل اصحابه على المنى ۝ فجعلها ابو جهل من
سخر حمقه سحرا ۝ وقال ابعثوا الى اهل الآفاق طرا ۝ فاخبر اهل الافاق ان
معجزته كانت حقا ۝ وانهم عاينوا القمر تلك الليلة منشقا ۝ ومنها
ان الشمس ردت لعلى بدعايه ۝ وكلاهما زهرة من ارضه وقطرة من سمايه ۝
طلعت بعد ما غربت ۝ وشبت نار ذهابها بعد ان ذهبت ۝ ووقفت على الارض
وقفة ممتثل لما يومر ۝ وكان ذلك بالصهبا فى خيبر ۝ وحبست بدعايه
الشمس ساعة وقريش ينظرون ۝ وزيد له فى النهار بعد ان اكتحلت بالقار
منه الجفون ۝ وجرت هذه الكرامة التى ليس لها نظير ۝ فى واقعة الرفقة
والعلامة التى فى العير ۝ وكان الغمام يظله حيث سار ۝ وفى رد الشمس يدور
معه كيف ما دار ۝ ومنها ان الناس التمسوا الماء فلم يصلوا اليه ۝
فطلب فضل ماء وصبه فى اناء وضع بين يديه ۝ ثم انه عليه السلام وضع فيه
كفه الميمون ۝ فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون ۝ فتوضا الناس
عن آخرهم وكانوا الفا وخمس مئين ۝ ولو كانوا مائة الف لكفاهم بركه يمين
من لا يمين ۝ واقبل الناس فى غزوه تبوك الى العين ۝ وهى تبض بشى من الماء

دون عُشر القلتين ٥ فغسل منهُ وجهه ويديه ٥ ثم امر باعاده الغساله اليه ٥
فجرت مما كثير ارتوى منه الجيش ٥ وزال ببركته الظما وطاب العيش ٥ وورد
الناس بير الحدبية ٥ وهم اذ ذاك اربع عشرة مايه ٥ فلم يتركوا منها قطره ٥
واذ هبوا قل مايها وكثره ٥ فقعد على جباها ٥ ودعى لها واستدعاها ٥
فجاشت كبحر طمى او غيب هتن ٥ فروى الناس حتى ضربوا بعطن ٥ وشكا
الناس اليه العطش في بعض الاسفار ٥ فدعا بالميضاة وجعلها من ضبنه في
محل الازار ٥ ثم التقم فمها فحلت عليها البركة والسعادة ٥ فشرب منها
الناس وملوا انيتهم وكانوا سبعين رجلا وزيادة ٥ واما الحديث المروى
عن عثمن بن حصين ٥ في قصة المراه والبعير والمزادتين ٥ وما شرب الناس من
مايها عند الظما في السفره ٥ فهو حديث يعرفه الثقات من اهل العلم والاثر ٥
ولقد اصاب الناس شده من العطش في جيش العسره ٥ حتى ان الرجل لينحر
بعيره فيشرب عصير فرثه من فرط الحره ٥ فرغب ابو بكر رضى الله عنه في الدعا
اليه ٥ فرفع زاده الله شرفا لديه يديه ٥ فلم يرجعا حتى اتت السما من دمها
بما لا يحصره ٥ فملوا ما معهم من الانية ولم يجاوز العسكر ٥ وعطش ابو طالب
وهو رديفه بذى المجاز ٥ وليس هناك ما يملك ولا يجاز ٥ فنزل وضرب الارض
بقدميه ٥ فخرج الما بفور بركته صلى الله عليه ٥ ومن معجزاته انه اطعم
سبعين رجلا من اقراص شعير ٥ كان انس قد جا منها تحت ابطه بالبسير وهو
يسير ٥ بعد ان تقبلها بالقبول ٥ وقال فيها ما شا الله ان يقول ٥ واطعم يوم
الخندق باتفاق الحذاق ٥ الف رجل من صاع شعير وعناق ٥ بعد ان بصق
وبارك في العجين والبرمه ٥ والقضيه معروفه من حديث جابر تغمده الله
بالرحمه ٥ وصنع ابو ايوب له عليه السلام ٥ ولابي بكر معه ما يكفيهما من الطعام ٥
قال فاجبت امره ودعوت الانصار ممتثلا ٥ فاكل من طعامي يومئذ مايه
وبمانون رجلا ٥ واتى بقصعه فيها لحم فتعاقبها الصادرون والواردون ٥

ولم يبرحوا من الغداة الى العشي يقوم قوم ويقعد آخرون ٥ وصنعت شاة فشوى
سواد بطنها لديه ٥ وكان معه ثلاثون ومائة من اصحابه صلى الله عليه ٥ قال
عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما في خدشه المشهور ٥ وايم الله ما منهم الا وقد
حز له حزة من السواد المذكور ٥ واصاب الناس مخمصة في بعض مغازيه ٥
فجمع من الازواد ما ربضة العنز توازيه ٥ ثم دعا الناس باوعيتهم الخلية ٥
فلم يبق في الجيش وعا الا ملئ وفضلت بقيه ٥ وامر ابا هريره رضي الله عنه
ان يدعو له اهل الصفه ٥ فتتبعهم حتى جمعهم ووضعت بين ايديهم صحفه ٥
يالها صحفة تخجل من جفناته الغر في الدجى لمعت ٥ اكلوا منها ما شاءوا
وفرغوا وهي مثلها حين وضعت ٥ وسقى جميعهم في وقت من قدح لبن ٥ فروا
منه حتى كادوا ان يضربوا بعطن ٥ وجمع بني عبد المطلب وكانوا اربعين ٥
فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا وشربوا اجمعين ٥ ودعا بعس فشربوا حتى
بلغوا من ريهم المطلب ٥ وبقي الطعام والشراب كانه لم يوكل ولم يشرب ٥
وامر مرة عمر بن الخطاب ٥ ان يزود اربعمائة من الركاب ٥ وعين له تمرا
قدر الفصيل الرابض ٥ فاعطى منه كلا منهم ما سار وهو به راض وعليه قابض ٥
وحديث مزود ابي هريره معروف ٥ وما حصل فيه من بركه يده الكريمة
موصوف ٥ اطعم منه الجيش وجماعة من صحبه ٥ وحمل من تمره كذا وكذا وسقا
في سبيل ربه ٥ واثر الناس منه مدة من الزمان ٥ واستمر على ذلك الى ان ذهب
منه في قتل عثمان ٥ وخبر جابر مع عمر ما ابيه مذكور ٥ وتكثير التمر عند وفا
ديونهم بدعا يه مسطور ٥ وقصة قدر فاطمة سيدة نسا العالمين ٥
وقبضه بعد اكل الجمع الكثير منه لا تخفى على ايمة المحدثين ٥ وكذا حديث
وليمتها بالامداد والجزور ٥ وما فضل بعد اكل الناس كافة ماثور ٥
ولما ابتنا بزينب امر بان يدعو اله الناس ٥ ونقدم اليهم مد من تمر بعد
ان يحاس ٥ فجعلوا ياكلون زمرا زمرا ٥ قال انس وكان القوم اكثر من سبعين

نفرا ٥ بل كانوا زهاء ثلاثمائة فى رواية اخرى ٥ وهذا سهل لديه صلى الله عليه وسلم
ولو كانوا عدد جيش كسرى ٥ ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ان المسجد كان
على جذوع نخل مسقوفا ٥ وكان اذا خطب يلازم فى قيامه جذعا منها معروفا ٥
فلما صنع منبره العلى الدرج الرفيع المنار ٥ سمع الناس لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار ٥ حتى ارتج المسجد بخواره ٥ وكثر البكا لتصدعه وانكساره ٥ فوضع يده
الكريمة عليه فسكت ٥ والتزمه لما علم حنينه اليه فصمت ٥ ولو لم يلتزمه اعلا
الله مقامه ٥ لبقى كذلك الى يوم القيامه ٥ وفى رواية انه دعاه فجاء خرقا الارض
طايعا ٥ فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه راجعا ٥ وفى اخرى قال له ان شئت
ان اردك الى ما كنت فيه مع الشجره ٥ تنبت عروقك ويكمل خلقك وتجدد لك خوص
وثمره ٥ وان شئت اغرسك فى الجنة ٥ فقال بل تغرسنى فيها ولك المنه ٥ رغب لسعادته
فى دار البقاء ٥ واختارها لخيرته على دار الفنا ٥ وفى رواية فامر به فدفن تحت
منبره ليصلى اليه ٥ فلما هدم المسجد اخذه ابى وكان عنده رحمة الله عليه ٥
وخرج الى نواحى مكه فى بعض الايام ٥ فما استقبله شجره ولا حجر الا شافهه
بالسلام ٥ ولما اتى جبريل بالرسالة المعظمة اليه ٥ جعل لا يمر بحجر ولا شجر
الا سلم عليه ٥ وامنت الابواب والجدران على دعايه ٥ وكان كل من الحجر والشجر
يسجد له اذا مر بازايه ٥ وعرض الاسلام على بعض الاعراب ٥ فقال من يشهد لك
على ما تقول بالصواب ٥ فاشار الى شجره بشاطى الوادى ٥ فاقبلت تخد الارض بخدها
الحاضر والبادى ٥ حتى قامت بين يديه فشهدت ٥ ثم صدرت الى مكانها بعد ما
وردت ٥ وساله اعرابى آيه ٥ تكون له سببا للهدايه ٥ فامر بدعوة بعض الشجر ٥
فاقبلت الشجرة ممتثله لما امر ٥ فسلمت عليه ٥ ووقفت بين يديه ٥ ثم رجعت
باشارته الى منبتها ٥ وكم له من ازايه منقوله عن منبتها ٥ وذهب لقضى حاجة
فى بعض الاحيان ٥ فلم ير شيا يستتر به عن العيان ٥ فلحقت صاحبتها احدى
شجرتين ٥ وعادتا على شخصه الكريم ملتيمتين ٥ ثم افترقتا بعد الالتفاق ٥

وقامت كل واحدة منهما على ساق ٥ وذهب لحاجته في بعض مغازيه ٥ واسامة
ابن زيد صحبته بناجيه ٥ فامره ان يدعو له نخلات وحجاره ٥ ليكن له منزله
الوقاية والستاره ٥ فتقاربت النخلات حتى عدن لزاما ٥ وتعاقدت الحجاره حتى
صرن خلفهن ركاما ٥ فلما قضى حاجته من منافعهن ٥ رجعن باشارته الى مواضعهن ٥
وجاءت للسلام عليه طلحة او سمرة من قبل نفسها ٥ فاطافت ملمة به ثم رجعت
الى منبت غرسها ٥ ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان الجن قالوا من يشهد لك
منا عند تدافع ٥ قال هذه الشجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع ٥ وسار في غزوه
الطائف ليلا ٥ وقد اسبل الوسن من جفنه ذيلا ٥ فاعترضته سدرة فانفرجت له
نصفين ٥ واستمرت باقيه راقمة قائمة على ساقين ٥ ودعا ببعض الاودية غضنا
من شجره ٥ فجاء يخط الارض مطيعا لما امره ٥ فحبسه بمشية من اعطى ومنع ٥ ثم قال
له ارجع كما جيت فرجع ٥ وقصد هدانة اعرابي الى السبيل ٥ فدعا بحضرته عزقا
من النخيل ٥ فجعل ينقر حتى اتاه ٥ ثم رجع الى مكانه ومثواه ٥ ومن معجزاته
صلى الله عليه وسلم ان الضب كلمه في محفل من اصحابه ٥ وقال له لبيك وسعديك
يا زين القيامة حال خطابه ٥ ونطق بربوبية الاه الاولين والاخرين ٥ وشهد انه
رسول رب العالمين وخاتم النبيين ٥ واخبر الذئب راعي الغنم بنبوته وعظمته ٥
وقتال المشركين حينئذ وعلو كلمته ٥ فحكمه الراعي في غنمه ٥ ومضى لتحقيق
صدق كلمه ٥ فوجده في القتال كما قال ٥ فاسلم وعاد واخذ غنمه على اكمل حال ٥
وسبح الماكل بين يديه بلغة فصيحه ٥ قال ابن مسعود كنا نأكل معه الطعام
ونحن نسمع تسبيحه ٥ واخذ كفا من حصى فسبح في يده ٥ وهو حديث رواه الثقات
عن ابن بسنده ٥ ومرض فجاءه جبريل بطبق فيه عنب ورمان ٥ فلما اكل منه سبح
للملك الديان ٥ وكان حول البيت بلا امانة وستون صنما ٥ ارجلها مثبتة بالرصاص
في الحجاره اثباتا محكما ٥ فلما دخل عام الفتح الى المسجد الحرام ٥ جعل يشير بقضيب
في يده الى ملك الاصنام ٥ فوقعت لوجوهها وظهورها حسب اشارته ٥ وكم له من اية

بينه تدل على كثره فضله وغزارته ٥ وكلام ضمار صنم عباس بن مرداس ٥ وانشاده
الشعر الذى ذكره لا شك فيه ولا التباس ٥ وكذا كلام الطير الذى عند ضمار سقط ٥
وشهادته برسالته غير خاف عمن روى وضبط ٥ وسجدت له الشجر فى حايط بعض
الانصار ٥ والبعير برك بين يديه ومن الذى به استجار ٥ وحديث ناقته
العضباء وكلامها له مشهور ٥ ومبادرة العشب اليها وتجنب الوحوش عنها فى الكتب
مسطور ٥ على انها بعد وفاته ما اقتاتت ٥ ولم تاكل ولم تشرب حتى ماتت ٥
واظلته حمام مكه يوم فتحها ٥ وازدلفت اليه البدن فى بعض الاعياد لذبحها ٥
ونبتت بامر الله تجاهه شجرة لسلة الغار ٥ ونسجت العنكبوت ووقفت الحمامتان
ستر اله من الكفار ٥ واستجارت به الظبية الموثقه فى الحباله ٥ وخصته ببكاء
الندا فى البيدا شاهدة له بالرساله ٥ وسالته اطلاقها لترضع خشفها ثم تعود ٥
فعاهدها واطلقها فغابت ثم آبت وافية بالعهود ٥ فلما عادت اوثقها نظرا
فى حال الصياد ٥ ثم اعتقها باذنه لما استيقظ من الرقاد ٥ وكان قتاده ٥
اسكنه الله بحبوحة جنته ٥ قد اصيب عينه يوما حد حتى وقعت على وجنته ٥
فردها صلى الله عليه ٥ فكانت بعدا احسن عينيه ٥ واصيب وجه ابى قتاده بقدح
من القداح ٥ فبصق على جرحه فما ضرد عليه ولا قاح ٥ وتشفع به الى الله بعض
العميان ٥ فكشف عن بصره كشفا عوضه عن الخبر بالعيان ٥ وان ملاعب الاسنه
نهكه استسقاء طرا عليه ٥ فشفى بحثوة من الارض تفل عليها وجهرها اليه ٥
ولما ابيضت عينا فديك وذهب نظره ٥ نفث فى عينيه صلى الله عليه وسلم فارتد
اليه بصره ٥ حتى كان يدخل الخيط فى الابره ٥ والقوم يرفعون الى ثمانين حجة
عمره ٥ ورمى كلثوم بن الحصين يوم احد فى نحره ٥ فبصق فيه فبرا بامر من لا
ينطق عن الهوى ٥ ولم تمت شجة عبد الله بن انيس حيث نفل عليها من شهد بنبوته
اويس ٥ وفى عينى على نفث يوم خيبر ٥ فاصبح رمده لم يكن شيا يذكر ٥ ونفث
على ساق سلمة بن الاكوع ٥ فبرئت من ضربة اصابتها فى يوم هوسماه يوم الرضع ٥

واصاب رجل زيد بن حباب السيف فبراه بنفثة من بركته يذهب الخنف
والحيف ٥ وانكسرت يوم الخندق ساق ابن الحكم ٥ فنفث عليها فبرا مكانه ولم يحصل
له الم ٥ واشتكى علي فدعا له ثم ضربه برجله ٥ فلم يعد اليه ذلك الوجع من اجله ٥
وقطع ابو جهل يد معوذ بن عفرا يوم بدر ٥ فبصق عليها والصقها باذن من شرح
له الصدر ٥ وضرب خبيب على عاتقه فتهدل شقه ومال ٥ فنفث عليه ورده
الى ما كان عليه قبل القتال ٥ وبرا صبي الخثعمية بغسالة يديه ٥ وعقل عقلا كثيرا
ببركته صلى الله عليه ٥ وانكفات القدر على ذراع ابن حاطب وهو صغير ٥ فمسح عليه
ودعا له فبرا لوقته باذن اللطيف الخبير ٥ وكان في كف شرحبيل سلعة ٥ منعته
القبض على السيف وضيقت ذرعه ٥ فما زال يلحسها بكفه حتى ذهبت ٥ وزال اثرها
ببركة يده التي كم ابرات وكم وهبت ٥ وابرا عيرا واحد من ذي جبتة وذي وصب ٥
ولم يؤت باحد به مس فصك في صدره الا ذهب ٥ ومن معجزاته ما لا يفنى
مواد مددهِ انه كان اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده ٥ دعا
لانس بالبركة وبكثير الولد والمال ٥ فلم احد نال من كثره الولد وزخاء العيش ما
نال ٥ تمتع بالمال الكثير في سلمه وحربه ٥ ودفن مئة ولد من صلبه ٥ ودعا
بالبركة لعبد الرحمن بن عوف ٥ فطافت الاموال حول بيته اجزل طوف ٥ حتى تصدق
مرة بعير فيها سبعمائة بعير ٥ واطلق جزلا وانجز وعدا خطير ٥ واعتق في يوم بليس
عبدا ٥ وظهر في تركته من الذهب ما ثقل حملا وعدل وصفا ٥ حتى اخذت كل زوجة
من زوجاته الاربع بمائتي الف ٥ ودعا لمعوية بالتمكن في البلاد ٥ فنال الخلافة
وحكم في الطريف والتلاد ٥ ودعا لسعد بن ابي وقاص باجابة دعوته ٥ فما دعا لاحد
بعدا الا استجيب له ببركته ٥ واستجيب له صلى الله عليه وسلم في عمره ٥ وعز الاسلام
به من رب البشر ٥ قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر ٥ وقال للنابغة
لا يفضض الله فاك ٥ فادرك بدعائه غاية تعلوا على الافلاك ٥ وعمر وكان احسن
الناس ثغرا ٥ كلما سقطت له سن انبت الله له اخرى ٥ ودعا لابن عباس بالتفقه

وبعلم التاويل ٥ فكان بعد يسمى حبر الامة وترجمان التنزيل ٥ ودعا لعبد الله
ابن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه ٥ وكان يربح فى جميع ما يشتريه بنفسه وبايعه
واميته ٥ ودعا بالبركة للمقداد ايضا ٥ ففاضت عليه عيون المال فيضا ٥
ودعا مثل ذلك لعروة بن الجعد ٥ فدار بخوم رحبه الجزيل فلك السعد ٥
وكفى علىّ كرم الله وجهه الحر والقر بدعايه ٥ وكان يلبس فى الشتا ثياب صيفه
وفى الصيف ثياب شتايه ٥ واعطى طفيل بن عمرو الدوسىّ بدعوته عليه السلام ٥
وهو نور يضىء بطرف سوطه جنح الظلام ٥ هذا ابن عباس به قد غدا فى الفقه
والتاويل نعم الامام ٥ ودعا على مضر فقحطوا ولم يصف لهم عيش ٥ ثم دعا لهم
فسقوا حين استعطفته قريش ٥ ودعا على كسرى بتمزق ملكه فتمزق ٥ وتشتت
شمل ذريته بل شمل الفرس قاطبةً وتفرق ٥ وقطع بعض الصبيان عليه الصلاه ٥
فدعا عليه فاقعد الى ان ادركته الوفاه ٥ وقال لرجل كل بيمينك فقال لا استطيع ٥
فلم يرفعها الى فيه اذ لم يكن لامره بمطيع ٥ واكل عتبة بن ابى لهب اسد سبق
اليه ٥ حيث دعا بتسليط كلبٍ من كلاب الله عليه ٥ وقابلته جماعة من قريش
باساة الادب ٥ فانقلبوا بعد القتل بدعايه الى اسوا منقلب ٥ وكان الحكم بن
ابى العاص يغمز عنده ٥ ويختلج بوجهه حتى لم يسلخ رشده ٥ فدعا عليه باستمراره
على هيئته ٥ فلم يزل يختلج الى ان نزل بحفرته ٥ ومات ابن جثامة بعد سبع من
دعايه عليه ٥ فلما دفن لفظته الارض مراتٍ ولم تركن اليه ٥ وكم له من دعاءٍ
مستجاب فى الاستسقا وغيره ٥ ومن كرامةٍ ظاهرة تدل على نبوته وعظمته
وخيره ٥ ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انه ركب فرسا لابى طلحة قطوفا
فرجع ببركته بحرا لا تجرى معه السوابق ٥ ونخس لجابر جملا افسد
اللغوب نظامه ٥ فنشط حتى كان لا يقدر ان يملك زمامه ٥ وبرك على فرس
جعيلٍ فحسنت وصفاه ٥ وباع من بطنها اثنى عشر الفا ٥ وركب لسعد بن عبادة
حمارا به قطاف ٥ فرده هملاجا لا يسايره ذو اكاف ٥ وكانت فى قلنسوة خالد

ابن الوليد شهرات من شعره ٥ فلم يشهد بها قتالا الا ايده الله فيه بنصره ٥ وكانت
المرضى تستشفي بعساله مما يلبسه من الثياب ٥ وتعافى بما يوضع في الآنية المعدة له
من الشراب ٥ وسكب من فضل وضوءه في بير فلم يتحدث بعد بالنزح عنها ٥ وبصق
في بير دارس فلم يكن بالمدينة اعذب منها ٥ ومر على ماء ملح فسماه طيبا فطاب ٥
ومج في بير زمزم وغيرها ففاح منها ريح الاناب ٥ وكان يتفل في افواه صبيان
المراضع ٥ فيجري بهم ريقه الى ان يجمعهم والليل جامح ٥ وحدث عكلة ام مالك وامرؤ
لها ان لا تعصر ٥ وما كانت تجد فيها من السمن حتى عصرتها لا ينكره ٥ وغرس لسلمان
عند مكاتبته بلا مانة وديه ٥ فاطعمت من عامها ببركة يده النديه ٥ واعطاه
ذهبا وزن منه لمواليه اربعين اوقيه ٥ على انه كان مثل بيضة الدجاجة وبقيت
منه بقيه ٥ وسقى رجلا من سوره الذي به الارواح تنتعش ٥ فلم يزل يجد شبع شربه
اذا جاع وريها اذا عطش ٥ واعطى قتادة عرجونا في ليلة مظلمه ٥ فلم يبرح العرجون
يضيء له حتى اتى مخيمه ٥ وانكسر سيف عكاشة يوم احد فاعطاه جذل حطب ٥ فعاد
في يده سيفا صارما يدني من قاربه الى العطب ٥ ثم لم نزل عنده نشهد به المواقف ٥
وكان يعرف بالعون بين تلك الطوائف ٥ وذهب سيف عبد الله بن جحش فرفع له
عسيبا ٥ وكان يوم احد فرجع في يده سيفا خشيبا ٥ وبركته على الشياه الحوامل مقلا
ماثوره ٥ ودروها باللبن الكثير في صحف المحدثين مسطوره ٥ كغنم حليمة السعديه ٥
وشاة ام معبد الخزاعيه ٥ واعنز معاويه بن ثور وشاتي انس والمقداد ٥ وشاة
عبد الله بن مسعود وغيرهم ممن لا تحصره التعداد ٥ ووردوا اصحابه سقاء
اوكاه ودعا فيه ٥ فلما حلوه وجدوه لبنا طيبا ذا زبدة في فيه ٥ وبرك على راس عمير
ابن سعد ٥ فمات ابن ثمانين ولم يشب من بعد ٥ ومسح على بطن عتبة بن فرقد وظهره ٥
وكان يغلب طيب نشايه طيب نشره ٥ وجرح عايذ بن عمرو يوم حنين ٥ فسلت الدم
عن وجهه فعاد ذا غرة كالجبين ٥ ومسح راس قيس بن زيد واشار بالدعا اليه ٥
فعمر وابيض راسه خلا ما مرت يده عليه ٥ ومسح وجوها كان عليها نور وجمال ٥

وكثر من العاهات مَرّ بركته وزال ٥ ورمى يوم حنين في وجوه الكفار قبضة من
التراب ٥ فانصرفوا مكسورين مأزورين منقطعة بهم الاسباب ٥ وكان اخر ترن
عبد الله لاشبث على الافراس ٥ فضرب في صدره ودعاله فكان افرس الناس ٥ وشكا
ابو هريرة النسيان اليه ٥ فامره ببسط ثوبه وضمه بعد ان غرف فيه بيديه ٥
فما نسي شيأ مما حفظه بعد ذلك ٥ وكم له من معجزة ليس له فيها من الانبيا مشارك ٥
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما اطلعه الله تعالى عليه من الغيوب ٥ وما عرفه
به سبحانه مما ذهب ومما يؤود ٥ ومما اخبر بوقوعه فوقع ٥ وانه سيكون فلاح
ضوء صبحه ولمع ٥ فمنه ما ذكر من الظهور على اعدايه ٥ واعلا اعلام انصاره واوليايه ٥
والامن الموجود عنه في الرحلة والمقام ٥ وفتح مكة وخيبر واليمن والعراق والشام ٥
ودنو امته من الدنيا وزهرتها ٥ وتقلبهم في جزيل نضارها ونضرتها ٥ وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر ٥ واخذهم من الاختلاف بالمكيال الاوفر ٥ وافتراقهم على
ثلاث وسبعين فرقه ٥ الناجية منها واحدة ليس بينها وبين الحق فرقه ٥ وان احدهم
يغدو في حلة ويروح في اخرى ٥ وتوضع الصحاف بين يديه تنعما وفخرا ٥ وتكون لهم
عدة امناط رحبه ٥ وستترون بيوتهم كما تستر الكعبه ٥ وان ملكهم يبلغ ما زوى
له من الغرب والشرق ٥ وانه لا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق ٥ وما اشار
اليه من قال الخزر والترك ٥ وزوال ملك فارس والروم بامر مالك الملك ٥
وقبض العلم وظهور الهرج والفتن ٥ وذهاب الامثل فالامثل وتقارب الزمن ٥
وملك بني امية واتخاذهم المال دولا ٥ وخروج بني العباس لا يبغون على الملك حولا ٥
وخروج المهدي في آخر الزمان ٥ وما ينال اهدسته الاطهار ٥ وما يلقونه من
القتل والتشريد في الاقطار ٥ وان الزبير يحارب عليا ٥ وان الفتن لا تظهر ما
دام عمر حيا ٥ وتنبح على بعض ازواجه كلاب الحوأب ٥ ويقتل حولها كثير بعد
ما كادت تذهب ٥ وان عمارا تقتله الفيه الباغيه ٥ وان الامر في قريش ما
اقاموا الدين اعلا ما عاليه ٥ وان يكون في ثقيف كذاب ومبير ٥ وان مسيلمة

وقتل عمار يعد قتل عمار ٥

بعقره من هو على كل شئ قدير ۞ وما اخبر به من سحر لبيد بن الاعصم حليف
الشيطان ۞ وانه بئ جف ضلع نخلة ذكر ملقى فى بير ذروان ۞ واكل الارضة ما
كتبته قريش فى الصحيفه ۞ وانها ابقت فيها كل اسم لله تنزيها لاسمائه الشريفه ۞
وان العرب سوف يزيدون ۞ وان الخلافة بعده ثلاثون ۞ وان الامر بدا نبوة ثم
يكون خلافة ورحمة ۞ ثم ملكا عضوضا ثم عتوا وفسادا فى الامه ۞ وكثرة العجم
فى امته وضربهم رقاب الرجال ۞ وان الكذابين ثلاثون آخرهم الدجال ۞ وشأن الامرا
الذين يخرون الصلاه ۞ والرجل الذى يخرج من فحطان يسوق الناس بعصاه ۞ وامر
اويس القرنى وما قال عنه ۞ وانه لا ياتى زمان الا والذى بعده شر منه ۞ ووقوع
آخر هذه الامة سبب اولها فى الآثام ۞ وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام ۞
وخروج الخوارج وان سيماهم التحليق ۞ وظهور القدرية والرافضة وعدولهم عن
الطريق ۞ وما حدث به من امر فاطمة الزهرا بخلة ۞ وانها اول من يلحق به من
اهله ۞ وان ارض الطف بها يقتل الحسين ۞ وان الله تعالى يصلح بالحسن بين فيتين ۞
وان رعا الغنم يرون رؤسا عليهم التيجان ۞ وان الحفاة العراة يتطاولون فى البنيان ۞
وولادة الاماء ربات الربات ۞ وموت النجاشى يوم مات ۞ وكتاب حاطب وقصة صفوان ۞
وما يكون بعد فتح ست المقدس من الموتان ۞ ومن غزل الشملة لتفرق شمله ۞
ومن غزل خرز يهود فوجدت فى رحله ۞ وقتل اهل مؤتة يوم قتلوا ۞ ومصارع
اهل بدر ومقابلتهم بما فعلوا ۞ وبنا مدينة دجلة ودجيل يعنى بغداد ۞ وعدة
من سكن البصرة ولم يخلف عليه السلام الميعاد ۞ الى غير ذلك من الحوادث ونزولها ۞
واشراط الساعة وحلولها ۞ وذكر البعث والنشر ۞ واثبات الموقف والحشر ۞ واحوال
الابرار والفجار ۞ واهوال القيامة ووصف الجنة والنار ۞ والجمل يستغنى بها
عن التفصيل ۞ والاقلام لا تحصر ما له صلى الله عليه وسلم من التفضيل ۞ ومن
معجزاته صلى الله عليه وسلم انه نزل فى بعض اسفاره تحت شجره ۞ فاخترط اعرابى
سيفه عليه يريد ما اعظم الله خطره ۞ فارعدت يده وسقط منه السيف ۞ وضرب

براسه كمن الم به من الشطان طيف ٥ فعفا عنه واقامه بعد الابلاس ٥ فرجع
الى قومه فايلاجيتكم من عند خير الناس ٥ وانفرد يوم بدر لقضا الحاجة من اصحابه ٥
فتبعه رجل من المنافقين مصلتا سيفه من قرابه ٥ فعصمه الله من شره ٥ ورد
كيده فى نحره ٥ وقصده دعثور بن الحارث ٥ وفى يده عضب مرهف الحد فارث ٥
وذلك فى غزوة غطفان ٥ فوقع لظهره ثم هدى بعدها للايمان ٥ وكانت حمالة
الحطب تضع على طريقه العضاه وهو جمر ٥ فكانما يطاوه كثيبا مهيلا بقدرة
صاحب الامر ٥ وتواعده المشركون مرات عديده ٥ واتوا للفتك به بكل حيلة
ومكيده ٥ فمنهم من هرب وفر ٥ ومنهم من مر عيشه بعد ان مر ٥ ومنهم من وقع
مغشيا عليه ٥ ومنهم من ضرب الله على عينيه ٥ ومنهم من اصابته زلخة وسقط
بين يديه ٥ ومنهم من صدته الملائكة فلم يصل اليه ٥ واجتمعت قريش على قتله
وبيتوه لحكوسهم ٥ فخرج عليهم من بيته وذر التراب على رؤسهم ٥ وخلص منهم وهم له
ينظرون ٥ صم بكم عمى فهم لا يبصرون ٥ واتبعه سراقة حين الهجرة اتباع قاتل ٥
وقد جعلت قريش فيه وفى ابى بكر الجعايل ٥ فلما قرب منه دعا عليه سيد الثقلين ٥
فخر عن فرسه بعد ان ساخت قوائمها مرتين ٥ فناداه بالامان ٥ فآمنه وقابله
بالاحسان ٥ وعرف بعض الرعاة حقيقة خبرهما ٥ فخرج شتد ليعلم قريشا
بامرهما ٥ فلما ورد مكة ضرب على جنانه ٥ وانسى ما خرج له حتى رجع الى مكانه ٥
وجاه ابو جهل بصخره يطرحها عليه ٥ وكان اذ ذاك ساجدا وقريش تنظر اليه ٥
فيبست يداه الى عنقه ولم ينفعه هبل ٥ ثم ساله ان يطلق يديه بدعائه ففعل ٥
واتاه مرة اخرى وهو يصلى صلى الله عليه ٥ فلما قرب منه ولى ناكصا على عقبيه ٥
اشرف على خندق نار كاد يهوى فيه ٥ وابصر من الهول العظيم ما يحزنه
ويخزيه ٥ وجاه عازما على قتله رجل من بنى المغيره ٥ فطمس الله بصره على انه
كان اعمى البصيره ٥ وادركه يوم حنين رجل من خلفه ٥ ورفع سيفه عليه جازما
يختفه ٥ فلما دنا ارتفع اليه شواظ من نار ٥ فولى ثم اقبل فاسلم وقاتل فى

صف الابرار ٥ وخبر عامر بن الطفيل حين قصد قتله مذكور ٥ وما اتفق عليه مع
اربد بن قيس من الكيد المردود عليهما مشهور ٥ وكثير من اليهود والكهان ٥ انذروا
به وعينوه لاصحاب الاوثان ٥ واخبروهم ببنايه وحضوهم على قتله ٥ فعصمه
الله منهم بنصره ونصله ٥ وحرسه بعينه التي لا تنام ٥ وكلاه بعنايته في الرحلة
والمقام ٥ وجعل في اعناقهم اغلالا ٥ والبسهم من العكس والطرد سربالا ٥ وكف ايديهم
عنه اذ همّوا ببسطها ٥ وقابل عزايمهم السيئة بطي نشرها وحل ربطها ٥ وردّ
كلا منهم خاسيا واطال بعده ٥ وحمى رسوله صلى الله عليه وسلم وكفاه اليس الله بكاف
عبده ٥ ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما جمعه الله له من المعارف الوافره ٥
والعلوم التي لم تنزل عن وجوه الهداية سافره ٥ وما خصه به من ورود عين اليقين ٥
والاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ٥ وعرفه من قوانين شريعته ٥ وحفظ اسرار
وديعته ٥ وسياسة عباده ٥ ورعايه ساكني بلاده ٥ وقصص الانبيا والرسل والجباره ٥
وما كان في الامم قبل بعثته الزاهره ٥ واحادث القرون الماضيه ٥ واظهار شرايعهم
النابيه ٥ ووعي سيرهم وسرد انبايهم ٥ وايام الله فيهم واختلاف آرايهم ٥ والمعرفه
بمدهم واعمارهم ٥ وحكم حكمايهم واخبار اخبارهم ٥ ومحاجة كل امة من الكفره ٥
ومعارضة الكتابيتين بما في كتبهم المسطره ٥ واعلامهم بمخبآتها واسرارها ٥
والمكتوم والمغير والمبدل من اسفارها ٥ وما احاط به من لغة العرب وغرب
الفاظها ٥ وضروب فصاحة خطابها وبلاغة وعاظها ٥ وما خص به من جوامع
كلمها ٥ وحفظ ايامها وامثالها وحكمها ٥ ومعرفة معاني اشعارها وسان مشكل
نظامها ونثارها ٥ وبيان اركان العلوم ورفع ذكر منارها ٥ وشفا صدر مريدها
الظامي الى انهارها ٥ وبلوغ ما يدني الى استخراج درر بحارها ٥ وسلوك اوضح طرقها
في النور من اقمارها ٥ وتفهيم الغامض الذي لا يظهره ٥ وتمهيد قواعد الشرع
المطهره المشتمل على محاسن الاخلاق ٥ ونفايس الاعلاق ٥ ومحامد الآداب ٥
وطرايف طرائق الصواب ٥ وتسكين حركة الطايش والطايث ٥ وتحليل الطيبات وتحريم

الخبايث ٥ وصون الاعراض والاموال بالحدود ٥ وحماية الانفس بالوعد لا
بالموعود ٥ وما علّمه مما كان ويكون ٥ وما حواه من سائر الفنون ٥ كالفرايض
والحساب ٥ والتعبير والانساب ٥ والطب المحقّق شفاؤه ٥ والعلاج المجرّب دواؤه ٥
كقوله صلى الله عليه وسلم في حديثه المعروف عند اصحاب الاثر ٥ الحقوا الفرايض
باهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر ٥ وقوله صلى الله عليه صلاة متصلة بيوم
العرض ٥ اذ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ٥ وقوله
سلم عليه ربّ العزة والسلطان ٥ الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان ٥
وقوله صلى الله عليه في خبر رواه من شنّف به مسمعه ٥ ان سبا رجل ولد
عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة ٥ وقوله عليه افضل الصلاة والسلام ٥
في الحبة السوداء شفاء من كل داء الا السام ٥ الى غير ذلك من لغات الامم ٥ وتصوير
حروف الخط بالقلم ٥ وما لا يعلّم بعضه ٥ ولا يدرك ابرامه ونقضه ٥ الا من مارس
الدروس واقتفى سبلها ٥ وعكف على مطالعة الكتب وجالس اهلها ٥ وما اتخذ
اهل هذه المعارف كلامه فيه قدوة ٥ وجعلوه اصلا في علومهم ليفرّعوا عليه
ويحذوا وجذوه ٥ على انه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ٥ ولا عرف بصحبة من تعلم
الكتابة او حسب ٥ ولا نشابين قوم لهم مدارسه ٥ ولا قراءة لشيء من هذه
الامور ولا ممارسه ٥ ولا اختلف الى حبر من الاحبار ٥ ولا اجتمع بمعلم ولا كاهن
ولا صاحب اخبار ٥ انما كانت غاية معارف العرب الشعر والبيان ٥ واخبار من
سلف من اوايلها وبان ٥ وذلك نقطة في بحر علمه ٥ وقطرة من غيث حكمه وحكمه ٥
وبالجملة فقد كانوا يسالونه عما اضطروا من ذلك اليه ٥ وعما اختلفوا فيه
منه صلى الله عليه ٥ ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم امداد الله له بملائكته ٥
وادخال طائفة الجن في طاعته ٥ وصرفهم اليه لاستماع القران ٥ ورؤيته عدة
لهم من اصحابه في كثير من الاحيان ٥ وخبر محادثته مع الملائكة في العالم العلوي
ما ثور ٥ وما شاهده من كثرتهم وعظم صورهم ليلة الاسرا مشهور ٥ راى

جبريل في صورته له ستمائة جناح ٥ ويكلم مع اسرافيل وغيره في مكان يصعد اليه الارواح ٥ وعاينهم جماعة من اصحابه في مواطن كثيرة ٥ ورأى ابن عباس وغيره جبريل في صوره دحية وهيئته ٥ ورؤى الناموس الاعظم في مجلسه العلي الاركان ٥ وهو في صوره رجل ساله عن الاسلام والايمان ٥ وجلس على يمينه المعروفة باليمن جبرائيل ٥ وعن يساره المشهورة بالبشر ميكائيل ٥ وكانا في صوره رجلين ابيضي الاثواب ٥ فرآهما سعد وغير واحد من الاصحاب ٥ واخبر بعض من شهد يوم بدر انه سمع اصوات الملايكة على خيلها بالحث والزجر ٥ ورأى تطاير الروس من الكفار ٥ ولم يشاهد ضاربا بعضب ولا بتار ٥ ورأى بعضهم رجالا بيضا بلق الافراس ٥ يجولون بين السما والارض على روس الناس ٥ وحين راى حمزة جبريل في الكعبة خر مغشيا عليه ٥ وكانت الملايكة تصافح ابن الحصين بيركه من صحبته وانتمى اليه ٥ ولما قتل يوم احد مصعب بن عمير ٥ اخذ الراية ملك على صورته مساعدة لاهل الخير ٥ واما ابن مسعود اتحفه الله بالكرامة ٥ فانه لسله الجن رأى من حضر منهم وسمع كلامه ٥ واقبل شيخ بيده عصى في بعض الايام ٥ فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ٥ ثم ذكر اسمه ونسبه الى ابليس اللعين واخبره انه لقي نوحا ومن بعده الى ذلك الحين ٥ قال عمر بن الخطاب ٥ وعلمه سورا من الكتاب ٥ وتفلت شيطان ليقطع صلاته في تهجده ٥ فاخذه واراد ربطه في بعض سواري مسجده ٥ ثم اطلقه لدعوة اخيه سليمن ٥ ورده الله خاسيا بالخزي والخذلان ٥ ولما هدم خالد مكان العزى وحطم جدرانه ٥ خرجت له سوداء ناشرة شعرها عريانه ٥ فجز لها ممهنده ٥ واستمر على ما هو بصدده ٥ وكرامات اصحابه من بعض معجزاته ٥ عليه افضل صلوات الله وتحياته ٥ فهذه نبذه من معجزاته الواضحه ٥ وفلذة من انوار اياته اللائحة ٥ وبضعة من علامات نبوته الهاديه ٥ وقطعه من سحايب كراماته الرابحة والغاديه ٥ مقتصر من جزلها على اليسير ٥ ومقتنع من طويلها بقليل من كثير ٥ اذ لو حصل الاستقصا

لكانت ديوانا ٥ بل دواوين نظيرا أو راقها الى طالبها زرافات ووحدانا ٥
وبالجملة فالادلة على فضله لا تعد ولا تحصر ٥ واختصار القول في اهل الشرف
والطول اولي واجدر ٥

نعم نعم المقفى ليس تحصى ٭ وتلخيص المقالة فيه اجدر ٭
لان الافق مهما قلت فيه ٭ من الزهر الدراري فهي اكثر ٭
وفضل البحر لم يدركه وصف ٭ وعد الموج منه ليس يحصر ٭
أيا لله من ذي معجزات ٭ لها نور كعين الشمس تبهر ٭
عظيم الخلق معروف السجايا ٭ اله العرش قدسه وطهر ٭
سلام الله لا ينفك يهفو به ٭ ما هلل الداعي وكبر ٭

رجعنا الى التفسير قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه
ما عنتم اى شديد عليه عنتكم يعني مكروهكم ٥ وقيل شق عليه ضلالتكم حريص
عليكم يعني حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم ٥ وقال قتادة حريص على هدايتكم
وان يهديكم الله بالمؤمنين رؤف رحيم يعني انه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين
رحيم بالمذنبين ٥ في الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد ٥ وانا احمد ٥ وانا الماحي الذي يمحو الله
بي الكفر ٥ وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ٥ وانا العاقب ٥ والعاقب الذي
ليس بعده نبي ٥ وقد سماه الله رؤفا رحيما ٥ وقال الحسين بن الفضل لم يجمع
الله تعالى لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه
رؤفا رحيما ٥ وقال تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم ٥ وقال ابو بكر محمد بن
طاهر زين الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة ٥ فكان وجوده رحمة
وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق ٥ فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في
الدارين من كل مكروه ٥ والواصل فيهما الى كل محبوب ٥ الا ترى ان الله تعالى يقول
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ٥ فكانت حياته رحمة ٥ ومماته رحمة ٥ كما قال

صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم، وموتي خير لكم ٥ وكما قال ايضا اذا اراد الله رحمة
بامة قبض نبيها قبلها ٥ فجعله لها فرطا وسلفا ٥ وقال السمرقندي رحمة
للعالمين اي للجن والانس ٥ وقيل لجميع الخلق ٥ للمومن رحمة بالهدايه ٥ ورحمة
للمنافق بالامان من القتل ٥ ورحمة للكافر بتاخير العذاب ٥ قال ابن عباس
هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبه ٥
وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة
شيء ٥ قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت ٥ لثنا الله تعالى علي بقوله ذي قوة
عند ذي العرش مكين ٥ مطاع ثم امين ٥ قوله تعالى فان تولوا يعني فان
اعرض هولا الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك الحرب فقل
حسبي الله يعني يكفيني الله وينصرني عليكم ٥ واعلم ان الله تعالى لما امر رسوله صلى
الله عليه وسلم ان يبلغ في هذه السوره الى الخلق التكاليف الشاقه الصعبة ختم
السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف ٥ وهو ان هذا الرسول منكم فكل ما
يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عايد اليكم ٥ وايضا فانه شفيق عليه ضرركم
وتعظم رغبته في ايصال الخير اليكم ٥ وهو كالاب الشفيق ٥ ربما اقدم على التاديبات
الشاقة ٥ الا انه لما عرف انها مشتمله على المصالح كانت جاريه مجرى الاحسان
فكذا هنا لما عرفتم انه رسول من عند الله فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة
لتفوزوا بالخير ٥ ثم قال تعالى للرسول صلوات الله عليه فان لم يقبلوها بل اعرضوا
وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم ٥ وارجع في جميع امورك عليه وقل حسبي الله لا اله
الا هو وقال اخرون ايضا المقصود من الاية بيان ان الله تعالى الكفار وان اعرضوا
ولم يقبلوا هذه التكاليف قد يدخل في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم حزن ولا
اسف فان الله حسبه وكافيه في النصرة على الاعدا ٥ وفي ايصاله الى الآلاء والنعما
لا اله الا هو ٥ واذا كان لا اله الا هو وجب ان يكون لا مبدء لشي من الكاينات
الا هو ٥ ولا محدث لشي من المحدثات الا هو عليه توكلت يعني لا على غيره ٥ وبه

وثقت **وهورب العرش العظيم** وهذه الخاتمة في غاية الحسن ونهاية الكمال ٥
وانما خصّ العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات • فيدخل ما دونه في الذكر • فيكون
المعنى وهو رب العرش فما دونه • او يكون خصه بالذكر تشريفا له • كما يقال بيت الله
وناقة الله ٥ وقال بعضهم ايضا انما خص العرش بالذكر لانه كلما كانت الاثار اعظم
واكبر كانت ظهور جلالة المؤثّر في العقل اعظم واكبر ٥ والعرش اعظم الاجسام ٥
فذكره في معرض شرح عظمة الله سبحانه اولى واليق ٥ فان قيل العرش
غير محسوس ٥ فكيف يليق ذكره في هذا المعرض ٥ فنقول انه وان لم يكن محسوسا
بالبصر فقد كان معلوما ومشهورا عند الناس انه اعظم الاجسام ٥ ومن جملة
اسمائه العرش الفلك الاعظم ٥ وقال الكسائي اول ما خلق الله اللوح المحفوظ ٥
ثم خلق القلم ٥ وهو من درة بيضاء ٥ طوله مسيرة خمسمائة عام ٥ مشقوقة السنّ ٥
ينبع منها النور • كما ينبع من اقلام اهل الدنيا المداد ٥ ثم نودي القلم ان اكتب ٥
فاضطرب من هول النداء حتى صار له ترجيع في التسبيح كترجيع الرعد • ثم جرى
في اللوح بما اجراه الله تعالى مما هو كائن وما هو فاعله في الوقت الذي يفعله
الى يوم القيامة • وامتلا اللوح وجف القلم • سعد من سعد • وشقي من شقي ٥
ثم خلق الله تعالى الماء ٥ واصله من درة بيضاء • في عظم السموات والارض • لها سبعون
الف لسان • تسبح الله بسبعين الف لغة • ثم ناداها الرب عز وجل • فاضطربت
من هول النداء حتى صارت ماء • واخذت تموج بعضها في بعض ٥ قال وكل شيء
يفتر عن التسبيح في وقت • الا الماء • فانه ابدا في تسبيحه • وتسبيحه اضطرابه وتحركه •
ولذلك فضّل على غيره من المخلوقات • فجُعل للمخلوقات اصلا ٥ قال الله تعالى
وجعلنا من الماء كل شيء حي ٥ ثم نودي ان اسكن • فاستقر منتظرا لامر ربه ٥ وهو
ماء صافٍ لا كدورة فيه • ولا موج ولا زبد • ثم خلق الله العرش من جوهرة
خضراء • لا يوصف عظمها ولا نورها • فوُضع على تيار الماء ٥ قال وهب بن
منبه فلا كتاب من كتب الاولين الا وفيه ذكر العرش والكرسي • فان الله تعالى خلقها

من جوهرتين عظيمتين ٥ وقال كعب الاحبار للعرش سبعون الف لسان تسبح الله
بانواع اللغات ٥ وكان العرش على الماء ٥ وقال ابن عباس رضى الله عنه كل صانع يبنى
الاساس اولا ثم يوضع عليه السقف ٥ وان الله تعالى خلق السقف اولا ثم خلق الاساس ٥
لانه خلق العرش قبل السموات والارض ٥ ثم خلق الريح بعد ذلك ٥ وجعل لها اجنحة
لا يعلم احد كثرتها الا الله ٥ وامرها ان تحتمل بهذا الماء ٥ فاحتملت ٥ وكان العرش على
الماء ٥ والماء على الريح ٥ والريح على القدرة ٥ ثم خلق سبحانه حملة العرش ٥ وهم اليوم
اربعة ٥ فاذا كان يوم القيامة امدهم باربعة اخر ٥ فذلك قوله تعالى ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية ٥ وهم فى عظم لا يوصف ٥ ولكل واحد منهم اربع صور ٥ صورة
على صورة ابن ادم ٥ شفع لبنى ادم فى ارزاقهم ٥ وصورة على صورة ثور ٥ يشفع للبهايم
فى ارزاقها ٥ وصورة على صورة نسر ٥ شفع للوحوش والسباع فى ارزاقها ٥ وقال
ابن عباس رضى الله عنه حملة العرش ما بين راس احدهم الى اسفل قدميه مسيرة
خمسمايه عام ٥ وقال مسروق ان ارجلهم فى الارض السفلى ٥ وروسهم قد خرقت
العرش ٥ وهم خشوع لا يرفعون طرفهم ٥ وهم اشد خوفا من اهل السما السابعة ٥
واهل السما السابعة اشد خوفا من اهل السما التى يليها ٥ والتى يليها اشد خوفا
من التى يليها ٥ وقال مجاهد بين الملائكة وبين العرش سبعون حجابا من نور ٥
وقال ابن عباس رضى الله عنه لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا
عرشى ٥ فلم يطيقوا ٥ فاضاف سبحانه الى كل ملك منهم قوة مثل قوة من فى السموات
السبع من الملائكة ٥ ومن فى الارضين السبع من الخليقة ٥ وقال لهم احملوا عرشى ٥
فذهبوا ليحملوا فلم يطيقوا ٥ فقال لهم تعالى قولوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٥
فقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٥ فاستقل العرش معهم محمولا ٥ وقد نفذت
اقدامهم فى الارضين السابعة على متن الثرى ٥ فلم يستقر على الثرى ٥ فثبت قدم
كل ملك منهم باسم من اسمايه ٥ فاستقرت اقدامهم ٥ وروى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال لا تفكروا فى عظمة ربكم ٥ ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة وغيرهم ٥

وذلك ان اسرافيل عليه السلام يحمل زاوية من زوايا العرش • وقدماه في الارض السفلى
وقد خرق راسه من سبع سموات • وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع •
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي ان
أحدث عن ملك من الملائكة من حملة العرش • ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة
سبعمائة عام • وفي الخبر ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا السلام
على حملة العرش • تفضيلا لهم على سائر الملائكة • فهذه صفة حملة العرش •
واما صفة العرش فروى ان الله تعالى خلق عرشه العظيم من جوهرة خضراء •
وخلق له الف الف راس • وستمائة الف راس • في كل راس الف الف وجه • وستمائة
الف وجه • كل وجه منها كطباق الدنيا الف الف مره • وستمائة الف مره • في
كل وجه الف الف وستمائة الف لسان • كل لسان منها يسبح بالف الف لغة •
يخلق الله تعالى لكل لغة خلقا من ملكوته يسبحه ويقدسه تلك اللغة • وعن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة التي يليها
كخفقان الطير المسرع ثمانين الف عام • والعرش يكسى كل يوم سبعون الف لون من النور •
لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله • وان لله تعالى ملكا يقال له حزقايل •
له ثمانية الاف جناح • ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام • فخطر له خاطر
هل فوقي شيء • فزاده الله تعالى اجنحة مثلها • فكان له ستة وثلاثون الف جناح •
ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام • ثم اوحى الله تعالى اليه انظر • فطار مقدار
عشرين الف سنة • فلم ينل راس قائمة من قوائم العرش • ثم صاحف الله سبحانه
له في القوة وامره ان يطير • فطار مقدار ثلاثين الف سنة • فلم ينل ايضا راس قائمة
قائمة من قوائمه • فاوحى الله تعالى اليه ايها الملك لو طرت الى ان ينفخ في الصور ما
مع لشره اجنحتك وشده قوتك ما بلغت ساق عرشي • فقال الملك سبحان ربي
الاعلى • فانزل الله تعالى في القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سبح اسم ربك الاعلى •
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه

قال ان العرش اخوف الخلق من الله ۞ وان بعض السنته ينطق بهذا الكلام ۞ اعوذ بالله
من نقمة الله ۞ اعوذ بالله من كيد الله ۞ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدت فى سراد قات العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول
الله ۞ ابو بكر الصديق ۞ عمر الفاروق ۞ حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله ۞
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال رايت ليلة اسرى بى على ساق العرش الايمن مكتوبا
لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلى ونصرته ۞ واما صفة الكرسى فقال
ابن عباس رضى الله عنه خلق الله الكرسى من جوهرة غير الجوهره التى خلق منها العرش ۞
وقال وهب بن منبه ان للعرش ملايكه حاشة على ظهورهم ۞ قياما على اقدامهم ۞ وملايكه
يحملون العرش على كواهلهم ۞ وانهم ليضعفون احيانا حتى ما يحمل العرش الا عظمة ركبهم ۞
الله تعالى ۞ قال والكرسى بين يدى العرش ۞ وروى عن ابى ذر الغفارى رضى الله
عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اية فى القران افضل ۞ او قال اعظم ۞
قال آية الكرسى ۞ ثم قال ما السموات السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى ارض
فلاة ۞ وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة ۞ وروى ابو داود
فى سننه بسنده عن ابى الدرداء رضى الله عنه ۞ قال من قال اذا اصبح واذا امسى حسبى الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما اهمه ۞
صادقا كان بها او كاذبا ۞ وروى الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول عن بريدة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشر كلمات عند دبر
كل صلاة غداة وجد الله مكفيا مجزيا ۞ خمس للدنيا ۞ وخمس للاخره ۞ حسبى الله
لدينى ۞ حسبى الله لما اهمنى ۞ حسبى الله لمن بغى على ۞ حسبى الله لمن حسدنى ۞ حسبى الله
لمن كادنى بسوء ۞ حسبى الله عند الموت ۞ حسبى الله عند المسالة فى القبر ۞ حسبى الله
عند الصراط ۞ حسبى الله عند الحساب ۞ حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت واليه
انيب ۞ وقال الحسن رضى الله عنه هما ان الايتان يعنى آخر سورة التوبة اخر ما
نزل من القران لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم الى اخر السوره ۞

وقال ابی بن کعب رضی الله عنه احدث القران عهدا بالله ثمانی الآیات ٥ وهو قول
سعید بن جبیر ٥ ومنهم من یقول اخر ما نزل من القران قوله تعالی واتقوا یوما
ترجعون فیه الی الله ٥ ثم توفی کل نفس ما کسبت وهم لا یظلمون ٥ وقال یحیی بن جعدة
کان عمر بن الخطاب رضی الله عنه لا یثبت ایة فی المصحف حتی یشهد علیها رجلان ٥
فجاه رجل من الانصار بالآخرین من اخر سورة برآة لقد جاکم رسول من انفسکم ٥
فقال عمر والله لا اسالک علیها بینة ٥ کذلک کان النبی صلی الله علیه وسلم یقراوها ٥
فاثبتها رضی الله عنه ٥ وهذا الرجل هو خزیمة بن ثابت الانصاری ٥ وانما اثبتها
عمر رضی الله عنه شهادته وحده لقیام الدلیل علی صحتها فی صفة النبی صلی الله
علیه وسلم ٥ ففی قرینة تغنی عن طلب شاهد آخر ٥ بخلاف آیة الاحزاب ٥ رجال
صدقوا ما عاهدوا الله علیه ٥ فان تلک ثبتت بشهادة زید وخزیمة لسماعهما
اناها من النبی صلی الله علیه وسلم ٥ وروی ابن بشکوال فی کتاب القربة الی
رب العالمین ٥ فی فضل الصلاة علی سید المرسلین ٥ عن عبید الله بن ابی القاسم بن عبد
الله بن الحسن الخفاف المعروف بابن النقیب ٥ قال کنت یوما جالسا بباب الطاق
اقرا القران علی رجل یکنی ابا بکر ٥ وکان ولیا لله ٥ فاذا بابی بکر الشبلی قد جاء الی
رجل یکنی بابی الطیب الجلاء ٥ وکان من اهل العلم ٥ وذکر قصة طویلة ٥ قال فی
آخرها ومشی الشبلی الی ان جاء الی بکر بن مجاهد ٥ فقام الیه ٥ فتحدث اصحاب ابن
مجاهد ٥ وقالوا ان ابا بکر لم یقم لعلی بن موسی الوزیر ٥ وقام للشبلی ٥ فقال ابو
بکر الاقوم لمن یعظمه رسول الله صلی الله علیه وسلم ٥ رایت رسول الله صلی الله علیه
وسلم فی المنام ٥ فقال لی یا ابا بکر اذا کان غد فسیدخل علیک رجل من اهل الجنة ٥
فاذا جاک فاکرمه ٥ قال ابن مجاهد فلما کان بعد ذلک بلیلتین او اکثر رایت
النبی صلی الله علیه وسلم ٥ فقال لی یا ابا بکر اکرم الشبلی کما اکرمت رجلا من اهل الجنة ٥
فقلت یا رسول الله بم استحق الشبلی هذا منک ٥ قال هذا رجل یصلی خمس
صلوات یذکرنی اثر کل صلاة ٥ ویقرا لقد جاکم رسول من انفسکم عزیز علیه ما عنتم ٥

الى اخرها ما بين سنة • افلا اكرم من يفعل هذا • وروى ابو موسى المدنى فى كتاب
الترغيب فى الخصال المنجيه والقاضى عياض فى المدارك عن ابى بكر محمد بن عمر قال
~~كنت عند ابى بكر محمد بن عمر~~ • قال كنت عند ابى بكر احمد بن موسى بن مجاهد • فجاءه
الشبلى فعانقه وقبل بين عينيه • فقلت يا سيدى تفعل هذا بالشبلى وانت
وجميع من ببغداد يقولون انه مجنون • قال فعلت به كما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعل به • وذلك انى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد اقبل
الشبلى فقام اليه وقبل بين عينيه • فقلت يا رسول الله اتفعل هذا بالشبلى • قال
نعم • هذا يقول بعد صلاته لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السوره • ويتبعها
بالصلاة علىّ • وفى رواية اخرى قال انه لم يصل فريضة الا ونظر اخلفها لقد صلاة/
جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤف رحيم الى آخر
السوره • ثم يقول ثلاث مرات صلى الله عليك يا محمد • صلى الله عليك يا محمد • صلى الله عليك
يا محمد • فلما دخل الشبلى سالته عما يذكر بعد الصلاة فذكر مثله • ان
هذا اخر تفسير سوره التوبه • وبتمامه تم الجزو الثانى عشر من
كتاب فتح المنان • فى تفسير القران • للعلامى • رحمه الله وعفا عنه •

وسلوه فى اول الثالث عشر تفسير سوره يونس •
عليه السلام • والحمد لله اولا واخرا •
وظاهرا وباطنا • وسرا وعلانيه •
وصلاته على خير خلقه محمد واله وصحبه وسلامه •
وحسبنا الله ونعم •